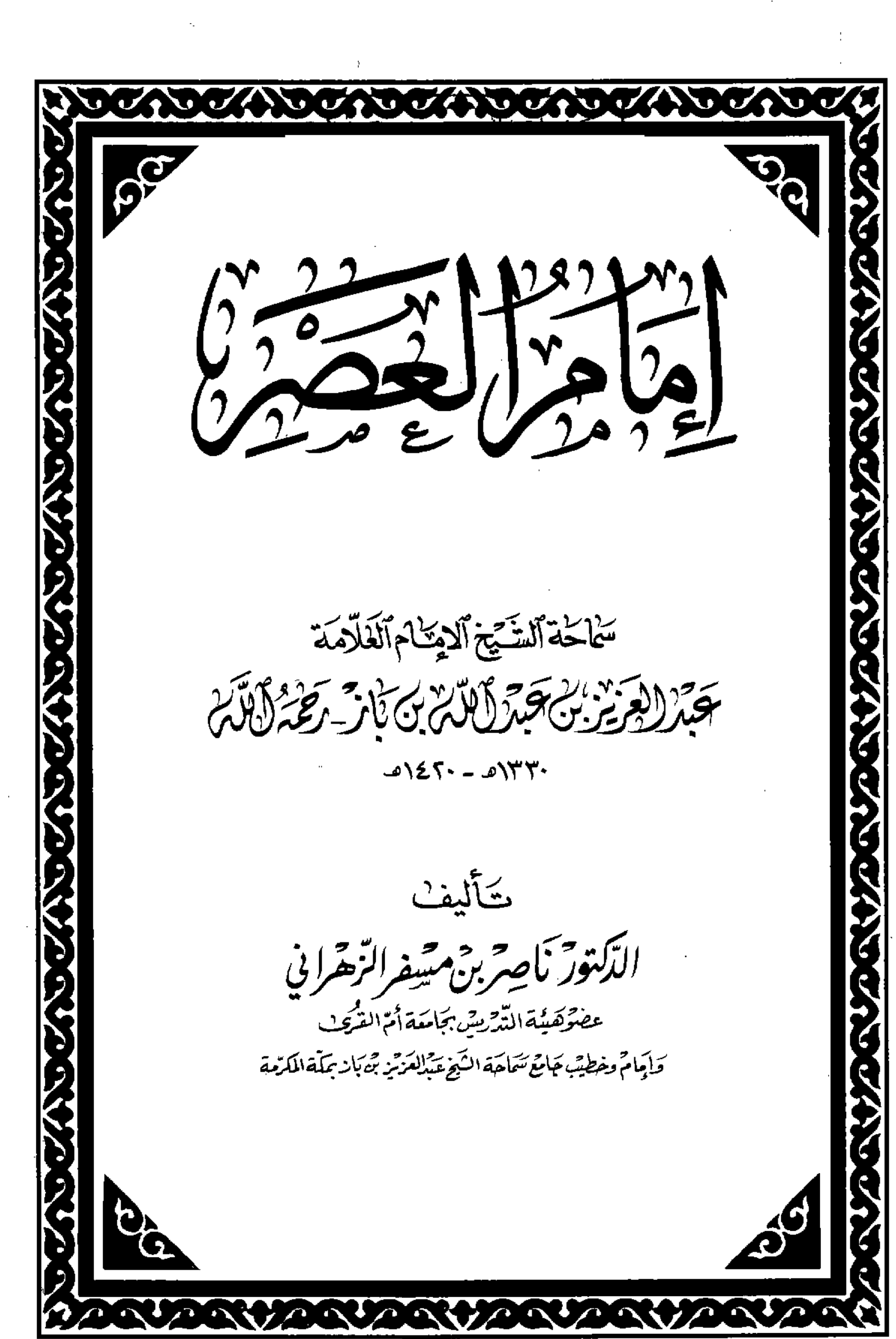


إمام العصر

سماحة الشيخ الإمام العلامة

عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله

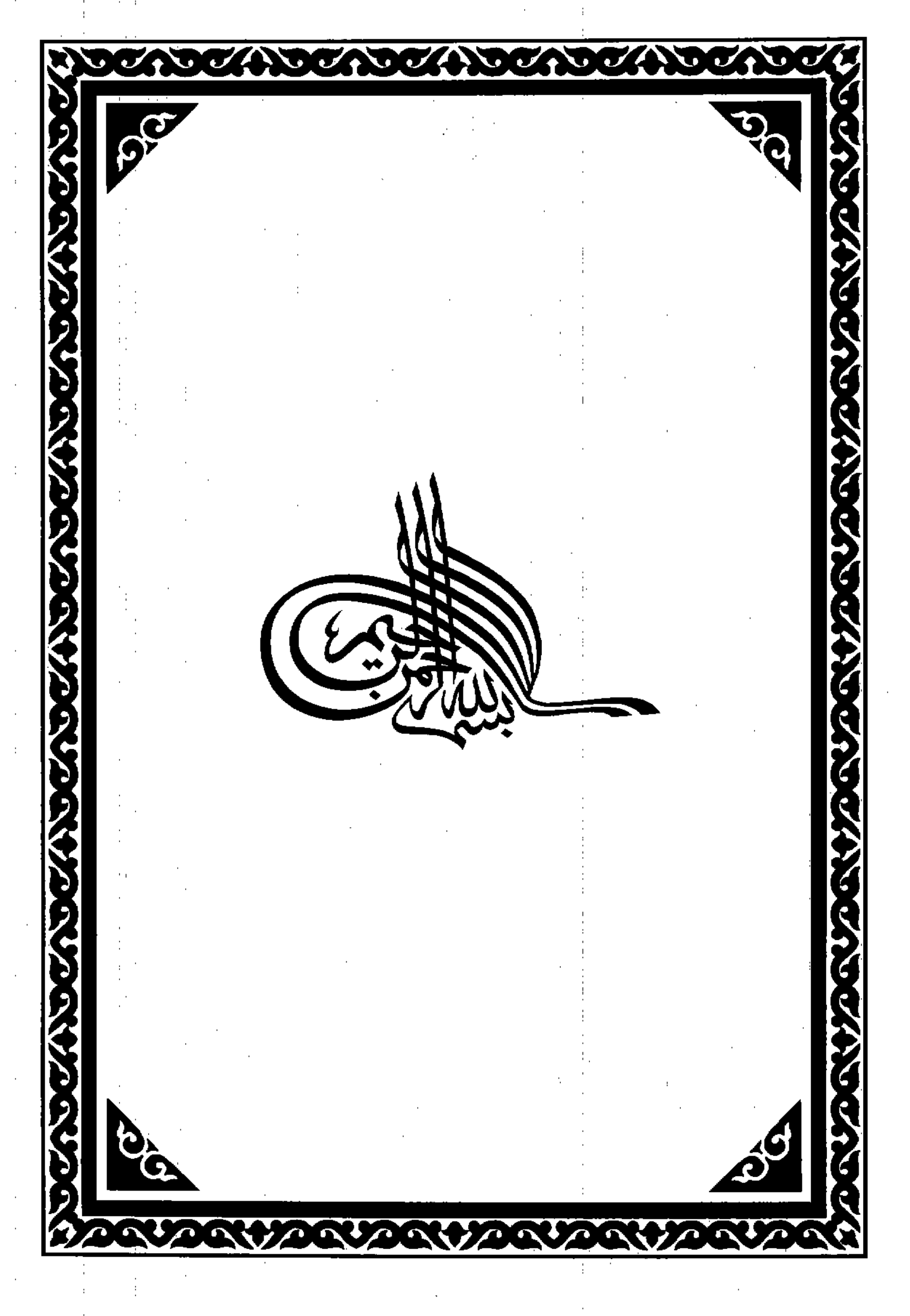
١٣٣٠هـ - ١٤٢٠هـ

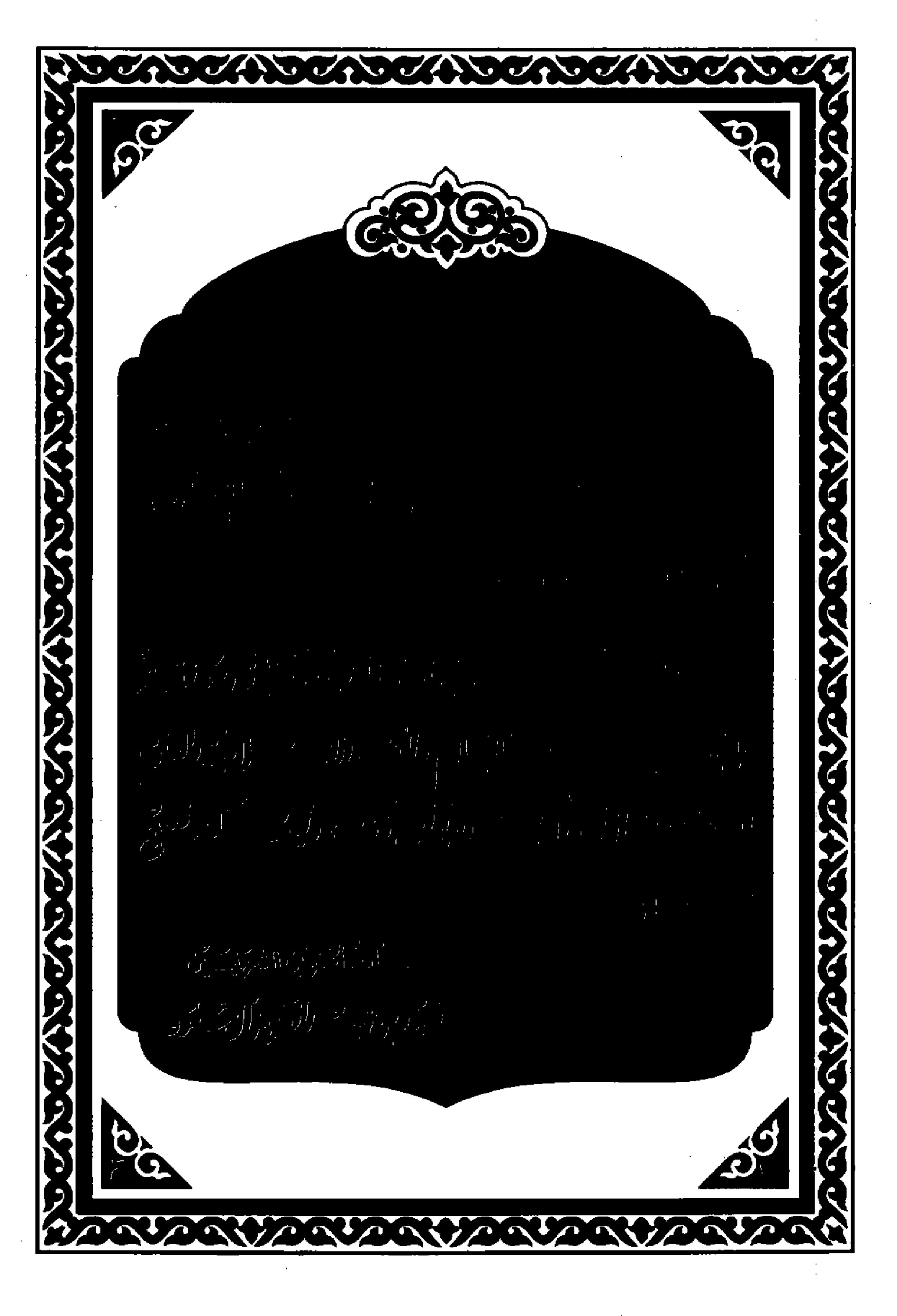
تأليف

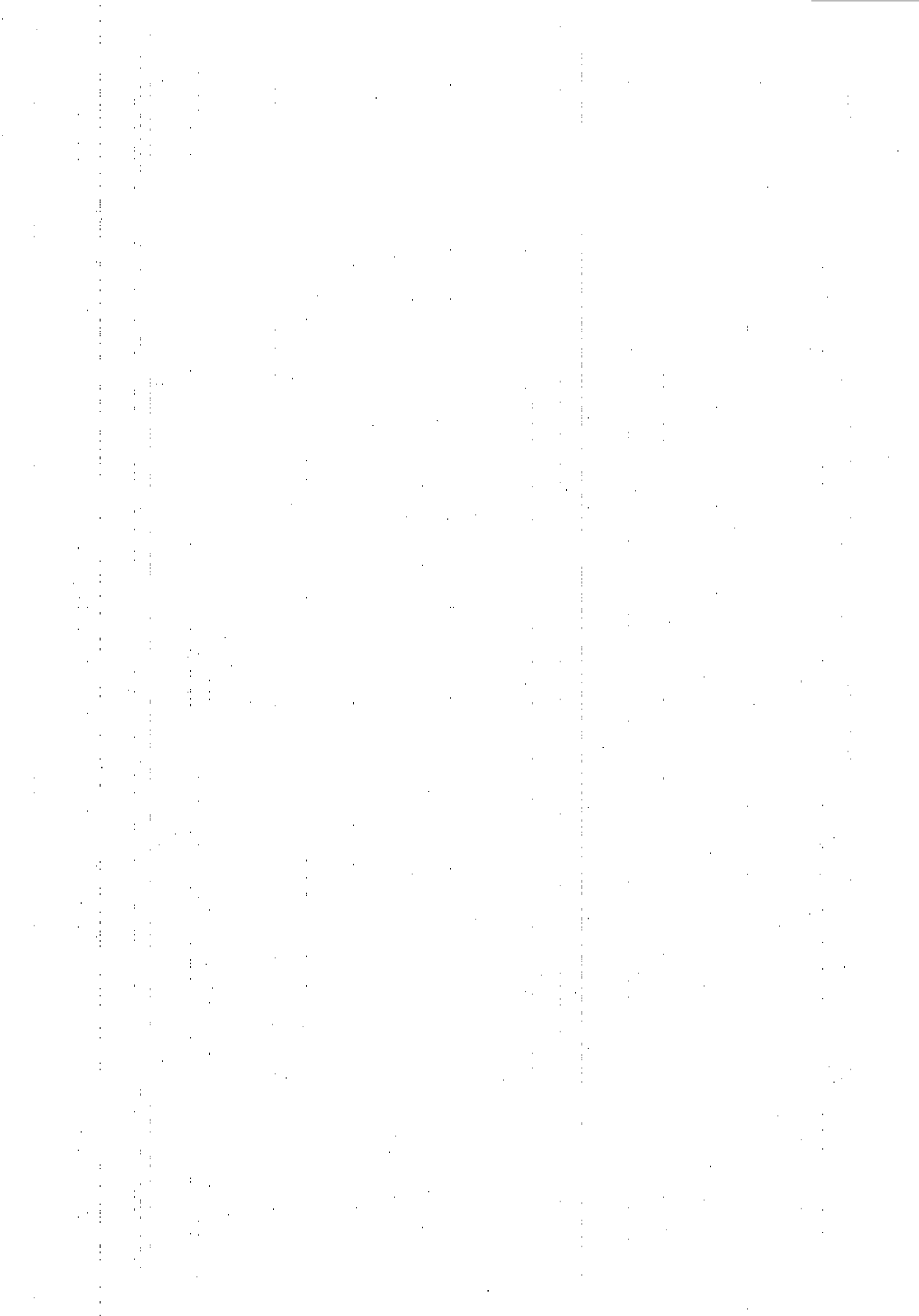
الدكتور ناصر بن مسفر الزهراني

عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى

وإمام وخطيب جامع سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز بمكة المكرمة


بسم الله الرحمن الرحيم







مُقَدِّمَةُ المُؤَلِّف

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد .. فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمدٍ ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثةٍ بدعة ، وكل بدعةٍ ضلالة .

﴿ من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا ﴾ .

هذه أحرفٌ وَلْهى ، وألفاظ ثكلى ، وعبارات مكلومة ، وجُمَلٌ مهمومة .

هذه أحزان نفثتها الصدور المحترقة ، والقلوب الوالهة ، والأنفس الباكية .









هذه أعين تبكي نورها ، وقلوب تودّع نبضها ، وأفئدةٌ تندب أرواحها ، وقلوب تشكوا جراحها .

هذه صور حية نُقلَتْ على هواء الوفاء مباشرة ، ترسم لنا أصدق ألوان الثناء والرثاء لمن عاش بيننا وهو من أهل الآخرة .

هذه همسات القلوب ، وآهات النفوس ، وخلجات الأفئدة ، ودموع الأحزان .

هذا غيض من فيض ، ونزر من نهر ، وقطْر من بحر . هذا شيء مما جاد به المؤمنون لإمامهم ، ونطق به المسلمون لعالمهم ، وهتف به المدلجون لبدر سُراهم .

هذه قطرات من غيث الثناء ، وعبرات من سيل البكاء ، وورقات من ركام الرثاء .

هذه عبرات من مزن العيون يُغَسَّل بها ذاك الجثمان الزاكي .

هذه قطع من حرير أكفان الحب يُلَف بها ذاك الجسد الطاهر .

حنّطتهُ يا نصرُ بالكافورِ
ورفعته للمنزل المهجور
هلاّ ببعض خلاله حنّطته
فيضوعُ أُفْق منازلٍ وقبورِ

هذا كافور من عَبَقِ الثناء يُضَمَّخ به ذاك الحبيب الراحل ، الذي



أدّى الأمانة ، وخدم الديانة ، ونصح للأمة ، واجتهد في كشف الغمّة .

لقد كنت أول من ألّف عن سماحة الشيخ – رحمه الله – وصدح بلواعج الحب ، ونطق بعميق الود ، فعزّ على نفسي أن أتمهل في الدرب فيسبقني الركب .

إن من أقل واجبات إمام الحق ، أن يكون لي في مدحه قدم صدق ، وأن أحرز في الثناء عليه قصب السبق .

ولو قبل مبكاها بكيت صبابة
بسعدى شفيت النفس قبل التَنَدُّمِ
ولكن بكت قبلي فهيجني البكا
بكاها فقلت الفضل للمُتَقَدِّمِ

أسأل الله أن أكون من أسبق الناس إلى مقابلته في جنات النعيم ، وأن يحشرني الله معه تحت لواء النبي ﷺ ، فقد أحببتهم أصدق الحب وأعمقه ، والمرء مع من أحب ، وهذا عهد سابق ، ووعد صادق .

عهدي بهم تستنير الأرضُ إن نزلوا
فيها وتجتمع الدنيا إذا اجتمعوا
ويضحك الدهر منهم عن غطارفةٍ
كأن أيامهم من أُنسها جُمَعُ

إن مثلي وأنا أحاول إظهار شيء من محاسن شيخنا – رحمه الله – كمثل إنسان وقف على جانب نهرٍ عذب ، فشرب وملأ مِزْوَدته ، ثم

عـاد بهـا إلى أهله الظمـآى ، وأبنائه العطشى ، فـهل نقص من النهـر شيء؟ .

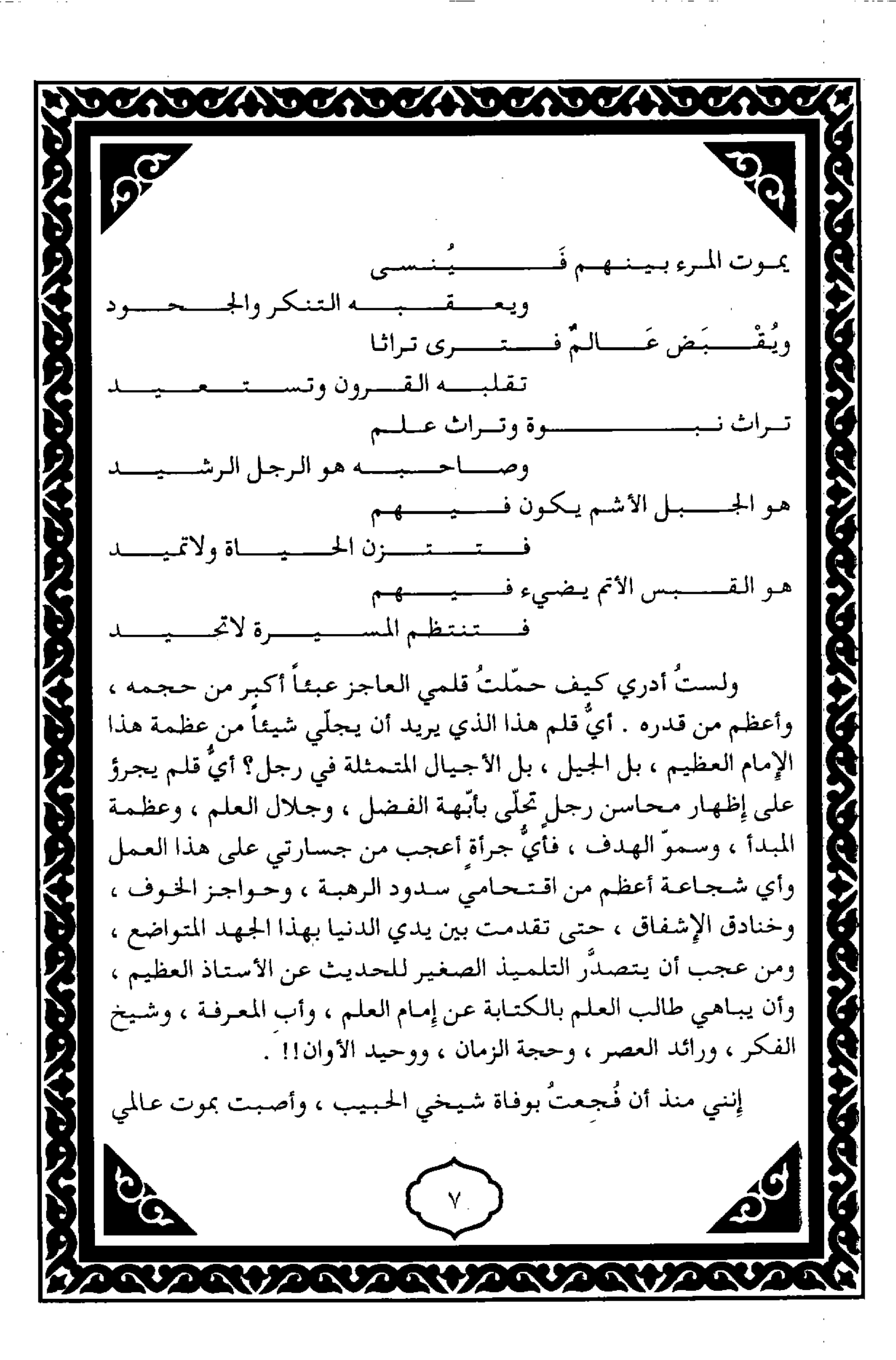
أو كمثل بحّار انطلق في خضمٍّ بحر هائل ، ومكث مدّة من الزمن وهو ينهل من كنوز ذاك البـحـر ، ويجـمع من لؤلؤه ومـرجـانه ، ودرره وأصدافه ، فهل يؤثّر فعله في ذلك البحر الهادر .

لقد كان سماحة شيخنا – رحمه الله – بحراً هائلاً ، ونهـراً عذباً متدفقاً ؛ كان شيخنا بعيد الغور ، عالي الهمة ، نافذ البصيرة ، عظيم الغيرة ، لطيف المعاملة ، ساكن الهيبة ، رقيق الحاشية ، ساحر الابتسامة رفيق اليد واللسان ، حلو المنطق ، جميل المحادثة ، خفيض الصوت ، ذكيّ الفؤاد ، لقد كان أُمة وحده ، سوف تتعاقب الأجيال وهي تنهل من علمه ، وترتوي من فيضه ، وتسعد بتراثه .

سـأبكيك للدنيـا وللدين إنني
رأيت يد المعـروف بعـدك شلَّتِ
ربيعٌ إذا ضنَّ الغـمـام بمائه
وليْثٌ إذا مـا المشـرفـيـةُ سُلّتِ

وسوف تؤلف الكتب ، وتطبع المجلدات ، وتتسابق الجامعات ، وتتنافس المكتبات لأخذ نصيبهم من هذه التركة الهائلة المباركة .

فـقـيـدُ العلم في الناس الفـقـيـدُ
وحـاضـره المغـيَّب والشـهـيـدُ



يموت المرء بينهم فَيُنسى
ويعقبه التنكر والجحود
ويُقْبَض عَالمٌ فترى تراثا
تقلبه القرون وتستعيد
تراث نبوة وتراث علم
وصاحبه هو الرجل الرشيد
هو الجبل الأشم يكون فيهم
فتتزن الحياة ولاتميد
هو القبس الأتم يضيء فيهم
فتنتظم المسيرة لاتحيد

ولستُ أدري كيف حمّلتُ قلمي العاجز عبئاً أكبر من حجمه ، وأعظم من قدره . أيٌّ قلم هذا الذي يريد أن يجلّي شيئاً من عظمة هذا الإمام العظيم ، بل الجيل ، بل الأجيال المتمثلة في رجل؟ أيٌّ قلم يجرؤ على إظهار محاسن رجلٍ تحلّى بأبّهة الفضل ، وجلال العلم ، وعظمة المبدأ ، وسموّ الهدف ، فأيُّ جرأةٍ أعجب من جسارتي على هذا العمل وأي شجاعة أعظم من اقتحامي سدود الرهبة ، وحواجز الخوف ، وخنادق الإشفاق ، حتى تقدمت بين يدي الدنيا بهذا الجهد المتواضع ، ومن عجب أن يتصدَّر التلميذ الصغير للحديث عن الأستاذ العظيم ، وأن يباهي طالب العلم بالكتابة عن إمام العلم ، وأبِ المعرفة ، وشيخ الفكر ، ورائد العصر ، وحجة الزمان ، ووحيد الأوان!! .

إنني منذ أن فُجِعتُ بوفاة شيخي الحبيب ، وأصبت بموت عالمي

الجليل ، هجرتْ عيني الرقاد ، وأصبحت نهباً للسُّهاد ، فسللتُ قلم الحب ، وسطرت بمداد الحزن شيئاً من كوامن الوجدان ، وجزءً من خفقان الجنان .

لقد بدأت في تدوين هذه السطور بعد وفاته ببضعة أيام ، ولم يمض أسبوعان إلا وقد أصبحت جاهزةً للطبع ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، فله الحمد كله ، وله الشكر كله ، والثناء كله .

إن ما بين يديك أخي القارىء هو إسهام يسير ، وعمل قليل ، وجهد ضئيل ، وماذا تسطر الأقلام ، وبماذا تصدح الأفهام ، عن الذي : كان أمةً وحده؟ ليس لي من شفيع في هذا العمل إلا صدقي فيه ، ومحبتي لمن أهدي إليه . لقد أحببت هذا الشيخ حباً عظيماً ، وشربت من فيض مودّته ، حتى رأيت الرِّيّ يخرج من أظفاري ، كيف لا أحبه وهو عالم الدنيا ، وحامل ميراث حبيبنا وإمامنا ﷺ والمناضل عن شريعته ، والحامل للواء سنته . كيف لا وقد غمرني فضله ، وشملني حبه ، ونالني عطفه ، ووسعني جوده ، وقضيت أروع أيام حياتي في رفقته ، ونلت وسام تقديره ومحبته ، وحُسن دعائه وثنائه وثقته . أسأل الله أن يرحمه برحمته ، وأن يجمعنا وإياه في رحاب جنته وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،،

الابن البار

ناصر بن مسفر الزهراني

جامع سماحة الشيخ ابن باز - رحمه الله - بمكة المكرمة

١٥/٢/١٤٢٠هـ










تفضل سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – بإملاء نبذة عن حياته ، وقُرِأتْ عليه بعد كتابتها فأقرَّها :

« أنا عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله آل باز ، ولدت بمدينة الرياض في ذي الحجة سنة ١٣٣٠ هـ ، وكنت بصيراً في أول الدراسة ، ثم أصابني المرض في عيني عام ١٣٤٦ هـ ، فضعف بصري بسبب ذلك .. وأسأل الله – جل وعلا – أن يعوضني عنه بالبصيرة في الدنيا والجزاء الحسن في الآخرة ، كما وعد بذلك – سبحانه – على لسان نبيه محمد ﷺ ، كما أسأله سبحانه أن يجعل العاقبة حميدة في الدنيا والآخرة .

وقد بدأت الدراسة منذ الصغر ، وحفظت القرآن الكريم قبل البلوغ ثم بدأت في تلقي العلوم الشرعية والعربية على أيدي كثير من علماء الرياض ، ومن أعلامهم :

١ – الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمهم الله – .

٢ – الشيخ صالح بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ







محمد بن عبد الوهاب (قاضي الرياض) – رحمهم الله – .

٣ – الشيخ سعد بن حمد بن عتيق (قاضي الرياض) .

٤ – الشيخ حمد بن فارس (وكيل بيت المال بالرياض) .

٥ – الشيخ سعد وقاص البخاري (من علماء مكة) أخذت عنه علم التجويد في عام ١٣٥٥ هـ .

٦ – سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ ، وقد لازمت حلقاته نحواً من عشر سنوات ، وتلقيت عنه جميع العلوم الشرعية ابتداء من سنة ١٣٤٧ هـ إلى سنة ١٣٥٧ هـ ، حيث رشحت للقضاء من قبل سماحته .

جزى الله الجميع أفضل الجزاء وأحسنه ، وتغمدهم جميعاً برحمته ورضوانه .

وَقَدْ توليت عدّة أعمال وهيَ :

١ – القضاء في منطقة الخرج مدة طويلة استمرت أربعة عشر عاماً وأشهرا ، وامتدت بين سنتي ١٣٥٧ هـ إلى عام ١٣٧١ هـ ، وقد كان التعيين في جمادى الآخرة من عام ١٣٥٧ هـ ، وبقيت إلى نهاية عام ١٣٧١ هـ .

٢ – التدريس في المعهد العلمي بالرياض سنة ١٣٧٢ هـ ، وكلية الشريعة بالرياض بعد إنشائها سنة ١٣٧٣ هـ ، في علوم الفقه

والتوحيد والحديث ، واستمر عملي على ذلك تسع سنوات ، انتهت في عام ١٣٨٠ هـ .

٣ – عينت في عام ١٣٨١ هـ نائباً لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وبقيت في هذا المنصب إلى عام ١٣٩٠ هـ .

٤ – توليت رئاسة الجامعة الإسلامية في سنة ١٣٩٠ هـ ، بعد وفاة رئيسها شيخنا الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ – رحمه الله – في رمضان عام ١٣٨٩ هـ ، وبقيت في هذا المنصب إلى سنة ١٣٩٥ هـ .

٥ – وفي ١٤ / ١٠ / ١٣٩٥ هـ صدر الأمر الملكي بتعييني في منصب الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، ولا أزال إلى هذا الوقت في هذا العمل[1] .

أسأل الله العون والتوفيق والسداد .

ولي إلى جانب هذا العمل في الوقت الحاضر عضوية في كثير من المجالس العلمية والإسلامية ، ومن ذلك :

١ – عضوية هيئة كبار العلماء بالمملكة .

(١) هذه الترجمة رواها الشيخ قبل أن يتغير مسمى الوظيفة ، فقد أصبح مسماها الآن مفتي عام المملكة ، وذلك بعد إنشاء وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في عام ١٤١٤ هـ .






٢ – رئاسة اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في الهيئة المذكورة .

٣ – عضوية ورئاسة المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي .

٤ – رئاسة المجلس الأعلى العالمي للمساجد .

٥ – رئاسة المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة التابع لرابطة العالم الإسلامي .

٦ – عضوية المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة .

٧ – عضوية الهيئة العليا للدعوة الإسلامية في المملكة .

أمّا مؤلّفاتي فمنها :

١ – الفوائد الجلية في المباحث الفرضية .

٢ – التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة « توضيح المناسك » .

٣ – التحذير من البدع ، ويشتمل على أربع مقالات مفيدة « حكم الاحتفال بالمولد النبوي ، وليلة الإسراء والمعراج ، وليلة النصف من شعبان ، وتكذيب الرؤيا المزعومة من خادم الحجرة النبوية المسمى الشيخ أحمد » .

٤ – رسالتان موجزتان في الزكاة والصيام .

٥ – العقيدة الصحيحة وما يضادها .

٦ – وجوب العمل بسنة الرسول ﷺ وكفر من أنكرها .

٧ – الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة .

٨ – وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه .

٩ – حكم السفور والحجاب ونكاح الشغار .

١٠ – نقد القومية العربية .

١١ – الجواب المفيد في حكم التصوير .

١٢ – الشيخ محمد بن عبد الوهاب « دعوته وسيرته » .

١٣ – ثلاث رسائل في الصلاة : « أ – كيفية صلاة النبي ﷺ . ب – وجوب أداء الصلاة في جماعة . ج – أين يضع المصلي يديه حين الرفع من الركوع » .

١٤ – حكم الإسلام فيمن طعن في القرآن أو في رسول الله ﷺ .

١٥ – حاشية مفيدة على فتح الباري وصلت فيها إلى كتاب الحج .

١٦ – رسالة الأدلة النقلية والحسية على جريان الشمس وسكون الأرض وإمكان الصعود إلى الكواكب .

١٧ – إقامة البراهين على حكم من استغاث بغير الله أو صدّق الكهنة والعرافين .



١٨ – الجهاد في سبيل الله .

١٩ – الدروس المهمة لعامة الأمة .

٢٠ – فتاوى تتعلق بأحكم الحج والعمرة والزيارة .

٢١ – وجوب لزوم السنة والحذر من البدعة . » .

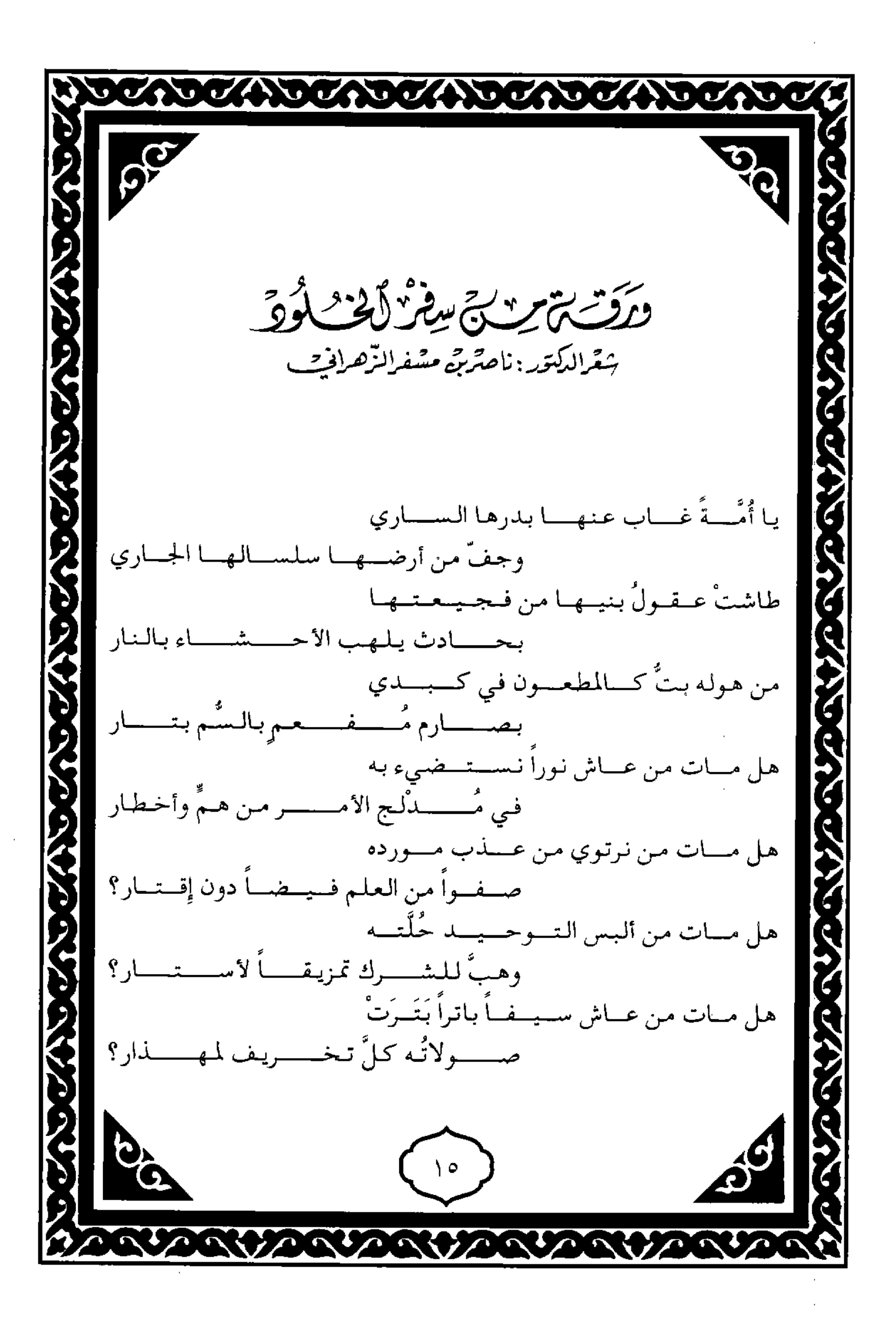
* وهذه ترجمة قديمة لسماحته أعقبها عدد كبير من التغيرات والمؤلفات والمهمات .

والشيخ رحمه الله له زوجتان وله أربعة أبناء من الذكور: عبد الله، وعبد الرحمن، وأحمد، وخالد، وله ست بنات. نسأل الله تعالى أن يزيدهم هدىً وصلاحاً، وتوفيقاً ونجاحاً، ونوراً وفلاحاً وأن يجعلهم مباركين، هداة مهتدين، بوالدهم مقتدين. إنه سميع مجيب.

وقد توفي ــ رحمه الله ــ في فجر يوم الخميس السابع والعشرين من شهر محرم لعام عشرين وأربعمائة وألف من الهجرة بمدينة الطائف، وصلي عليه يوم الجمعة بالمسجد الحرام، ودفن بمقبرة العدل بمكة المكرمة، رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته.







ورقة من سفر الخلود

شعر الدكتور: ناصر بن مسفر الزهراني

يا أُمَّـــةً غـــاب عنهـــا بدرها الســـاري
وجفّ من أرضـــهـــا سلســـالهـــا الجـــاري

طاشتْ عـقـولُ بنيـهـا من فـجـيـعـتـهـا
بحـــادث يـلـهـب الأحـــشـــاء بالـنـار

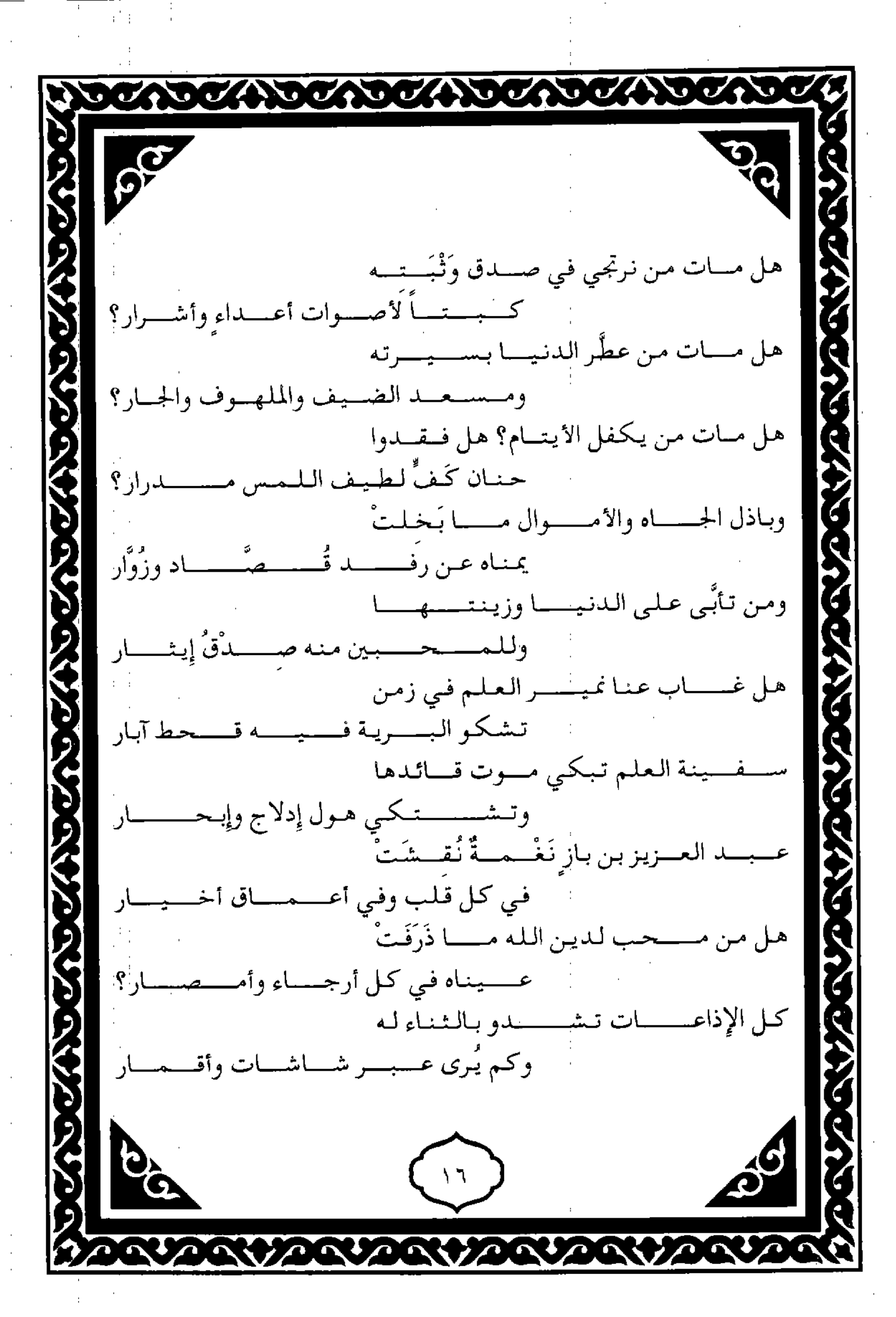
من هوله بتُّ كـــالمطعـــون في كـــبـــدي
بصـــارم مُـــفـــعـمٍ بالسُّم بتـــار

هل مـــات من عـــاش نوراً نـســتـضـيء به
في مُـــدْلج الأمـــر من همٍّ وأخـطـار

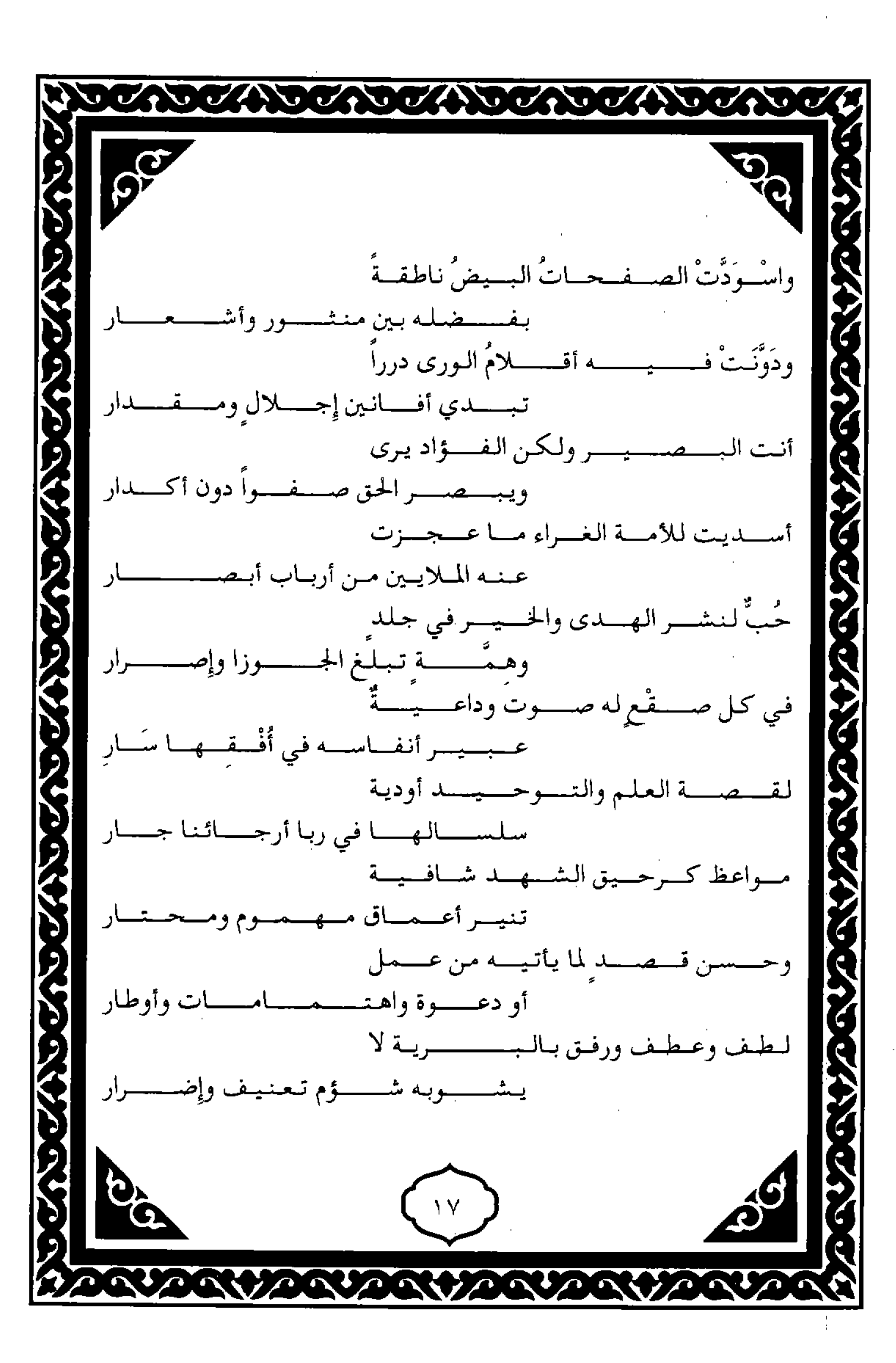
هل مـــات من نرتوي من عـــذب مـــورده
صـــفـــواً من العلم فـيـضـاً دون إقـتـار؟

هل مـــات من ألبس التـــوحـــيـــد حُلَّتـــه
وهـبَّ للشـــرك تمزيقـــاً لأســـتـــار؟

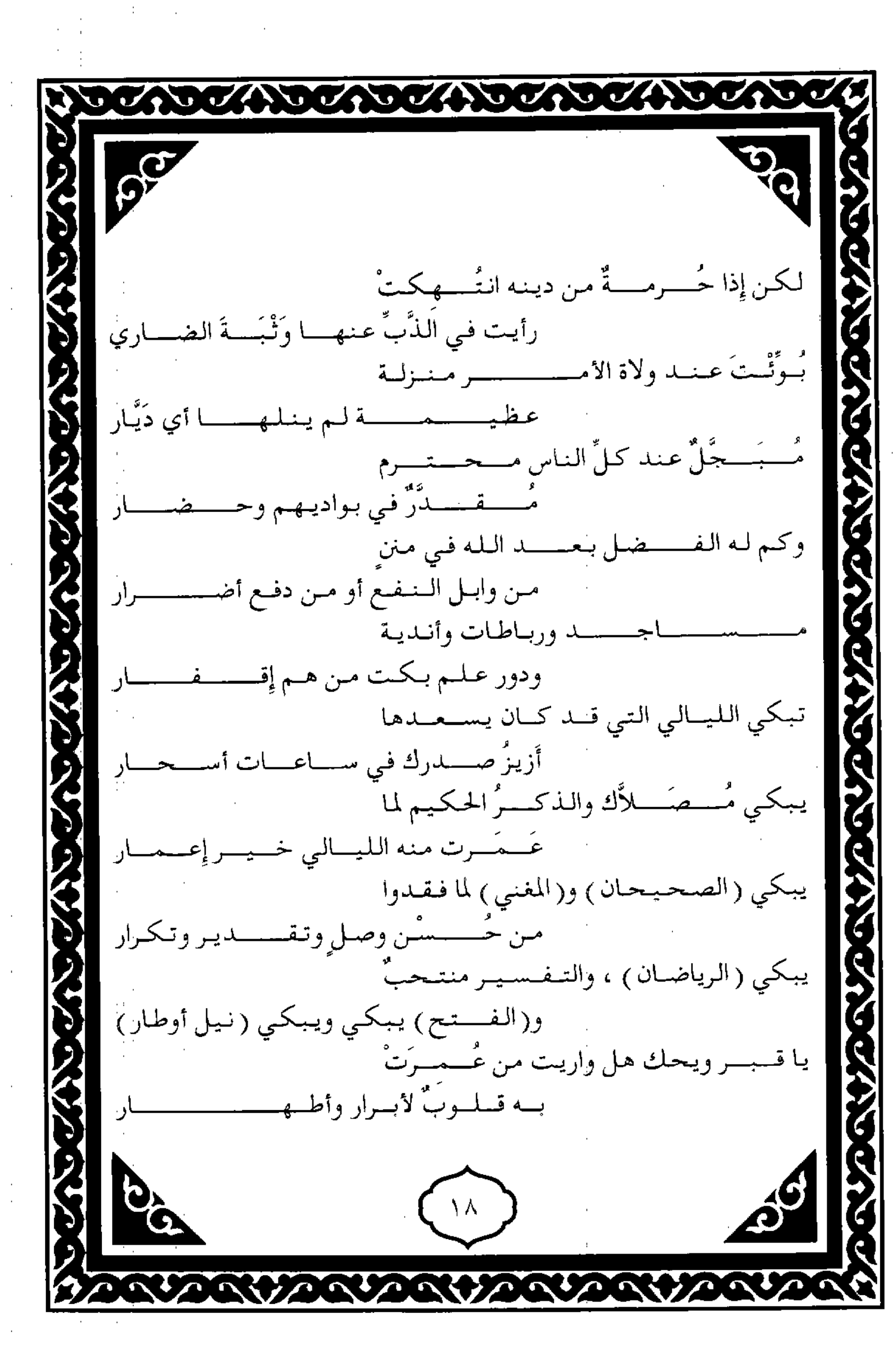
هل مـــات من عـــاش ســيــفـــاً باتراً بَتَـرَتْ
صـــولاتُـه كلَّ تـخـــريف لمهـــذار؟



هل مـات من نرتجي في صـدق وَثْبَتـه
كـبـتـاً لأصـوات أعـداءٍ وأشـرار؟
هل مـات من عطَّر الدنيـا بسـيـرته
ومـسـعـد الضـيـف والملهـوف والجـار؟
هل مـات من يكفل الأيتـام؟ هل فـقـدوا
حنـان كَفٍّ لطـيـف اللـمس مـدرار؟
وباذل الجـاه والأمـوال مـا بَخلتْ
يمناه عن رفـد قُـصَّـاد وزُوَّار
ومن تأبَّى على الدنيـا وزينتـهـا
وللمـحـبين منه صِـدْقُ إيثـار
هل غـاب عنا نميـر العلم في زمن
تشكو البـرية فـيـه قـحط آبار
سـفـينة العلم تبكي مـوت قـائدها
وتـشـتـكي هـول إدلاج وإبحـار
عـبـد العـزيز بن بازٍ نَغْـمـةٌ نُقـشَتْ
في كل قلب وفي أعـمـاق أخـيـار
هل من مـحب لدين الله مـا ذَرَفَتْ
عـيناه في كل أرجـاء وأمـصـار؟
كـل الإذاعـات تـشـدو بالثناء له
وكم يُرى عـبـر شـاشـات وأقـمـار



واسْـوَدَّتْ الصـفـحـاتُ البـيضُ ناطقـةً
بفـضلـه بين منثـور وأشـعـار
ودَوَّنَـتْ فـيـه أقـلامُ الورى دررأً
تبـدي أفـانين إجـلالٍ ومـقـدار
أنـت البـصـيـر ولكن الفـؤاد يرى
ويبـصـر الحق صـفـواً دون أكـدار
أسـديت للأمـة الغـراء مـا عـجـزت
عـنـه الملايـين مـن أربـاب أبـصـار
حُبٌّ لنشـر الهـدى والخـيـر في جلدٍ
وهِـمَّـةٍ تبـلـغ الجـوزا وإصـرار
في كل صـقْعٍ له صـوت وداعـيـةٌ
عـبـيـر أنفـاسـه في أُفْـقِـهـا سَارِ
لقـصـة العلم والتـوحـيـد أودية
سلسـالهـا في ربا أرجـائنا جـار
مـواعظ كـرحـيق الشـهـد شـافـيـة
تنيـر أعـمـاق مـهـموم ومـحـتـار
وحـسن قـصـدٍ لِما يأتيـه من عـمل
أو دعـوة واهـتـمـامـات وأوطار
لـطـف وعـطـف ورفـق بـالـبـريـة لا
يـشـوبه شـؤم تـعـنيـف وإضـرار



لكن إذا حُـرمـةٌ من دينه انتُـهكتْ
رأيت في الذَّبِّ عنها وَثْبَـةَ الضاري

بُـوِّئْـتَ عـنـد ولاة الأمـر منـزلـة
عظيـمـة لم ينلهـا أي دَيَّار

مُـبَـجَّلٌ عند كلِّ الناس محـتـرم
مُـقـدَّرٌ في بواديهم وحـضـار

وكم لـه الفـضل بعـد الله في مننٍ
من وابل النفـع أو من دفـع أضـرار

مـسـاجـد ورباطات وأندية
ودور علم بكت من هم إقـفـار

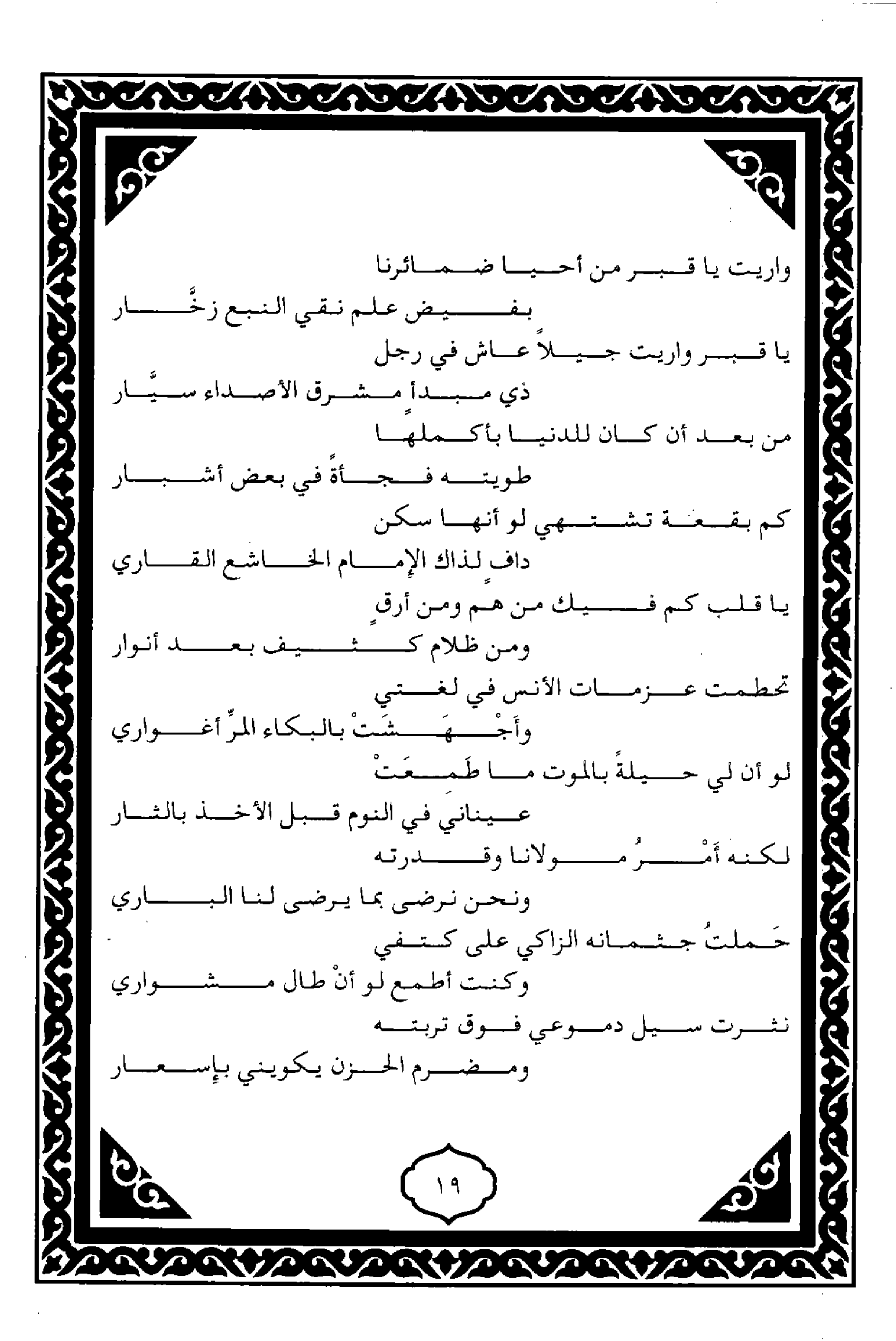
تبكي الليالي التي قـد كـان يسعـدها
أَزيزُ صـدرك في سـاعـات أسـحـار

يبكي مُـصَـلاَّك والذكـرُ الحكيم لما
عَـمَـرت منه الليـالي خـيـر إعـمـار

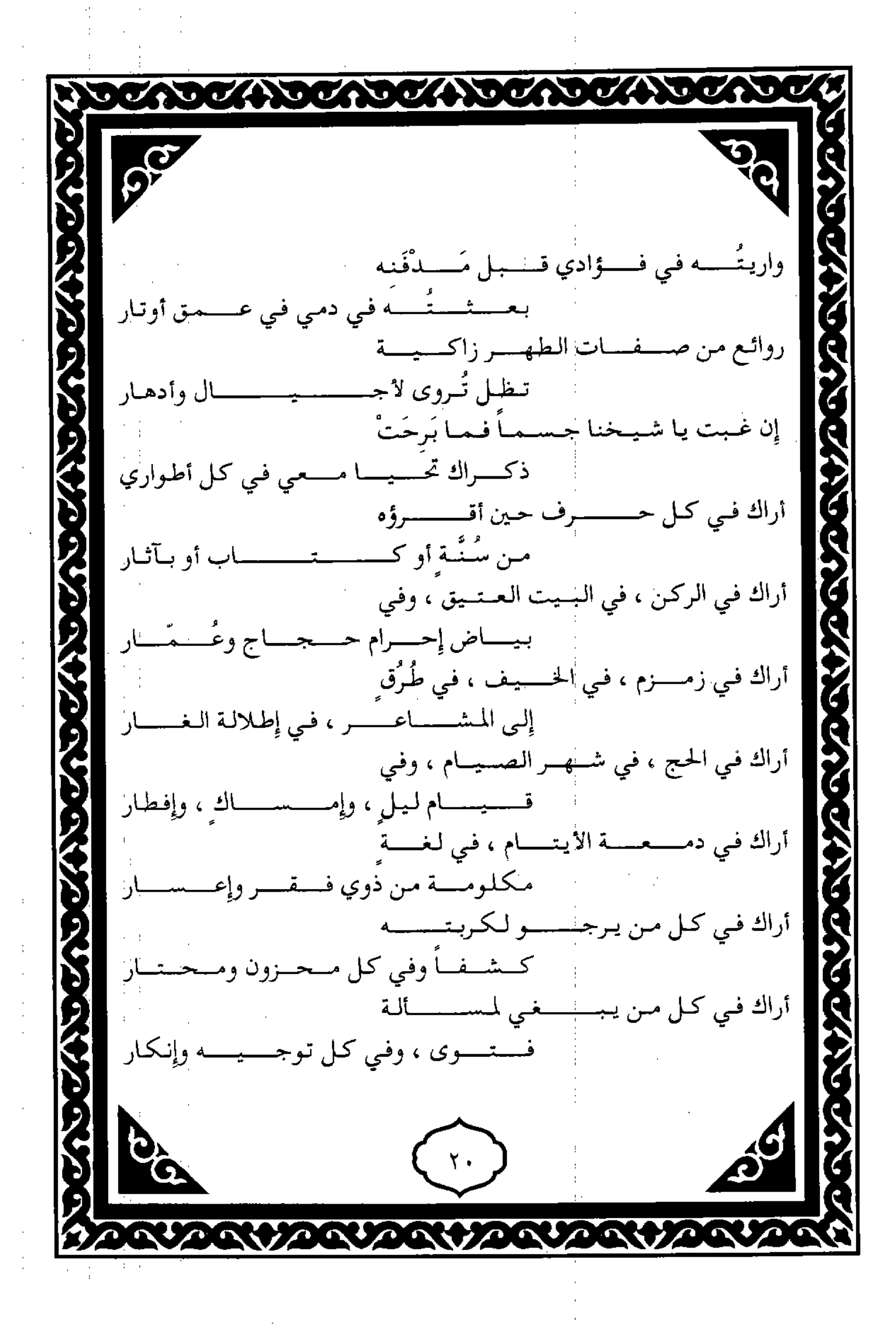
يبكي (الصحيحان) و(المغني) لما فقدوا
من حُـسْن وصلٍ وتقـديـر وتكرار

يبكي (الرياضان) ، والتـفسير منتحبٌ
و(الفـتح) يبكي ويبكي (نيل أوطار)

يا قـبـر ويحك هل واريت من عُـمِـرَتْ
بـه قـلـوبٌ لأبـرار وأطـهـار



واريت يا قـبـر من أحـيـا ضـمـائرنا
بفـيض علم نقي النبع زخّـار
يا قـبـر واريت جـيـلاً عـاش في رجل
ذي مـبـدأٍ مـشـرق الأصـداء سيّـار
من بعـد أن كـان للدنيـا بأكـملهـا
طويتـه فـجـأةً في بعض أشـبـار
كم بقـعـة تشـتـهي لو أنهـا سكن
دافٍ لذاك الإمـام الخـاشع القـاري
يا قلب كم فـيك من هم ومن أرقٍ
ومن ظلام كـثـيف بعـد أنوار
تحطمت عـزمـات الأنس في لغـتي
وأَجْـهَـشَتْ بالبكاء المرِّ أغـواري
لو أن لي حـيلةً بالموت مـا طَمِـعَتْ
عـيناني في النوم قـبل الأخـذ بالثـار
لكنه أَمْـرُ مـولانا وقـدرته
ونحن نرضى بما يرضى لنا البـاري
حَملتُ جثـمـانه الزاكي على كـتـفي
وكنت أطمع لو أنْ طال مـشـواري
نثـرت سـيل دمـوعي فـوق تربتـه
ومـضـرم الحـزن يكويني بإسـعـار



واريتُه في فؤادي قبل مَدْفَنه
بعثتُه في دمي في عمق أوتار

روائع من صفات الطهر زاكية
تظل تُروى لأجيال وأدهار

إن غبت يا شيخنا جسماً فما بَرِحَتْ
ذكراك تحيا معي في كل أطواري

أراك في كل حرف حين أقرؤه
من سُنَّةٍ أو كتاب أو بآثار

أراك في الركن ، في البيت العتيق ، وفي
بياض إحرام حجاج وعُمّار

أراك في زمزم ، في الخيف ، في طُرُقٍ
إلى المشاعر ، في إطلالة الغار

أراك في الحج ، في شهر الصيام ، وفي
قيام ليلٍ ، وإمساكٍ ، وإفطار

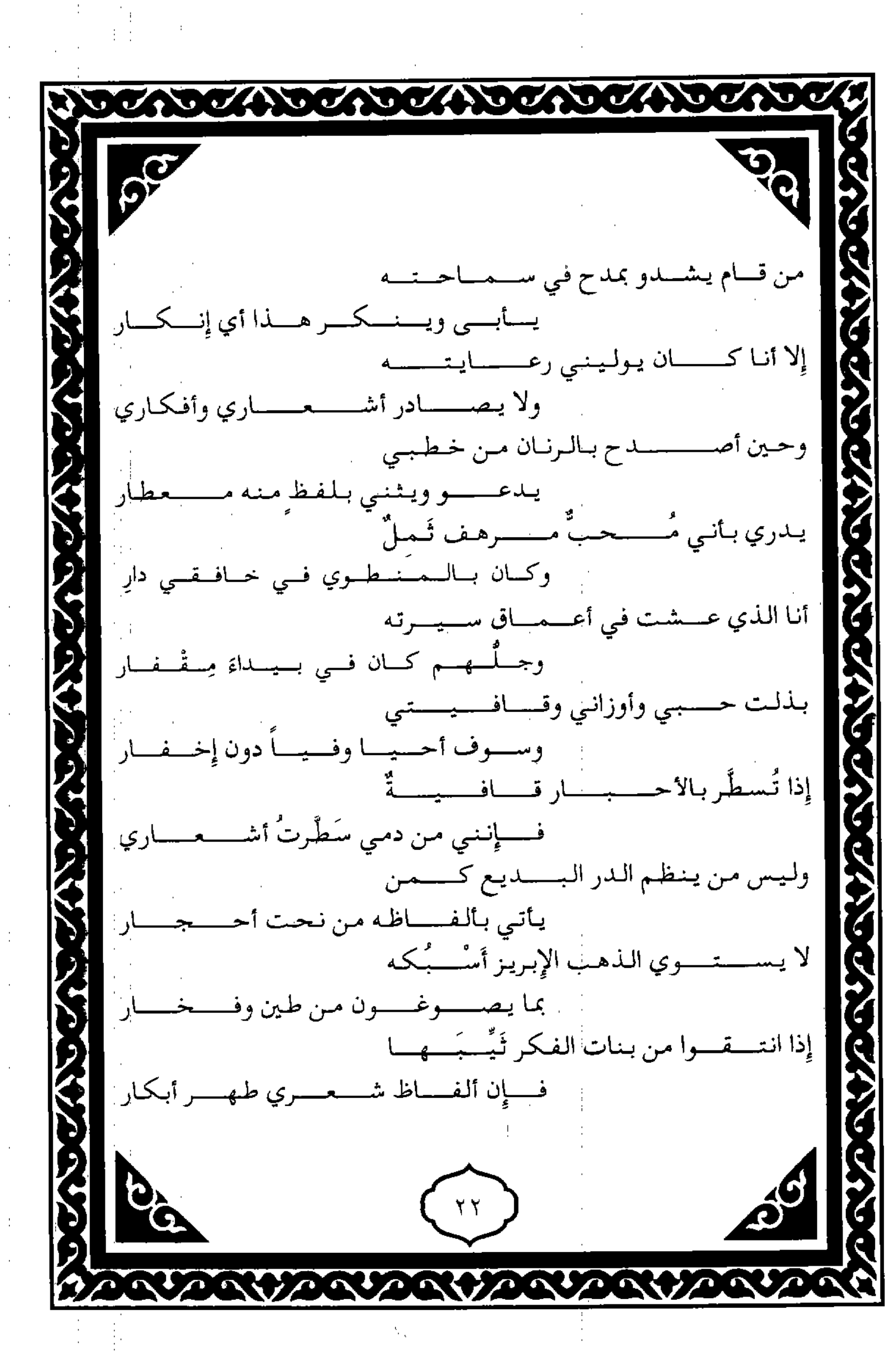
أراك في دمعة الأيتام ، في لغةٍ
مكلومة من ذوي فقر وإعسار

أراك في كل من يرجو لكربته
كشفاً وفي كل محزون ومحتار

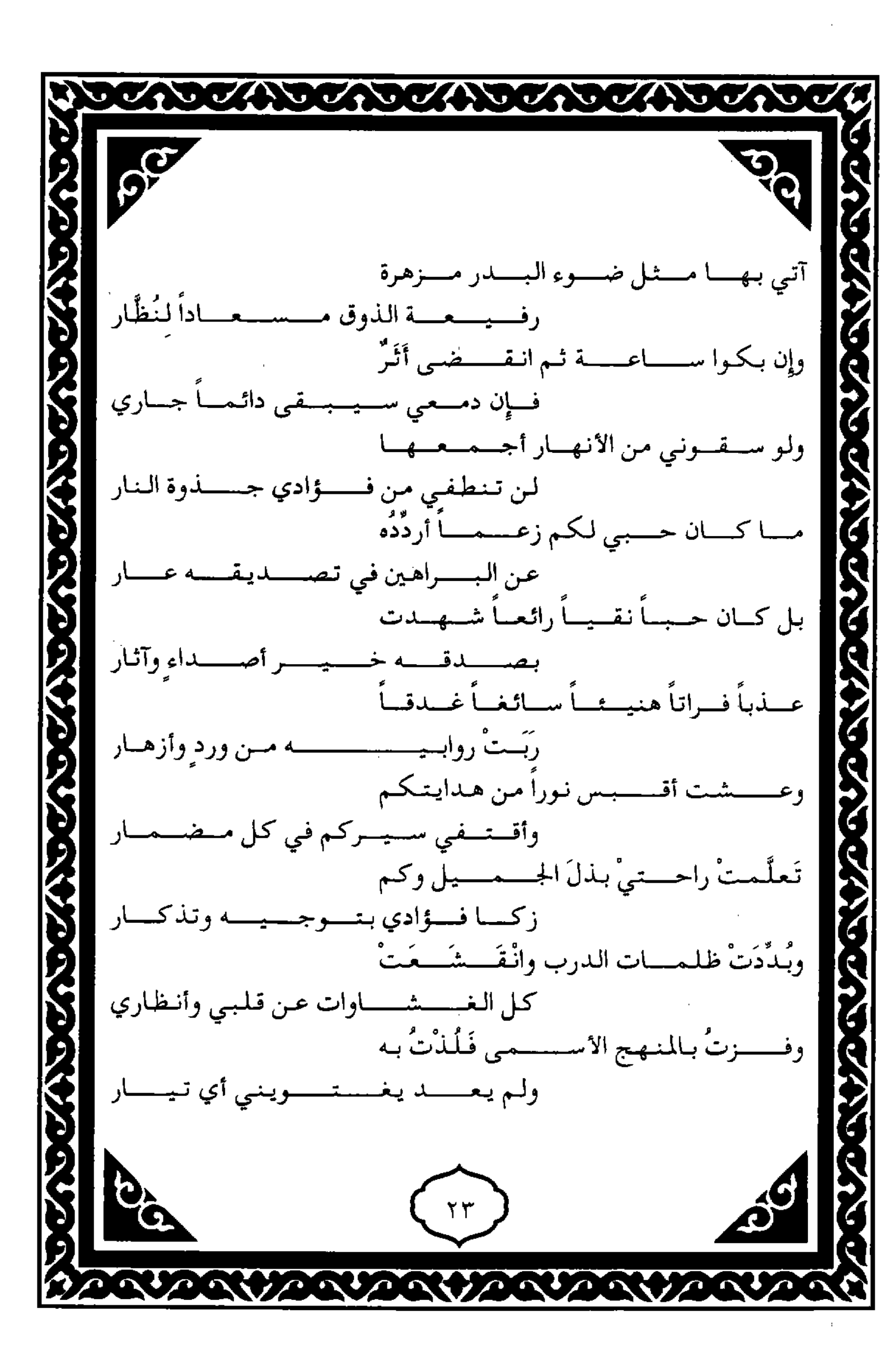
أراك في كل من يبغي لمسألة
فتوى ، وفي كل توجيه وإنكار



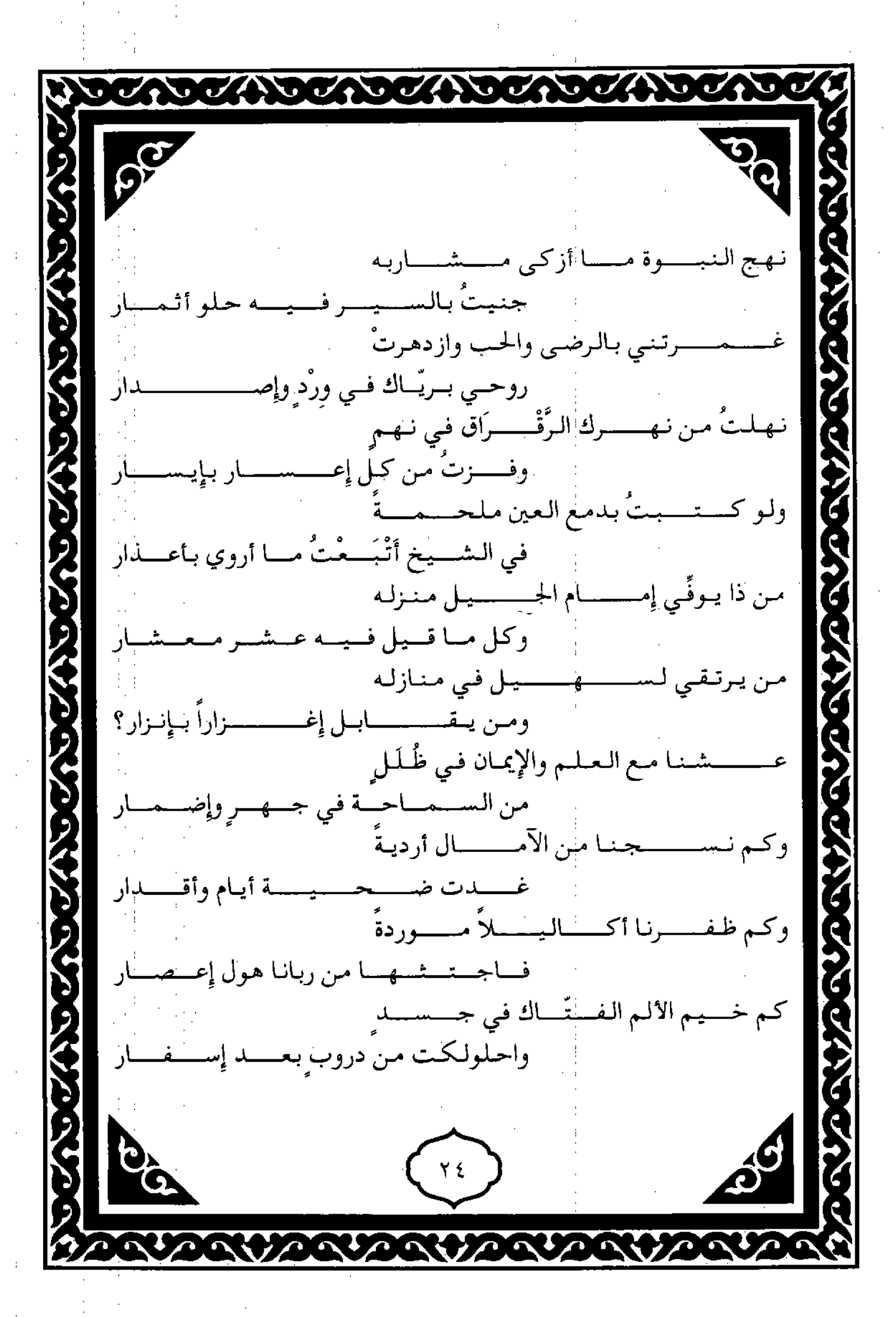
أراك حين احـتـدام الأمـر حين يُرى
وجـه الحـوادث والأيام كـالقـار
أراك حين انغـلاق الفـهم في عـقـدٍ
من المسـائل ، أو في فـهم أسـرار
أراك في مـجلس الفـتـوى ، وفي حِلَقٍ
للعلم قـد غـاب عنهـا نجـمك الساري
أراك في كـل منثـورٍ وقـافـيـةٍ
أراك فـي دارك الـشـكـلـى ، وفـي داري
أراك في مـسـجـدي ، في كـل مـا نَظَرَتْ
عـيناي يبـدو أمـامي طيف تذكـار
إن كـان غـيـري لـه في ذكـركم طرف
يـزهـو بـه مـن تـراتـيـل وأخـبـار
فـإن لي من عـبـيـر القـول أطْيـبـهُ
في حُـبِّكم بين إعـلان وإسـرار
أنا الذي صـغت ألوان القـريض ومـا
فَـتـئْتُ أشـدو بهـا في كل مـضـمـار
نَظمْتُ أزكى فـنون القـول في زمـن
غـيـري يُغَنِّي لأحـبـاب وسُـمَّـار
بـازية الـدهر من أقـوى الشـهـود على
سـبـقي وصـدقي وإجـلالي وإكـباري



من قـام يشـدو بمدح في سـمـاحـتـه
يـأبـى ويـنـكـر هـذا أي إنـكـار
إلا أنا كـان يوليني رعـايتـه
ولا يصـادر أشـعـاري وأفكاري
وحين أصـدح بالرنان من خطبي
يدعـو ويثني بلفظٍ منه معطار
يدري بأني مُـحبٌّ مـرهف ثَمِلٌ
وكـان بـالمـنـطوي في خـافـقـي دارِ
أنا الذي عـشت في أعـمـاق سيـرته
وجلُّهم كـان في بيداءَ مِقْفـار
بذلت حـبي وأوزاني وقـافيـتي
وسوف أحيا وفيـاً دون إخـفـار
إذا تُسطَّر بالأحـبـار قـافيـةٌ
فـإنني من دمي سَطَّرتُ أشـعـاري
وليس من ينظم الدر البـديع كمن
يأتي بألفـاظه من نحت أحـجـار
لا يسـتـوي الذهب الإبريز أَسْبُكه
بما يصـوغـون من طين وفـخـار
إذا انتـقـوا من بنات الفكر ثَيِّبَها
فـإن ألفـاظ شـعـري طهـر أبكار



آتي بهـا مـثل ضـوء البـدر مـزهرة
رفـيـعـة الذوق مـسـعـاداً لِنُظّار
وإن بكوا سـاعـة ثم انقـضى أَثَرٌ
فـإن دمـعي سـيـبـقى دائمـاً جـاري
ولو سـقـوني من الأنهـار أجـمـعـهـا
لن تنطفي من فـؤادي جـذوة النار
مـا كـان حـبي لكم زعـمـاً أردِّدُه
عن البـراهين في تصـديقـه عـار
بل كـان حـبـاً نقـيـاً رائعـاً شـهـدت
بصـدقـه خـيـر أصـداءٍ وآثار
عـذباً فـراتاً هنيـئـاً سـائغـاً غـدقـاً
رَبَـتْ روابـيـه مـن وردٍ وأزهـار
وعـشت أقـبس نوراً من هـدايتكـم
وأقـتـفي سـيـركم في كل مـضـمـار
تَعلَّمتْ راحـتيْ بذلَ الجـمـيل وكم
زكـا فـؤادي بتـوجـيـه وتذكـار
وبُدِّدَتْ ظلمـات الدرب وانْقَـشَـعَتْ
كل الغـشـاوات عن قلبي وأنظاري
وفـزتُ بالمنهج الأسـمى فَلُذْتُ به
ولم يعـد يغـتـويني أي تيـار



نهج النبوة ما أزكى مشاربه
جنيتُ بالسير فيه حلو أثمار

غمرتني بالرضى والحب وازدهرتْ
روحي برياك في وِرْدٍ وإصدار

نهلتُ من نهرك الرَّقْرَاق في نهمٍ
وفزتُ من كل إعسار بإيسار

ولو كتبتُ بدمع العين ملحمةً
في الشيخ أَتْبَعْتُ ما أروي بأعذار

من ذا يوفّي إمام الجيل منزله
وكل ما قيل فيه عشر معشار

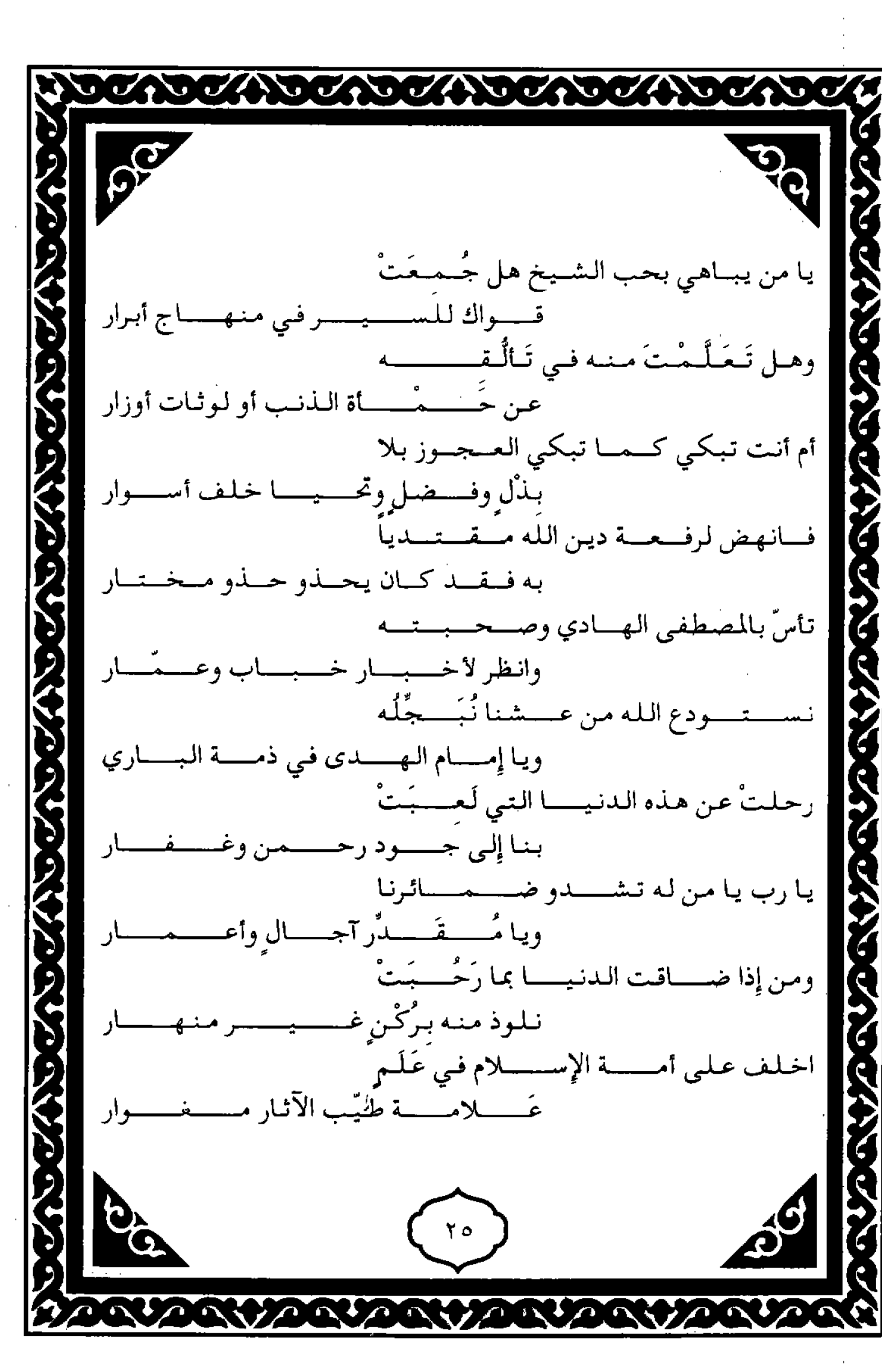
من يرتقي لسهيل في منازله
ومن يقابل إغزاراً بإنزار؟

عشنا مع العلم والإيمان في ظُلَلٍ
من السماحة في جهرٍ وإضمار

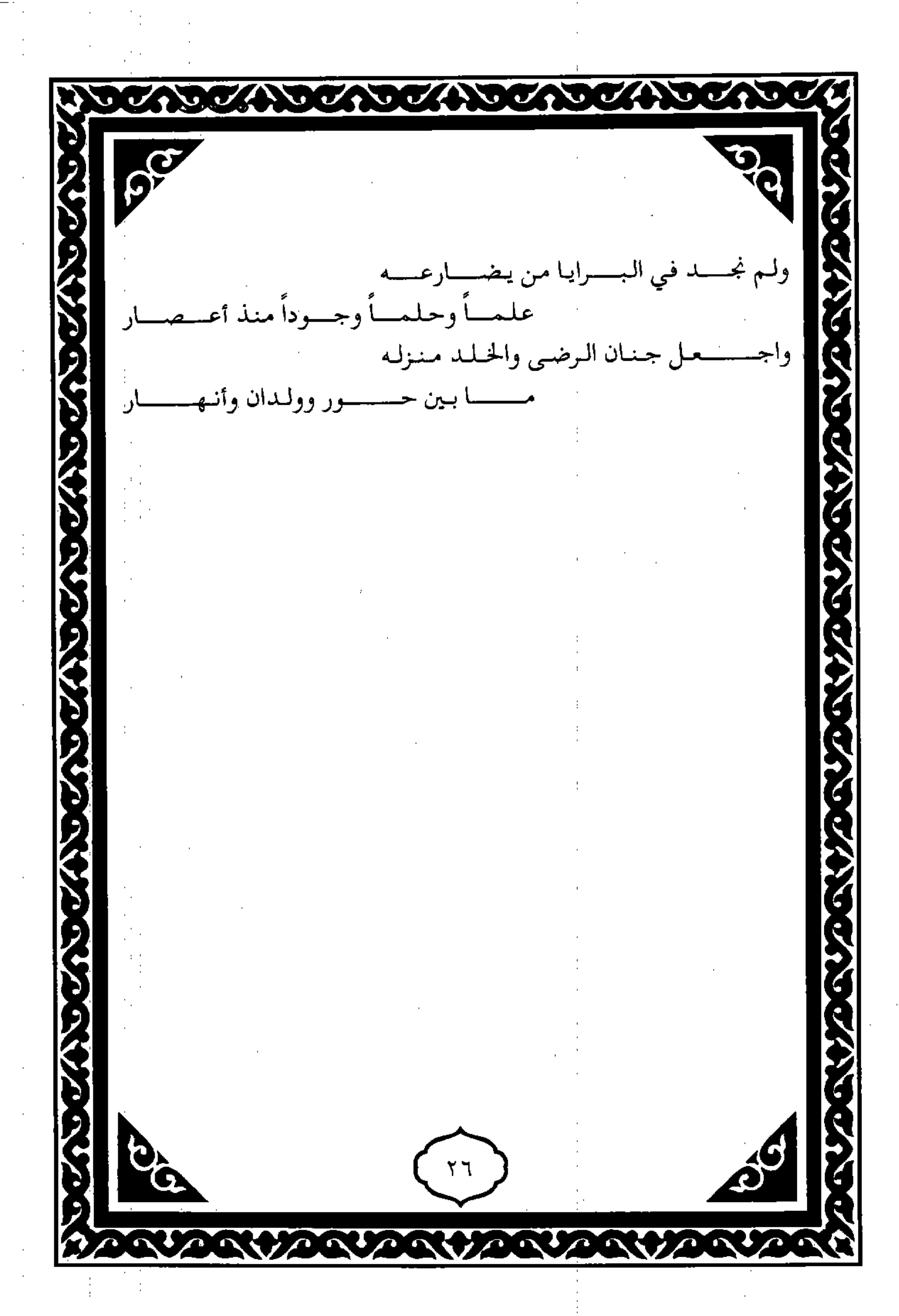
وكم نسجنا من الآمال أرديةً
غدت ضحية أيام وأقدار

وكم ظفرنا أكاليلاً موردةً
فاجتثها من ربانا هول إعصار

كم خيم الألم الفتّاك في جسدٍ
واحلولكت من دروبٍ بعد إسفار



يا من يباهي بحب الشيخ هل جُمِعَتْ
قــواك للسيــر في منهــاج أبرار
وهل تَعَلَّمْتَ منه في تَألُّقــه
عن حَمْـأة الذنب أو لوثات أوزار
أم أنت تبكي كمـا تبكي العجـوز بلا
بذْلٍ وفضلٍ وتحيـا خلف أسوار
فانهض لرفعـة دين الله مقتـدياً
به فقد كان يحذو حذو مختـار
تأسَّ بالمصطفى الهادي وصحبتـه
وانظر لأخبـار خبـاب وعمّـار
نستودع الله من عشنا نُبَجِّلُه
ويا إمام الهـدى في ذمـة البـاري
رحلتْ عن هذه الدنيـا التي لَعِبَتْ
بنا إلى جود رحمن وغفـار
يا رب يا من له تشدو ضمـائرنا
ويا مُقَدِّر آجالٍ وأعمـار
ومن إذا ضاقت الدنيـا بما رَحُبَتْ
نلوذ منه بِرُكْنٍ غيـر منهـار
اخلف على أمـة الإسـلام في عَلَمٍ
عَلامـة طيِّب الآثار مغـوار



ولـم نجــــد في البـــرايا من يضـــارعـــه
علمـــاً وحلمـــاً وجـــوداً منذ أعـــصـــار
واجـــــعل جنـان الرضـى والخلـد منزلـه
مـــــا بين حـــــور وولـدان وأنـهـــــار

وألقيت عليك محبة مني

كـذا فليجلَّ الخطب وليفدحِ الأمرُ
فليس لعين لم يفض ماؤها عذرُ
يعزون عن شيخٍ تُعزّى به العلى
ويبكي عليه العلم والحلم والفكرُ
وما كان إلا مالَ من قل ماله
وذخراً لمن أمسى وليس له ذخرُ
كأن بني الإسلام يوم وفاته
نجوم سماءٍ خرَّ من بينها البدرُ
مضى طاهر الأثواب لم تبق روضة
غداة ثوى إلا اشتهت أنها قبرُ
ثوى في الثرى من كان يحيا به الثرى
ويغمر صرف الدهر نائلة الغمرُ

العلماء هم ورثة الأنبياء ، وقدوة الأتقياء ، هم في الأرض كالنجوم في السماء، والضياء في الظلماء ، والدواء للداء ، فضلهم ظاهر ، وسلطانهم قاهر ، ودليلهم باهر ، يدعون من ضل إلى الهدى ، ويصبرون منهم على الأذى ، يحيون بكتاب الله تعالى الموتى ، ويبصرون بنوره أهل العمى ، وينفون عن دينه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ،

وتأويل الجاهلين ، هم أرحم بالأمة من الآباء والأمهات ، لأن الآباء والأمهات يحفظون أبناءهم من نار الدنيا ، وأوصاب الحياة ، والعلماء يحفظونهم من نار السعير ، وتعاسة المصير .

يلومُ على أن رحتُ في العلم راغباً
أُجَمِّعُ من عند الرواةِ فنونهُ
وأملك أبكار الكلام وعُونَهُ
وأحفظ مما أستفيدُ عيونَهُ
فيا لائمي دعني أغالي بقيمتي
فقيمة كلِّ الناس ما يحسنونه

العلماء استشهد بهم المعبود على أعظم مشهود ﴿ **شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط** ﴾ ، فهم كنز الملة ، وحفاظ السنة ، وحملة الشريعة ، باقية أخبارهم ، دائمة آثارهم ، العلم لا ينتهي سببه ولاينقطع نسبه ، فهم في الهدى سادة ، وفي الخير قادة ، يقتدي بأفعالهم وأقوالهم ، رفعهم الله قدرا ، وأعظم لهم أجرا ، ونشر لهم ذكرا : « وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، والله جل جلاله يصلي عليهم وملائكته وأهل السماوات والأرض ، حتى النملة في جحرها ، وحتى الحوت في الماء » . فهم الذين يخشون الله حق خشيته ، ويعرفونه حق معرفته ، ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾ ، ومن أراد النظر إلى مجالس الأنبياء ، فلينظر إلى

مجالس العلماء ، ولحوم العلماء مسمومه ، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة ، ومن أطلق لسانه في العلماء بالثلب ، بلاه الله قبل موته بموت القلب ، فهم الأمناء على الوحي ، المبلغون عن الله ورسوله ، الحفاظ للشرع . فالعلم هادٍ للأمم ، وهو حياة القلوب ، ونور البصائر ، وشفاء الصدور ، ورياض العقول ، ولذة الأرواح ، وأنس المستوحشين ، ودليل المتحيرين . به يعرف الله ويعبد ، ويذكر ويوحد ، ويحمد ويمجد ، مذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وطلبه قربه ، وبذله صدقه ، ومدارسته تعدل بالصيام والقيام ، والحاجة إليه أعظم من الحاجة إلى الشراب والطعام .

حياة أهل العلم حياة للأمة وبقاء لها ، وعزة لسلطانها ، ورفعة لشأنها ، وإعلاء لمكانها ، وقديماً قيل : حياة العالِم ، حياةُ العالَم .

وإن فقد العالم رزيه ، وموت الفقيه بلية ، وإذا رحل عن الدنيا عالم عامل فقد جرحت الأمة في القلب ، وأصيبت في المقتل .

قال ﷺ : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » .

ولقد رزئت أمة الإسلام في هذه الأيام بفقد الإمام الأجل ، والعالم الأمثل ، إمام أهل السنة ، وشيخ أنصار الحنيفية ، فاهتزت الأرض لفقده وذعرت أمة الإسلام لفراقه ، وسابقت لتشييعه الجموع ، ونثرت عليه

بحار الدموع ، فهو صفوة أهل الأرض في هذا الزمن ، وخير من طلعت عليه الشمس في هذا العصر كما نحسبه والله حسيبه .

حقاً فقد عرف التاريخ كوكبة
مضيئة من صناديد وأبطال
مثل ابن حنبل أو مثل ابن تيمية
أو البخاري في إسناده العالي
لكننا يا حبيب القلب نبصرهم
كأنهم مثلوا في شخصك الغالي

وإننا ربما لا نضيف جديداً في الكلام عن سماحته – رحمه الله – فقد أترعت الصحف ، وملئت المجلات ، وبث في القنوات ، ما يشهد بعظيم شأنه ورفعة مكانه ، ومهما قيل ويقال فهو قليل في حقه ، قاصر عن واجبه .

فقد أضحت صفاته ومناقبه نجوماً تزهر ، وبدوراً تضيء ، وأحاديث تتلى ، وشمائل تردد ، أصبحت دراً رصع بها جبين الزمان ، وتوج بها هام العصر .

لست أدري من أين أبدأ بوحي
شجر الدمع شاخ في أجفاني
يا إمام العلوم ما أنت أعمى
إنما نحن جوقة العميان

إنك المبصر الذي كشف النفس
وأسرى في عتمة الوجدان
إنك النهر كم سقانا كؤوساً
وكسانا بالورد والاقحوان
أيها الشيخ إن عصرك عصر
ذهبيٌّ ونحن عصر ثان

وإن ما رأيناه من حب للشيخ ، وبكاءٍ عليه ، وحزن لفقده ، من الكبير والصغير ، لهو علامة خير ، ودليل رشاد ، وأمارة فلاح .

وليس حديثي عن الشيخ مجاراة للواقع ، أو زيادة في التباكي ، أو إثارة لمشاعر الحزن وكوامن الأسى ، أو لاستدرار الدموع ، واستجداء النحيب ليس إلا ، فلا شك أن القلوب متفطرة ، والأنفس متحسرة ، والدموع واكفة ، وحُقّ لها ذلك ، ولكن هل ذلك هو الهدف ، وهل هذا هو القصد ، وهل بذلك نعتبر قمنا بالواجب ، وأدينا الأمانة ، ونصحنا الأمة ، وكشفنا الغمة ، إن المسألة ليست دموعاً تنثر ، وأحزاناً تُرقَّق بها المجالس ، وتستجدى بها الدموع ، ويقطع بها الفراغ . إن هذا أسلوب عجائزي ، وتأثُّر تقليدي ، وموقف سلبي ، يجب إن كنا نحب الشيخ ونجله ونقدره ونحترم المنهج الذي يحمله ، أن يكون موقفنا كما قال القائل :

إذا مات منا سيد قام سيد
قؤولٌ لأفعال الكرام فعول

إن الصادق في حزنه ، والمتأثر من قلبه هو الذي يدفعه ذلك التأثر ، ويقوده ذلك الحزن ، وينطلق به ذلك الحب إلى آفاق أوسع ، وآماد أبعد ، وآمال أعظم فيجزم على حمل الراية ، ويصمم على سلوك النهج ، ويعزم على خوض غمار المجد ، ينهج نهج الشيخ ، ويحذو حذوه ، ويقتفي أثره ، ويسير على منواله ، فما أوجد الله تعالى في الأمة هؤلاء الأعلام إلا ليقتدى بهم ، ويسار على أثرهم ، وتتبع خطاهم ، ويكونوا حجة على الناس ، شهوداً على الزمان .

يا من يباهي بحب الشيخ هل جُمِعَتْ
قواك للسير في منهاج أبرار
وهل تَعَلَّمْتَ منه في تَألُّقه
عن حَمْأة الذنب أو لوثات أوزار
أم أنت تبكي كما تبكي العجوز بلا
بذْلٍ وفضلٍ وتحيا خلف أسوار

وقديماً ادّعى أُناس محبة الله تعالى ، فأنزل – جل وعلا – قوله : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يُحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم** ﴾ .

فالعجب لا ينقضي من عين تبكي لفقد العالم العامل ، وهي ما غضت عن النظر المحرم ، ومن لسان يتباهى بالحديث عن الشيخ ، وهو لم يحفظ عن الزور والبهتان ، ومن رأس يطرق ، ويطأطىء حزناً على الشيخ ، وهو محشو بالترهات ، مليء بالخرافات ، ومن قلب يتباكى

على الشيخ وهو معلول مريض ، أسود مظلم كالكوز مجخيا ، ومن قلم يتأنق في عبارات العزاء ، ويتفنن في أساليب الرثاء ، وهو لا يرعوي عن كف سمومه ، وعن نشر باطله ، ومن عالم يعظ الناس بمواقف الشيخ ، ويتغنى لهم بشمائله ، ويسرد لهم صفاته ، ثم لا يحدث نفسه أن يقتبس من تلك الصفات ، ويعمل بتلك العظات ، فأي تناقض هذا ؟ ﴿ **كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون** ﴾ .

يا محبي سماحة الشيخ – رحمه الله – يا محبي الكتاب والسنة التي عاش الشيخ خادماً لها ، تعالوا لنتدارس شيئا من صفاته ، ونتعلم طرفاً من حياته .

وصفات ذات منك يأخذها الورى
في المكرمات فكلها أسماء
وتجمعت فيك القلوب على الرضى
وتوافقت في حبك الأهواء

كان للشيخ – رحمه الله – مؤلفات كثيرة ، وكتب متنوعة وكان بحق أمة وحده ، وجامعة بمفرده ، وهو يعلم أن المسألة ليست فيما تخطه الأقلام ، بل بما تسير عليه الأقدم ، وتصدح به الأفهام ، يعلم أن الأمة ليست بحاجة إلى كثرة التأليف بل بحاجة إلى العلم الحنيف ، الذي يضرب لها قدوة بفعله الشريف ، ورأيه الحصيف ، وليست المسألة كما قد يُظن هي في تحقيق المسائل ، وتمحيص الرسائل ، وتأليف

المجلدات ، في جوٍّ مُغلق ، ومكتب مقفل ، وعزلة منقطعة فقط ، بل لا بد مع ذلك من القدوة الحسنة ، والسيرة المباركة ، والأثر المحمود ، والخروج للأمة ، وقد ترك – رحمه الله – علماً جماً ، وتراثاً هائلاً ، ولو جمع كل ما ألفه الشيخ ، وأفتى به وأرسل به ، ووجه به ، لاحتاج ذلك إلى مئات المجلدات .

لقد من الله عليّ بملازمة هذا العالم الأجل مدة من الزمن ، وكثر وفودي إليه ، وترددي عليه في السنوات الأخيرة ، وقد اعتبرت هذه المرحلة هي ولادتي الحقيقية ، وعمري الأجمل ، لقد بلغ بي العجب كل مبلغ ، بل وصلت إلى حالة من الذهول والإكبار والإعجاب مما تراه عيني وتسمعه أذني ، حتى خفت على نفسي من الغلو في سماحته ، ولقد صدحت أمامه بقولي :

لو جاز فيكم غلوٌّ كنتُ أول من
يغلو بشيخ الهدى والعلم والحكم
لكنه حبكم في الله راسية
جذوره وارتوت من مهجتي ودمي

إن ملازمة ذلك العالم الأجل – رحمه الله – تزكو بها النفس ، ويصفو بها الفؤاد ، ويرق بها القلب ، ويقوى بها الإيمان ، ويُذكر بها الرحمن ، ويزداد بها العلم ، ويسمو بها الفهم ، ويتسع بها الأفق ، ويبعد النظر ، وتعلو بها الهمة ، وتشحذ العزيمة ، وتحتقر الدنيا ، وتَمْثُل

الآخرة ، وتُنسى الهموم ، وتزول الغموم ، وتحيا بها الفضائل ، وتموت الرذائل .. التقوى ، الذكر ، الحلم ، الرفق ، الصبر ، الكرم ، البذل ، التواضع ، حسن الخلق ، اليسر ، السهولة ، الرقة ، الخشوع ، تراها أمام عينيك لوحات هائمة تموج بالحسن ، وتتدفق بالحيوية ، وتنطق بالكمال والجمال والجلال .

والغفلة ، والعنف ، والبخل والضجر ، والكبر ، وسوء الخلق ، وقسوة القلب ، وموت الضمير ، والرياء ، إذا كنت في مجلس الشيخ تكاد تجزم أنها صفات لم تخلق ، ولم توجد على ظاهر الأرض ، ما سلك الشيخ فجاً إلا سلكت فجاً آخر ، وما نزل منزلاً إلا ولّت نفورا ، ولا حل محلاً إلا كأنها حمر مستنفرة ، فرّت من قسوره .

أَيَدَ المنونِ قَدَحت أي زناد؟
وأَطَرْتَ أية شعلة لفؤادي؟
أَوْهَنتِ عزمي وهو حملة فيلق
وحطَمْت عودي وهو رمح طراد
لم أدر هل خطب ألمَّ بساحتي
فأناخ ، أم سهم أصاب سوادي؟
أبلَتْنيَ الحسرات حتى لم يكد
جسمي يلوح لأعين العواد
لا لوعتي تدع الفؤاد ، ولا يدي
تقوى على رد الحبيب الغادي

لقد عشت مع سماحته أسعد الأيام ، وقضيت أمتع الأوقات ، وامضيت أجمل الساعات ، أيام معدوده ، ولكن أثرها الطيب ، وبركتها المتدفقة عاشت في وجداني ، وسكنت في روحي ، وستبقى زادي في الفاقة ، وأنسي في الوحشة ، وسميري في الغربة ، وإنني مهما حاولت أن أسطر بقلمي من نظمي وعلمي ، وشعري وفكري ، فلن أصل إلى إظهار مكنون القلب ، ومستور الفؤاد ، ولكن لعلي أتغنى بشيءٍ من الشمائل وأشدو ببعض من الفضائل ، فأذكر نفسي وإخواني ممن سكن حب الشيخ أعماقهم ، وارتسم في أفئدتهم ، ونقش في قلوبهم ، أذكرهم بشيء من صفاته ، وأشدو لهم بعددٍ يسير من سماته .

قد يؤلف أناس كتباً في الزهد وهم قد أكلوا الأخضر واليابس ، وقد تؤلف كتب عظيمة في وجوب الوحدة ، ولم الشمل ، واتباع جماعة المسلمين ، ثم تجد واقع المؤلف مخالفاً لما يكتب ، فهو مفرق للآراء ، مبدد للجماعات ، متعصب متحزب ، ولقد رأينا كثيراً من الخطباء والمحاضرين يتغنى بكثير من هذه الشمائل ، ثم يغادر منبره إلى مجلسه المتعصب ، وفريقه المتحزب ، ويطلق اللسان للكلام في فلان وفلان ، أما الشيخ – رحمه الله – فلم يكن يعرف شيئاً من هذا ، لم يكن متحيزاً لفئة ، ولا متحرفاً لقتال جماعة ، ولما علم الله صدق سريرته ، ونقاء نيته ، جمع القلوب على حبه ، وألف الناس إليه . لم يكن الشيخ يريد بدعوته نفسه أو جماعته أو فئته ، بل كان يريد وجه الله تعالى وحده . ﴿**قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني**﴾ .

وقد يسطر أناس رسائل في حرمة المسلم والبعد عن الغيبة والنميمة ، وهم ينهشون لحوم الناس ، ويقعون في أعراضهم ، ويتبعون زلاتهم ، ويتصيدون أخطاءهم ، وأين ذلك من مجلس الشيخ الذي تحرم فيه الغيبة ، ويمتنع فيه النيل من مسلم ، فضلاً عن داعية أو عالم أو ناصح ، ولقد رأيته – رحمه الله – في مرة من المرات ، وكان الحديث عن داعية بدرت منه بعض الملاحظات ، فزل لسان أحد المشايخ الذين يحبهم الشيخ ، زل لسانه بكلمة في ذلك الداعية ، فغضب الشيخ غضباً شديداً ، وثار في وجه المتكلم ، فيا الله من مجالس كثير من الناس اليوم ، بل من صلحاء الناس ، بل من الدعاة ، كم من داعية ينال وكم من عالم يهان ، وكم من مسلم ينهش عرضه في مجالسهم وأمام أعينهم ، ثم لا لسان ينكر ، ولا وجه يتمعر .

إن هنالك صفات عظيمة ، وسمات بديعة ، وصلت بسماحة شيخنا – رحمه الله – إلى هذه المنزلة السامقة ، والرتبة العالية ، وسوف أورد طرفاً منها بإيجاز سريع ، وقد قدمت لكل منها ببعض الآيات من كتاب الله تعالى ، وبعض آحاديث المصطفى ﷺ لغرضين :

الأول : تذكير القاريء الكريم بهذه الأخلاق الإيمانية والآداب الشرعية ، فإنه لا أجمل أثراً ولا أعظم موعظة من القرآن الكريم ، وهدي النبي العظيم ﷺ .

والثاني : لتنبيه القاريء أن سماحة شيخنا ، قدس الله روحه ، ونور ضريحه ، كان ينطلق في كل تلك الصفات ، ويعمل بجميع

هذه الآداب امتثالاً لأمر الله ، واتباعاً لرسول الله ﷺ .
وأهم صفات سماحته – رحمه الله – ما يلي :

١ – العلم الصحيح ، والفكر القويم ، المستمد من الكتاب وصحيح السنة مع البعد عن البدع والمنكرات والتعصبات :

قال تعالى : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ .

قال تعالى : ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ .

ويقول ﷺ : « من سلك طريقاً يطلب فيه علماً ، سلك الله به طريقاً من طرق الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض ، والحيتان في جوف الماء وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر» .

[أخرجه أبو داود والترمذي]

ويقول ﷺ : « العلم علمان : علم في القلب ، فذاك العلم النافع وعلم على اللسان ، فذاك حجة الله على ابن آدم» .

[الترغيب والترهيب ١ /١٠٣]

عِلْمُ الشيخ امتلأت به نفسه ، وأشرق به فؤاده ، وارتوى منه حتى خرج الرِّي من أظفاره ، ثم فاضت بركة هذا النهر المتدفق على أمة

الإسلام في كل مكان ، فأصبح عالم الدنيا في عصره ، وإنني أقول يكفي الشيخ فخراً ومنقبةً وغنى عن كل مدح وإطراء ، يكفيه أنه غادر الدنيا وليس فيها مثله أو من يضارعه ، غادرها وليس بإمكان أحدٍ أن يقول : إن فلاناً يمكن أن يكون خليفة لابن باز .

يا من رأى مثله أو من يضارعه
فليأت بين الملا يزري بأقوالي
يا رائد العلم في هذا الزمان ويا
مجدد العصر في علم وأعمال
حقاً فقد عرف التاريخ كوكبه
مضيئة من صناديد وأبطال
مثل ابن حنبل أو مثل ابن تيمية
أو البخاري في إسناده العالي
لكننا يا حبيب القلب نبصرهم
كأنما مثلوا في شخصك الغالي

لقد مات هذا الإمام الهمام ، وليس له من عوض في أمة الإسلام ، إلا برحمة وفضل من الملك العلام .

هذا العلم الغزير الذي حواه الشيخ لم يأت من فراغ ، ولم يحصل من ضياع ، بل جاء بالتعب والسهر ، والبذل والجد ، والهمة والعزيمة ، والتضحية والإخلاص ، صبر في طلب العلم ، وصبر على التعليم والبذل والنصح والتوجيه ، أدى زكاة العلم كاملة فكانت مطهرةً للعلم

نماء في التحصيل ، بركةً في الفكر ، يقول الأستاذ عبد العزيز السالم في مقاله عن الشيخ : « وببصيرته المضيئة الوضيئة شق طريقه في الحياة العامة متعلماً في البداية ومعلماً بعد التعلم ، وكانت معالم النبوغ المبكر واضحة في دراسته وتدريسه وفيما استقبل من حياته بعد ذلك . لقد كان الكتاب رفيق دربه وملازم مجلسه فكل أوقاته مراجعة لكتب العلم وتحصيل دائب واستيعاب دائم . حتى نهل من معين العلم الكثير وحقق بالمراجعة المفيد ، وجلس مجلس الأستاذ من التلاميذ وحل مكانة الشيخ من الطلاب ، فكان المدرس والمرشد والموجه ولم يشغله واجب عن آخر ، فلم يشغله القضاء في بداية حياته العملية عن إقامة حلق الدرس واحتضان الراغبين في العلم ، وحتى بعد ما توسعت دائرة مسئولياته العلمية والإدارية لم تقف همته العالية عند حدود العمل الوظيفي ولم تشغله عن نشر العلم وتوسيع آفاق المعرفة ، وإنما خطت به خطوات واسعة في مجال التعليم ، فقام بالتدريس في كلية الشريعة النواة الأولى لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمدينة المنورة ثم بعد ذلك تولى منصب مفتي المملكة العربية السعودية ورئيس دائرة البحوث العلمية والدعوة والإرشاد ، وجميع المناصب التي تولاها كان يديرها بحزم واقتدار وبرؤية إيمانية ثاقبة فهو الذي يتولى بنفسه البت في شئونها كما أنه يجيب على المكاتبات ويرد عبر الهاتف على السائلين والسائلات ويرأس هيئة كبار العلماء ويصدر الفتاوى وينشر العلم الواسع والفوائد التي يحتاجهاالناس ، ويشارك في جميع وسائل النشر بعلمه الغزير » .

يقول الشيخ محمد الموسى : «إن الشيخ لم يكن يدع دقيقة واحدةً من الوقت تذهب سدى في حضرٍ ولا سفر ، إذا أراد الشيخ السفر من الرياض إلى الطائف أو جدّه أو غيرها ، فإنه منذ أن يصعد إلى الطائرة يبدأ باستغلال الوقت ، ونتناوب القراءة عليه ثلاثة أشخاص أو أربعة ، فنكل ونمل وننصب ، وهو على صبره وجلده ونشاطه ، يقول : منذ أن يصعد الطائرة وحينما تنطلق الطائرة من المدرج وحينما تبدأ بالإقلاع ، وحينما تكون في الجو إلى أن تهبط ، ويفتح باب الخروج ونحن في نفس واحد من القراءة عليه ، المعاملات ، والقضايا ، والكتب والمسائل العلمية .. وكل ذلك ، تجد كلّ واحد من الكتاب ، قد تأبط حملاً من المعاملات والكتب ، وهو في غاية التحفّز لانتظار دوره عند الشيخ في القراءة عليه !!» .

ويقول معالي الدكتور صالح بن حميد في مقاله المدرج ضمن هذا الكتاب : «لقد دفنت في مقابر العدل بمكة المكرمة الطاهرة مرجعية من مراجع الفقه والفتوى ، وعلم من أعلام الحديث والسنة ، ونموذج شامخ من نماذج التقوى والصلاح ، برحيله - رحمه الله - حدثت بأهل الإسلام ثلمة واسعة ، وفتحت ثغرة عميقة ، يدرك المتأمل غورها إذا تذكر غزارة علم الفقيد ، ويهوله عمقها حين يتأمل اقتران العلم بالعمل اقتراناً أتعب فيه الفقيد من بعده . لم يتوقف يوماً عن طلب العلم والاستزادة منه ، ولم يتوقف عن تعليمه وبذله ، ثم لم يتوقف فيما رأينا وعلمنا لحظة عن الممارسة العملية في لحظه ولفظه ، قوله وفعله ، في

البيت والمسجد، والمكتب والمركب ، والحضر والسفر ، فهو في كل أحواله يربي ويوجه ، ويعظ ويرشد ، ويعلم ويفتي ، ويدعو ويفقّه » .

ويقول الشيخ علي بن عبد العزيز الشبل أحد تلاميذ الشيخ : « ومن ذلك تجلده وصبره في بذل العلم والتعليم للخير في مجالسه العلمية ، ولا سيما الدروس العلمية المرتبة في المسجد ، وأوضح ذلك مثالاً درس فجر الخميس الأسبوعي سواء كان في الرياض أو الطائف ، والذي يمتد زمن جلوس الشيخ فيه للدرس ثلاث ساعات متصلة تصل الكتب المقروءة قراءة درس وتقرير إلى أحد عشر كتاباً ، جلها من كتب المطولات ، وهو - رحمه الله - لا يمل ولا يكل ، ونحن الطلبة يصيبنا من ذلك أنواعاً منه ، إنه - رحمه الله - يزداد نشاطاً ملحوظاً عند القراءة في حديث رسول الله ﷺ مما يلمس منه حبه وتعظيمه وولعه بسنة المصطفى ﷺ ويجدد نشاطه أنساً بها .

ومن لطفه وأدبه وحسن تعليمه في مجلس العلم رأيت موقفين :

١ - أن تلميذه القارىء لو قرأ عليه فلحن في قراءته لحناً ظاهراً في اللغة أو نحى فيها وجهاً شاذاً لا يجد من سماحة الشيخ - رحمه الله - سوى قوله : « أعد » فيعيد الطالب قراءته مرة واثنتين حتى يفطن هو بنفسه إلى لحنه فيصححه ، أو يفتح عليه شيخه بأدب رفيع وذوق عال .

٢ - وحدث أن قرأ عليه طالب علم مبتدىء ، وهو أعجمي اللسان

بكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب ضمن قراءات في مطولات الكتب وكبارها ، وكان الطالب ثقيل اللسان ، بطيء الإعجام ، فلا يعدو شيخنا أن يعلمه القراءة وتصحيح المتن ، بتكراره عليه جملة جملة حتى ينتهي من الباب ، فيعيده الشيخ - عفا الله عنه - بعده كله ليقرر عليه ما يفتح الله عليه به من الفقه والاستدلال والشرح والتعليق» . (مجلة الدعوة العدد ١٦٩٣) .

ويقول الشيخ خالد بن عبد الرحمن الشايع أحد تلاميذ الشيخ : «ويتحلق حوله طلبة العلم على اختلاف أعمارهم وجنسياتهم ومستوياتهم العلمية ، مع إجلال بالغ للشيخ عظيم وكمال أدب معه ومعرفة لمنزلته وتلطف في الحديث معه وطرح السؤال عليه ، حيث يقرأ على الشيخ في ذلك الدرس مايزيد على عشرة كتب ، ليتولى التعليق والشرح والبيان ، وإذا تكلم في فن من فنون العلم قلت : ذلك هو تخصصه وهو ميدانه ، فإذا تكلم في الفنون الأخرى علمت أنك أمام فكر مُتَّقد وعقل حصيف وبديهة حاضرة وموسوعة علمية لانظير لها ويستمر ذلك الدرس بعد صلاة الفجر مايقرب من ثلاث ساعات ، ولا أبالغ إذا ماقلت : ما من واحد من الحضور إلا وتأتية سنة من نعاس أو شرود فكر ، لكن الشيخ حاضر بكل قواه وبدقيق المتابعة . فلا تقرأ كلمة إلا وقد أحاط بها وتأملها، حتى إنه ليوقف القارئ على الأخطاء المطبعية ، ولتواضعه واحتياطه يقول : ضع على هذاالموضع علامة ولتراجع الأصول والنسخ الأخرى ، وذلك حتى لايفتح الباب للتشكيك في الكتب .

ومن العجيب حقاً أنه ومع طول مدة الدرس إلا أن الشيخ لايتململ ولا يمل ولا يغير جلسته ، لكننا نحن الحاضرين لاتكاد تمر ربع ساعة إلا ويغير الواحد منا جلسته من التربع إلى القرفصاء إلى الاحتباء إلى غير ذلك ، مع أن منا عدداً كبيراً في سن الشباب ، فإذا انتهى الدرس قام الشيخ لأداء السنة بعد أن طلعت الشمس وارتفعت ، وكأني بالشيخ – رحمه الله – وهو واقف يشوص فمه بالسواك فيبادره بعض طلبة العلم ببعض الأسئلة خلال هذه الفترة الفاصلة فإذا أجاب عن عدد منها شرع في أداء السنة ، ويا لله ما أخشعها وما أكملها من صلاة ، ، وما إن يسلم الشيخ عن يساره ويستتم قائماً للخروج من المسجد حتى يحتف به طلبة العلم عن يمينه وعن يساره ومن خلفه وأمامه ومع بعضهم أجهزة التسجيل . فذلك يستوضح مسألة في الدرس يريد لها إيضاحا وذاك يسأل عن مسألة وقعت له ، وهذا يستشير الشيخ في مذكر لاحظه فيجد الجميع جواباً شافياً ومقنعاً مقروناً بالدليل الشرعي فيبادره شخص : ياشيخ حدث كذا وكذا من الأمور المنكرة فيجيبه الشيخ : اكتب لنا ونعالج الأمر مع المسؤولين – بإذن الله – لابد من التعاون ، السكوت ماينبغي ، فيبادره آخر : ياشيخ طلقت زوجتي وأنا جايك من مكان بعيد والزوجة معي ، فيبادره الشيخ : تأتينا في البيت أنت والزوجة بعد ساعتين وننظر في أمرك بما ييسر الله » .

(مجلة الدعوة ، العدد : ١٦٩٣)

ويقول فضيلة الشيخ عبد الوهاب أبو سليمان ، عضو هيئة كبار

العلمـاء : « هو في العلم إمـام جـمع العـدل بين الحـديث والفـقـه ، في اجـتهـاد يتـحـرى الحق والصـواب ، يتـوخـاهمـا مع الإجـلال والإكـبار لآراء العلماء السابقين ، والمجتهدين المتبوعين في غير مجافاة أو مغالاة موافقاً لهم أو مخالفاً متمثلاً بآداب القرآن والسنة وسلف الأمة ﴿ **ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا** ﴾ .

يقدر - رحمه الله تعالى - رأي مخالفه ويحترمه بل يجله إذا كان له دليل ووجهة نظر لها ملحظ علمي يصغي له ويفسح له المجال ، دون اعـتـراض ، أو تحـامل ، يحـاول - رحـمـه الله - أن يوائم بين الواجب والشرع والمواقع التي يعيشها الناس فيما يجد له مندوحة محتذياً في هذا منهج السلف الصالح من فقهاء الأمة والحرص على أن تكون تصرفات المكلفين ضمن إطار الشرع وحدوده .

أثرى الفقه الإسلامي بفتاواه الاجتهادية التي كان لها الأثر الديني والاجتماعي في الإصلاح والتوفيق بين الأزواج ولم شمل الأسر ، بل امتدت آثار فتاواه الى الأقطار التي يحل بها مسلمون في مشارق الأرض ومغاربها .

كانت أوقاته منظمة عامرة إما بدرس يلقيه ، أو سماع لكتاب من كتب السنة يتلى عليه فيما يتاح له من وقت في منزله ، أو مكتبه ، أو دعوة يدعى إليها عازفاً عما تمتلئ به المجالس من خوض في الحديث بكل أشكاله وألوانه » .

أما عن سعة علمه وقوة حافظته فحدث عن ذلك ولا حرج ، فهو العجب العجاب ، وهبة الوهاب ، كنت أقرأ على سماحته في درس العصر أو العشاء ، فأخطيء في كلمة أو أخرم لفظة من الحديث فيوقفني الشيخ - ويقول : أعد فإن أعدت الكلام تاماً صحيحاً سكت ، وإن أعدته مع الخطأ بين لي الصواب ، ولقد جلست إليه مع عدد من أهل العلم والمعرفة بالفقه والحديث ، فيورد أحدهم أسئلة شائكة ومسائل دقيقة ، أو يسأل عن صحة حديث أو متنه أو سنده فإذا بالجواب حاضراً كأنما يقرأه الشيخ من كتاب .

وعلمك كان متصلا عميما
تلذ له القلوب وتستفيد
تتابعت المواكب في اشتياق
لمنهله ، وطاب لها الورود
وأينعت الأطايب في عبير
له الريحان أورق والورود
وأيسرت النفوس على ثراء
هو الورقان .. والدر النضيد
ورفرفت السعادة في ابتهاج
فمن عرف الإله هو السعيد
كذاك العلم إن خلصت قلوب
لغايته ، وجانبها كنود

ووليت القضاء فما استرابت
خصوم فيك ، أو ريبت شهود
ولم يعدم أخو حق نصيراً
ولم يظفر بباطله مريد
تقيم العدل والقسطاس فيهم
وتردع من يجور ومن يكيد
وتفتح للمودة كل باب
فيعدل عن خصومته اللدود
وبالفتيا أنرت بكلٍ درب
سراجاً ، فهو من حكم وقيد
فكم من حائر أرشدت حتى
أرحت وكان جانَبَه الرقود
وكم من جاهل علمت حتى
تعلم مايضر ومايفيد
وكم من سائل بَصَّرت حتى
تبينت الضوابط والقيود
كذلك كنت في الفتيا بيانا
دليلك – كلما سألوا – عتيد
وأحببناك إذ تدعو وتحنو
وسعي حفاتنا فينا وتيد

عفيفاً في المقالة ذا جنان
رؤوفٍ ليس يرهقه الحسود
عفيفاً في الحوائج ذا معاش
خفيف ليس يثقله الرغيد
بصيراً والبصيرة قد تُهدِّي
ويعمى في الضحى البصر الحديد

(د : سعد الغامدي)

يقول أحد تلاميذه وهو الدكتور أحمد الكبيسي : « كان يوم وداعه للجامعة بعد أن أسندت إليه رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء ، كان وداعاً مشهوداً ، حزناً وأسى ، بكاء ونحيب ، بكاء كبكاء الثكلى ، ونحيباً كنحيب اليتامى ، حيث فقدوا من يحنو عليهم كحنو الآباء على أبنائهم ، فبيته كان بيتاً لمن لا بيت له ، ومأوى لمن لا مأوى له ، يسعى في حل مشاكلهم ، ويبذل وقته في توجيههم ونصحهم ، ويفتح صدره وقلبه لاستقبالهم ومشاركته لهم في همومهم ، وما ينزل بهم ، فكانت الجامعة في عهده البيت الواسع ، والمأوى الرحب لعربيهم وعجميهم ، أبيضهم وأسودهم ، فالكل يلهج بابن باز ، فقد أحبته القلوب ، وتعلقت به النفوس ، وقد ربى أجيالاً وخرّج أفواجاً من طلبة العلم ، عمرت بهم المعمورة ، وانتشروا في بقاع الأرض ، ينشرون دين الله عقيدة وشريعة ، وكان لهم بعد ذلك معيناً وناصراً وداعماً ومؤيداً مما جعله يتبوأ هذه المنزلة الغالية في بلاد المسلمين ، ويكسبه

هذه الشهرة المنقطعة النظر في زماننا المعاصر» .

يقول أحد تلاميذ الشيخ – الشيخ فهد البكران – في مجلة الدعوة العدد (١٦٩٣) : «قدم مندوب أحد المؤسسات الإلكترونية وبرفقتهم جهاز حاسب آلي شخصي وقد تم تخزين كتب الحديث داخل هذا الجهاز ، وأرادوا من سماحته الاطلاع عليه والاستئناس برأيه قبل نزوله للأسواق فقال سماحته فلنختبر جهازكم ، واختار سماحته – رحمه الله – أحد الأحاديث كعينة عشوائية لاختبار قدرة هذا الجهاز العجيب فقام المسؤول عن تشغيل الجهاز بإدخال مفردات هذا الحديث للبحث عنه وتخريجه إلا أن الجهاز لم يستطع الوصول إلى المطلوب وإن كان قد وصل لبعض الأحاديث التي تعطي نفس المعنى ، فقال سماحته « إذن ابحثوا عن راوي الحديث ، فتم إدخال البيانات المعطاة باسم الراوي للبحث عن الحديث ، ولكن لانتيجة .

فقال سماحته – رحمه الله – إن ابن حجر لم يخطئ فعليكم البحث مرة أخرى ، وبعد بحث ومحاولات استغرقت أكثر من ١٥ دقيقة بعدها توصل الإخوة مشغلو الجهاز إلى الحديث المطلوب وبالراوي نفسه حيث تبين أن خطأ في إدخال بيانات الراوي وتصحيفاً تعرض له اسمه جعل من الصعوبة الوصول إلى المطلوب » .

وقصصه – رحمه الله – في هذا الميدان أعجب من العجب ، وأشبه بالخيال ، يقول الشيخ عطية محمد سالم في مقاله المدرج ضمن

هذا الكتـاب : «وذات مـرة حـصلت قـضـيـة من الشـيـخ أدهشت كل الحاضرين لإحدى المحاضرات الاجتماعية في الجامعة والتي حضرها سماحته وجاء المحاضر ليلقي محاضرته ومعه سبورة وكتب عليها اسم المحاضرة والنقاط الخاصة بها والجزئيات المتعددة لهذه النقاط ثم أخذ يشرحها مفصلة بجزئياتها في ساعة ونصف وبعد المحاضرة طلب من الشيخ ابن باز أن يعلق عليها فذكر سماحته نقاط المحاضرة الست وجزئياتها وعلق على كل نقطة بالتفصيل ولم يترك شيئاً منها وهي كما ذكرت لك محاضرة اجتماعية وليست فقهية . واندهش الجميع من ذاكرة سماحته القوية وذكائه في استيعاب المحاضرة فلو أننا كنا موجودين لما استطعنا أن نعلق على أي نقطة دون النظر إلى السبورة وتذكر النقاط» .

ولعله من المناسب هنا أن نضيف كلاماً لأحد تلاميذ الشيخ وهو الدكتور عبد الله المجلي عن ناحية من نواحي العلم عند سماحته ، وهي الفتوى ومنهجه فيها يقول: «الحديث عن موضوع الفتوى يتم عن طريق محاور كثيرة منها :

الأول : أن الشيخ – رحمه الله – يفتي الناس في كل وقت في بيته ومسجده وطريقه ومكتبه ، فليس له وقت خاص بالفتوى .

الثـاني : أن الشيخ يفتي عبر كل وسيلة : يفتي كتابة ، ويفتي مشافهة ، ويفتي عبر الصحف والمجلات وعبر الإذاعة ، وكان

من آخر ما وافق عليه ارتباطه بالناس بواسطة الانترنت – رحمه الله – والبقية موزعة على أصحاب الفضيلة الآخرين المفتين فيه .

الثالث : أن الشيخ رحمة الله عليه يفتي في جميع مجالات الحياة وفروع العلم الشرعي المتنوعة في العبادات والمعاملات والأخلاق والسلوك وغير ذلك .

الرابع : تتميز فتوى الشيخ – رحمه الله – بالإيجاز غير المخل وسهولة عبارتها ودقتها .

الخامس : لاتخلو فتوى من فتاويه – رحمه الله – من الدليل الشرعي من الكتاب والسنة وقلما يتطرق إلى خلاف العلماء وبخاصة في الفتاوى الموجهة للعامة .

السادس : قد جعل الله تعالى لفتاوى سماحته القبول عند الناس كبيرهم وصغيرهم ، عالمهم وجاهلهم في داخل المملكة وخارجها .

ولذلك تسمع دائماً سؤال الناس عن رأي الشيخ ابن باز في هذه المسألة أو تلك ، وإذا ذكرت لأحد – إلا ماندر جداً – فتوى للشيخ أو قول أو رأي لايتردد في القبول به والتسليم .

فقوله معتمد ورأيه مقدم وفتواه مقبولة دون مراجعة ، وهذا من فضل الله وحده عليه ومن نعمه عليه والأسباب في ذلك ظاهرة جلية» .

ويقول سماحة الشيخ – رحمه الله – عن نفسه : « مذهبي في الفقه هو مذهب الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – وليس على سبيل التقليد ، ولكن على سبيل الاتباع في الأصول التي سار عليها ، أما في مسائل الخلاف فمنهجي فيها هو ترجيح ما يقضي الدليل ترجيحه ، والفتوى بذلك ، سواء وافق مذهب الحنابلة أم خالفه ، لأن الحق أحق بالاتباع ، وقد قال الله – عز وجل – : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا** ﴾ .

أما عن منهج سماحته في التعامل مع المخالفين ، فيقول الدكتور عبد الله بن عبد العزيز الزايدي : « تميز الشيخ – رحمه الله – بالتزام منهج سلف الأمة الصالح في فهم الدين والعمل به ، لذلك المنهج السلفي الذي يجمع بين العلم والعمل والاعتدال والرفق .

فكان – رحمه الله – يزن الناس بميزان الحق ويتعامل معهم بالرفق فهو لا يترك التنبيه على المخطيء كي لا يتمادى في كبريائه وخطئه . والمخالف للحق قسمان :

١ – قسم يخالف مخالفة صريحة للكتاب أو السنة أو الإجماع فهذا القسم مع خطئه الكبير نجد الشيخ – رحمه الله – يرد عليه بأسلوب رفيع مع بيان الأدلة وبعبارات تنم عن عظيم خلق كقوله : هداه الله ، عفا الله عنه .

٢ - قسم خالف في مسألة من مسائل الاجتهاد فهذا لا يرد عليه الشيخ وإنما يذكر القول الذي يرى رجحانه ويضعف أدلة القول الآخر - إن وجدت - ولا يأتي الشيخ بأي عبارة فيها تعنيف أو تشنيع وكان - رحمه الله - لا يتساهل في مسائل الابتداع والشرك بل يبين ما هو بدعة وما هو شرك لكنه - رحمه الله - لم يكن متساهلاً بإطلاق عبارات الشرك أو البدعة على كل صغيرة أو كبيرة بل إنه لينبه على الصغيرة والكبيرة ويضع كل شئ موضعه ومن أحدث ما سمعت منه - رحمه الله - جواب لسؤال حول الاستعاذة من الشيطان عقيب التثاؤب هل هي من البدع حيث لم يرد نص عن النبي ﷺ في مشروعية ذلك وسنيته .. فأجاب الشيخ بأن المشروع هو وضع اليد على الفم عند التثاؤب أو كظمه ولم ترد الاستعاذة ، لكن من استعاذ متذكراً أن التثاؤب من الشيطان فلا يعد فاعلاً لبدعة .

وكان الشيخ - رحمه الله - في موقفه من الاتجاهات والجماعات الإسلامية المعاصرة مثال القائم بالحق الملتزم به عند الاختلاف والفتن حيث كان ينصح من خالف الحق ويدعو بالهداية ويبين بعض الجوانب الإيجابية لدى هذه الإتجاهات ويشجعها ، ويدعو لتوجيهها الوجهة المناسبة ويؤكد على تلك الإتجاهات بضرورة سلوك منهج السلف في فهم الدين والعمل به .

كما كانت علاقته ببعض قيادات تلك الجماعات صلة التناصح

والمحبة في الله فكان يوجه لهم الخطابات التي يوضح فيها وجهة نظره فيما يراه خطأ وقع فيه بعضهم وكان أسلوبه في النصح غاية في الرفق والرغبة في ايضاح الحق للمخالف ، ولم يكن يلجأ – رحمه الله – للتحذير العام إلا في حالات قليلة من أهمها الحالات التي ينتشر فيها الخطأ بين الناس ، مثل الكتابات الصحفية التي تتضمن خطأ ظاهراً يناقض أصول الدين أو فروعه فإنه ينشر التحذير والتنبيه في الصحيفة نفسها أو في صحيفة أخرى أو في مجلة البحوث الإسلامية ومن أمثلة ذلك : رده – رحمه الله – على خبر عن إقامة صلاة الجمعة بمسجد قرطبة في أسبانيا نشرته جريدة عكاظ وعلقت الصحيفة على الخبر بالقول إن الاحتفال بذلك يعد تأكيداً لعلاقات الأخوة والمحبة بين أبناء الديانتين الإسلامية والمسيحية .. فقد نبه – رحمه الله – إلى مصادمة هذا الكلام والأدلة الشرعية الدالة على أنه أخوة ولا محبة بين المسلمين والكافرين .

كما بين – رحمه الله – خطأ عدد من الشعراء الذين نشروا قصائدهم في بعض الصحف السعودية وتضمنت غلواً في حق النبي ﷺ فقد نبه الشيخ – رحمه الله – إلى ذلك وذكر اسم الشاعر ودعا له بالهداية والصلاح » .

ويقول الشيخ محمد سليمان الصبيحي عن منهج الشيخ العلمي :
« ومن أبرز ما تميز به منهجه العلمي مما ندعو به إخواننا إلى الاستفادة منه ما ملخصه :

١ – أرسى منهج الأخذ بالدليل الشرعي خلافاً لقول المذهب – إذا لم يدل عليه دليل .

٢ – بعد النظر والعالمية في الهموم والتعامل مع كل المسلمين .

٣ – الجمع بين العلم والدعوة فإذا أفتى قرن فتواه بنصيحة .

٤ – استثمار ذاكرته فيما ينفع وفي التعرف على هموم المسلمين والمشاركة في التخفيف عنهم ومتابعة أخبارهم .

٥ – بعد نظره في معرفة مرامي السائلين والمستفتين فيجيبهم بحيطة وحذر بما لا يعطي فرصة للنقل الخاطىء أو الادعاء الكاذب .

٦ – الرفق بحال المخالفين وحتى الخصوم والمعاندين .

٧ – النشاط الدائم والعمل الدؤوب فهو لا يعرف الراحة أبداً فقد بذل وقته في محاضرات وندوات ودروس ورد على الهاتف وإجابة للسائلين واستضافة للقادم ومسامرة للأهل وعبادة وقيام ليل» .

ويقول الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان – عضو هيئة كبار العلماء – : «يتأنى – رحمه الله – في الأحكام ، يعطي الفرصة الكافية لكل صاحب رأي أن يعرضه ويقرره دون تضييق أو مضايقة ، يمد الوقت أكثر فأكثر مداولة ونقاشاً حتى يتمخض المجلس عن رأي سديد يحقق المصلحة . ولا يطمئن حتى لا يبقى للمداولة والنقاش مجال وهو في أثناء ذلك وقبل ذلك وبعده ، يذكر نفسه وأعضاء المجلس في صوت

متهدج ممتلئ خوفاً ورهبة من المولى عز وجل . يذكر بمراقبته تعالى والإخلاص والتجرد والنصح للعامة وولاة الأمر ، ومن ثم الدعاء بالصلاح والرجوع الى الله عز وجل لا يفتأ يكرر هذا بداية وانتهاء» .

٣ - الإيمان العميق والعقيدة الراسخة في الله ورسوله وكتابه ودينه ، مع تصديق جازم ويقين واثق :

قال الله تعالى : ﴿ **ألم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أُنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون * أولئك على هدىً من ربهم وأولئك هم المفلحون** ﴾ [البقرة : ٥] .

وقال تعالى : ﴿ **أفي الله شكٌّ فاطر السماوات والأرض** ﴾ .

[إبراهيم : ١٠]

وقال تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون الذي ءامنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهد بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون** ﴾ .

[الحجرات : ١٥]

وقال تعالى : ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** ﴾ [الأنعام : ٨٢] .

وفي حديث جبريل – عليه السلام – حينما كان يسئل النبي ﷺ قال له : ما الإيمان؟ ، قال : «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه

ورسله وتؤمن بالبعث . . . » [رواه البخاري] .

ولقد كان الشيخ – رحمه الله – متمثلاً هذه المسائل الإيمانية موقناً بها ، وبما تحمله من معانٍ هائله ، وأبعاد ساميه ، فكان يقينه راسخاً رسوخ الجبال ، وإيمانه تتكسر عليه النصال ، لا تهزّه الزوابع ، ولا تغيّره الحوادث ، ولا تفُلُّه القواطع ، كان إيمانه عميقاً ، وتصديقه وثيقا .

لقد تحلى – رحمه الله – بالإيمان المستيقن ، المطمئن الثابت ، الذي لا يتزعزع ولا يضطرب ، والذي ينبثق منه الجهاد والتضحية بالمال والنفس في سبيل الله ، نفذ هذا الإيمان إلى قلبه وعقله وإرادته ، فاندفع للعمل بمقتضياته ، وطبق أركانه في حياته .

كانت عقيدة الشيخ – رحمه الله – عقيدةً راسخة عميقة الجذور تقتحم الأخطار ، وتزلزل الجبال ، وتنسف الشك والتردد ، وتبعث الحزم واليقين .

كان قلب الشيخ معلقاً بربه جل وعلا متمثلاً لقاءه « اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » ، متمثلاً قول الله تعالى : ﴿ **ألم يعلم بأن الله يرى** ﴾ ، كان – رحمه الله – شديد الصلة بربه ، لا يغفل عنه لحظة ، قلبه معلق بالآخرة ، ولسانه لا يفتر عن الذكر ، كأن الجنة والنار ماثلة أمام عينيه ، كان يعيش القرآن بقلبه وفكره وروحه حفظاً وتأملاً وتدبراً وقراءة وتفسيراً ، كنا في صلاة التراويح إذا أخطأ الإمام في كلمة أو خرم حرفاً ، فإن ذلك لا يفوت الشيخ – رحمه الله – بل

هـو حاضر بقلبه ووجدانه ، ويبادر بالرد ، وبالتذكير للإمام في شتى سور القرآن .

قال تعالى : ﴿ ... قد جاءكم من الله نورٌ وكتاب مبين * يهدي به الله من اتبع رضوانه سُبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ [المائدة : ١٥ - ١٦] .

وكان كذلك في حفظه للسنة المطهرة ، ومعرفته بدقائقها وفقهها وأسرارها ، وتوّج ذلك بالعمل بها ، والسير على منوالها ، لا يحيد عنها قيد أنملة ، ولا يحتكم بعد كتاب الله إلا إليها ، ولا يقدم قول أحدٍ من البشر كائناً من كان على قوله ﷺ ، وكان يتمثل دائماً بقول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ .

كان اليقين يملأ قلبه ، واللجوء والثقة والاستعانة أركان مسيرته العلمية والاجتماعية ، وقد أثر هذا اليقين الجازم والإيمان العميق في سيرة الشيخ ومسيرته كلها .

٣ - الولاية العظيمة :

قال تعالى : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين ءامنوا وكانوا يتقون * لهم البُشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا

تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ﴾ [يونس : ٦٢ – ٦٤] .

قال تعالى : ﴿ **والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ﴾** [المؤمنون : ٦٠] .

قالت عائشة – رضي الله عنها – : يا رسول الله ﴿ **والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجله ﴾** هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر ، وهو يخاف الله عز وجل ، قال : « لا يا بنت الصديق ، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون ألا يتقبل منهم أولئك الذين يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون » [اخرجه الترمذي] .

ويقول تعالى في وصف المؤمنين : ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعا ومما رزقناهم ينفقون ﴾** [السجدة : ١٦] .

إذا ما الليل أظلم كابدوه
فيسفر عنهم وهم ركوعُ
أطار الخوف نومَهُمُ فقاموا
وأهل الأمن في الدنيا هجوعُ

※ كان ﷺ إذا ذهب ثلث الليل قام ، فقال : « يا أيها الناس اذكروا الله ، جاءت الراجفة ، من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة ، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه » [رواه الترمذي وأحمد] .

وتقول عائشة – رضي الله عنها – ، قام ﷺ ليلة من الليالي ، فقال : « يا عائشة ذريني أتعبد لربي » ، قالت : والله إني لأحب قربك ، وأحب ما يسرُّك ، قالت : فقام فتطهر ، ثم قام يصلي فلم يزل يبكي حتى بل حجره ، ثم بكى ، فلم يزل يبكي حتى بل الأرض، وجاء بلال يؤذن بالصلاة فلما رآه يبكي ، قال : يا رسول الله تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال : « أفلا أكون عبداً شكورا ، لقد نزلت عليّ الليلة آياتٌ ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها ﴿**إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ● الذي يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار**﴾ » .

[آل عمران : ١٩١]

لقد اقتدى سماحة الشيخ – رحمه الله – بالنبي ﷺ فهو عابد من العباد ، ولي من الأولياء ، قدوة للأتقياء كثير العبادة دائم الذكر والتسبيح ، سريع الدمعة ، رقيق القلب ، خاشع النفس .

تتجافى جنوبهم ... عن وطيء المضاجع
كُلّهم بين خائفٍ ... مستجيرٍ وطامع
تركوا لذة الكرى ... للعيون الهواجع
ورعوا أنجم الدجى ... طالعاً بعد طالع
واستهلت عيونهم ... فائضات المدامع
ودعوا يا مليكنا ... يا جميل الصنائع

اعف عنا ذنوبنا للعيون الدوامع
اعف عنا ذنوبنا للوجوه الخواشع
أنت إن لم يكن لنا شافع خير شافع

قال لي أحد الملازمين لسماحته في سر توفيق الشيخ ونجاحه ، وبصيرته الثاقبة في كثير من المعاملات والآراء والمواقف ، قال : ما ظنك برجل يبيت يناجي ربه ويدعو ويرجو ويهتف ويبكي ثم إذا ارتفع النداء بادر إلى المسجد ثم صلى الفجر في خشوع وخضوع ، ثم أتى بكامل الأوراد ثم أُتي له بالأوراق كلها ثم يبدأ بقراءة المعاملات ، والنظر في حاجات الناس ، ثم قراءة بعض مسائل العلم ثم قبل أن يخرج من بيته وهو في كامل طهره ووضوئه ، متطهراً متطيباً متسوكا ، يتجه إلى الله تعالى ويدعوه أن يحفظه وأن يعينه وأن لا يكله إلى نفسه طرفة عين ، أليس مثل هذا حرياً بأن يكون التوفيق حليفه ، والنصر ربيبه ، وأجزم لو أن الشيخ لو علم أنه سيموت في اليوم المحدد ، والوقت المحدد ، ما زاد في عمله شيء ، فكل وقته لله ، وبالله ، وفي الله ، ومع الله .

قال تعالى : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون * نزلاً من غفور رحيم** ﴾ [فصلت : ٣٠ - ٣٢١] .

يقول أحد تلاميذه : « أما صلابة الشيخ ونشاطه في العبادة

فالمواقف فيه كثيرة جداً حدثني أحد الدعاة أنْ الشيخ سافر براً من الرياض إلى مكة أو العكس فلما جاءت الساعة الثانية عشرة من منتصف الليل قال الشيخ مارأيكم لو نمنا هنا ثم في الصباح نكمل السفر فوافق كل من كان معه حيث غلبهم النوم ويريدون أن يستريحوا فلما نزلوا من السيارة كل منهم ذهب إلى ناحية فنام فيها أما الشيخ فإنه لما نزل طلب ماء وتوضأ ثم شرع يصلي ماشاء الله له ثم نام ولما قاموا لصلاة الفجر وجدوا الشيخ قد سبقهم للقيام ووجدوه يصلي !! فتعجبوا منه ومن جلده على العبادة ، حيث كان هو آخر من نام وأول من قام فسبحان الذي أعطاه هذه القوة والعزيمة » .

ويحدثني الشيخ محمد بقوله : « في يوم من الأيام ونحن بمكة المكرمة دعي الشيخ من أحد الأعزاء لديه للمساهمة في أحد الاحتفالات الدعوية بجدة ، وألحّ على سماحته بالحضور بعد صلاة المغرب مباشرة ، فقال له الشيخ : خيراً إن شاء الله ، وحينما صلى الشيخ المغرب عزّ عليه أن يترك مجلسه المعهود مع الناس من المغرب إلى العشاء ، فقال : لن نذهب الآن ونترك الناس لا بد أن أجلس لهم إلى صلاة العشاء ، وننظر في حاجاتهم ومتطلباتهم ، فجلس ، ثم أذّن المؤذن للعشاء ، فذهب إلى المسجد ، فألقى درسه المعتاد قبل صلاة العشاء ، وأجاب على الأسئلة ، ثم صلى العشاء واتجه إلى جده ، وكان في غاية السرور والانشراح لأنه جلس إلى الناس ولم يذهب ويتركهم وراءه ، فاستمع إلى شرح تفصيلي عن المشروع ونشاطاته ، ثم دخل

قاعة المحاضرات المكتظة بالناس فاستمع إلى كل الكلمات والقصائد ، ثم ألقى كلمة ، ثم بعد ذلك تناول طعام العشاء ، وعاد إلى مكة ، وفي أثناء ذهابه وعودته وأنا والدكتور الشويعر والأخ صلاح نتناوب القراءة عليه ، لم يفوّت دقيقة واحدة ، فما وصلنا إلى منزلة في مكة إلا الساعة الثانية ليلاً ، يقول والشيخ من عادته أن يقوم للتهجد في حوالي الساعة الثالثة ليلاً ، وكان ينبهني أنا والشيخ عبد العزيز بن ناصر دائماً ، ينبهنا معه إذا قام يتهجد لكي نأخذ حظنا من الليل ، قال : فجزمنا أنه لن يقوم في تلك الليلة ، وأنه سينام ويتركنا ننام قال : فما جاء الوقت المحدد لقيامه إلا وهو ينبهنا ويوقظنا للقيام ، ثم بقي يصلي ويدعو ويقرأ حتى أذن للفجر فانطلقنا إلى المسجد – مسجد القطان المجاور لنا ، وهذا قبل بناء مسجد سماحته – يقول فتأخّر الإمام فصلى بنا الفجر في صوت لا تسمع بأندى ولا أخشع منه ، فلما سلم ، استقبل الناس بوجهه ، وحمد الله وأثنى عليه ، ثم ألقى فيهم كلمة ، فلما فرغ عاد إلى البيت ، فقلنا الشيخ مرهق وسهران ، ربما لا يجلس اليوم بعد الفجر قال : فأتى إلى مجلسه ، ورمى الغترة والطاقية جانباً ، وجلس ، ثم قال : بسم الله : ماذا عندكم ، قال فأخذت أقرأ عليه المعاملات ، وأنا أرى فيه من الانشراح والنشاط والسرور ما يبعث العجب ، قال فبقيت أقرأ عليه حتى الساعة السابعة والثلث تقريباً ، قال : فظننت أنه سينام بعدها نومة طويلة ، فإذا به يقول لي رتّب الساعة على ثمانية وثلث ، قال فأيقظناه الساعة الثامنة والثلث ، فانطلق إلى رابطة العالم الإسلامي

لحضور الندوات والاجتماعات المطولة ، ولم يرجع إلى منزله إلا في وقته المعلوم ، الساعة الثانية والنصف بعد الظهر ، ونحن جميعاً نكاد نسقط على وجوهنا من التعب والإرهاق ولم نلاحظ عليه شيئاً من ذلك – رحمه الله تعالى –

لقد كان – رحمه الله – آية في التقوى ، أعجوبة في الزهد والمراقبة والخوف من الله – جل وعلا – كان من الذين يتقون الله حق تقاته وماتوا وهم مسلمون ، كان من المتقين الذي اهتدوا بكتاب الله تعالى ، وآمنوا بما أنزل على رسوله ، لقد كانت التقوى ديدنه في حياته ، ووصيته لجلسائه ﴿ **ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله** ﴾ [النساء : ١٣١] ، فامتثل الشيخ وصية ربه التي أوصى الناس جميعاً بها ، فقال :

﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءا واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا** ﴾ [النساء : ١] .

ووصى المؤمنين بالتقوى ، فقال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغدٍ واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون** ﴾ [الحشر : ١٨]

ووصى نبيه وهو أتقى الناس بالتقوى ، فقال تعالى : ﴿ **يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليماً حكيماً** ﴾ .

[الأحزاب : ١]

ومن صور التقوى عنده – رحمه الله – المحافظة على الصلوات وإقامتها بخشوعها وركوعها وسجودها وأذكارها ودوام المحافظة على قيام الليل وكذلك السنن الرواتب وسنة الضحى وغيرها ، وكذلك المحافظة على الأذكار والأوراد الشرعية : أذكار الصباح والمساء ، دعاء الخروج من المنزل ودعاء ركوب السيارة وإجابة المؤذن حتى لو كان في أهم عمل فإنه يتركه ويجيب المؤذن ، وإذا كان في السيارة وحان وقت الأذان طلب فتح المذياع ليستمع إلى الأذان ويتابع المؤذن ، ويذكر الدعاء المشروع بعد الأذان .

ومن صور التقوى في حياته عدم الكلام في غير طاعة ، أو الحديث فيما لا ينفع .

ومن صورها الخشوع والخضوع والبكاء من خشية الله .

ومن صورها الحرص التام على القول السديد ، فأصلح الله أعماله وبارك أحواله ، قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدا * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما** ﴾ [الأحزاب : ٧٠ – ٧١] .

ومن صورها الامتثال الكامل لأخلاق القرآن ، وآدابه وأوامره ونواهيه ، والاقتداء الأمثل بسنة النبي ﷺ في كل صغيرة وكبيرة من حياته .

هذا الإمام العابد لا أعرف أنني في يوم من الأيام رأيته في الصف

الثاني أو الثالث ، فضلاً عن رؤيته وهو يأتي بركعةٍ أو ركعتين فاتته من الصلاة ، كما هو حال كثيرٍ منا اليوم ، بل كان دائماً في الصف الأول وراء الإمام مباشرة ، سواءً في الصلوات الخمس أو الجُمَع أو الأعياد .. أو غير ذلك ، لا أعرف في حياتي أنني رأيته في غير هذا المقام الأسبق ، وهذا سرٌّ من أسرار توفيق الله له ، وسبب من أسباب البركة العظيمة في عمره ووقته وعلمه ودعوته وجهده ورزقه . كيف يُوفَّق العالم أو الداعية أو المسلم أيّاً كان ، كيف يوفق توفيقاً بيِّناً ويرتقي ويتقدم وهو من المتأخرين عن داعي الله ، المتهاونين بالمسابقة إلى نيل رضاه ؟ .

يقول الدكتور عبد الله الحكمي : « أذكر وصيته يوم جئت أقرأ ورقة فور انتهاء المؤذن من الأذان . فسأل : لم أسمع الأذان ، هل أذن ؟ فقلت : نعم الآن أذن . فقال : اتعمل وقد أذن؟ ، الصلاة الصلاة » .

الصلاة قوّة للنفس ، وسعادة للقلب ، وانشراح للصدر ، وطمأنينةٌ للروح ، الصلاة هي لحظات الارتقاء الروحي التي يقف المرء فيها بين يدي ربه – جل وعلا – يثني عليه ، ويدعوه ويرجوه ، ويستمد العون منه ، ولذلك جعل الله تعالى الصلاة سلاحاً للمؤمن ، وعوناً له في معركة الحياة ، وأوصاب الدنيا ، فقال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين** ﴾ [البقرة : ١٥٣] .

والنبي ﷺ جُعلت قرّة عينه في الصلاة . ومن عرف محافظة الشيخ العظيمة واهتمامه البالغ بالصلاة ، عرف سرّاً من أسرار القوة والعزيمة والفلاح والنجاح في حياته – رحمه الله – .

هنا قصةٌ طريفة حدثت لسماحته ، وهي تدل على حرصه الشديد – رحمه الله – على الصلاة ، وتعلُّق قلبه بها ، ولقد كنت أرمقه في صلاته ، فلا والله ما رأت عيني ، ولا سمعت أذني ، أكمل ولا أجمل ، ولا أفضل ، ولا أتمّ من صلاته ، فيمن رأيت من الناس في زماني .

القصة يحدّث بها سماحتُه أحد الموظفين لديه ، والمقربين إليه ، وهو الشيخ محمد الموسى ، وحدثني بها بعد وفاة الشيخ – رحمه الله – يقول : هذه القصة ذكرها لي سماحته قبل حوالي عامين ، يقول سماحته – رحمه الله – قصة حدثت لي لا أزال متأثّراً بها إلى اليوم حدثت أيام شبابي ، فقد كنت من المحافظين على الصف الأول في الصلاة ، وفي يوم من الأيام تأخّرت عن الحضور مبكراً بسبب القراءة في بعض الكتب لبعض المسائل الهامة التي شغلتني عن الصلاة ، فلم أدرك الصف الأول ، وفاتني بعض الشيء من الصلاة ، وحينما سلم الإمام ، وهو قاضي الرياض الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ، وكان أحد مشايخي – رحمه الله – حينما رآني أصلي في طرف الصف ، وقد فاتني شيء من الصلاة ، تأثّر لذلك كثيراً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم بدأ يتكلم وقال : بعض الناس يجلس في سواليف ومشاغل حتى تفوته الصلاة ، يقول سماحته : فعرفت أنه يعنيني بذلك الكلام ، فلم أتأخر بعدها أبداً ، وذلك الموقف الذي حصل لي ما أنساه أبداً !! .

عليك أخي المؤمن أن تقارن هذا بحال كثير من الناس اليوم الذين

تفـوتهم صلوات وصلوات ، ويسـمـعـون المواعظ ويقـرأون الآيات ، ويعـرفـون الأحـاديث ، ومع ذلك لا تجد في نفـوسـهم حسـره ، ولا في قلوبهم أثراً ، إن هذه القصة وغيرها من القصص الكثيرة التي رويناها والتي سوف يرويها غيرنا إنها بمجموعها تجعل المرء يقف على السرّ الحقيقي في رفعة هذا الإمام وعلوّ همّته ، وذياع صيته - رحمه الله رحمة واسعة - .

أروح وقـد خـتـمـت علـى فـؤادي
بحـبـك أن يحـل بـه سـواكـا
فلو أنني اسـتـطعت غـضـضت طرفي
فـلـم أبـصـر بـه حـتـى أراكـا
إذا اشـتـبـكـت دمـوع في خـدودٍ
تـبـين مـن بـكـى ممـن تـبـاكـى

٤ - المداومة على ذكر الله :

قال تعالى : ﴿ **ولذكر الله أكبر** ﴾ [العنكبوت : ٤٥] .

وقال تعالى : ﴿ **فاذكروني أذكركم** ﴾ [البقرة : ١٥٢] .

وقال تعالى : ﴿ **واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون** ﴾ .

وقال ﷺ : « يقول الله تعالى : أنا عند حسن ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرتُه في ملأٍ خيرٍ منهم » [متفق عليه] .

وقال ﷺ : « سبق المُفرِّدون » ، قالوا : وما المُفرِّدون يا رسول الله قال : « الذاكرون الله كثيراً والذاكرات » [رواه مسلم] .

ويقول ﷺ : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخيرٌ لكم من إنفاق الذهب والفضة ، وخيرٌ لكم من أن تلقوا عدوَّكم فتضربوا أعناقهم ، ويضربوا أعناكم؟ » قالوا : بلى ، قال : « ذكر الله تعالى » [رواه الترمذي] .

فهل تظن أخي المسلم أن هذا الإمام العابد الخاشع المتعلق قلبه بالآخرة ، الذي تفيض نفسه حباً لله ، وحباً لكتابه ، وحباً لرسوله ، هل تظن أنه يغفل عن هذه الأحاديث العظيمة ، وهذه الغنائم الباردة .

وأخرج من بين البيوت لعلني
أحدِّث عنك النفس بالسر خاليا
وإني لاستغشي وما بين غشاية
لعل ضياءً منك يلقى خياليا
إذا نحن أدلجنا وأنت مرادنا
كفى للمطايا طِيْبُ ذكراك حاديا

لقد كان الشيخ – رحمه الله – لاهجاً بذكر الله ، مترنماً بالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل ، لا يفتر لسانه أبداً ، بل لقد كنت أرمقه وهو يرد على المتصلين فأراه في أثناء إنصاته لحديث المتصل يلهج بالذكر ، ولقد كنت أنظر إليه بعد انتهاء الصلوات فإذا به لا يقوم من

مـصلاه إلا وقد أتى بالأذكـار كلهـا ، وأطول مـدة كـان يجلسـهـا في الصلوات هي بعد صلاة الفجر ، وبعد صلاة المغرب ، بعد الفجر لأنه يأتي بأذكار الصلاة ثم يأتي بأوراد الصباح ، فيقول : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » مائة مرة ، ويقول : « سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم » مائة مرة . . إلى غير ذلك ، وكذلك الحال بعد صلاة المغرب .

لقد كانت محبة الله وعظمته والتعلق به ظاهرة جلية ينطق بها لسانُه ، ويخفق بها جنانُه ، ويسطرها بنانُه ، وهذا سرٌّ من أسرار التوفيق في حياته ، والبركة في عمره وعلمه – رحمه الله – .

٥ - إخلاص القصد لله تعالى :

قال تعالى : ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين** ﴾ [البينة : ٥] .

وقال – جل وعلا – : ﴿ **إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص** ﴾ [الزمر : ٣] .

وقال سبحانه : ﴿ **قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أُمرتُ وأنا أول المسلمين** ﴾ [الأنعام : ٦٢] .

وقال ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت

هجرته لدنيا يصيبها ، أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

[رواه البخاري ومسلم]

وقال ﷺ : « إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه نادى مناد: من كان أشرك في عمل عمله لله – عز وجل – فليطلب ثوابه من عند غير الله – عز وجل – فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك » .

[رواه ابن ماجة والترمذي]

هذه الأحاديث وغيرها لم تغب عن إمامنا – رحمه الله – كيف وهو محدث الدنيا ، وعالم السنة ، وحامل لواء الحنيفية ، لم تغب عنه هذه الأحاديث ولا غيرها مما يخلع هوله القلوب ، ويهز الوجدان ، كالحديث الآتي :

عن عقبة بن مسلم أن شُفَيًّا الأصبحيّ حدثه : « أنه دخل المدينة فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس ، فقال : من هذا ؟ قالوا : أبو هريرة ، قال : فدنوت منه ، حتى قعدت بين يديه ؛ وهو يُحدث الناس ، فلما سكت وخلا ، قُلت له : أسألك بحقٍّ وبحقٍّ ، لَمَّا حدَّثتني حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ وعقلْتَه وعَلمْتَه ، فقال أبو هريرة : أفعل ، لأحدثَّنك حديثاً حدَّثنيه رسول الله ﷺ عَقلْتُه وعلمتُه ، ثم نشَغَ أبو هريرة نشغة فمكثنا قليلاً ثم أفاق ، فقال: لأُحَدثنَّك حديثاً حدثنيه رسول الله ﷺ أنا وهو في هذا البيت ما معنا أحدٌ غيري وغيره ، ثم نشَغَ أبو هريرة نشغةً أخرى ، ثم أفاق ومسح عن وجهه ، فقال : أفعل ،

لأُحدثنَّك حديثاً حدثنيه رسول الله ﷺ أنا وهو في هذا البيت ما معنا أحدٌ غيري وغيره ، ثم نشَغَ أبو هريرة نشغةً شديدةً ، ثم مال خارّاً على وجهه ، فأسندتُه طويلاً ثم أفاق ، فقال : حدثني رسول الله ﷺ :

« إن الله تبارك وتعالى إذا كان يومُ القيامة يَنزلُ إلى العباد ليقضي بينهم – وكلُّ أمة جاثية – فأول من يُدعى به رجل جمع القرآن ، ورجلٌ قُتل في سبيل الله ، ورجل كثيرُ المال ، فيقول الله عز وجل للقارىء : ألم أُعلِّمكَ ما أنزلتُ على رسولي ؟ قال : بلى يا ربِّ ، قال : فما عَملتَ فيما علمت ؟ قال : كنتُ أقوم به آناء الليل وآناء النهار ، فيقول الله عز وجل له : كذبت ، وتقول له الملائكة : كذبت، ويقول الله تبارك وتعالى : بل أردت أن يقال : فلان قارىء وقد قيل ذلك .

ويؤتى بصاحب المال ، فيقول الله عز وجل : ألم أوسِّع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال : بلى يا ربِّ ؛ قال : فماذا عملت فيما آتيتُك؟ قال : كنت أصل الرحم ، وأتصدّق . فيقول الله له : كذبت ، وتقول الملائكة كذبتَ ، ويقول الله تبارك وتعالى : بل أردت أن يقال فلان : جواد ، وقد قيل ذلك .

ويؤتى بالذي قُتل في سبيل الله ، فيقول الله له : فيماذا قُتلت؟ فيقول : أي ربِّ ! أَمَرتَ بالجهاد في سبيلك فقاتلتُ حتى قُتلتُ ، فيقول الله له : كذبت ، وتقول الملائكة كذبتَ ، ويقول الله : بل أردت أن يقال : فلان جريء ، فقد قيل ذلك » . ثم ضرب رسول الله

ﷺ على ركبتي فقال : « يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أولُ خلقِ الله تُسعَّرُ بهم النارُ يومَ القيامةِ » .

وقد بكى معاوية حينما سمع هذا الحديث حتى غشي عليه ، فلما أفاق، قال صدق الله ورسوله، قال الله عز وجل: ﴿**من كان يريد الحياة الدنيا الدنيا وزينتها نُوفِّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون * أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون**﴾ [هود : ١٥ - ١٦] » [رواه الترمذي] .

هذه الأحاديث المرعبة سكنت في ذلك الوجدان الخاشع ، وحلّت في ذلك القلب المؤمن الخائف الوجل ، فأثمرت إخلاصاً وصدقاً ويقيناً وكرهاً للرياء ، ومقتاً للبحث عن السمعة .

لم يكن الشيخ - رحمه الله - باحثاً عن سمعة ، أو لاهثاً وراء المديح ، أو متطلعاً للثناء ، بل كان في كل ما يعمل وما يذر يقصد وجه الله تعالى ، كما نحسبه والله حسيبه ، وكما علمنا ذلك من واقع المعايشة والمتابعة لم يكن الشيخ ممن يحب التصدر أو الظهور ، لقد بسطت جميع الوسائل المسموعة والمقروءة والمرئية ، أذرعتها لاحتضان الشيخ ، وأشرعت أبوابها لاستقباله ، وارتمى كثير منها عند قدمه ، فلم تظفر منه بشيء من ذلك ، يهرب من الأضواء ، ويكره الضجيج ، ويبتعد عن مواطن الشبه ، مهما أوّلت له التأويلات ، وذكرت له المبررات .

كان – رحمه الله – لا يسمح لأحد من الشعراء والأدباء بإنشاد الشعر في إطرائه أو مديحه ، وإذا تجرأ بعضهم على شيء من ذلك فإنه يوقفه في أثناء القصيدة ، ولا يدعه يكملها ، وقد حدث ذلك أمامي مرّات كثيرة ، أما أنا فقد أنشدت كثيراً من القصائد في حضرته ومدحته فيها وأثنيت عليه ثناءً عاطراً ، وتغنيت بحبي له ، وإجلالي له ولم يمنعني من ذلك أبداً ، وهي ميزة أباهي بها وأحمد الله عليها ، ولقد كان عدد من العلماء والفضلاء يستغربون ذلك ويقولون كنا نتوقع أن يمنعك الشيخ فلم يحدث ذلك ، فأقول لهم ذلك فضل الله عليّ .

لقد كنت أعلم أن سماحته يُكنّ لي مكانةً خاصة ، كم شنّف أذني مرات كثيرة وأسعد قلبي ، وأبهج روحي بدعاءه لي بدعوات تملأ النفس سروراً والقلب حبوراً ، وكل ذلك في كفة ، وكلمته التي رددها لي مراراً في كفّه ، وهي قوله في أكثر من مرّة : «أنت يا شيخ ناصر مكان الروح ، أو محل الروح» ، فوالله مما يسرّني أن لي بها الدنيا بما فيها .

كان – رحمه الله – يخصني بأشياء كثيرة تدل على محبته لي – رحمه الله – من ذلك أن الشيخ لم يكن يسمح لأحدٍ بتقبيل كفِّه إلا في النادر ، بعداً عن الغلوّ من جانب المحبين ، وبعداً بنفسه عن مظاهر الإعجاب والكبير ، أما أنا فكنت أحضى بتقبيل ذلك الكف كلمّا لقيت سماحته – رحمه الله – ، ومن ذلك أنه حينما يكون بمكة لا يستجيب لدعوة أحد إلا ما ندر خشية أن يكلِّف على الناس ، وخشية أن يقع في

حرج مع الناس ، فإذا أجاب دعوة أحد يقول الآخر لماذا لم تُجب دعوتي وأما أنا فقد كان يخصني بآخر يوم من إقامته بمكة ، وأشرف به في منزلي ، وهو يختار هذا اليوم ، حتى لا يحرج بعدي مع أحد :

يا مرحباً بإمام قدره عالي
وصوته عندنا مستعذب غال
يا مرحباً يا إمام الحق أنفسنا
قامت تحييك في حب وإجلالِ
ما أعظم الأنس يا أغلى الضيوف فقد
جدتم علينا وأنتم أهل أفضال

لقد كنت أسمع منه دائماً قوله لي : « جعلك الله مباركاً » ، لقد كان – رحمه الله – يحب خُطَبي ، ويثني عليها دائماً ، وقد طُلب منه أن يلقي كلمة أو يعلِّق بعد الخطبة أحياناً ، فكان يقول خطبة الشيخ ناصر فيها البركة . وآخر خطبة حضرها عندي – رحمه الله – تأثّر بها كثيراً ، وأعجب بها إعجاباً بالغاً ، وقال لي بالنصِّ : « إنها خطبةٌ عظيمة خطبةٌ نفع الله بها كثيراً ، بارك الله فيك ، بارك الله فيك » فما كنت أجيبه إلا بقولي : ما أنا إلا ثمرةٌ من ثمار جهدك – حفظك الله – كل ذلك في ميزان حسناتك ، فالمسجد والإمام والعلم والخطبة كلها من ثمار عطائك العظيم ، كانت هذه الخطبة في ١٤١٩/١٢/٣٠ هـ أي قبل وفاته بستة وعشرين يوماً ، وكانت عن وداع العام ومحاسبة النفس ولم أدر أنني أُودع العام ، وأودع معه سماحة الإمام ، فلا حول ولا قوة

إلا بالملك العلاّم .

دعاني في يوم من الأيام بعد الفراغ من إنشاء المسجد على أكمل وجه ، فقال : يا شيخ ناصر أنت تعبت وتكلفت معنا في مشروع المسجد ، فنريد أن نأمر لك بمبلغٍ من المال مقابل تعبك وجهدك وخسائرك ، فقلت له : يا شيخ والله لا آخذ منك شيئاً ، وإن دعوةً واحدةً منك ، هي أحبّ إليّ من الدنيا بما فيها .

وكان يجلس معنا فضيلة أخي الشيخ محمد الموسى – مدير مكتب منزل الشيخ – فانطلق لسان الشيخ بأجمل عبارات الدعاء الذي ظهرت بركاته ، وحَسُنت ثمراته ، ففتح الله عليّ من أبواب جوده وآتاني من كريم عطائه ، فله الحمد كله ، والشكر كله .

لقد كنت أحب زيارة الشيخ بعد صلاة الفجر ، وأشاركه في تناول حبات من التمر ، وأتناول القهوة معه ، وأظفر بقبلة على جبينه ، ودعوةٍ من دعواته فَأَنْطَلِق وأنا أشعر بالسعادة والغبطة طيلة يومي .

من قام يشدو بمدح في سماحته
يأبى وينكر هذا أي إنكار
إلا أنا كان يوليني رعايته
ولا يصادر أشعاري وأفكاري
وحين أصدح بالرنان من خطبي
يدعو ويثني بلفظٍ منه معطار

يدري بأني مُحبٌّ مرهف ثَمِلٌ
وكان بالمنطوي في خافقي داري
أنا الذي عشت في أعماق سيرته
وجُلُّهم كان في بيداء مقفار
بذلت حبي وأوزاني وقافيتي
وسوف أحيا وفياً دون إخفار

يقول أحد تلاميذ الشيخ – رحمه الله – (الشيخ فهد البكران) في مجلة الدعوة العدد (١٦٩٣) : «أحد طلاب العلم كتب قصيدة جميلة في سماحته تجاوزت خمسين بيتاً وكلها في مدح الشيخ والثناء عليه بماهو يستحقه ، فسألته هل علم الشيخ عن هذه القصيدة فقال .. لا أظن قلت إذن أعطني نسخة منها لاقراها على سماحته .. ذهبت من تلك اللحظة لمنزل الشيخ رحمه الله ، وجلست معه وأخبرته بالقصيدة فقال سماحته – رحمه الله – والله لانرغب في ذلك ولكن اقرأها . ثم بدأ سماحته يستغفر الله ويحوقل .. وكلما قرأت بيتاً زاد تسبيحه وذكره لله .. حتى فرغت من سبعة أبيات عندها قال لي .. هل تريدون نشرها في مجلة الدعوة ؟ قلت : إن أذنتم لنا بذلك .. فقال لا .. لا .. مزقها مزقها !! ، ثم أشاح بوجهه إلى الجهة الأخرى وهو يستغفر الله ويردد لا حول ولاقوة إلا بالله» .

٦ - النصح الصادق لكل مسلم :

قـال تعـالى : ﴿ **كنتم خيـر أمـةٍ أخـرجت للناس تأمـرون بالمعـروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

وقـال تعـالى : ﴿ **ادعِ إلى سـبـيل ربك بالحكمـة والموعظة الحسنة وجـادلهم بالتي هي أحسَن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبـيله وهو أعلم بالمهتدين** ﴾ [النحل : ١٢٥] .

وقال تعالى : ﴿ **ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين** ﴾ [فصلت : ٣٣] .

ولقد كان ديدن الأنبياء جميعاً – عليهم السلام – النصح الصادق للـه ولكتـابه ولرسـوله وللمؤمنين ، وكـان منطقـهم جـميعـاً ، ولسـان حالهـم : ﴿ **أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين** ﴾ .

وفي الحديث الصحيح عن تميم الداري – رضي الله عنه – قـال ، قـال رسـول الله ﷺ : « الدين النصـيحـة » ، قلنا : لمن؟ قـال : « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » [رواه مسلم] .

والله لقد كـانت حياة شيخنا – رحمـه الله – صورة صادقة لهـذا الحديث الكريم .

ويقول جرير بن عبد الله – رضي الله عنه – : « بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم » [متفق عليه] .

لقد كان الشيخ – رحمه الله – صادقاً مع نفسه ، صادقاً مع أهله ، صادقاً مع طلابه ، صادقاً مع ولاة الأمر وذوي السلطان ، فالشيخ – رحمه الله – لا يقول إلا ما يؤمن به ، ولا ينطق إلا ما يعتقد ، ولذلك فإن ما يمكن أن يدعو به لملك ، أو يثني به على أمير لا ينافقه به في وجهه وينطق به أمامه فقط ، أو يتزلف به في منتدى لأجل حضوره فيه فما قال في العلن يقوله في السر ، وما يعتقده سراً يصدح به جهراً فليس لذرة من محاباة أو مجاملة كاذبة ، أو نفاق طريق إلى قلبه .

وقد كان – رحمه الله – حريصاً على إسداء النصيحة لكل الناس في كل مناسبة ، وفي كل مجلس ، وفي كل موقف ، وفي كل مكالمة هاتفية ، بل كنت أراه حينما يأتي إليه بعض المُطَلِّقين بمسائل شاقة ومعقدة ، يستمر مع الواحد أحياناً وهو يسمع أقواله وأقوال امرأته ووليها وغير ذلك يستمر أحياناً ساعات طويلة ، ومع ذلك لم يكن هَمُّه أن يفتي لهم في المسألة فقط ، بل كان يشفع فتواه بنصح مشفق ، وتوجيهات كريمة ، لا يدّخر النصيحة عن أحد مهما كان .

جاءه مسئولٌ كبير في يوم من الأيام فكان الشيخ جالساً وهذا المسئول قريباً منه ، وهو مرتدٍ عباءته الطويلة ، فحينما أراد الشيخ القيام كأن قدمه وطئت طرفاً من عباءة المسئول ، فعرف الشيخ أنها طويلة ، فقال له : فلان ، قال : نعم ، قال : إيش هذا بشتك طويل هداك الله ! .

وما أروع أساليب الشيخ في تقديم النصيحة ، وما ألطفها ، وما

أمضى وقعها في النفوس ، لا تجريح ولا تعنيف ولا تأنيب ، بل هو اللطف والعطف والرفق .

لقد كان – رحمه الله – يأخذ بلبي ، ويمتلك قلبي بنصائحه القيمة ، وتوجيهاته الغالية ، كان إذا أراد أن يقدم لي نصيحة ، أو ينبهني على خطأ ، يناديني قريباً منه ، ثم يبتسم ، ثم يهمس في أذني بلطف : « أقول بارك الله فيك ، لو لاحظت كذا ، لو تنبهت لكذا ، لو فعلت كذاك جزاك الله خيراً » فأجد الكلمات تنساب إلى قلبي ، وإلى حنايا نفسي ، وكأنها الماء البارد على شدة العطش ، لقد كان يقدم نصيحته كما لو أنه هو التلميذ ونحن الأساتذة ، وهو المريد ونحن الشيوخ ، وليس ذلك خاصاً بي بل هذا طبعه وديدنه – عليه رحمة الله – مع كل الناس .

٧ - الزهد في الدنيا وحطامها :

قال تعالى : ﴿ **اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حُطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور** ﴾ [الحديد : ٢٠] .

ويقول ﷺ : « نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد ، ويهلك آخرها بالبخل والأمل » [صحيح الجامع ، رقم : ٦٧٤٦] .

وقرأ ﷺ قوله تعالى : ﴿ **ألهاكم التكاثر** ﴾ ، ثم قال : « يقول ابن آدم مالي .. مالي ، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت » [رواه مسلم] .

إذا اختبر الدنيا لبيبٌ تكشفت
له عن عدو في ثياب صديق

ويقول ﷺ : « إن الدنيا حلوة خَضِرة ، وإن الله تعالى مستخلفكم فيها ، فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء » [رواه مسلم] .

وكان ﷺ يقول : « اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة » [متفق عليه] .

يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه : مثل الدنيا مثل الحية ليّنٌ مَسّها ، قاتل سمها ، فأعرض عما أعجبك منها لقلة ما يصحبك منها ، وضع عنك همومها ، لما أيقنت من فراقها ، وكن أحذر ما تكون لها وأنت آنس ما تكون بها ، فإن صاحبها كلما اطمأن منها إلى سرور ، أبعده عنها مكروه ، وإن سكن منها إلى إيناس ، أزاله عنها إيحاش .

هي الدار دار الأذى والقذى
ودار الفناء ودار الغِيَرْ
فلو نلتها بحذافيرها
لمُتّ ولم تقضِ منها الوطرْ

أما سماحة الشيخ – رحمه الله – فما كان والله يلقي لها بالاً ،

ولا يقيم لها شأناً ، ولا يحسب لها حساباً ، أعرض عنها مستعلياً عليها فأقبلت إليه وهي راغمة ، إن هذا الشيخ ليس فيه من صفات أهل الدنيا إلا أنه يعيش بينهم ، وإلا فأنت والله ترى رجلاً من أهل الآخرة قلبه هناك ، وفؤاده هناك ، يجلس إلى الناس وقلبه في الملأ الأعلى ، ويتحدث معك وروحه مع خالقه .

إذا كان حب الهائمين من الورى
بليلى وسلمى يسلب اللب والعقلا
فماذا عسى أن يفعل الهائم الذي
سرى قلبه شوقاً إلى الملأ الأعلى

سُئل الشيخ عبد الرحمن بن عتيق المسئول المالي لسماحته : هل سئلك الشيخ في يوم ما عن الراتب متى يأتي ، أو متى يصرف ، أو شيء من هذا؟ ، وهل سئلك في يوم ما قدر الراتب ، كم هو؟ فقال : والله ما سئل عن ذلك أبداً ، وإنما كان يسأل عن رواتب الناس ، ويحض على عدم تأخيرها .

إن أمر هذا الشيخ كان عجباً ، ولولا أنها حقائق رأيناها وعشناها لقلنا إنها من عالم الخيال .

أتيته في يوم من الأيام فأخذت أتوسل إليه ، وأترجاه وأحاول معه أن يوافق لي على السعي في شراء هذا المنزل الذي يسكنه بمكة، فهو ليس له بل هو مستأجر ، فحاولت إقناعه ، وقلت له لا أريد منك إلا الموافقة

والباقي عليّ ، فقال لي : اصرف النظر عن هذا الأمر ، أي شيء تحتاجه مني في مساعدة أو شفاعة للمسلمين فلا تتردد ، أما لي أنا فلا .

ولم تكن هذه حادثة فريدة ، أو قصة وحيدة لسماحته فإن سجل حياته قد ضمخ بعبقٍ من هذه المواقف الماجدة ، انظر إلى قصة حصولة على جائزة الملك فيصل - رحمه الله ، تلك الجائزة التي لها مكانتها الدولية وثقلها العالمي ، لم يكن في باله وهو يتسلمها أن يفرح بهذا المبلغ المغري الذي جاءه من غير تطلعٍ أو استشراف نفس ، لم يفرح به ليطور به بعض الضروريات الحياتية لأهله وأبنائه ومنزله أو يشتري به أرضاً أو يقيم به سكناً ، بل انطلق لاستلامه وهو يحمل هموم الأمة الإسلامية في كل مكان ، ومن ضمن ذلك دار الحديث الخيرية بمكة المكرمة التي وقفت على خدمة السنة ، ودراسة الهدي النبوي ، وتحوي بين جنباتها عدداً هائلاً من أبناء العالم الإسلامي ، الذين ينهلون من علمها ، ويستنيرون بنورها ، ولكن أوضاعها المادية متردية ، وميزانيتها ضئيلة ، إنها بحاجة إلى يدٍ خيّرة تشد من أزرها ، وتدفع عجلتها ، ومَنْ إذاً إن لم يكن عبد العزيز بن باز - رحمه الله - وإليكم بيان الجائزة مع نص كلمة الشيخ - رحمه الله - :

بسم الله الرحمن الرحيم

براءة جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام

إن هيئة جائزة الملك فيصل العالمية بعد اطلاعها على نظام جائزة الملك فيصل العالمية المصادق عليه من مجلس أمناء مؤسسة الملك فيصل الخيرية بالقرار رقم ١١/٦٦/٩٨ وتاريخ ١٠/٨/١٣٩٨هـ وعلى محضر لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام بتاريخ ١٦ ربيع الأول ١٤٠٢هـ تقرر منح صاحب السماحة الشيخ عبد العزيز ابن عبد الله بن باز جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام هذا العام ١٤٠٢هـ وذلك لخدماته الجليلة المتمثلة فيما يأتي :

١ – تنوع نشاطاته في ميادين الدعوة الى الله ، ومثابرته على الجهاد والنضال والعمل الصالح في هذا العصر .

٢ – التزامه بالإسلام التزاماً عملياً في فكره وسلوكه ، ومنهجه في الحياة ودعوته إلى ذلك .

٣ – اسهاماته القيمة في مجالات البحوث والدراسات ، وفي حقل التعليم الإسلامي ، ونشر الكتاب الإسلامي بجميع أنواعه ، وتعميم توزيعه في أطراف العالم ، حتى غدا علماً بارزاً من أعلام الثقافة الإسلامية .

٤ – حرصه على إيجاد الحلول المناسبة لقضايا الإسلام والمسلمين في الديار والأصقاع المختلفة .

٥ – دعمه للجهاد الإسلامي في كل بقاع العالم .

٦ – مساندته المشاريع الإسلامية ، وحث العلماء والأشخاص والهيئات على مساعدتها والمشاركة بها .

وإن هيئة الجائزة إذ تمنحه ذلك ، تسأل الله أن يبارك في جهوده الخيرة ، وأن يمده بعنايته وجميل رعايته ، حتى يواصل عمله في خدمة الإسلام والمسلمين .

والله ولي التوفيق

خالد الفيصل بن عبد العزيز

رئيس هيئة الجائزة

نص كلمة سماحته في الحفل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة والسلام الأتمان والأكملان على نبينا وإمامنا عبد الله ورسوله وأمينه على وحيه وخيرته من خلقه محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيله واهتدى بهداه الى يوم الدين .. أما بعد .

فإني أشكر الله عز وجل على ما من به سبحانه من هذا اللقاء المبارك لتقدير العلم وحملته ، وإجراء ما يحصل به تشجيع العاملين في خدمة الإسلام والدراسات الإسلامية والأدب العربي والإسلامي وسائر ما ينفع العباد كالطب النافع ولا سيما في التخصص الذي ينفع الأمة وهكذا العلوم التي تنفع الأمة . ثم أشكر جلالة الملك خالد وسمو ولي عهده الأمين المكرم فهد وأصحاب السمو أبناء جلالة الملك فيصل تغمده الله برحمته على ما قاموا به ويسروه من إنشاء هذه المؤسسة المباركة مؤسسة الملك فيصل الخيرية ، وعلى ما بذلوه من عناية ودعم لها وتأييد لمشاريعها ، فأسأل الله عز وجل أن يوحد صفوفهم وأن يكلل

جهود العاملين في هذه المؤسسة بالنجاح والصلاح والفلاح ، وأن يضاعف مثوبتهم وأن يعم نفع هذه المؤسسة لجميع المسلمين خصوصاً ولجميع العالم بوصف عام وأن يوفق أمراءنا وأثرياءنا وسائر المحبين للخير للمساهمة في دعم هذه المؤسسة حتى يصل هدفها الى جميع العاملين في الميادين النافعة للمسلمين ، والتي من شأنها أن ترفع مستوى العلم وأهله ، وأن تنفع العالم كله فيما يرضي الله ويقرب لديه ، ويباعد عن غضبه وأسباب نقمته ، وإن بذلنا في تشجيع المشاريع الخيرية والأعمال النافعة وتحفيز العاملين لصالح الإنسان والمسلمين من أهم المهمات ، ومن أفضل القربات لكن ينبغي أن يعلم أن الواجب على العاملين في الميدان الإسلامي أن يخلصوا أعمالهم لوجه الله وأن يخلصوا في ذلك وأن يطبقوا أعمالهم على ما يقتضي الشرع المطهر وألاّ يقصدوا بأعمالهم حظاً عاجلاً من مال أو ثناء أو غرض آخر . بل يقصدون بذلك وجه الله عز وجل وابتغاء مرضاته ونفع المسلمين وغيرهم من العالم في إخراجهم من الظلمات الى النور ، ويقصدون به تيسير النفع لهم الذي من شأنه أنه يرضي الله ويقرب لديه ومع ذلك لا مانع من أن يأخذوا من المال ما يلزم لهم من غير سؤال ولا إستشراف نفس .

ثبت في الحديث الصحيح عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ كان يعطي عمر بن الخطاب العطاء فيقول له عمر : أعطه يا رسول الله من هو أفقر اليه مني ، فقال رسول الله ﷺ خـذه فتموّله أو تصدق به ، وما جاءك من هذا المال وأنت غير مستشرف ولا سائل

فخذه وما لا فلا تتبعه نفسك » أخرجه مسلم في الصحيح . وعلى هذا الأساس فإني أتقبل هذه الجائزة وأشكر القائمين على شأنها وأسأل الله لهم المزيد من التوفيق ، ولكونها بذلك من أجل الخدمة الإسلامية أسأل الله أن يعيننا على ما يجب علينا من خدمة الإسلام والمسلمين وأن يكلل الجهود بالنجاح والصلاح وأن يعفو عنا ما قصرنا فيه فإن التقصير كثير ، لكن نسأل الله أن ينفعنا لتقديم الخير وأن يعفو عنا وعن إخواننا جميعاً فيما قصرنا فيه ، وأن يمنحنا جميعاً النشاط والقوة في ميدان الحق ونفع المسلمين في كل مكان قولاً وعملاً .

وبناء على هذا وأني حصلت عليها بسبب تقدير إخواننا في الهيئة طبعاً تقديراً على الخدمة الإسلامية فإني أبذلها أيضاً وأهديها أيضاً إلى دار الحديث الخيرية الأهلية المكية معونة لها على ما تقوم به للخدمة الإسلامية ، فإن دار الحديث الخيرية الأهلية بمكة تخدم المسلمين أيضاً وتخدم أبناءهم في سائر أرجاء المعمورة من أفريقيا وآسيا وغيرهما ، وقد افتتحت عام اثنين وخمسين وثلاث مائة وألف من الهجرة النبوية بواسطة سماحة الشيخ عبد الظاهر أبي السمح إمام المسجد الحرام في ذلك الوقت . لقد تقدم الشيخ عبد الظاهر وطلب من جلالة الملك عبد العزيز – رحمه الله – أن يوافق على افتتاحها في مكة لحاجة المسلمين إليها ولا سيَّما الغُرباء وأيده بذلك سماحة الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ – رحمه الله – رئيس القضاة بالمنطقة الغربية في ذلك الوقت . فحين ذلك وافق الملك عبد العزيز – رحمه الله – وأذن

بافتتاحها في العام المذكور عام اثنين وخمسين وثلاث مائة وألف للهجرة النبوية ولم تزل سائرة الى يومنا هذا . والتحق بها في هذا العام ثلاث مائة وخمسون طالباً من أنواع الجنسيات من أفريقيا . . وغيرها وهي تحتاج الى الدعم والمساعدة ولهذا رأيت أن تكون هذه الجائزة دعماً لها ، لدار الحديث الخيرية الأهلية وأسأل الله أن ينفع بها المسلمين وينفع بها المؤسسة التي هي مؤسسة الملك فيصل – رحمه الله – . وأن يبارك للقائمين عليها ويجعلهم هداة مهتدين . ولا يفوتني في هذا المقام أن أقترح أن تعنى هذه المؤسسة بالمدارس الإسلامية والجمعيات الإسلامية والمراكز الإسلامية والاتحادات الإسلامية وأشباهها مما يحتاج إلى دعم ومساعدة حتى يكون لها المشاركة العظيمة في تأييد هذه المؤسسات وفي تشجيعها وفي سد بعض حاجاتها ، لأنها جديرة بأن يكون لها دخل يقوم بها ، جديرة بالدعم والمساعدة فيما ينفع المسلمين وفيما يرفع المستوى الإسلامي في أرجاء الدنيا .

جرت العادة من الناس بالتصفيق عندما يسمعون كلمة مناسبة أو يرون شيئاً مناسباً وقد دلت السنة على أن السنة عندما يسمع الناس شيئاً طيباً أو شيئاً مستنكراً أن يكبروا ، ويكبروا عند سماع الطيب استحساناً له وفرحاً وتشجيعاً ، ويكبروا عند سماع غير الطيب تنزيهاً للشريعة وتنزيها للمجتمع ذاك عما ليس بطيب ، وتنبيهاً أنه ينبغي رفضه ، ومن هذا ما ثبت عن النبي ﷺ وأصحابه أنه لما قال لهم : إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة قال : فكبرنا ، قال : إني لأرجو أن

تكونوا ثلث أهل الجنة قال : فكبرنا ، قال : إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة قال: فكبرنا . وكان ﷺ إذا رأى ما يعجبه قال : الله أكبر الله أكبر سبحان الله ، وكان إذا رأى ما يسوؤه ويحزنه كبر الله تنزيهاً أيضاً وسبحه تنزيها ، فينبغي لنا أن نسلك هذا المسلك ولا سيما المجتمعات الإسلامية وفي الدول الإسلامية لأنه يقتدى بها فالتكبير إذا صدر من الجميع فله وقع حسن أسوة بنبينا ﷺ وأصحابه الكرام . هذا آخر ما أقول وأسأل الله للجميع التوفيق والهداية وصلاح النية والعمل وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان » .

* * *

ومن هذه القصص الخلابة قصة سماحته المعروفة والمشهورة في المدينة المنورة ، حينما كان رئيساً للجامعة الإسلامية فزاره الملك فيصل – رحمه الله – وأمر ببناء قصرٍ لسماحته يتوافق مع مكانته العلمية والدينية والاجتماعية ، وبعد أن تم بناء القصر ، جاؤوا إلى سماحة الشيخ ليسجلوا صك القصر باسمه ، فرفض ذلك ، وقال يبقى القصر باسم رئيس الجامعة الإسلامية ، كلّ من تولى رئاسة الجامعة فالقصر سكن له .

ولقد كان أثاث مكتبه ومنزله أثاثاً عادياً ومتواضعاً إلى أبعد مدى ولقد كان يأتي كثير من الوجهاء والأمراء فيعرضون على الشيخ تجديد الأثاث وتغيير المتاع وتحسين الوضع ، وكان لا ينظر إلى ذلك ، ولا يهتم

بما هنالك ، فهو ممن اشتغل بالجوهر ولم يعط كثير اهتمام للمظهر.

لقد كان رحمه الله يتمثل وصية النبي ﷺ للرجل الذي قال له : يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله ، وأحبني الناس ، فقال ﷺ : « ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس » [رواه ابن ماجة : ٤١٠٢] .

٨ - حسن الخلق ، والتواضع ، والرفق ، ولين الجانب :

قال تعالى : ﴿ **والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسنُ فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم * وما يُلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم** ﴾ [فصلت : ٣٥] .

ويقول ﷺ : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ، وخياركم خياركم لنسائهم » [رواه الترمذي : ١١٦٢] .

ويقول ﷺ : « ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق » [رواه الترمذي : ٢٠٠٥] .

ويقول ﷺ : « إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، وما لا يعطي على ما سواه » [رواه مسلم] .

ويقول ﷺ : « يسِّروا ولا تعسّروا ، وبشروا ولا تنفّروا » [متفق عليه] .

هذه الأخلاق والصفات لم تكن غائبة عن حافظ القرآن ، وحافظ السنة ، حفظها ووعاها ، واعتنى بها ورواها ، وتمثلها واقعاً ملموساً ، وخلقاً مشاهداً .

هيْنُون ليْنُون أيسار بنو يسرٍ
صيدٌ بها ليل حفّاظون للجار
لا ينطقون عن الفحشاء إن نطقوا
ولا يمارون إن ماروا بإكثار
من تلقْ منهم تقلْ لاقيت سيِّدهم
مثل النجوم التي يسري بها الساري

صفات حميدة وخلال مجيدة ، وأخلاق فاضلة ، يعجز القلم إذا ما أراد أن يجلِّي روائع ذلك الخلق البديع ، والأدب الرفيع ، ولكنني أعبِّر باختصارٍ ، وأصف لكم خلقه بإيجاز ، لقد كانت أخلاقه أخلاق النبوّة انظر إلى حسن خلقه ﷺ ، وإنك لن تجد فعلاً أو قولاً أو خلقاً أو سنةً من سننه ﷺ إلا وهي ماثلة في سماحة الشيخ - رحمه الله - لقد أحب الله فامتثل أوامره ، وأحب نبيه ﷺ فتخلّق بأخلاقه ، وحرص على تطبيق السنة بحذافيرها .

بعض الناس قد يطبق السنة ، ولكن ما راق له منها فقط ، وما وافق هواه ، وتمشى مع واقعه ، أما الشيخ فلم يدع منها شيئاً ، تمثلها روحاً وواقعاً ، وفكراً وهاجساً ، ليس مجرد كلام يقال ، وليست

أحـاديث يرويهـا ، وفـعله ينافـيهـا ، بل هو القـول والفـعل ، والدعـوى والبـينة ، والمقـال والفـعـال ، ومن أعـظم مكـارم الأخـلاق التي تمثلـت في حيـاته إضافـة إلى ما سبق ، التسـامح والتـواضع ، بلغ منزلة في التـواضع بعـيدة المدى ، عـمـيقـة الأثر ، تواضع لله فـرفعـه الله ، وركل بقـدمـه كل مظاهر الكبر والبهرج والغطرسة وحب الذات .

جاءه بعض الناس فقال له : يا سماحة الشيخ ، بعض الفضلاء يرون أنك إذا جلست مع الناس وقت الغداء والعشاء وغيرها أنه يجلس معك العـاملون والموظفـون والعـرب والعـجم والفـقـراء ودهمـاء النـاس ، وأن في هذا حرج من بعض كـبار الضـيـوف والزوّار ، فنحن لا نقـترح عليك ترك إطعـام الناس وفـتح المنزل لهـم ، ولكـن لِيَكُنْ لهـم مـجلس خـاص ، ومكـان خـاص لأكـلهـم وشـربهـم ، وأنـت وخـواص ضـيـوفك يوضـع طعـامكـم في مكـان خـاص ، فـتـغـيـر وجـه الشـيخ من هـذه المقـوله ، وقـال : مـسـكين مسـكين صاحـب هـذا الرأي هـذا لـم يتلـذذ بالجلوس مع المسـاكين ، والأكـل مع الفـقـراء ، أنا سأسـتمر على هذا ، وليس عندي خصـوصيات ، والذي يستطيع أن يجلس معي أنا وهؤلاء الفقراء والمسـاكين يجلس ، والذي لا يعجبه وتأبى نفسه فليس مجبوراً على ذلك» .

إن الشـيـخ - رحـمـه الله - يمضـي على نور من كـتـاب الله الذي يقـول : ﴿ **واصـبـر نفـسك مع الـذين يدعـون ربـهم بالغـداة والعـشيّ يريدون وجهه ولا تعدُ عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تُطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمرُهُ فُرطا** ﴾ [الكهف : ٢٨] .

وقوله تعالى : ﴿ فأما اليتيم فلا تقهر * وأما السائل فلا تنهر ﴾ .
[الضحى : ٩ – ١٠]

ويمضي على هدي النبي ﷺ فهو القائل : : « أبغوني الضعفاء فإنما تنصرون وترزقون بضعفائكم » [رواه أبو داود] .

ولكنه – رحمه الله – مع تواضعه الجم وأدبه الرفيع ، كان مهاباً عند الناس على مختلف مستوياتهم ، يهابه الأمراء والوزراء ، ويجلّونه ويبجلونه ، يهابه العلماء والمفكرون ولا يتقدمون بين يديه ، يهابه الصغير والكبير ، والقريب والبعيد ، بل رأيت الملازمين له الذين قد أخذوا عليه ، وأخذ عليهم ، لما لهم من سنوات طويلة وهم في صحبته رأيتهم حينما يدلف إليهم أو يقبل عليهم ينهضون استقبالاً له ، ويصمتون إجلالاً له ، ويُطْرقون احتراماً له .

ولقد كنت أجد له من المهابة والجلال في نفسي ما يجعلني أذوب حياءً منه ، وأُفعَم إكباراً له ، وعلى الرغم من أنني من المقربين إليه ، ولا أذكر أنه ردّ لي قولاً ، أو رفض لي شفاعة ، فقد كنت أحياناً كثيرة أتحمّس للحديث معه في أمر معين ، فأزوِّرُ كلاماً في صدري ، وأُرتِّب أفكاري ، وأستجمع قواي ، وكان يداعبني – رحمه الله – كعادته مع كثير ممن يحب ، فإذا أتيته وقلت له يا سماحة الشيخ عندي أمر هام ، وموضوع ملح أريد أن أكلم سماحتكم فيه ، يبتسم ثم يقول : خير خير إن شاء الله ، عسى ما هو زواج ، ومع كل هذا التواضع منه والتلطف إلا أنني والله كنت أجد له من المهابة ما يضيّع أفكاري ، ويبعثر معلوماتي ، ويربك كياني ، ولا ينطلق لساني .

تواضع للبعيد والقريب ، لم يفرق في حسن خلقه بين الأمير والفقير ، والرئيس والمرؤوس .

في مرّة من المرات أساء الأدب معه بعض الوافدين من الذين يؤويهم الشيخ ويقيمون تحت رعايته وكفالته ، فجاءه في أيام إجازة وعيد وأخذ يرفع صوته ويخاصم في مجلس الشيخ ، ويقول : لماذا ما أنهيتم إجراءات إقامتي ، فقال الكاتب يا شيخ هذا طبعه دائماً صدره ضيق ، ومماحكاته كثيرة ، فلم يزد الشيخ على أن قال : هؤلاء مساكين وأغراب ولا يعرفون مصطلحاتكم فارحموهم وارفقوا بهم وتحملوهم ، ألم تسمعوا بقول النبي ﷺ : « اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به ، ومن ولي من أمرهم شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه » .

ومما يذكر هنا مما يدل على صبر الشيخ وتحمّله ورفقه بالناس ، القصة التي يذكرها معالي الدكتور محمد الشويعر ، المستشار بمكتب سماحته : « جاءه شخص وحرص على مقابلة سماحة الشيخ – رحمه الله – في جلسته المعتادة بعد المغرب للناس فقلنا تريده في المجلس فقال : لا على انفراد ، عندها أخبرنا سماحة الشيخ – رحمه الله – فقال : ليحضر ذلك الرجل ، فجاء ، فقال لسماحة الشيخ : إنني رأيت رؤيا وحُلُماً ، فقال الشيخ – رحمه الله – وما هو؟ ، قال : إنني رأيت الرسول ﷺ ، فقلت له : يا رسول الله إن عندي مشكلة ، فقال أرسلها للشيخ ابن باز ويحلّها لك ، فقال : الشيخ ابن باز اكتب لنا هذه المشكلة ، ثم ما هي هذه المشكلة ، فقال ذلك الرجل الوافد : إن مشكلتي أنني ليس عندي إقامة وأريد إقامة ، وأريد أن أبحث عن عمل

فضحك الشيخ - رحمه الله - ومع ذلك قال الشيخ : ابحث من يزكيك نخشى أنك لم تر الرسول ﷺ حقيقة فلم يردّه رغم كذبه وخداعه ، ولم يطرده من مجلسه ، ولم يأت ذلك الرجل لأنه لم يجد من يزكيه في كذبه » . (جريدة الرياض ، ٢٨ / ١ / ١٤٢٠ هـ)

ولقد رأيت أنا من أمثال هذا المشهد قصصاً كثيرة كان يقابلها - رحمه الله - بصبره وعطفه وحلمه .

٩ - الكرم الفياض ، والأريحية النادرة :

الكرم صفةٌ نبيلة ، وسمَةٌ جليلة ، وعادة حميدة ، خُلُقٌ محمود ، وحوض مورود . الكرم دليلٌ على كرم النفس ، وطيب الأصل ، وجمالِ الطبع ، وصفاء القلب ، وحب الخير ، وعشق المعروف ، يجتذب القلوب ، ويصنع الحب ، ويقتلع الضغائن ، ويسُلّ السَّخائم . الكرم حيثما وُجد فاح عبيره ، وعبق عطره ، وضاع أريجه لا يتصف به إلا العظماء ولا يتحلى به إلا النبلاء . أهله ممتدحون ، وأربابه معظمون . هو العمر الثاني للإنسان ، وهو الذكر الباقي للشجعان .

لَعَمْرُكَ ما يغني الثراءُ عن الفتى
إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر
ألم تر أن المال غادٍ ورائحٌ
ويبقى من المال الأحاديثُ والذكرُ

الكريم أينما حلّ فهو كالغيث الهنيء ، إذا نزل بأرض اهتزت وربت

وأنبتت من كل زوج بهيج . والكريم كالظل الوارف يأوي إليه المحتاج ، ويستظل به المنهك ، ويلوذ به المنقطع ، الكريم كالبحر الهادر أحل للناس صيده وطعامه ؛ يستخرجون منه حلية يلبوسنها ، وترى الفلك مواخر في ماء جوده وأمواج عطائه . والكرم حرب على البخل، وثورة على الشح ، وبركان في وجه التقتير ، وطمس لمعالم الأنانية ، ورفع لمقام الإنسانية .

تحلّى به الأنبياء ، وتجمل به العظماء ، وانتسب إليه الأسخياء والكريم اسم من أسماء الله تعالى .

فهو الكريم ومنه الكرم ، بل هو أكرم الأكرمين ﴿ **اقرأ وربك الأكرم** ﴾ فهو أكرم من كل كريم ، وأعظم من كل عظيم ، وأجود من كل جواد ، وقد تسمى جل وعلى بالكريم ولم يتسمّ بالسّخي لأن الكريم : كثير العطاء ووافر البذل ، وعظيم الإحسان من غير طلب أو سؤال ، والسخيّ : هو المعطي عند السؤال ، وكرمه تعالى ظاهر وباطن ، وجَليّ وخفي ، ومادي ومعنوي ، وملموس ومحسوس .

إليه وإلا لا تشدّ الركائب
ومنه وإلا فالمؤمّل خائب
وفيه وإلا فالغرام مضيّع
وعنه وإلا فالمحدث كاذب

والكرم سمة من سمات الأنبياء – عليهم السلام – ولقد كان النبي ﷺ أكرمَ إنسان ، وأجودَ مخلوق ؛ أعظمُ الناس بذلاً ، وأوفرهم عطاءاً

وأجزلهم إنفاقاً ، ولقد جُبل على الكرم ، وتعود بسط الكف ، وبذل الندى منذ نعومة أظفاره ﷺ .

حينما بدىء بالوحي فعاد خائفاً وجلاً إلى خديجة – رضي الله عنها – قالت له : « والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم ، وتقري الضيف ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق » .

[رواه الشيخان]

يقول أنس – رضي الله عنه – ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه فقال : يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر» .

[رواه مسلم]

لقد كان ﷺ يؤثر على نفسه وأهله ويعطي عطاءً يعجز عنه ملوك الدنيا وكان أجود بالخير من الريح المرسلة .

ما قال لا قط إلا في تشهده
لولا التشهد كانت لاؤه نعم
يكاد يمسكه عرفان راحته
ركنُ الحطيم إذا ما جاء يستلم

قال جابر : « ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال : لا » [صحيح مسلم]

يقول ﷺ : « ما من يوم يصبحُ العبادُ فيه إلا ملكان ينزلان ، فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفا » [متفق عليه] .

ويقول ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » [رواه مسلم] .

ولقد ضرب الصحابة – رضوان الله عليهم – أروع الأمثلة في الكرم فهذا عثمان بن عفان – رضي الله عنه وأرضاه – الذي كان يجيش الجيوش ، ويطعم الطعام ، ويسقي العطشى ، ويكرم الجوعى ، حتى قال ﷺ : « ما ضرّ ابن عفان ما فعل بعد اليوم » [رواه أحمد] ، وعبد الرحمن بن عوف الذي قدمت له سبع مائة راحلة تحمل البر والدقيق والطعام ، فلما وصلت المدينة أنفقها كلها بأحمالها وأحلاسها في سبيل الله ، وقد كان أهل المدينة كلهم عيال عليه ، ثلث يقرضهم من ماله ، وثلث يقضي دَيْنهم ، وثلث يصلهم ويعطيهم .

إن هذه الروائع من أخبار الكرم ، وقصص الكرماء ، وعلى رأسهم محمد ﷺ كانت مثلاً أعلى سار على نهجه هذا الشيخ – عليه رحمة الله – بل بلغ فيه شأواً عظيماً ، لقد كان آيةً في الكرم ، أعجوبةً في العطاء . كرم لم تعرف الناس له مثيلاً ، وجود ما رأينا له ضريبا ، خير دائم ، ومائدة ممدودة ، وأبوابٌ مشرعة ، ووجه متهلل ، دون بذخ أو إسراف ، أو مباهاة أو تبذير .

وقد كان لا يأذن لزائر بالذهاب قبل أن يتغدى أو يتعشى معه ، وخصوصاً إذا كان قادماً من سفر أو قاصداً من بُعْد .

ومما يميز كرمه – رحمه الله – أنه لم يكن لعلية القوم ، أو الصفوة من الناس ، بل هو كرم يناله الفقير قبل الغني ، والمعدم البائس ، قبل

صاحب النعمة ، والمنقطع الغريب قبل الأمير والوزير ، لقد ضاعت أخبار حاتم ، وتضاءلت قصص الجود ، أمام جوده الفذ ، وكرمه الفياض.

كان قدوم الشيخ إلى مكة عيدٌ للفقراء والمساكين ، فهم في وجود الشيخ كالحجاج في أيام التشريق : أيام أكل وشرب وذكر لله عز وجل .

يقول لي الشيخ محمد الموسى : «للشيخ قريب اسمه سعد بن عبد المحسن ، عُمره مائة سنة ، وكان سماحة الشيخ يقول هو أكبر مني بعشر سنوات ، قال الشيخ محمد : حدثني هذا الرجل عن كرم الشيخ وأنه جبلةٌ مغروسة فيه منذ صغره ، يقول : كان وهو شاب يافع يحضر دروس سماحة الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم – رحمه الله – ، قال : فإذا انتهى من الدرس وعاد إلى بيته فإذا وجد أحداً في طريقه من طالب علم أو غريب أو ضيف أو جار ، فإنه يلحّ عليه بالدخول ويدعوه إلى الطعام على فقره وعلى ضآلة الطعام . وهكذا استمر – رحمه الله – على كرمه العجيب طيلة حياته ، بل كان يتألّم إذا لم يحظ بضيوف يشاركونه في طعامه .

قبل سنتين في عام ١٤١٧ هـ ، حينما سافر إلى الطائف قادماً من مكة فتح بيته للناس كالمعتاد ، ولم يفد إليه الضيوف والفقراء والمساكين في الأيام الأولى ، وذلك لأن كثيراً منهم لم يعلموا بوصوله بعد فتألم الشيخ ، وقال للعاملين معه ، ما بال الناس لا يأتون ، هل أنتم تعتذرون من أحد أو تغلقون الأبواب في وجوه الناس ، أم ما هو السبب؟ فقالوا : يا شيخ كثير منهم لم يعلم بوصولك ، وبعضهم يحب

أن ترتاح في الأيام الأولى ، فقال اذهبوا وأخبروا الناس ، وأخبروا الجيران وقولو لهم الشيخ يدعوكم ، وبيته مفتوح لكم !!!

لقد تحققت في سماحته - رحمه الله - مراتب الكرم والجود جميعاً ، وهي عشر مراتب ، ذكرها ابن القيم - رحمه الله - وهي :

الأولى : الجود بالنفس . وهي أعلى مراتبه ، كما قال الشاعر :

يجـود بالنفس إن ضنَّ البخيل بها
والجود بالنفس أقصى غاية الجود

الثانية : الجود بالرياسة ، وهي ثاني مراتب الجود ، فيحمل الجواد جودُه على امتهان رياسته ، والجود بها ، والإيثار في قضاء حاجات الملتمس .

والثالثة : الجود براحته ورفاهيته ، وإجمام نفسه ، فيجود بها تعباً وكداً في مصلحة غيره ، ومن هذا جود الإنسان بنومه ولذته لمسامره ، كما قيل :

مُتَيَّمٌ بالنّدى ، لو قال سائله :
هب لي جميع كَرَى عينيك ، لم يَنَمِ

الرابعة : الجود بالعلم وبذله ، وهو من أعلى مراتب الجود . والجود به أفضل من الجود بالمال ؛ لأن العلم أشرف من المال .

الخامسة : الجود بالنفع بالجاه ، كالشفاعة والمشي مع الرجل إلى

ذي سلطان ونحوه ، وذلك زكاة الجاه المطالب بها العبد ، كما أن التعليم وبَذْل العلم زكاته .

السادسة : الجود بنفع البدن على اختلاف أنواعه، كما قال ﷺ : « يصُبح على كل سلامى من أحدكم صدقة ، كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين اثنين صدقة ، ويعين الرجل في دابته فيحمله عليها أو يرفع له عليها متاعة صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وبكل خطوة يمشيها الرجل إلى الصلاة صدقة ، ويُميط الأذى عن الطريق صدقه » [متفق عليه] .

السابعة : الجود بالعرض ، كجود أبي ضمْضم من الصحابة رضي الله عنهم ، كان إذا أصبح قال : « اللهم إنه لا مال لي أتصدق به على الناس ، وقد تصدقت عليهم بعرضي ، فمن شتمني أو قذفني فهو في حل ، فقال النبي ﷺ : « من يستطيع منكم أن يكون كأبي ضمضم؟ » .

وفي هذا الجود من سلامة الصدر ، وراحة القلب ، والتخلص من معاداة الخلق ما فيه .

الثامنة : الجود بالصبر والاحتمال والإغضاء ، وهذه مرتبة شريفة من مراتبه ، وهي أنفع لصاحبها من الجود بالمال ، وأعزّ له وأنصر ، وأملك لنفسه ، وأشرف لها . ولا تقدر عليها إلا النفوس الكبار .

فمن صعب عليه الجود بماله فعليه بهذا الجود ، فإنه يجتني ثمرة عواقبه الحميدة في الدنيا قبل الآخرة ، وهذا جود الفتوة ، قال تعالى : ﴿ **والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارةٌ له** ﴾ .

التاسعة : الجود بالخُلق والبشر ، وهو فوق الجود بالصبر والاحتمال والعفو ، وهو الذي بلغ بصاحبه درجة الصائم القائم ، وإنه أثقل ما يوضع في الميزان .

قال النبي ﷺ : « لا تحقرن من المعروف شيئاً ، ولو أن تلقى أخاك ووجهك منبسط إليه » [رواه أحمد] ، وفي هذا الجود من المنافع والمسار ، وأنواع المصالح ما فيه . والعبد لا يمكنه أن يسعهم ألا بخلقه واحتماله .

العاشرة : الجود بتركه ما في أيدي الناس ، فلا يلتفت إليه ، ولا يستشرف له بقلبه ، ولا يتعرض له بحاله ولا لسانه ، وهذا الذي قال عبد الله بن المبارك : « إنه أفضل من سخاء النفس بالبذل » .

١٠ - كل الناس لديه سواء :

قال تعالى : ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ [الحجرات : ١٣] .

هذه القاعدة الربانية ، وهذا الميزان الشرعي هو الذي مضى عليه شيخنا – رحمه الله رحمة واسعة – في تعامله مع الناس .

يقول ﷺ : « كلكم لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا أسود على أبيض إلا بالتقوى » [مسند الربيع بن حبيب ٢ / ٨] .

ويقول ﷺ : « إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » [رواه مسلم] .

من أجمل ما يميز شيخنا – رحمه الله – أنه كان يعامل الناس معاملةً واحدة ، فكلهم يحظى بعطفه ولطفه واحترامه وتقديره ، الأمير والوزير ، والغني والفقير ، والغريب والقريب ، لا يقيم وزناً للألقاب ، ولا يحابي أحداً لمكانه أو يجامله على حساب غيره من عامة الناس ، هو يحترم جميع الناس ، ولكنه لا يهمل قاعدة « إنزال الناس منازلهم » فإذا جاءه أحد من ذوي المكانة البارزة لا شك أنه يعطيه حقه من الاحترام كاملاً ، ولكن ليس ذلك على حساب الآخرين ، وليست تلك معاملة خاصة بهذا الصنف من الناس .

يقول الدكتور خليل عبد الله الخليل : « يعرف سماحته – رحمه الله – أنساب الجزيرة العربية وعائلاتها وقبائلها ، فتعامل مع الجميع بحب واحترام حاضرة وبادية بدون تفرقة على أساس مناطقي أو عائلي ، الجميع لديه أحباب في الله » .

استمع إلى هذه القصة لأحد الكتاب – وهو الأستاذ خالد حمد السليمان – يروي حادثة له مع الشيخ ، لها دلالات بعيدة المدى ، عظيمة المنفعة ، يقول : « وأذكر موقفاً كريماً غمرني به الشيخ ذات يوم عندما زرته في مكتبه بالرياض عارضاً عليه مسألة تتطلب رأيه فيها .. وعندما دخلت عليه أخذ يسألني أسئلته المعتادة عن اسمي ومن أين أتيت مع الإشادة بي وأسرتي بلطافة كريمة غامرة ، رغم أنه لا يعرفني شخصياً من قبل .. وأثناء الحديث دخل أحد المساعدين وأخبر الشيخ بأن ضيفاً كبيراً من خارج المملكة قادم في الطريق للسلام على الشيخ ،

فأجابه الشيخ بكل هدوء : « حسناً إذا جاء فنحن موجودون » بما معناه أنني لست ذاهباً إلى أي مكان ، وقصد بذلك أن يزرع الطمأنينة في قلوبنا نحن السائلين عن علمه من جلسائه ، وبعد فترة قصيرة شاهدت من نافذة مكتبه بوابات المبنى الخارجية وهي تفتح وموكب سيارات الضيف الكبير تدخل إلى الساحة .. فدخل علينا نفس المساعد منبهاً الشيخ إلى وصول تلك الشخصية ، وهنا وقد كنت أصلاً قد حصلت على كامل إجابة الشيخ في مسألتي ، هممت بتوديعه وشكره وحرصاً على إتاحة المجال لسماحته للاستعداد لاستقبال ضيفه الهام ، ولكنني فوجئت به يمسك بيدي ويسألني بإلحاح شديد ومتكرر ، هل فرغت من كل مسائلتك؟ ، وهل لديك أي مسألة أخرى؟ وهو بذلك يريد أن يبدي اهتمامه بي وأنا السائل الغريب دون أن يهزه وصول الضيف الهام الكبير لأنه ليس ممن تهزهم الأسماء فتبهرهم مظاهر التقرب من العظماء وإنما يهمه أن يؤدي واجبه مرضاة لوجه الله عز وجل الذي ينظر إلى البشر جميعاً نظرة مساواة لا تميزها إلا الأعمال .

لقد دخل علينا ذلك الضيف الهام ، والشيخ ممسك بي لا يفكني خوفاً من أن أكون قد رغبت في الانصراف دون أن أكمل مسائلتي بسبب ذلك الزائر الكبير .. وهنا وجدت نفسي أقبل رأسه مودعاً وداعياً له أن يجعل الله له هذا الموقف في ميزان أعماله الطيبة » .

لم يكن هذا الموقف تكلفاً من الشيخ أو جاء صدفة ، بل هو يعلم يقيناً مدى أثر هذا السلوك على الناس ، ويريد أن يثبت للجميع ما

يجب أن يكون عليه العالم العامل ، إنه بهذا امتثل توجيه الله تعالى لنبيه ﷺ حينما عاتبه بقوله : ﴿**عبس وتولى * أنْ جاءه الأعمى**﴾ ، فلا يريد لهذا الرجل وأمثاله أن يخالط أذهانهم أن الشيخ تركهم أو تشاغل عنهم اهتماماً بكبار القوم ، وعظماء المجتمع .

يقول أحد تلاميذه : « كان يتعامل مع الناس جميعاً بأسلوب واحد وطريقة واحدة غير متكلف ولا متصنع ، على سجيته ،وفطرته ولم تزده المكانة الإجتماعية والوجاهة العلمية والعملية إلا تواضعاً وإحساناً وحباً للآخرين وحسن تعامل معهم رحمه الله » .

بل الأعجب من ذلك كله أن الشيخ لم يكن ينزل نفسه منزلاً مميزاً عن غيره مع العلم أن القلوب مترعة بحبه ، والعقول خاضعة لرأيه ، والأنفس ممتثلة لأمره ، فكان يمشي بين الناس وكأنه من آحادهم ، لم يتباهى بعلمه ، ولم يشمخ بأنفه ، ولم ينظر إلى مناصبه الكبيرة وألقابه العديدة ، فمثلاً الشيخ – رحمه الله – دائماً في الصف الأول خلف الإمام مباشرة ، ولكن إذا تأخر قليلاً لظرف طاريء عن التبكير للصف الأول فإنه لا يسمح للجالس قبله أن يقوم من مصلاه ليتركه للشيخ ، ويغضب لذلك إذا حدث من أحد ، ومن القصص العجيبة في بعد الشيخ عن أي تمييز له عن غيره أن أي مسجد ينشأ لا تقام فيه صلاة الجمعة إلا بفتوى من سماحته ، فحينما أنشأنا مسجده الكبير بمكة المكرمة استأذنته في إقامة الجمعة ، فقال لي : لا حتى تأتي الفتوى !

فقلت له : يا شيخ أنت المفتي ، قال : ولو كان الأمر كذلك فلا بد أن تأخذ المعاملة مجراها الرسمي ، وأن تمرّ على المجلس مثله مثل أي مسجد فامتثلنا أمره ، وفي يوم الجمعة من الأسبوع الذي تم فيه افتتاح المسجد توافدت جموع الناس إلى المسجد ظناً منهم أن الجمعة ستقام في هذا المسجد ، فهو مسجد المفتي ، ولا يمكن أن يتأخر لانتظار الفتوى لصلاة الجمعة ، فحينما خرجت قبل صلاة الجمعة بنصف ساعة ، وإذا بالمسجد مكتظ بالناس ، فوقعت في حرج عظيم فانطلقت إلى الجامع الذي ذهب إليه الشيخ لصلاة الجمعة ، حيث كان من عادته أن يذهب مبكراً لصلاة الجمعة – يذهب قبل الصلاة بساعتين في الغالب – فتخطيت الصفوف إليه – رحمه الله – فقلت : يا شيخ المسجد اكتظ بالمصلين ، فتحوا الأبواب ودخلوا فما العمل؟ قال : اذهب أخبرهم بأن ينصرفوا إلى مسجد آخر ، فقلت : يا شيخ إحراج ، فما رأيك ألقي فيهم خطبة موجزة دفعاً للحرج من الناس فقال لي : لم تصدر الفتوى بعد ، اذهب واعتذر من الناس ، فعدت وأنا أحمل جبلاً من الهم على ظهري ، يا الله موقف من أصعب المواقف ، أناس متهيئون متطيبون مستعدون ينتظرون الإمام الجديد يصعد يشنف آذانهم بخطبة ، وأنا أقف الآن أمامهم وأقول لهم : لن تقام صلاة الجمعة ، فكدت أهرب وأترك الأمر ، ولكن خفت من الآثار السلبية لهذا الموقف ، ولم يكن هنالك بدٌّ من امتثال أمر الشيخ ، فقمت أمام الناس ، وقلت لهم : يا إخوان معذرة فالمسجد لن تقام فيه صلاة الجمعة ، لأن الفتوى لم تصدر بعد ، فانطلقوا إلى

المسجد القريب ، وأجركم مكتوب عند الله تعالى ، فقام أناس فثاروا في وجهي ورفعوا أصواتهم ، وقام أحد المشايخ الحاضرين ، وقال : أنا أصلي الجمعة أقم أقم الصلاة ، فقلت : يا إخوان هذا ليس كلامي ، وليس رأيي ، هذا أمر سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ، فإذا بالموقف يهدأ ، والنفوس تسكن ، وحمرة الوجوه تتلاشى ، والأصوات تخشع ، فلا تسمع إلا همساً فانصرفوا بخير وسلام .. ولله الحمد .

١١ - سلامة الصدر :

قال تعالى : ﴿ **وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين** ﴾ .

وعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال : كُنّا جلوساً مع رسول الله ﷺ ، فقال : « يطلعُ عليكم رجل من أهل الجنة » فطلع رجلٌ من الأنصار ، تقطر لحيتُه من وضوئه ، قد تعلق نعليه في يده الشمال ، فلما كان الغدُ ، قال النبيُّ ﷺ مثلَ ذلك ، فطلع ذلك الرجلُ مثل المرة الأولى فلما كان اليوم الثالث ، قال ﷺ مثل مقالته أيضاً ، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى ، فلمّا قام النبي ﷺ ، تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقال : إني لاحيْتُ أبي ، فأقسمتُ أن لا أدخُل عليه ثلاثاً ، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي ، فعلتُ . قال : نعم .

قال أنس : وكان عبدُ الله يُحدّث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئاً ، غير أنّه إذا تعارّ وتقلّب على فراشه ذكر الله عز وجل ، وكبّر ، حتى يقوم لصلاة الفجر ، قال عبد الله : غير أني لم أسمعه يقول إلا خيراً ، فلما مضت الثلاث ليال ، وكدت أن أُحَقِّر عمله ، قلت : يا عبد الله ، إني لم يكن بيني وبين أبي غضبٌ ولا هجر ثمَّ ، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرار : « يطلع عليكم رجل من أهل الجنّة » ، فطلعت أنت الثلاث مرار ، فأردت أن آوي إليك ، لأنظر ما عملك ، فأقتدي به ، فلم أرك تعمل كثير عمل ، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ ؟ فقال : ما هو إلا ما رأيت . قال : فلما وليت دعاني ، فقال : ما هو إلا ما رأيت ، غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشّاً ، ولا أحسد أحداً على خيرٍ أعطاه الله إياه . فقال عبد الله : هذه التي بلغت بك ، وهي التي لا نُطيق » .

[مسند الإمام أحمد : ٣/ ١٦٦]

هذه سمة من سمات شيخنا – رحمه الله رحمة واسعة – فلا غش ولا غل ولا حقد ولا حسد ، ولا يغضب لنفسه ولا ينتقم لذاته ، ولا يحمل في نفسه .

لم ينتقص أحداً لم يمتلىء حسداً
لم يفتتن أبداً بالمنصب العالي

لقد كانت تشوّه صورة كثير من الناس عند سماحته سواءً بعض

العلماء أو طلبة العلم أو المسئولين ، فلا يجعله ذلك ينتقص قدر أحد منهم أو يثور في وجهه أو يتخذه عدواً أو يمتلىء عليه حقداً ، بل يكون أكثر شفقة وأكثر رحمة وأشد عطفاً ولطفاً ورفقاً وكسباً لقلبه ، إلى جانب الحق والصواب بالتعامل السمح ، والكلام اللين ، والنصيحة الهادئة ، واستمع إلى هذه القصة لمعالي الدكتور الأديب غازي القصيبي يقول :

«أما نزاهته الفكرية كانت محل اجماع ...

قولاً واحداً ...

... ذات يوم ...

قرع الباب بمنزلي في حي « الروضة » بالرياض ... وفتحت زوجتي الباب

وجاءت ، مذهولة ، تخبرني ان – الشيخ – عند الباب يستأذن في الدخول ...

وذهلت بدوري ...

كان البعض – غفر الله لنا ولهم – قد دقوا بين الشيخ وبيني « عطر منشم » ...

ونقلوا إليه ما نقلوا مشوهاً ... ومحرفاً ... وخارج سياقه ...

وكان بيني وبين الشيخ عتاب لم يخل من حدة ...

وتحمل الشيخ الحدة ...

كما يتحمل الأب الصبور نزوات الابن المشاغب . . .

وهرعت . . . أستقبل الشيخ . . .

رغم الحمى التي كانت – وقتها – زائرة ثقيلة . . . بلا حياء . . .

قال الشيخ : إنه سمع بمرضي وجاء يعودني . . .

وتحدثنا طويلاً . . .

وقال عن عملي في وزارة الصحة ما يخجلني حتى بعد هذه السنين أن أردده . . .

ودعا لي . . . وخرج . . .

وذهبت ، ذات مساء ، أزوره . . .

وكان يجيب على أسئلة الرجال والنساء . . .

كعادته بعد صلاة المغرب . . .

عبر هواتف أربعة لا تنقطع عن الرنين . . .

. . . ثم خلا لي وجهه . . .

وتحدثنا ما شاء الله أن نتحدث . . .

وقبل أن أخرج قلت متردداً :

– يا سماحة الشيخ !

هل تسمح لي بإبداء نصيحة شخصية ؟

وابتسم ، وقال :

« . . . تفضل ! تفضل ! » .

قلت :

– هذه الفتاوى الفورية على الهاتف ...

ألا يحسن أن تؤجل حتى تكتب وتدرس ؟

وقال الشيخ :

« جزاك الله خيراً !

أنا لا أفتي إلا في المعلوم من الدين بالضرورة ...

أو في الأمور البسيطة التي يحتاجها عامة الناس في اليوم ...

أما ما يحتاج إلى بحث وتمحيص ...

فليس مكانه الهاتف » .

وشكرت له سعة صدره ...

وخرجت ...

ومرت الأيام ... والأعوام ...

نلتقي بين الحين الطويل ... والحين ...

وكان ... كل مرة ...

يحييني تحية الوالد الشفوق ...

رغم العطر المسموم ...

الذي لم يكف تجار الوقيعة عن تسويقه ... » .

ويقول أبو عبد الرحمن بن عقيل في مقاله المدرج ضمن هذا الكتاب : « ولما التحقت بالمعهد العالي للقضاء كنت ذا هيئة غير هيئة

الطلبة : ألبس العقال ، وأتحيف اللحية ، وألبس الكبك ، والسختيان واللباس الأنيق ، وأعبث بالسبحة .. وكان أهل الخير يوصلون كل ذلك لسماحته فلا يرد عليهم بغير الدعاء لي بالهداية » .

وأعرف أنا قصة أخرى لأبي عبد الرحمن مع سماحة الشيخ حدثني بها أحد مرافقي الشيخ – رحمه الله ، يقول : كان أبو عبد الرحمن يهاب الشيخ ، ويظن أن له منه موقفاً ، وأنه لا يحبه نظراً لبعض كتابات ومواقفٍ له قديمة – عفا الله عنه – فأقيم للشيخ في الأيام محاضرة بالمسجد الذي يصلي فيه أبو عبد الرحمن ، فقال أبو عبد الرحمن لأحد أصدقائه : أرجوك أن تذهب إلى سماحة الشيخ ، وتطلب منه أن يتعشى عندي بعد المحاضرة ، ولم يكن يخطر على باله أن الشيخ سيلبي دعوته ، فذهب الرجل ، وقال للشيخ : إن أبا عبد الرحمن يدعوك لتناول طعام العشاء عنده بعد المحاضرة ، فلم يتردد الشيخ في الموافقة ، وقال : لا بأس ، جزاه الله خيرا – فلما عاد الرجل لأبي عبد الرحمن بالخبر ، لم يكد يصدق ، وسُرَّ بذلك سروراً عظيما وارتاحت نفسه ، واطمئن فؤاده حينما علم أن الشيخ يقدِّره ، وليس في نفسه عليه شيء .

وقد كنت في زيارة لسماحة الشيخ – رحمه الله – بمرافقة أخي معالي مدير الجامعة الدكتور سهيل قاضي ، حيث كان يحب أن يصحبني معه في زيارته لسماحته ، وكانت تلك الزيارة في آخر مجيء لسماحته إلى مكتبه آخر شهر ذي الحجة لعام ١٤١٩ هـ ، فرحب به

الشيخ ، وأخذ يسأله عن حاله وعن أهله وعن أخبار والدته المريضة ، وعن سير الجامعة ، ثم دعا له بالتوفيق ، فلما خرجنا قال لي الدكتور سهيل : « تُصدِّق لم يكن للشيخ ابن باز كبير منزلة في قلبي بل كنت على خوف وعدم ارتياح لما وصلني من عدم رضاه عني ، حيث قد أوشى بي بعض الناس هداهم الله إلى سماحته ، وأوغروا صدره عليّ ، فذهبت إلى زيارته واستقبلني ورحب بي ، وبينت له وجهة نظري ، وفندت له بعض ما قيل ، واعتذرت له عن أي تقصير حدث منّي فَسُرَّ بذلك كثيراً ، ودعا لي بالتوفيق ، وقال لي : وما آفة الأخبار إلا رواتها ، ونصحني نصائح قيمة ، وحثني على تقوى الله في السر والعلن ، وكنت أحرص على زيارته دائماً فما أزداد به إلا تعلّقاً وحباً ، وعظمت مكانته في نفسي وهو الآن من أحب الناس إلى قلبي » .

وكذلك الأمر بالنسبة للعلامة الشيخ حمد الجاسر ، يروي قصة ماتعة تبين عظمة هذا الشيخ ، وحسن خلقه ، وحرصه على كسب القلوب ، وتطييب النفوس ، يقول الشيخ الجاسر : « وحين فكرت بإصدار صحيفة « اليمامة » واستشرته – رحمه الله – حبذ الفكرة وحثني على المسارعة بتحقيقها ، ولما هيأت مواد العدد الأول لشهر ذي الحجة ١٣٧٢هـ افتتحه بمقال بعنوان (سبيل الدعوة الى الحق) وكان إذ ذاك مدرساً في (المعهد الرياضي العلمي) وافتتح العدد الثالث الصادر في شهر صفر سنة ١٣٧٣هـ بمقال عنوانه (خلاصة الدعوة النبوية) واستمر – رحمه الله – يوالي إرشاداته ونصائحه وتوجيهاته لي ، وقد

كنت أبعث المجلة إليه ، وحين أصبحت « اليمامة » جريدة كان فيها زاوية نسائية تتولى الإشراف عليها السيدة حصة الفضل زوجة الاستاذ محمد سعيد باغفار - رحمه الله - فينشر في العدد الصادر من «اليمامة» بتاريخ ١١/٣/١٣٨٥هـ كلمة حول (تعدد الزواج) من كاتب مجهول وقع كلمته بـ(ابن السراة) رأى الاقتصار في الزواج على واحدة ، دفعاً لما يحدث من مشكلات وتمزيق في شمل الأسرة ، إلا ان الشيخ عبد العزيز لم يرتض هذا ، فعلمت بتأثره حين بعث الى الصحيفة مقالاً بتاريخ ٦/٤/١٣٨٥هـ فكتبت له معتذراً عن نشر مقال (ابن السراة) مستوضحاً إذا كان يرى إغلاق هذه الزاوية ، فكتب الي بتاريخ ٢١/٤/١٣٨٥هـ بما نصه أثبته كاملاً : (من عبد العزيز بن عبد الله بن باز الى حضرة الأخ المكرم فضيلة الأستاذ الشيخ حمد الجاسر سلمه الله ، وتولاه ، آمين السلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته اما بعد فقد وصلني كتابكم الكريم المؤرخ ١٢/٤/١٣٨٥هـ وصلكم الله بهداه وجميع ما شرحه فضيلتكم حول مقال (ابن السراة) كان معلوماً ، والحمد لله لم يصدر هذا المقال عن رضاكم ولا بحضرتكم ، ولا شك ان ذلك أقل تبعة وأسلم من الإثم ، وان كان الواجب عليكم العناية بالصحيفة ، وتولية الثقاة عليها شهدتم أو غبتم ، لأن ذلك هو طريق النصح للأمة ، والسلامة من التبعة ، والحيطة للدين والعرض وقد أحسنتم في قفل الزاوية ، ونشر المقال حتى يطلع عليه من كان اطلع على مقال (ابن السراة) ونسأل الله لنا ولكم ولسائر المسلمين التوفيق لما

يرضيه ، والعافية من مضلات الفتن إنه على كل شئ قدير . أما الزاوية النسائية فلا بأس ببقائها إذا تولاها ثقة بصير في الدين ، لانه قد ينشر فيها ما ينفع الرجال والنساء في الوقت الذي قل فيه التفات الناس الى التناصح ، ومطالعة الكتب المفيدة ، وأسال الله عز وجل أن يجعلنا وإياكم وسائر إخواننا مفاتيح خير ، ومغاليق شر ، وان ينصر دينه وحزبه ويخذل الباطل وأهله ، وأن يوفق ولاة أمرنا لما فيه صلاح العباد والبلاد ، انه سميع قريب ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

وأعيش فترة من الزمن مضطراً خارج البلاد في (لبنان) وأثناء حوادثه عدت مستمراً بإصدار مجلة « العرب » وصلتي بالشيخ – رحمه الله – على خير ما يرام .

والشيخ ابن باز – قدس الله روحه – من أبرز صفاته طيب القلب وحسن الظن ، وهما من صفات المؤمن ، ولكن بعض الناس قد يتخذون منها وسيلة من وسائل المكر والخديعة (والمؤمن غير غافل) ولهذا فكثير ما يحدث للشيخ من هذا ، وخاصة ممن يظن بهم الخير وما أكثر ما يظن الخير بأناس يخدعون بمظاهرهم ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالخفيات .

ويحدث أثر من ذلك بالنسبة لما بيني وبين الشيخ ، إلا انه سرعان ما زال ، إذ زرته فأبدى لي تأثره مما حدث من ذلك ، وبأنه يحمل لي من الود والتقدير ما كان يدفعه إلى أن يدعو لي بالتوفيق في غيابي وأنه سر حين قابلته وأبديت له حقيقة الأمر .

ولعل من أبرز صفاتي أنني شديد الانقباض عن الناس ، وما هذه إلا طبيعة في نفسي ، وإلا فأنا أدرك أن هناك من ذوي الحقوق ممن تجب زيارتهم ، ولكنني قد أتضايق من مقابلة آخرين يبدون لي شيئاً من الجفْوة .

من هنا فكنت قليل الزيارة للشيخ ابن باز ولغيره من مشايخي ، وأكتفي بمقابلتهم لماماً ، وأثق ثقة تامة أنه – رحمه الله – وغيره ممن يدرك طبيعتي فيعذرونني .

وإنني لا أنسى له ما حييت ما شملني من عطفه وحنوه ورعايته ، حين زارني وأنا مريض في (مستشفى الملك فيصل التخصصي) في شهر رمضان سنة ١٤١٦ هـ فجلست على كرسي بجواره ، فصار يتحسس يدي ووجهي بيمناه الكريمة ، ويسارع بأن ينفث عليّ بريقه ، ويرقيني بآية الكرسي ، وبالمعوذتين وبسورة الإخلاص ويدعو لي بأن يجمع الله لي بين الأجر الجزيل والشفاء العاجل ، وقد أحسست من أثر ذلك كثيراً من الراحة والاطمئنان ، ولعل منشأه الثقة بأن هذا العالم الجليل – تغمده الله بواسع رحمته – لي في قلبه هذه المنزلة الكريمة ، ولم يبق أي أثر لما حدث في الماضي ، مما كان لذوي الظنون السيئة اليد فيه .

ثم كان – رحمه الله – يواصلني بإمدادي بما قد أحتاجه من مطبوعات ويبعث إليّ فتاواه ورسائله ، منذ أن صدر الجزء الأول منها ، حتى بلغت اثني عشر مجلداً ، ومع كل مجلد كتاب منه ، يدعو لي

بالخير والتوفيق كما يبعث إليّ بمجلة « البحوث الإسلامية » بصفة مستمرة ، مما كان له في نفسي أعمق الأثر وأطيبه ، فضلاً عما أكن له من الحب والإجلال والاعتراف بالفضل بما يتلاءم مع مكانته العلمية ، وقيامه بواجبه بجد واجتهاد ، ومقامه في خدمة الإسلام والمسلمين بعلمه ونصحه وجهاده ، وما استطاع من عمل بحيث أبقى الله له في ذلك في جميع الأقطار الإسلامية من خالد الذكرى ، مع ما يرجى له من ثواب الله ، وجزيل مغفرته على هذه الأعمال النافعة التي أراد بها وجه الله سبحانه وتعالى والدار الآخرة .

أبتهل إلى المولى أن يتغمده بواسع مغفرته ، ويسكنه فسيح جنته ويجمعنا به في دار كرامته ، إنه على كل شيء قدير » .

(الرياض ، العدد : ١١٢٩١)

وأختم هذه الروائع بقصةٍ من أبدع القصص في هذا المجال ، وحادثة من أمتع الحوادث التي تدلك على سمو الخلق ، وسلامة الصدر ، وروعة الأدب ، يحدثني بهذه القصة أخي الشيخ محمد الموسى مدير مكتب منزل سماحة الشيخ ، يقول : « كان أحد المشايخ من طلاب الشيخ ، والمتتلمذين عليه والعاملين معه ، وفي يوم من الأيام كتب له كتاباً قاسياً ملأه بالعبارات القاسية ، والكلمات الفظّة ، وقال : أنت لم تعد تهتم بي ، وأنت تقدمٌ غيري عليّ ، وأنا ظلمت معك ، والناس ينتظرون فيك العدالة ، وسأقف أنا وأنت بين يدي الله ، لقد عملت معك مدّة طويلة فلم أحصل على ترقية وتحسينٍ لمستواي الوظيفي .. إلى غير ذلك من

الكلام الجاف المزعج .

يقول : فقرأت الرسالة على سماحته كاملة ، فلما فرغت منها تبسّم الشيخ ، وقال : الله يسامحه ، لقد أحسست بهذه الجفوة فيه ، وشعرت أن في نفسه شيئا عليّ ، اكتب :

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة الابن فلان بن فلان حفظه الله وبارك فيه أما بعد ، فوالله إنك من أحب الناس إلى قلبي ، وأنا ليس في نفسي عليك شيء ، أما بالنسبة لموضوعك فأنت لم تكلمني فيه أبداً ، ولكن أرجو منك أن تغير خطابك هذا بخطاب آخر تشرح فيه موضوعك ، وننظر في الأمر – إن شاء الله – ونجتهد فيه ، ثم دعا له بالتوفيق والفلاح .

يقول الشيخ محمد : فلما وصل الخطاب إلى الرجل احمرّ وجهه من الخجل ، ووقع في حرج عظيم ، وتأثر بموقف الشيخ تأثراً بالغاً ، وقال : حسبي الله ونعم الوكيل ، كيف أستطيع مقابلة الشيخ الآن بعد الذي حصل مني ، قال فجاء إلى الشيخ ليزوره ويعتذر منه ، فرحّب به الشيخ وأجلسه بجواره ، وأرخى له سمعه ، واعتذر إليه ، ودعا له ووعده خيراً !!» .

١٢ - العالمية الرائدة :

قال تعالى : ﴿**قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له**

له مُلك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحي ويُميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأُميّ الذي يُؤمن بالله وكلماته واتّبعوه لعلكم تهتدون ﴾ .

[الأعراف : ١٥٨]

قال تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا كافةً للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ [سبأ : ٢٨] .

دين الإسلام هو الدين الذي اختاره الله لعباده ، وهو الذي لا يقبل الله من أحدٍ سواه : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ .

فهو دين البشرية جمعاء ، بل دين الثقلين إنساً وجناً ، والنبي ﷺ لم يبعث لبني قومه أو جزيرته أو أهل لغته ، بل بعثه الله للناس كافة ، وجعله آخر الأنبياء ، وخاتم المرسلين ، وقد أشرقت أنوار رسالته على الدنيا بأجمعها ، ورفع الله ذكره في أنحاء الأرض ، وأقطار المعمورة .

وإن العلماء هم ورثته ﷺ ، وهم حاملو لواء سنته ، والداعون إلى ملّته ، ومما يرثونه عنه ﷺ هذه النظرة العالمية الشاملة التي تتعدى حدود الزمان والمكان ، وتضرب بجذورها في أعماق الدنيا .

عالمية في الدعوة ، عالمية في الفكر ، عالمية في الفتوى ، عالمية في الاهتمام والهمم ، عالمية في الدعاء والوفاء والعطاء ، لم يعش

لنفسـه ، ولم يمثل بلـده الذي يعـيش فـيـه فـقط ، بل كـان يعـيش للمسلمين جميعاً يحمل هم الجميع ، ويتفاعل مع قضايا الكل ، لا يألو جهداً ، ولا يدخر وسعاً ، ولا يتخلف عن واجب ، ولا يعرض عن نصرة مسلم ، أحب المسلمين جميعاً فأحبه المسلمون جميعاً ، أقاصي الشرق وأطراف الغرب ، وأدغال أفريقيا ، وزوايا آسيا فيها أنـاس تعيش بعد الله على علمه ، وتأكل بعد الله تعالى من دعمه ، ما من قضية من قضايا المسلمين إلا وله فيها نصيب ، وما من كربة تحل ببلد مسلم إلا والشيخ من أول الداعمين والمعينين ، وما من عالم أو داعية في بلد إلا ويلجأ بعد الله تعالى إلى الشيخ استشارة واستعانة واستمداداً واستنصارا .

بل قد كان الشيخ في أكثر مواعظه وكتاباته يتعدى بنصيحته الإنس إلى الجن فكان كثيراً ما يردد : « إن على جميع الثقلين أن يؤمنوا بالله وحده .. » ، لأنه – رحمه الله – يعلم أن النبي ﷺ رسول إلى الثقلين ﴿ **قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجبا * يهدي إلى الرشد فآمنا به ..** ﴾ .

١٣ - أعمال البر و مشاريع الإحسان :

قال تعالى : ﴿ **لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيما** ﴾ [النساء : ١١٤] .

وقال تعالى : ﴿ وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ﴾ [الحج : ٧٧] .

ووصف الله تعالى المتقين بأنهم : ﴿ **الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين على الناس والله يحب المحسنين** ﴾ [آل عمران : ١٣٤] .

وقال ﷺ : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه . من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرّج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كرب من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة » [متفق عليه] .

وقال ﷺ : « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث ، صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولدٍ صالح يدعو له » [صحيح الجامع : ٧٩٣] .

كم لسماحته من الصدقات الجارية إنها أنهرٌ من الخير المتدفق فجَّر ينابيعها سماحته ، فجرى نميرها العذب في أنحاء الدنيا ، كم لسماحته من العلم الذي ينتفع به . العلم الحق ، العلم بالله ، وكتبه ، وملائكته ، ورسله ، العلم الصافي النقي الزلال ، علم الكتاب والسنة ، علم قال الله ، وقال رسول الله ﷺ ، سوف تظل الأجيال بجامعاتها وكلّياتها ومعاهدها مدينةً لسماحته بفيض العلم ، ونور الفكر ، وصفاء المعتقد ، وبهاء السنة ، أما الأبناء الصالحون فأسأل الله تعالى أن يرزقهُ ذلك ، وأن يجعل في بنيه الإيمان والعلم والهدى ، وهم إن شاء الله على خير كثير .

أسديت للأمة الغراء ما عجزت
عنه الملايين من أرباب أبصار
حُبٌّ لنشر الهدى والخير في جلدٍ
وهِمَّةٍ تبلغ الجوزا وإصرار
في كل صقْعٍ له صوت وداعيةٌ
عبير أنفاسه في أُفْقِها سَارِ
لقصة العلم والتوحيد أودية
سلسالها في ربا أرجائنا جار

لا أظن أحداً في هذا الزمن فتح على يديه من أبواب البر ، وصنوف الخير ومشاريع الإحسان مثل سماحة الشيخ – رحمه الله ، كما وصل علمه إلى الآفاق ، وسكن فكره في القلوب .

وكنت أباً للمكرمات فمن لها
وقد بت عنا اليوم يحجبك الستر
سيذكرك العلم الذي كنت نوره
ويذكرك القول المسدد والفكر
سيذكرك الخير العميم نشرته
ويذكرك الدرس المبارك والذكر
سيذكرك العباد في صلواتهم
ويذكرك النساك والزهد والطهر

سيذكرك المستعصمون بدينهم
وكل إمام ملء راحته جمر
سيذكرك الأيتام كفكفت دمعهم
وواسيتهم براً فطاب بك البر
سيذكرك المستضعفون جميعهم
ويذكرك المضطر ما مسه ضر
سيذكرك الإحسان والعدل والهدى
وتذكرك الجلى إذا حزب الأمر

(د : أحمد التويجري)

فما أظن هنالك أرضاً أشرقت عليها الشمس ولم يصلها شيء من بذل هذا الرجل وفضله إما منه مباشرة ، وإما من أهل الخير وذوي الإحسان الذين كانوا يجعلون عطاءهم وإحسانهم وصدقاتهم وزكواتهم عن طريقه ، آلاف المساجد ، ومئات المدارس ، وعشرات الجامعات ، وآلاف الحلقات ، وآلاف الدعاة ، والاف الفقراء والمساكين في الداخل والخارج ، كانوا بعد الله تعالى يعيشون على ما يصلهم من طريقه .

يقول الدكتور محمد التركي في مقاله المدرج في كتابنا هذا : «كان المصاب عظيماً لأن الشيخ – رحمه الله – كان الوعاء الذي جمع أنواع الفضائل ومآثر الخير وشوارد المعروف وخصال المروءة ، في تكامل عجيب ، فلا تكاد تذكر خصلة من خصال الفضل ؛ إلا للشيخ فيها أوفر الحظ والنصيب ، ولا تأتي إلى الفضائل من وجه ، إلا أفضى بك إلى

الشيخ ، فعلى كل باب من أبواب الخير مصيبة بالشيخ ، فيبكيه أهل العلم ، ويبكيه أهل الكرم ، ويبكيه أهل النسك ، ويبكيه أهل الزهد ، ويبكيه أهل المعروف ، ويبكيه ذوو الحاجات المعوزون ، وتبكيه الأرامل والأيتام ، فلكل من مصيبته مصاب » .

وكم له الفضل بعد الله في منن
من وابل النفع أو من دفع أضرار
مساجد ورباطات وأندية
ودور علم بكت من هم إقفار

لقد كان الشيخ – رحمه الله – يسعى في الخير ، ويحب أن يقضي مصالح الناس ، يلبي حاجاتهم ، وينفس كرباتهم ، ولذلك نجده يستجيب للشفاعة في أمر من الأمور ، ثم يختم كتابه للشافع بالدعاء له والثناء على ما قدم ، والشكر على ما بذل ، وانظر إلى هذه الأمثلة اليسرة من كتاباته وشفاعاته المتنوعة :

بسم الله الرحمن الرحيم

د / ناصر بن مسفر الزهراني
جامعة أم القرى - كلية اللغة العربية
قسم البلاغة والنقد
إمام وخطيب جامع سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز
بمكة المكرمة



الرقم: ١٨٠ / ش / س
التاريخ: ١٤١٩/٥/٢١هـ
المرفقات:

صاحب السماحة الشيخ الوالد عبد العزيز بن عبد الله بن باز حفظه الله ورعاه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد

طلب إلينا بعض أهل العلم والفضل أن نشفع لدى سماحتكم للشيخ

، وذلك لمساعدته مالياً حيث أنه يعول أسرةً كبيرة ، وليس له دخل يقتات منه وهو من طلبة العلم الذين لهم جهود طيبة في الدعوة إلى الله تعالى ، نعرض أمره على سماحتكم حفظكم الله للمساعدة قدر الإمكان حفظكم الله وبارك فيكم ونفع بكم البلاد والعباد ،،،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٩١٥/ع
٦/٦/١٤١٩هـ

ابنكم
ناصر
د / ناصر بن مسفر الزهراني

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، بعده:
قد عمدنا الشيخ جابر [illegible] المذكور [illegible] شهرياً ابتداءً من جمادى الأولى ١٤١٩هـ [illegible]
فارجوا [illegible] شكر الله سعيكم وضاعف لنا ولكم الأجر والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

مكة المكرمة - العزيزية - جامع سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - هاتف: ٥٥٧٤٣٣١ - فاكس: ٥٥٦٤٤٨٩ - ص.ب: ٥٤٠٧

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء
مكتب المفتي العام للمملكة

الرقم: ٢١٤٤/خ
التاريخ: ١٩/١٠/١٤١٨
المشفوعات: شيك
الموضوع:

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم صاحب الفضيلة الدكتور/ ناصر بن مسفر الزهراني. وفقه الله لكل خير آمين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فقد تلقيت كتابكم المؤرخ ومشفوعاته حول الدين الذي في ذمة الأخ ... وقدره مائة وخمسون ألف ريال

وبناء على ذلك كتبت في الموضوع لخادم الحرمين الشريفين حفظه الله بواسطة سمو الأمير عبد العزيز فتبرع جلالته بسداد المبلغ المذكور وهو إليكم شيك باسمكم راجياً توزيعه بواسطتكم بطريقة سرية. شكر الله سعيكم وضاعف لنا ولكم ولخادم الحرمين الشريفين وسمو الأمير عبد العزيز الأجر والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مفتي عام المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء
مكتب المفتي العام للمملكة

الرقم: ٥١١/خ/ط
التاريخ: ٢٥/٩/١٤١٩هـ
المشفوعات:
الموضوع:

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم صاحب الفضيلة الدكتور/ ناصر بن مسفر الزهراني. وفقه الله لكل خير آمين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فبناء على ما أثبته فضيلتكم في الكتاب المرفق من صفة الطلاق الواقع من/ على زوجته/

وبناء على اعترافهما جميعاً لديكم بأن الطلاق المذكور أعني الأخير منها وقع في طهر جامعها فيه وليست حبلى ولا آيسة أفتيته بأن الطلاق المذكور غير واقع وزوجته باقية في عصمته لأنه قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ما يدل على أن التطليق في حال الحيض والنفاس وفي طهر جامع فيه المطلقة حبلى ولا آيسة يعتبر طلاقاً منكراً لاغياً. فأرجو إشعار الجميع بالفتوى المذكورة. كما أنصحكم الزوج بالتوبة إلى الله سبحانه من طلاقه المذكور، وأوصيه بتقوى الله وحل المشاكل بالتفاهم وبالأسلوب الطيب لا بالطلاق. شكر الله سعيكم وضاعف مثوبتكم الأجر والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مفتي عام المملكة العربية السعودية
ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء
مكتب المفتي العام

من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز الى حضرة الأخ المكرم فضيلة الدكتور ناصر بن مسفر الزهراني امام وخطيب جامع الشيخ عبدالعزيز بن باز وفقه الله لكل خير آمين

سـلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فاشارة إلى ما كتبتم عن الأخ في الله/

المرفقه صورته .نشفع لكم مع كتابنا هذا شيكا برقم(٩٣٠٧٧)وتاريخ٢٤/٣/١٩٩٨م بمبلغ قدره خمسة عشر الف ريال مساعدة من سمو الأمير الوليد بن طلال بن عبدالعزيز وفقه الله للأخ المذكور في سداد دينه .

نرجو احتساب الأجر في تسديد المبلغ لاصحاب الدين وموافاتنا بما يفيد ذلك.

وأسأل الله عزوجل أن يخلف على سموه بالخلف الجزيل ويضاعف له الأجر والثواب ويجعل عملنا جميعا خالصا لوجهه الكريم إنه سميع قريب . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاتـه ....

مفتي عام المملكة العربية السعودية
ورئيس هيئة كبار العلماء وادارة البحوث العلميه والأفتاء

الرقم : ٢/١٥٠٤ التاريخ : ١٤١٩/١/١٤هـ المشفوعات : ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء
مكتب المفتي العام

من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز الى حضرة الأخ المكرم فضيلة الدكتور ناصر بن مسفر الزهراني وفقه الله آمين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أمابعد :

فبالاشارة إلى رسالتك المؤرخه ١٤١٨/١٢/٢٩هـ التى تطلب فيها الشفاعة لمنح الأخ فى الله قطعة ارض سكنيه في مدينة الباحه.

نشكرك على شفاعتك للمذكور جزاك الله خيراً ونخبرك بأنا رفعنا طلبه لصاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء رئيس الحرس الوطني بكتابنا رقم (١/١١٠٧) وتاريخ (١٢/١/١٤١٩ هـ) فأرجو الاحاطه وإبلاغه بالمتابعه . . أثابكم الله وشكر سعيكم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . ،،،

مفتي عام المملكة العربية السعودية
ورئيس هيئة كبار العلماء وادارة البحوث العلمية والافتاء

الرقم : ٨/١١٠/١ التاريخ : ١٢/١/١٤١٩ هـ المشفوعات :

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء
مكتب المفتي العام

من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم صاحب الفضيلة
الدكتور ناصر بن مسفر الزهراني وفقه الله لكل خير آمين

ســـلام عليكم ورحمة الله وبركاته أمابعد :

فقد وصلني كتابكم الكريم رقم (١٩٢/خ) وتاريخ ١٤١٩/٦/٩هـ وصلكم الله بحبل الهدى والتوفيق واطلعت على الدورات والدروس التى اقيمت في مسجدنا . وقد سرني ذلك كثيراً .وأسأل الله أن ينفع المسلمين بذلك وأن يضاعف الأجر للجميع وأن يشكر سعيكم وأن يعينكم على كل خير وأن يبارك في جهودكم .ويسرني أن ابشركم بأن لكم إن شاء الله مثل أجور من فعل مأذكرتم من الدروس والدورات لكونكم أنتم القائمون عليها والداعون لها وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « من دل على خير فله مثل أجر فاعله ». والسلام عليكم ورحمة الله وبركاتـــه . . .

مفتي عام المملكة العربية السعودية
ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء

الرقم : ٢/١٠٥٦/خ التاريخ : ١٤١٩/٦/٢٢هـ المشفوعات

يقول الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان في كتابته عن الشيخ : « متواضع ، خافض الجناح موطأ الأكناف ، يقصده أصحاب الحاجات بمشاعر الثقة والطمأنينة في حاجة يقضيها لهم ، أو شفاعة يأملونها منه متأكدين من عطائه وإحسانه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

ملاذ – بعد الله جل وعلا – لطلاب العلم من البلاد الإسلامية ممن وصدت أمامهم الأبواب ، أو عجزت إمكاناتهم عن مواصلة دراساتهم يجدون منه – رحمه الله – الحب والعطف والترحيب ، لا يضن بشفاعته لدى ولاة الأمر – حفظهم الله – الذين يعرفون له حق قدره فيحققون لهم رغباتهم ، يلتحقون بالجامعات والمؤسسات العلمية ينهلون من مناهل العلم الصافية .

حصل للأمة بهذا السعي الحميد منه – رحمه الله – الخير الكثير فقد أمد الأمة الإسلامية في جميع أقطارها بمد زاخر من العلماء النبهاء والدعاة المخلصين هم جنود الصحوة الإسلامية في الوقت الحاضر .

أب للأيتام والأرامل الذين فقدوا الأب والقيم فأمنوهم بما يحفظ عليهم حياتهم ، ويكفكف آلامهم ، ويغنيهم عن السؤال .

باب داره مفتوح للكبير والصغير ، لطالب العلم ، والبائس الفقير فتراهم جموعاً متعددة الأجناس ، والأعمار ، طبقات وفئات متنوعة ، لحاجات وأغراض مختلفة ، وكلهم واثق بالله ، ثم طمع في نواله وإحسانه ، وقضاء حاجته ، وبعد هذا لا يتفرقون إلاّ عن ذواق ،

يشاركهم تناول الطعام ، يتحدث إليهم مؤنساً لهم ، ويتحدثون إليه مصغياً في حب وتواضع .

امتد معروفه وإحسانه إلى معظم مرافق الأمة داخل البلاد وخارجها دون أن يرى لنفسه فضلاً ، أو منة » . (انظر مقاله المدرج في هذا الكتاب) .

قال لي الشيخ محمد الموسى : « جاء أحد المشايخ في يوم من الأيام إلى سماحته فقال له : يا شيخ لديَّ بعض الاقتراحات أتمنى أن تسمح لي بعرضها عليك ، فقال له الشيخ : تفضل ، فقال أرى أن تجعل مجلسك من بعد المغرب إلى العشاء قصراً على الحاضرين فقط ، لأنه يكون في مجلسك الأمير والوزير ، والعلماء والفضلاء ، وذوي الحاجات فتجعل الوقت كله لهم ولمعرفة ما عندهم ، وتترك الردّ على الهاتف ، وقراءة المعاملات ، أنت وقتك ثمين ، والهاتف يأخذ جزءاً كبيراً منه ، اجعل غيرك يرد على التلفون ، فقال له الشيخ : الذي يأتيني يتكلم بما عنده وأنا أسمع له وأعرف غرضه حتى ولو كنت أرد على الهاتف ، وإذا احتاج الأمر فإني أضع السماعة حتى أنتهي منه ، أما ترك الردّ على الهاتف فليس بصحيح ، فهناك أناس يتصلون من أنحاء الدنيا ، وكل واحد منهم يرى أن موضوعه من الأهمية بمكان ، وقد يكون لدى المتصل مشكلة هامة ، أو سؤال ضروري ، أو حاجة ملحة ، فأنا أجمع بين الأمرين ، ولو كان في ذلك مشقة .

ثم قال له الشيخ : هل لديك اقتراح آخر ، قال : نعم ، أرى يا

سماحة الشيخ أنك إذا عدت من عملك بعد الظهر بعد رحلتك الشاقة وعملك المرهق ، وما يعتريك من تعب ونصب أن تذهب إلى أهلك وأبنائك فتتغدى معهم ، وترتاح إلى العصر ، فليس ضرورياً أن تجلس للغداء مع جماهير الناس وتواصل التعب والمشقة ، ففي هذا تعب لك وإرهاق لجسمك ، والناس حوائجهم لا تنقضي ، فقال له الشيخ – سبحان الله – : تريد لي أن آتي إلى بيتي وعشرات الناس ينتظرونني من الضيوف والفقراء والمساكين وذوي الحاجات ، فأتركهم وأدع الجلوس معهم وأصعد إلى منزلي ، أين أنت من خلق النبي ﷺ الذي كان لا يحتجب عن الناس ، وكان يقول : « أبغوني ضعفائكم » ، إنني سأستمر على هذا ما استطعت ! » .

إذا ما عملت الزاد فالتمسي له
أكيلاً فإني غير آكله وحدي
بعيداً قصيّاً أو قريباً فإنني
أخاف مذمّات الأحاديث من بعدي
وكيف يسيغ المرءُ زاداً وجارُه
خفيف المِعَى بادي الخصاصة والجهد

١٤ - الشفاعة الحسنة :

قال تعالى : ﴿ من يشفع شفاعةً حسنةً يكنْ له نصيبٌ منها ﴾ .
[النساء : ٨٥]

وقال ﷺ : « اشفعوا تؤجروا » [متفق عليه] .

فإذا كانت هذه منزلة الشفاعة ومكانتها في الإسلام فإن الشفاعة من أعمال البر العظيمة التي حفلت بها حياة شيخنا الأجلّ – رحمه الله – ولكنني أفردت الشفاعة بالذات لأنها هي السمعة الغالية عليه ، والصبغة الواضحة لأعماله ، والمرآة النقية لحياته ، من يعرف هذا الشيخ يقول هذا رحمة من الله ، جعله الله في الأرض لتقضى على يده مصالح الناس وحوائجهم ، لن تكون مخطئاً إذا قلت إن أغلب وقت الشيخ كان في الشفاعة الحسنة لعباد الله ، والله ما أظن ، بل أكاد أجزم ، أن هنالك يوماً من حياة هذا الشيخ لم يقدم فيه شفاعةً حسنةً لأحد ، بل هي والله عشرات ، بل تصل إلى مئات الشفاعات في اليوم الواحد .

محيت أصابع العاملين على الكمبيوتر من كثرة طباعة الشفاعات والخطابات ، وتكسرت الأقلام بيد الكَتَبَة من كثرة ما تخط من إملائه في شفاعاته لعباد الله ، واسودت جبال من الأوراق بمداد شفاعاته الحسنة كان المسلم في أي بلدٍ من بلدان الأرض إذا أظلمت في وجهه الحياة ، وضاقت به السبل ، وبارت الحيل ، لجأ بعد الله إلى هذا الشيخ ، ليتفس كربه ، ويفرّج همه ، ويحل مشكلته ، إما بمساعده ، وإما بخطاب شفاعة ، وإما بنصيحة ، وكلٌّ ذلك بصدرٍ رحب ، وأدب جم ، ولا يلحقه منّاً ولا أذى ، وأجزم لو جمعت خطابات الشيخ في الشفاعات فقط لجاوزت الملايين ، أين ذلك من أناس أعطاهم الله جاهاً ومكاناً ، ومع ذلك لا يطمع المكروب في تنفيسهم لكربته ، ولا المهموم

في تفريجهم لهمه ، ولا المستشفع في نيل شفاعتهم ، وربما لو شفع الواحد منهم شفاعة واحدة في الأسبوع لرآها أمراً عظيما ، ومبادرة كبيرة ، ولعدّها من أهم المواقف في حياته!! .

لقد جاءني أحد المسلمين الذين حلّت بهم نازلة ، فقلت له لماذا لم تكلم فلاناً – وكان ذا منصب كبير – لماذا لم تكلمه يشفع لك ، قال لي : هذا الرجل لا يشفع لأحد ، قلت لماذا : قال لأنه يدّخر شفاعاته ، ويستغل مكانته لنفسه ولأبنائه وخاصته .. انظر إلى هذا التفكير المحدود والتصوير الضيق ، وانظر إلى مواقف سماحة الشيخ – رحمه الله – بُذلتْ شفاعته للبعيد قبل القريب ، وللغريب قبل المقيم ، أما لنفسه فليس له من ذلك نصيب أبداً .

لقد كنت وأنا واحدٌ من آلاف المتعاملين معه ، والمستعينين به بعد الله في حل مشاكل الناس ، وتنفيس كرباتهم ، كنت والله أذوب خجلاً وأقطر حياء من الشيخ من كثرة ما أكتب له .

فأتيته في يومٍ من الأيام فقبّلت جبينه الطاهر ، وجلست عند قدميه ، وقلت له يا سماحة الوالد : أنا أتيت معتذراً منك لكثرة خطاباتي إليك ، وشفاعاتي عندك ، وأنا في غاية الحرج ، الناس يؤمّلون فيَّ الخير ، وأنا وهم أملنا بعد الله تعالى فيك ، فأرجو أن لا يضيق صدرك بهذا ، فإن كان في الأمر مشقة عليك مشقة عليك ، فسوف أختصر الكتابات ، فابتسم ، وقال هداك الله .. هداك الله ، اشفعو

تؤجروا ، اشفعوا تؤجروا ، جعلكم الله مفاتيح للخير ، جعلكم الله مفاتيح للخير ، فازددت نشاطاً إلى نشاطي ، وحماساً إلى حماسي ، وكنت كلما بردت همّتي ، أو كلّت عزيمتي ، سرت إلى سماحته ، وبادرت بزيارته ، فأجلس إليه ساعةً أو جزءً منها فأنظر إلى صبره وجهاده وحلمه وعطفه وبرّه وعزيمته ، وهو في هذا العمر الكبير ، والسن المتقدم ثم أنظر إلى نفسي ، وأنا الشاب الجلد الذي منّ الله عليه بالصحة والعافية ، فأقول ماذا قدّمت أنا لأمة الإسلام ، فأخرج من عنده وقد امتلأت نفسي حيويةً ونشاطا ، وإيماناً ويقينا .

١٥ - الشمولية في الحياة :

قال تعالى : ﴿ **وما تفعلو من خير فإن الله به عليم** ﴾ [البقرة : ٢١٥] .

وقال تعالى : ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره** ﴾ [البقرة : ١٩٧] .

قال تعالى : ﴿ ... **ذلك بأنهم لا يُصيبهم ظمأٌ ولا نصبٌ ولا مخمصةٌ في سبيل الله ولا يطئون موطئاً يغيظ الكُفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كُتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المُحسنين * ولا ينفقون نفقةً صغيرةً ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً إلا كُتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون** ﴾ [التوبة : ١٢٠ - ١٢١] .

وفي الحديث عن أبي ذرٍّ - رضي الله عنه - قال : قلت : يا رسول الله : أي الأعمال أفضل ، قال : «الإيمان بالله ، والجهاد في سبيله»

قلت : أيُّ الرقاب أفضل؟ قال : أنفسها عند أهلها ، وأكثرها ثمناً » ، قلت : فإن لم أفعل؟ قال : « تعين صانعاً أن تصنع لأخرق » ، قلت : يا رسول الله أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال : تكف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك » [متفق عليه] .

وقال ﷺ : « لا تحقرن من المعروف شيئاً ، ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق » [رواه مسلم] .

وقال ﷺ : « كل سلامى من الناس عليه صدقه ، وكلّ يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة ، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها ، أو ترفع له عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وبكل خطوةٍ تمشيها إلى الصلاة صدقة ، وتميط الأذى عن الطريق صدقة » [رواه البخاري ومسلم] .

هذه الأبواب المتعددة ، والأنواع الكثيرة ، من أعمال البر ، والخير والإحسان والعلم والتعليم ، كانت بأنواعها متمثلةً في سماحة إمامنا وعالمنا – رحمه الله – .

فلم يكن الشيخ عالماً فقط ، فالعلم لا شك رتبة رفيعة ، ومنزل منيف ، ولكن الإنسان بالعلم وحده لا يمكن أن يصل إلى ما وصل إليه الشيخ – رحمه الله – والشيخ ليس بدعاً من الأمر ولا شيئاً خارقاً للعادة في حياة البشر ، بل وصل إلى ما وصل إليه بالتزامه الكامل بالهدي النبوي فقد كانت هذه الشمولية متمثلة أجمل تمثيل ، واضحة أحسن

الوضوح في حياة النبي ﷺ ، كان العالم والمعلم والأب والأخ والناصح والمعين والكريم والجواد والعطوف والمحسن والجواد والحليم والرفيق بذل وقته لربه ولكتابه ولأمته .

إن هنالك كثيراً من العلماء يعلمون الناس ويدرسونهم أخلاق النبي وصفاته وحسن تعامله ، ولكن البشرية محرومة من عطفهم ورفقهم ومخالطتهم ، والسعي في حوائجهم ، وكسب قلوبهم ، وإطعام جائعهم وتنفيس كربهم ، وتفريج همومهم ، ونصرة مستضعفهم ، فأنى للناس أن تحبهم ، وتسكنهم في حنايا قلوبهم .

إن كثيراً من العلماء والمشايخ لا يطمع الناس في رؤيته إلا على شاشة التلفاز ، أو في صلاة العيد أو الجمعة – لمن لم يكن من أهل الحي – أو في مشهد عام ، أو على كرسي التعليم ، ولكن بعد ذلك يضرب بينهم بسور باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ، لا تطمع منه في زيارة ، لا تحلم منه بشفاعة ، لا تؤمل في تنفيس كربة ، لا ترجو بذلاً أو عطاءً أو غداءً أو عشاءً .

أما سماحة الشيخ – رحمه الله – فقد بذل نفسه ووقته وماله وجاهه في سبيل الله ، كنت أتأمل بعض أعماله فأرى ما يبهر النفس ويبهج القلب ويسر الخاطر ، فألجأ إلى الله تعالى شاكراً حامداً على أنه أوجد في أمة محمد أمثال هذا الرجل الهمام ، أعطيك مثالاً واحداً يفعله الشيخ في وقت واحد فقط ، وهو بعد صلاة الفجر ، دعك من

بقية اليوم ، يصلي الشيخ الفجر ، ثم يأتي بالأوراد كاملة ، بما في ذلك قول : (لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) مائة مرة ، وقول : (سبحان الله وبحمده) مائة مرة ، يفرغ من ذلك ثم يجيب على أسئلة بعض طلبة العلم والمستفتين الذين يلتفون حوله بعد الصلاة ، ثم ينطلق إلى بيته فيؤتى له بالتمر ، وكان - رحمه الله - يحب التمر كثيراً ، ثم تدور القهوة ، وفي أيامه الأخيرة - رحمه الله - كان يشرب الحليب بعد الفجر ، وكان تقريباً هو غذاءه سائر طيلة يومه وحين ابتداء جلسته يكون المشايخ العاملون معه قد جلسوا عن يمينه وعن يساره ، فيبدأ بالذي عن يمينه ثم ينتهي منه ، وينتقل إلى الذي عن يساره ، وقد يكونون ثلاثة أو أربعة أحياناً ، الشاهد من هذا كله وما أريد التذكير به هو هذه الشمولية ، فتبدأ المعاملات :

الأولى : نحن أهالي القرية الفلانية لدينا مقبرة قد وطئتها الأنعام وتهدم بناؤها وسقطت حيطانها فنرجو من سماحتكم مساعدتنا في تسويتها ، فيكتب الشيخ لهم بالإيجاب ، ويسعى في تحقيق أمرهم .

الثانيـــة : نحن إخوانكم من المسلمين أهل السنة والجماعة في البلد الفلاني ونحتاج إلى مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم ، وتعليم اللغة العربية ... فيستجيب لطلبهم ويكلف من يبحث موضوعهم .

الثالثة : أنا امرأة أرملة فقيرة مات زوجي وترك لي أطفالاً صغاراً ، وليس لي مقدر دخل ، فآمل من الله ثم منكم مساعدتي ، فإذا تأكد الشيخ من صدقها ، وفحص أوراقها ، أمر لها براتب شهري لا يقل عن ألف ريال .

الرابعة : نحن من إخوانكم المسلمين في أمريكا ولدينا أرض نريد شراءَها لتعمير مسجد عليها ، فنأمل من الله ثم منكم مساعدتنا والشفاعة لنا لدى أهل الخير لشراء هذه الأرض ، فيجد الأمر غاية الترحيب منه - رحمه الله - ويكتب لمن يراه من أهل الخير .

الخامسة : سماحة الوالد لقد وقع بيني وبين زوجتي خلاف شديد مما أدى إلى غضبي وتلفظي بالطلاق .. وإنني في حيرة من أمري آمل منكم إفتائي في هذا الأمر ، فيطلب الشيخ منه الحضور مع الزوجة والولي إلى منزله ، ويكون ذلك في الغالب بعد العشاء - وهو أمر شبه يومي - فيظل وقتاً طويلاً معهم ويسمع أقوالهم ويفتي لهم ، وكم من أسرة إلتمَ شملها بفضل الله تعالى ثم بفضله ، وفهمه ، وعلمه ، وفتواه .

السادسة : نحن جماعة من أهل الكتاب والسنة في البلد الفلاني ، ونحتاج إلى عدد من المراجع المفيدة في العقيدة والتفسير وغيرها ، فيستجيب لطلبهم ، ويبعث لهم بعدد من الكتب

والمراجع القيمة ، ويدعو لهم بالفلاح والنجاح ، والثبات على الحق .

السابعة : نحن أبناؤكم في البلد الفلاني ، ولدينا جماعة تسمى كذا ، فما رأي سماحتكم في السير معهم والاستماع إلى كلامهم ، وما هو معتقد أهل السنة والجماعة الصحيح الذي تنصحوننا بالسير عليه فيأتي الجواب شافياً كافياً يفيض علماً وحلماً وطهراً ورفقاً ورحمة .

وهكذا ينطلق بهذه النظرة الشاملة والنفع العام والخير الأتم ، ومن يطيق مثل هذا العمل الشاق المتعدد الموارد والأشكال والأحوال بصورة يومية بل يمتد هذا الجهد من الفجر إلى منتصف الليل أحياناً .

قبل وفاته – رحمه الله بأيام أرسل لي بمعاملة كنت بعثت بها إليه لبناء مسكن لأرملة فقيرة تهدم منزلها ، وأبدى موافقته على ذلك ، وبعد وفاته أتتني بعض المعاملات التي بعثت بها إليه قبل وفاته – رحمه الله – بأيام من ضمنها ثلاثة طرود من الكتب النافعة لكي أرسلها إلى الهند لجميعة إسلامية هناك ، كتبوا لسماحته يطلبون كتباً في العقيدة والتفسير ، وجاءني شيك بمبلغ من المال مساعدة لرجل تحمل حمالة ، فكنت أقرأ خطابات سماحته – رحمه الله – التي وصلتني بعد موته ، وأنثر دموعي عليها ، وأقول : رحمك الله ، رحمك الله ، رحمك الله ولقد جاءني خطاب موقّعٌ من سماحته في آخر يومٍ من أيام حياته يوم

الأربعاء ٢٦ / ١ / ١٤٢٠ هـ .

وأذكر هنا قصة رواها الدكتور محمد الشويعر تدل على الآفاق الخيّرة التي بلغها سماحته - رحمه الله - ، يقول : « ذهب وفد سعودي في إحدى المهمات إلى غابات أفريقيا ، فجاءت عجوز عند هذا الوفد ، وقالت لأحد رجال الوفد : أنتم من السعودية ؟ فقال : نعم ، فقالت : أبلغ سلامي على الشيخ ابن باز ، فقال : كيف عرفتيه ؟ فقالت : لقد كنت أنا وزوجي عائلة نصرانية وأسلمنا ، ولكن طاردنا أقاربنا ، وضاقت بنا الدنيا ، فسألت عن مساعد بعد الله ، فقالوا : ليس لكِ بعد الله إلا ابن باز ، فكتبت إليه ، وكنت لا أتوقع وصول الرسالة ، ولكن فجأة إذا بالسفارة السعودية تتصل بي وتطلبني بمراجعتها وإذا بسماحته قد أرسل لها بمساعدة عشرة آلاف ريال ، فهذا الرجل كان له فضل بعد الله في ذلك بعدما عرف أننا في بلاء ونحن مسلمون .

لقد كانت جهوده عظيمة ، وفيوضه كبيره ، وعطاءاته دائمة لا يكل من فعل الخير ولا يمل .

رأيته في الأشهر الأخيرة من حياته ذهب في يوم من الأيام من مكة إلى جده ليشارك في مؤتمر هناك ، ثم تناول معهم طعام الغداء ، فعاد إلى مكة ، فصلى العصر وألقى الدرس بعد العصر ، ثم ارتاح قليلاً ثم صلى المغرب وجلس قليلاً للناس ، ثم ذهب إلى جده لإلقاء محاضرة بعد العشاء ، ثم بعد المحاضرة استضافه أحد الفضلاء ، فذهب إليه ،

وألقى محاضرة ، وأجاب على الأسئلة ، وتناول طعام العشاء ، وعاد ومرافقه يقرأ عليه عدداً من المعاملات والكتب من جدة إلى مكه ، ثم كان أول الحاضرين في صلاة الفجر ، وقس على ذلك كثيرا ، وهذا غيض من فيض من الجهد الجبار ، والنفع المتصل ، والعطاء المبارك ، مما يجل عن الوصف ، ويصعب على الحصر .

واستمع إلى هذه الحادثة التي هي أغرب من الغرائب ، وأعجب العجائب ، وقد حدثني بها الشيخ محمد الموسى – حفظه الله – يقول : «في مرض الشيخ الأخير كنا في الرياض في شهر شوال لعام ١٤١٩ هـ ، قال في يوم من الأيام ، وكان يوم الجمعة اشتد المرض بالشيخ وتعب تعباً شديداً في ذلك اليوم ، وكان طوال يومه يعاني ويتقيأ ، فلم يستطع أن يصلي مع الناس لا الجمعة ولا العصر ولا المغرب ولا العشاء ، فقرّروا نقله إلى المستشفى ، وجاءه بعض المحبين له يطمئنون على صحته وكان من بينهم سماحة الشيخ عبد العزيز آل الشيخ نائبه – المفتي حالياً – ، وقد قال مُطمْئناً لهم : أُبشّركم الأمر سهل والحمد لله ، تأثّر خفيف ، وسأذهب إلى المستشفى ونعود إليكم إن شاء الله .

قال فذهبوا به إلى المستشفى وهو في حالة من التعب والمرض والإرهاق ، فعملوا له منظاراً وأعطوه بعض المغذيات والمهدئات فاستقرّت حالته نوعاً ما .

يقول : فاتصلت على الإخوان الذين مع الشيخ ، وقلت لهم بشّروا كيف حال الشيخ الآن ، فقالوا : بخير والحمد لله ، ولكنه يحب أن يقرأ عليه أحد ، فقام أحد المرافقين وقرأ عليه قدراً لا بأس به ، ثم ناموا فإذا بالشيخ يقوم في وقته المعلوم لصلاة التهجد فيصلي ما شاء الله له ، ثم يقرأ القرآن ، ثم يصلي بمن معه من المرافقين والأقارب والعساكر ، صلى بهم الفجر ، ثم استقبلهم بوجهه وألقى فيهم موعظة مؤثرة ، ثم قرأ الأذكار والأوراد كاملة ، فسئل الأخ صلاح عثمان ، ماذا معك يا صلاح ، قال معي فتح الباري ، وفتح المجيد ، قال : بسم الله اقرأ ، فقرأ عليه إلى حوالي الساعة السابعة ، قال: فذهبت إلى المستشفى لأطمئن على الشيخ ، وكانت الساعة السابعة والنصف ، وفي تمام الساعة الثامنة والنصف دخلت على الشيخ ، وكنت أظنه نائماً ، فإذا به جالس على كرسيه يقرأ القرآن الكريم ، فسلمت عليه فبادرني بقوله : هات إيش معك ، فقلت : يا شيخ معي معاملات كثيرة ، ومعي فتاوى اللجنة الدائمة الجزء الثاني عشر صدر من المطابع ، ولكني تركتها بالسيارة وأتيت أطمئن عليك ، قال: اذهب وأت بها ، قال : فذهبت ، وأتيت بالمعاملات ، فقرأت عليه معاملة طويلة تتكوّن من اثني عشر صفحة ، ثم بدأت بكتاب الفتاوى ، فقرأت عليه أربعين صفحة ، فجاء ابنه عبد الله ، فبدأ يكمل القراءة عليه ، إلى الصفحة الخمسين ، ثم جاء الممرضون والأطباء ليطمئنوا على الشيخ ، وينظرو إلى نتائج الفحوصات ، فقالوا للشيخ : تحسنت حالتك والحمد لله ، فقال لهم ،

ما بقي لكم عندنا شيء ، ولم يبق لكم فيَّ حاجة فهل تأذنون لي بالذهاب ، فقالوا له : لا بأس ، فخرجنا من المستشفى ، ونحن نظنُّه يريد الذهاب إلى البيت ، فقال له ابنه أحمد : سنتجه إلى البيت إن شاء الله ، فقال له : لا اتجهوا إلى المكتب ، فذهب إلى مكتبه ، فقال له ابنه أحمد : إذاً ننتظرك في البيت بعد صلاة الظهر مباشرة - إن شاء الله - قال له لا سآتيكم في الموعد المعروف (الثانية والنصف) - إن شاء الله - » .

يقول الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز الشثري - أحد تلامذته - : « وكلما دخلت عليه في مجلسه إذا بالناس ملتفون حوله كل منهم يريد القرب من الشيخ وهم من بلاد شتى فهذا رئيس مركز إسلامي وذلك أمين جمعية إسلامية وآخر داعية في بلد كذا وكذا من بلاد الغرب والشيخ يعرفهم بأسمائهم ويسألهم عن الدعاة في بلادهم وعن الجهود التي يقومون بها هناك وعن أحوال المسلمين ومدى انتشار الإسلام والعوامل التي تحول بينه وبين الانتشار وعن المرأة المسلمة وماتواجهه في تلك البلاد ، فيوصي هؤلاء الدعاة ويوجه المسلمين في بلادهم بالتمسك بالإسلام وتقوى الله عز وجل واللين والرفق في الدعوة والتركيز في الدعوة على العقيدة الصحيحة وتبيينها للناس كما يوصيهم بسماع إذاعة القرآن الكريم التي تبث من المملكة وخصوصاً برنامج نور على الدرب ، فيكرر هذه الوصية دائماً لما وجد من استفادة الناس من هذه الإذاعة المباركة عبر مايصله من رسائل من أقطار العالم ومما يذكر في هذا رسالة وصلت إلى سماحته من أحد مستمعي برنامج نور على

الدرب وهو مقيم في سجن في إحدى الدول الغربية يقول فيها إنه يسمع برنامج نور على الدرب وقد استفاد منه كثيراً ويطلب عرض رسالته على سماحة الشيخ ليعلم سماحته مدى استفادة الناس من علمه حتى الذين في السجون أما الرسائل التي تأتي إليه في منزله أو عمله من أناس خارج المملكة يطلبون كتباً في العقيدة وأحكام الدين فإن سماحته يوصي بإرسال الكتب المفيدة لأصحابها لكي يستفيدوا منها وبالفعل يتم إرسال الكتب والرسائل الصغيرة لهؤلاء الإخوة المسلمين المتعطشين لهذه الكتب ولأمثالهم لكي تنير لهم الطريق بتوفيق من الله - جل وعلا - فكم وكم أرسل سماحته من الكتب والرسائل المفيدة للإخوة الذين يطلبونها، فجزاه الله خيراً وجعل هذه الأعمال الصالحة في موازين حسناته يوم القيامة» (مجلة الدعوة ، الدعوة : ١٦٩٣) .

وإن من أعظم الأعمال في حياته - رحمه الله - فتاواه في مسائل الطلاق على وجه الخصوص ، كم جمع الله على يديه من الأسر ، وكم أقام من كيانٍ تحطّم ، ومنزل تهدم ، جمع الله به قلوباً تفرّقت ، وبيوتاً تشتّتْ ، وأسراً تمزّقت ، عشرات الآلاف من المطلّقين الذين كان لسماحته الفضل بعد الله تعالى في إعادة حبل الود بينهم ، ورأب صدع نفوسهم ، ولسوف يبكي الناس على فقده دماً ، فإنه لا يكاد يمرّ يوم لم تأته فيه مسألة طلاق إلى آخر يوم من حياته - رحمه الله - .

في الليلة التي توفي فيها أفتى في مسألة طلاق ، وقبل وفاته ببضعة أيام جاءني رجل من مسافةٍ بعيدة يشكي ويبكي ، طلّق زوجته

ولديه ثمانية أبناء ، وسبق له أن طلّقها قبل ذلك ، جاءني وقلبه ممزق ، دامع العين ، كاسف البال ، مكدّر الخاطر ، وكان يخشى أن يفتي له الشيخ بعدم جواز مراجعته لامرأته ، وكان ذلك في حرّ الظهيرة الحارق ، قلت له أين الزوجة ، قال : موجودة في السيارة ومعها وَليُّها ، قلت آتني بهم إلى المكتب ، فأخذت أقوالهم كاملة ، وكتبتُ ما جرى بينهم ، وكانت مشكلة كبيرة ملأت صفحتين كاملتين ، فقلت له : انطلق الآن إلى سماحة الشيخ في الطائف ، وصلّ المغرب ، ثم اعرض أمرك عليه ، وقل له إنني قادم من سفر بعيد لكي ينهي أمرك في الحال ، وقبل صلاة العشاء ، وإذا بالرجل يهاتفني على الجوال ويكاد يطير من الفرح ، تلعثم لسانه ، وارتبك كلامه من الفرح ، وأخذ يدعو لي ويدعو للشيخ بدعاءٍ طويل ، ويقول : أبشرك الشيخ أفتى برجوع زوجتي إلى عصمتي .

وكم من القصص التي كنا نراها عند سماحته – رحمه الله – يأتي أصحابها ينثرون دموع الحزن ، ويبكون لوعة المصيبة ، فيخرجون من عند سماحته بدموع تذرف ، ولكن من نوع آخر ، إنها دموع الفرح والسرور والغبطة بفتواه التي أعادت الأمل ، وزرعت الرضى

طفح الســـرور عليّ حتى إنه
من عِظْم ما قد سرّني أبكاني

١٦ - حسن الظن بالناس :

قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين ءامنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض**

الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم ﴾ [الحجرات : ١٢]

وقال ﷺ : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحدث ، ولا تحسَّسوا ولا تجسّسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عبد الله إخوانا » [رواه البخاري] .

من أعظم وأجمل ما ترى في هذا الشيخ : حسن الظن بالمسلمين ، فالأصل عنده حسن الظن ، ولا يحب التشكيك في أحد من المسلمين أو تخوينه ، أو الكلام فيه بما لا يرضي حتى ولو بلغه أنه أخطأ عليه شخصياً أو نال منه ، بل ذلك أدعى لجعله لا يهتم للأمر أصلاً ، جاءه بعض طلبة العلم فشكوا إليه أحد الناس ، وبينوا أخطاءه وبعض المخالفات عنده ، فبدأ الشيخ يملي كتاباً لتوبيخه ونصحه وتوجيهه وفي أثناء الكتابة ، قال أحدهم : وإنه يا شيخ يتكلم فيك ، وينال منك فقال الشيخ للكاتب : قف وترك الكتابة خشية أن يقال إن الشيخ ينتقم لنفسه .

كان الشيخ يحسن الظن بولاة الأمور قدر الإمكان ، ويرى أن الأصل فيهم الخير والإسلام ، وأن النصيحة والدعاء هي من أفضل السبل للتعامل معهم ، كان الشيخ حسن الظن بالعلماء وطلبة العلم لم يؤذ أحداً ، ولم يستغل علمه ومكانته للنيل من أحد ، ولم يسخر فتاواه ودروسه ومجالسه للكلام في فلان أو فلان ، أو التشفي أو التجريح ، إذا علم عن أحد خطأ بيناً أو مخالفة صريحه ، فإنه ينصح ويوجه

ويبين ، ولكن لا يمكن بحال من الأحوال أن يجعل عرضه لقمة سائغة ، أو غنيمة باردة ، أو يجعل النيل منه ، والكلام فيه سلماً يصعد به إلى مآرب أخرى .

ومهما اختلف مع أحد في مسألة من المسائل فإن ذلك لا يدعوه إلى بغضه أو محاولة قمعه أو تسفيهه ، أو الوشاية به إلى أحد .

وإنني أعجب من كثير ممن يدعي حب الشيخ ويتغنى بشمائله ، بل وقد يكتب ويسطر عن صفاته وأخلاقه ، ثم هو يخالف ذلك أشد المخالفة ، فما يكتبه عن الشيخ في واد ، وهو في واد ، وما يعرضه للناس له وجه ، وهو له وجه آخر هو مُولِّيه ، ومن كان هذا حاله فإن كلامه لا يقبل ، وحديثه لا يُطرب ، فلا يخفى على الناس شيء ، بل إن ما يعرضه من الصفات والأخلاق تزيد الناس منه نفوراً ، وتنقص قيمته ، وتضعف مقداره ، وإنني أعلم أن الوصول إلى مرتبة الشيخ والسير على منهاجه أمر مرهق ، ومرتقى صعب ، وحمل شاق ، خصوصاً في العلم والعبادة والتقوى والزهد والورع ، ولكن هنالك صفات حميدة هي ميدان للتوفيق ، وسهلة في التطبيق ، ومن ذلك كف اللسان عن أعراض المسلمين ، ولا سيما العلماء وطلبة العلم ، لا تحلو الكلمة أو الكتابة أو المحاضرة لبعض الناس إلا بعد أن يلطخها بشيء من دم عالم أو داعية أو طالب علم ، وهو يعلم أن لحومهم مسمومة ، وسنةُ الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة ، هناك أناس يتكلم أحدهم عن صفاء قلب الشيخ ، وحفظه للسانه ، وهم نصبوا أنفسهم قضاة على أعمال الناس ، بل على

نياتهم وخفايا قلوبهم فلان يريد كذا ، أو يقصد كذا ، أو يسعى لكذا .. وهذا الصنف من الناس ترى من العقوبات المعجلة لهم أن النفوس تأباهم ، والقلوب تنكرهم ، وأن أثرهم ضئيل ، وجهدهم كليل ، وأنهم قد لا يوفقون إلى إنكار الأهم من المنكرات ، ورد الأخطار والشبهات ، لأنهم اشتغلوا بأكل لحوم الناس ، واتجهوا للبحث عن أخطاء الآخرين ونسوا أنفسهم ، وإن من أسباب ما يعيشه المسلمون اليوم من فرقة ، وما يكتوون به من نار الشتات ، وجحيم التنافر شعوباً أو جماعات أو أفرادا ، هو سوء الظن بالآخرين وإطلاق التهم والسلق في بعضهم بألسنة حداد ، واهتمام بعضهم بتصيد أخطاء الآخرين ، واتباع عثراتهم ، حتى دب هذا الداء الفتاك إلى بعض العلماء وطلبة العلم في أرجاء العالم الإسلامي ، فحجب عنهم نور العلم ، وتاهت منهم بركة العمل ، وإن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا .

١٧ - كلام له حلاوة وعليه طلاوة :

قال تعالى : ﴿ **الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان** ﴾ [الرحمن : ١ - ٤] .

قال تعالى : ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين** ﴾ .
[النحل : ١٢٥]

ولقد كان النبي ﷺ يتكلم بكلام لو عدّه العاد لأحصاه ، كما

تقول عائشة – رضي الله عنها – .

وتقول – رضي الله عنها – : «كان كلامه كلاماً فصلاً يفهمه كل من سمعه» [الصحيحة، رقم: ٢٠٩٧].

مما يميز الشيخ – رحمه الله – تلك اللغة السهلة، وذلك المنطق السلس، وتلك العبارات الجميلة المناسبة، الواضحة وضوح المنهج، ووضوح القصد، ووضوح الرؤية، ووضوح الهدف، جاءت كلماته ناصعة، وفتاواه مشرقة، وعباراته مشوقة، لأن عليها بهاء الوحي، ونور المنهج، وصفاء النبع، لم يكن الشيخ يغرب في أساليبه، ويتشرق في عباراته، ويفلسف محاوراته، لأن قلبه وفكره وحياته ولغته شربت من زلال الوحي النقي الصافي، حتى بلغ الرّي الأظفار، فلم يظمأ بعد ذلك أو يطمع في الشرب من يد أحد أبداً يؤلف كتباً أو يكتب رسالة في قضية، ويكتب غيره فيها، فيأتي كلامه متألقاً عن غيره، مميزاً ممن سواه، والأمثلة على ذلك كثيرة، خذ مثلاً مناسك الحج والعمرة، ألف الشيخ كتابه (التحقيق والإيضاح) وأُلف بعد ذلك وقبله مئات الكتب والرسائل فبقي كتاب الشيخ صامداً شامخاً مقدماً محبوباً لدى جماهير المسلمين.

أردت في يوم من الأيام إعداد خطبة وافية عن البدعة – تعريفها – أقسامها – ضوابطها .. إلخ، فبحثت في عدد من المصادر، وكثير من المراجع، فلم أجد أنقى ولا أصفى، ولا أوضح، ولا أسهل، مما كتبه

الشيخ – رحمه الله – عن البدعة والمبتدعة .

وهكذا كان – رحمه الله – منطقه آية وحديث ، وكلامه يسقى بماء واحد ، فيثمر الرضى والهدى ، والإعجاب والقبول .

١٨ - سخاءٌ منقطع النظير :

قال تعالى : ﴿ **وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون** ﴾ [البقرة : ٢٧٢] .

وقال تعالى : ﴿ **مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء ..** ﴾ .
[البقرة : ٢٦١]

وقال تعالى : ﴿ **من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة** ﴾ [البقرة : ٢٤٥]

قال أنس – رضي الله عنه : « كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وأشجع الناس وأجود الناس » [رواه البخاري] .

و يقول جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – : « ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط ، فقال : لا » [متفق عليه] .

ومن حرص الشيخ – رحمه الله – على متابعة النبي ﷺ والتخلق بأخلاقه حذا حذوه في الرفد والسخاء ، والبذل والعطاء لقد كان ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة ، وكان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر ،

وما سئل شيئاً فقال : لا ، وهكذا كان سماحة الشيخ – رحمه الله – لا يفوته موطن من مواطن الإحسان ، ولا يدخر شيئاً بالإمكان ، كان يجود براتبه ، ويجود مما يأتيه من أهل الجود ، ويجود بالشفاعة الحسنة لدى أهل الخير ، وما من لقاءٍ من لقاءات الخير التي يدعى لها وتكون بحاجة إلى تبرع أو دعم إلاّ وهو أول الناطقين بالدعم ، والمعلنين عن العطاء. وهذا سِرٌ من أسرار عظمته فقد أعطى واتقى وصدّق بالحسنى فوفّى الله تعالى بوعده فيسّره لليسرى فظهرت ثمار ذلك التيسير لليسرى في جميع أموره فكان يسيراً مُيَسِّرا.

أتيته في مرة من المرات بعد أن فرغنا من بناء مسجده الكبير بمكة المكرمة ، فقلت له : يا سماحة الوالد إن العاملين الذين قاموا ببناء مسجدكم عملوا بجدٍ وإخلاص ، وصدق وإتقان ، لمحبتهم لكم ، وأنا أرى أن يكون لهم من سماحتكم تميز من غيركم ، فأنتم ممن يُطمع في رفده ويُؤمل في عطائه ، فما رأيكم في إعطائهم مكافئة رمزية من سماحتكم فقال لي : كم عددهم ، فقلت له : سبعون عاملاً ، فقال : ماذا ترى ، قلت أرى أن يعطى كل واحد منهم مائة ريال ، وفيها الخير والبركة ، فقال لي : لا أعط كل واحد ثلاثمائة ريال ، فقلت كثير يا شيخ ، فلتكن مئتان ، قال : لا أعطهم ثلاثمائة ريال ، وهذا من حبه للبذل والعطاء ، ومن حبه للوتر في كل أموره – رحمه الله رحمة واسعة – .

كـريم كـريم الأمـهـات مـهـذّبٌ
تُدفق يمناه الندى وشمـائلُهُ
جـواد بسـيط الكفّ حتى لو انّهُ
دعـاها لقـبضٍ لم تُجـبـهُ أناملُه

ولم يقم سائل في المسجد يسأل الناس شيئاً إلا أعطاه ، وإن لم يكن معه أخذ ممن بجواره فأعطاه ، وقد حدث هذا عدة مرات :

قام سائل في يوم من الأيام يسأل الناس في المسجد ، فقال الشيخ لمرافقه : هل معك شيء ، قال : نعم ، قال : أعطه خمسين ريالاً ، وفي مرة من المرات قام سائل يسأل ، فالتفت الشيخ إلى المؤذن ، فقال له : معك فلوس ، قال : نعم ، قال أعطه عشرين ريال ، وبعدين أعطيك ، فقام المؤذن وأعطى السائل عشرين ريالاً ، ثم نسي الأمر ، وظن أن الشيخ بمشاغله ومسئولياته ومهماته سينسى هذا الأمر ، وإذا بالشيخ يرسل مندوبه يبحث عن المؤذن ، ثم أعطاه عشرين ريالاً ، وقال هذه من الشيخ ، وقد سئل – رحمه الله – مراراً عن منع السائل من السؤال في المسجد ، فقال : لا ، فقد قال تعالى : ﴿ **وأما السائل فلا تنهر** ﴾ .

تبـرّعت لي بالجـود حـتى نعـشـتني
وأعطيـتني حـتى حـسـبـتك تلعُب
فـأنت الندى وابن الندى وأخـو الندى
حليف الندى مـا للندى عنك مـذهبُ

ومن أمتع القصص في جوده وكرمه هذه القصة التي حدثني بها الشيخ محمد الموسى – حفظه الله – ، يقول : «جاءه أحد طلبة العلم الذين يحبونه وتتلمذوا عليه – وأنا أعرف صاحب هذه القصة تمام المعرفة – فقال له : يا سماحة الشيخ أرغب منك في هدية أتذكرك بها كل ما رأيتها ، فقال له الشيخ : خيراً إن شاء الله ، صلِّ معنا العشاء وأبشر ، فقام الشيخ إلى المسجد لصلاة العشاء ، فقال الرجل للشيخ محمد الموسى : يا شيخ محمد : سماحة الشيخ وعدني بهدية بعد العشاء ، وأخاف أن ينسى ، فأريد منك أن تذكره ، فقال له : حسناً ، فجاء الرجل إلى الشيخ بعد صلاة العشاء ، فما كان من الشيخ إلا أن خلع بشته – عباءته – من على كتفيه وأعطاه ، وقال له : خذ هذا هديتك مني !!!

أرأيت إلى هذا المتخلِّق بالأخلاق النبوية ، يذكّرني هذا الموقف لسماحته بموقف النبي ﷺ عندما جاءت امرأة إليه ﷺ ببردة منسوجة ، فقالت : نسجتها بيديَّ لأكسوكها ، فأخذها النبي ﷺ محتاجاً إليها ، فخرج إلى أصحابه وإنها لإزاره ، فقال فلان : أكسنيها ما أحسنها – علم أنه ﷺ لا يقول لا – ، فقال : «نعم» ، فجلس النبي ﷺ في المجلس ثم رجع فطواها ، ثم أرسل بها إليه ، فقال له القوم : ما أحسنت لَبسها النبي ﷺ محتاجاً إليها ، ثم سألته وعلمت أنه لا يرد سائلاً ، فقال : إني والله ما سألته لألبسها ، إنما سألته لتكون كفني ، فكانت كفنه!!» [أخرجه البخاري] فما أعظمه من مسئول ، وما أعجبه من سائل،

وما أسعد حظه ، وأوفر نصيبه ، حيث تسجّى بتلك البردة بعد ذلك الجسد الطاهر!! .

كأنك في الكتاب وجدت لاءً
محرمة عليك فلا تحلُّ
إذا حضر الشتاء فأنت شمس
وإن حضر المصيف فأنت ظلّ
وما تدري إذا أنفقت مالاً
أيكثر من عطائك أو يقلّ

توفي الشيخ – رحمه الله – وعنده ما يقارب ألفَيْ داعية خارج المملكة مرتباتهم عن طريقه ، وبدعم منه ، ومات وآلاف الأسر كانت تصرف لها مرتبات شهرية عن طريق سماحته .

وقد جرى على يدي مئات القصص من قصص الجود والبذل التي تأخذ بالألباب ، وتسعد الأحباب ، وتسر الأصحاب ، فعليه رحمة العزيز الوهاب ، وأعلم أن أقلاماً عديدة ستكتب عن سماحته ، وتبرز عجائب وغرائب من قصص جوده ، وأحاديث كرمه .

١٩ - احترامه للعلماء وطلبة العلم :

قال تعالى : ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ﴾ [المجادلة : ١١] .

ويقول ﷺ مبيناً منزلة العالم وطالب العلم ، وماله من المكانة والإجلال ، مما جعل الملائكة تضع أجنحتها له رضاً بما يصنع ، فكيف يجدر بعالم مؤمن أن لا يقدر إخوانه العلماء ، ولا يضع لهم جناح الود والحب والتقدير .

قال ﷺ : «من سلك طريقاً يطلب فيه علماً ، سلك الله به طريقاً من طرق الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض ، والحيتان في جوف الماء وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر» .

[أخرجه أبو داود والترمذي]

وقال ﷺ : «ليس منا من لم يُجلَّ كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ، ويعرف لعالمنا حقَّه» [صحيح الجامع : ٥٤٤٣] .

كان الشيخ يكن احتراماً كبيراً للعماء وطلبة العلم ، يأنس به ويحترم آرائهم ، ويثني على جهودهم ، ويشد من أزرهم ، وإذا وقع أحدهم في مصيبة أو كارثة أو نازلة أو دين ، فإنه يقف معه بكل ما أوتي من قوة احتراماً منه للعلم وطلابه ، أتيته في يوم من الأيام أشكو له ظروف بعض طلبة العلم ، فحدثته عنهم ليقوم بواجب الشفاعة ، كما عرف عنه – رحمه الله – فإذا به أحرص عليهم مني ، قال لي : الصبر

زين يا شيخ ناصر ، نحن نبذل جهوداً كبيرة ، والباقي على الله ، والله أنني أدعو لهم في جوف الليل بأسمائهم!! .

كان إذا جاءه أحد من بلد مُعَين داخل المملكة أو خارجها نسأله عن قضية ، أو أخبره بمشكلة ، أو طلب إليه مساعدة أو نصيحة أو غيرها ، يطلب منه أن يأتي بكتاب – أو تعريف – من أحد العلماء في بلده ، فإذا جاءه كتاب من أحد أخذه بعناية فائقة ، وثقة كبيرة ، لا يسمح لأحد بالكلام في عالم ، ولا يرضى التشكيك فيه ، أو النيل منه .

وكان يقدر القضاة بالذات ، ويثق بهم ، ويصدر عن رأيهم وتوجيههم ، ويقبل تزكياتهم وشهاداتهم ، بل كان إذا جاءه مستفت خصوصاً في مسائل الطلاق ، ولديه فتوى من أحد القضاة لا يفتيه إلا بعد إذن من القاضي نفسه ، وهكذا كان – رحمه الله – في تقديره للعلم وأهله يقدر الأحياء منهم ، ويدعو ويترحم على الأموات .

لقد كان إذا ذكر عنده العلماء الذين أفضوا إلى ربهم وخصوصاً إن كانوا من زملائه أو مشايخه ، يتأثر تأثراً بالغاً ، ويدعو لهم دعاءً كثيراً ، بل قد يبكي وتخنقه العبره ، تكلم في يوم من الأيام عن شيخه العلامة محمد بن إبراهيم – رحمه الله – فلم يتمالك نفسه من البكاء ، وقد كنت أجلس إليه مرّات كثيرة والقاريء يقرأ عليه فتاوى الشيخ محمد ابن إبراهيم – رحمه الله – وفي بعضها ردٌّ على ابن باز نفسه ، فكان الشيخ يتبسم ويدعو له دعاءً كثيراً ويترحم عليه .

يقول الدكتور يوسف القرضاوي : «لم أر مثل الشيخ ابن باز في وده وحفاوته بإخوانه من أهل العلم ، ولا في حبه وإكرامه لأبنائه من طلبة العلم ، ولا في لطفه ورفقه بطالبي الحاجات من أبناء وطنه ، أو أبناء المسلمين عموماً ، فقد كان من أحاسن الناس أخلاقاً ، الموطئين أكنافاً الذي يألفون ويؤلفون .

ولقد رأيته في المجمع الفقهي يستمع وينصت إلى الآراء كلها : ما يوافقه منها وما يخالفه ويتلقها جميعاً باهتمام ، ويعلق بأدب جم ، ويعارض ما يعارض منها برفق وسماحة دون استعلاء ولا تطاول على أحد ، شادياً في العلم أو متناهياً ، متأدباً بأدب النبوة ، ومتخلقاً بأخلاق القرآن .

لا أعرف أحداً يكره الشيخ ابن باز من أبناء الإسلام ، إلا أن يكون مدخولاً في دينه أو مطعوناً في عقيدته ، أو ملبوساً عليه ، فقد كان الرجل من الصادقين الذي يعلمون فيعملون ، ويعملون فيخلصون ، ويخلصون فيصدقون ، أحسبه كذلك والله حسيبه ، ولا أزكيه على الله تعالى» .

بل لقد كان – رحمه الله – يحرص على صغار طلبة العلم ، ولا يحب لأحدهم أن يُهان أو يحرج ، أو يتعرض لمذلّة ، ومن أروع القصص في ذلك القصة التي أوردها الدكتور أحمد الكبيسي في مقاله عن الشيخ المُدْرج ضمن كتابنا هذا ، يقول : «أن طالباً أفريقياً قد أخفق في

اختبارات أعوام متكررة فكان لا بد من فصله بحسب ما تقتضيه لوائح الدراسات الجامعية ، وكان له عيال كُثُر ، حيث له أكثر من زوجة فترحيله مُكلفٌ إذاً ، وما تدفعه الجامعة لأجل ترحيل الطالب لا يفي إلا ببعض الغرض ، وما بقي من تكلفة ترحيل الطالب وأسرته وأولاده هو الكثير الغالب ، وبخاصة في ذلك الوقت ، فاقترحوا على سماحة الشيخ أن يتكلم في مسجد الجامعة على حث الأساتذة والموظفين والطلاب على إغاثة أخيهم ، ولمّا جاء وقت الحديث الذي اتُّفق عليه ، لم يتحدث الشيخ فاستُغرب ذلك من الشيخ ، ولما استفهم منه ، هل أنك نسيت موضوع الطالب؟ فأجابهم : إنني لم أنس ، ولكنني لم أشأ أن أجرح مشاعره أو أمس أحاسيسه بما يحزنه ويؤسفه ويؤسف جماعته بما يُتحدث من جمع المال لهذا الطالب ، فيتأذى هو نفسياً ، ويتأذى معه أبناء بلده ، فانظر أخي القارىء إلى هذا الحس المرهف ، والرقة المتناهية التي قد لا يفطن إليها صاحب القضية نفسه . قالوا له : وما الحل إذاً يا سماحة الشيخ؟ قال : سأكتب أنا إلى سمو الأمير سلطان ، وقد كتب بالفعل إلى سموه ، وأرسل إليهم سمو الأمير سلطان جزاه الله خيراً شيكاً بمبلغ ١٢٠٠٠ ريال إعانة لهذا الطالب ، ومن غير شك أنه مبلغ في ذلك الوقت ليس بالقليل ، ففرح المسؤولون بالجامعة حيث حُلَّتْ مشكلة الطالب . ثم حاول الطالب أن يحصل على هذا المبلغ ليستكمل به شراء التذاكر كي يسافر ، وبشديد الإلحاح على المسؤولين من قبل الطالب أُعطي هذا المبلغ ، وكان المسؤول عن الأمور المالية آنذاك

فضيلـة الشيخ عمر فلاته – رحمه الله – فأمر بإعطائه هذا المبلغ ، وبعد فترة رأى الطالب فسأله عما فعل ، وهل اشترى التذاكر؟ فأخذ الطالب يلوي رأسه بخجل وحياء مفيداً بأنه لم يشتر التذاكر بحجة أنه كانت عليه ديون للناس بالمدينة فسددها وأنه اشترى بعض الهدايا والحاجات لأولاده ولم يبق من المبلغ إلا الشيء القليل ، فاشتد محدثي الشيخ عمر فلاته غضباً على الطالب وكال له من اللوم والتأنيب بما يقتضيه الموقف ، ويقول : بقيت في حيرة وحرج ماذا سأحدث الشيخ ابن باز ، وأنا الذي أمرت أن يُصرف له هذا الشيك من سمو الأمير سلطان ، ولم أجد بداً من مفاتحة الشيخ ابن باز بذلك ، وأنا في الوقت نفسه في غاية الحرج مما أَحْدَث الطالب ، ولما فاتحت سماحة الشيخ بما جرى أجابني بصدر رحب ونفس هادئه : إن الطالب قد أحسن صنعاً . فقلت له : كيف أحسن الطالب صنعاً ، وقد بدد هذه الأموال؟ فقال له : أتريد الطالب أن يسافر وذمته مدانة ، ويتحدث الناس أن طلاب الجامعة يسرقون أموال الناس فيؤثر هذا على سمعته . وانظر أخي القاريء إلي هذه النظرة الفاحصة الثاقبة التي لا يفطن لها إلا من رزق الحكمة ورجاحة العقل وبعد النظر وعواقب الأمور وما يترتب عليها .

إن سماحة الوالد لم ينظر إلى إنفاق المال بنظرة عادية ، ولكن نظر إلى ما وراء ذلك ، أن الطالب قد سدد ديونه فنظر إلى هذه الزاوية ووجد للطالب عذراً وأكبر صُنعه ، فتنبه الشيخ إلى ما لم يتنبه إليه غيره ، وفطن إلى ما لم يفطن له غيره : «أتريد الطالب أن يسافر وذمته مدانة ،

ويتحدث الناس أن طلاب الجامعة يسرقون أموال الناس فيؤثر هذا على سمعته » وهذا موقف تتجلى فيه سماحته وحرصه على سمعة طلاب العلم ، وأن لا يتحدث عنهم العامة بما هو مشين . نعم فقد أوتي الحكمة ﴿ **ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيراً كثيرا** ﴾ [البقرة : ٢٦٩] .

واسمع أخي القاريء إلى تكملتها : وما الحل يا سماحة الشيخ؟ قال : الحل أن تأخذوا من الطالب ما بقي . قالوا : ما بقي إلا من نحو ألفي ريال ، قال : إذاً استقطعوا بقية قيمة التذاكر من مرتباتي » .

٣٠ - كسبه لمحبة الناس :

عن سهل الساعدي – رضي الله عنه – قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله ، وأحبني الناس ، فقال : ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس » [رواه ابن ماجه] .

بُوِّئْتَ عند ولاة الأمر منزلة عظيمة لم ينلها أي دَيَّار
مُبَجَّلٌ عند كلِّ الناسِ محترم مقدَّرٌ في بواديهم وحضار

وهذه معجزة من المعجزات التي أجراها الله على يد هذا الشيخ ، حيث إن الإنسان بإمكانه أن يرضي طبقة معينة من الناس ، أو يحب من طرف ولا بد من مقابل لذلك ، من إعلان العداء والكراهية من أطراف

أخرى ، إلا سماحة الشيخ – رحمه الله – كان ينطلق من منطلقات الكتاب والسنة ، ولذلك هو يعلم يقيناً قول الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** ﴾ [النساء : ٥٩] .

وكان الشيخ يعرف قوله ﷺ : « على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحبّ وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصيةٍ فلا سمع ولا طاعة » [متفق عليه] .

ويعرف قوله ﷺ : « اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة » [رواه البخاري] .

وهو يعلم قوله ﷺ : « من كره من أمره شيئاً فلصبر ، فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية » [متفق عليه] .

ويعلم قوله ﷺ : « من أهان السلطان أهانه الله » [رواه الترمذي] .

من هذه القاعدة الشرعية المتينة كان ينطلق سماحة شيخنا – رحمه الله – في تعامله مع الحكام والولاة ، ولذلك وصل إلى أقصى درجات الاحترام والتقدير عند ولاة الأمر ، وكبار المسئولين ، وكانت علاقته بهم مبنية على التقدير والاحترام المتبادل، والالتزام بمنهج الإسلام في الحث على طاعتهم والالتفاف حولهم ، ونبذ ما يدعو إلى الفرقة ، ويحدث الشقاق ويثير النزاع ، مع بذل النصح الصادق .

يقول معالي الدكتور صالح بن حميد في مقاله المدرج ضمن كتابنا هذا : « تتجلى عبقرية الفقيد – رحمه الله – فيما رسمه وطبقه

من علاقة متينة حكيمة وقورة بين العلماء والدولة ، والراعي والرعية ، الدولة وفقها الله وسددها تعرف علمه وفضله وغايته وحكمته ، وهو يعرف وظيفته ومنزلته ، هبت عواصف ، وهدرت بحار ، وهاجت أمواج ، فكان هو بإذن الله الصاري الممسك بشراع السفينة ، نحسب أن الله قد وفقه وألهمه لما علم من صلاح نيته وصحة مسلكه وصدق نصيحته ونفاذ بصيرته » .

ولقد رأيت بنفسي من إجلال ولاة الأمر لسماحته – رحمه الله – العجب العجاب مما لم أر له نظيراً ، أو أجد له شبيهاً .

ولقد ذهبت عدة مرات إلى كبارهم مرْسلاً من سماحته في أمور هامة تتعلق بها مصالح عامة أو شفاعات خاصة ، فكنت ألقى اهتماماً بيّناً لكل ما يكتبه لهم – رحمه الله – في شتى المجالات ، بل لقد ذهبت إلى بعضهم – وفقهم الله – في أمور كنت أجزم أنها من الصعوبة بمكان فأفاجأ بأن كتاب سماحته قد كتب عليه : « ينجز في الحال » .

*** محبة ولاة الأمر :**

فمحبة قادة البلاد للشيخ محبة قوية وعميقة الجذور ، بدأً بالملك عبد العزيز – رحمه الله – وانتهاءً بخادم الحرمين – وفقه الله لكل خير وسائر إخوانه – .

ولقد كان الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد – حفظه الله – في غاية المتابعة والحرص على سماحة الشيخ في أيام مرضه ، ومنذ أن

ظهرت آثار المرض وهو يتابع حالة الشيخ، وحاول جاهداً معه أن يوافق على السفر للعلاج في خارج المملكة، ولكن الشيخ رفض ذلك فجلب له عدداً من أميز الأطباء في العالم، وكانوا يتابعون حالة الشيخ بصفة دائمة، وقد تألم ألماً شديداً لوفاة الشيخ ــ رحمه الله رحمة واسعة ــ وأعظم الأجر والمثوبة لأبي متعب.

ولا أنسى له مواقفه مع الشيخ ــ رحمه الله ــ، لقد ذهبت إلى سموه يوماً من الأيام في شفاعة لرجلٍ حلّت به كارثةٌ كبيرة، ونزلت به نازلة مرهقة، وكنت أظن أن الأمر في غاية الصعوبة، فلما قدمت على الأمير، كان في غاية الترحيب والاحترام لشفاعة الشيخ، وقد أثمرت تلك الشفاعة، ونُفِّست كربة ذلك المسلم، وقد دخلت على سموه أحمل قصيدةً طويلة كان من أبياتها:

قد جئتكم يا طويل العمر مفعمة
مشاعري باحترامٍ صادقٍ نضر
أتيتكم من إمامٍ عالم علمٍ
يدعو لكم دائماً بالفوز والظفر
أقريك منه سلاماً صادقاً ومعي
رسالة منه فيها موجز الخبر
فيها يؤمِّل فضلٌ من جلالتكم
وأنت في أرضنا نصر لمنتصر
إن كان غيرك للمظلوم ينصره
إن جاء يشكو له ظلماً من البشر
فأنت تسعى له من أجل نصرته
وتنبري لجيوش الضيم والكدر

ويقول أحد تلاميذ الشيخ – رحمه الله – :

« فمن مظاهر المحبة والإجلال من قبل ولاة الأمر للشيخ مايلي :

١ – تقديم سماحته في المجالس العامة والخاصة .

٢ – قبول شفاعته وتقدير رأيه واحترام قوله وطلب مشورته .

٣ – دعم المشاريع والأنشطة التي يتبناها سماحته .

٤ – الاتصال المباشر وغير المباشر بسماحته حتى لمجرد السلام فقط .

٥ – دفع الزكوات والصدقات لسماحته ليتولى توزيعها بنفسه أو تكليف من يثق به .

٦ – احترام طلابه وتقديمهم وتقديرهم .

٧ – في مرض سماحته الأول في ركبته بادر بالزيارة في منزله خادم الحرمين الشريفين وولي عهده والنائب الثاني وجميع الأمراء تقريباً .

(الدكتور عبد الله الجلي – مجلة الدعوة – العدد ١٦٩٣)

ومن أقوى الشواهد على محبتهم للشيخ ما حدث لهم من تأثر بالغ بعد وفاته – رحمه الله – فها هو خادم الحرمين الشريفين – حفظه الله – يبادر للحضور بنفسه ليشهد الصلاة على الشيخ في المسجد الحرام ، وكذلك سمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس ملجس الوزراء – حفظه الله – وكذلك سمو النائب الثاني الأمير سلطان بن عبد العزيز – حفظه الله – ، وجُلّ أصحاب السمو الأمراء كانوا في مقدمة الحضور للصلاة والدفن والعزاء وها هو خادم الحرمين

الشريفين - حفظه اللــه - في جلسة مجلس الوزراء في ٢ / ٢ / ١٤٢٠ هـ يتناول سيرة سماحة الشيخ ، ويذكر صفاته الطيبة ، ومناقبه ، وما تحلى به من الصفات الحميدة ، وما بذله من جهود خيرة وموفقة على صعيد العلم وخدمة الإسلام والدعوة الإسلامية والعلوم الشريعة ، وقال : إن وفاة الشيخ عبد العزيز بن باز خسارة فادحة للأمة الإسلامية ، بل إن عدداً منهم كالأمير أحمد بن عبد العزيز ، والأمير سطام بن عبد العزيز - وفقهم الله - ذكر أن له صلة قوية ، وعلاقة خاصة بسماحته ، وكانوا ممن تتلمذ على يديه ونهل من علمه ، وتردد على مجالسه .

ولقد كان سمو **الأمير سلطان** ــ وفقه الله لكل خير ــ من أكثر الناس امتثالاً لشفاعات سماحته ــ رحمه الله ــ ولقد كان يرفع إليه كثيراً من مشاريع الخير، من بناءِ المساجد، وتنفيس الكربات، وتفريج هموم الناس فكانت تجد من سموه كل ترحيب واحترام، ومبادرة واهتمام. وكذلك سمو **الأمير سلمان** ــ وفقه الله لكل خير ــ كان من أكثر الناس حبّاً للشيخ وعملاً بتوجيهاته وأخذاً بنصائحه، وقد تأثر لموته تأثراً بالغاً وأمر بإحصاء جميع أبواب الخير التي كان يتبناها سماحته حرصاً من سموه على محاولة دعمها وضمان بقائها واستمراريتها. وسمو **الأمير نايف** ــ وفقه الله لكل خير ــ ممن كان يقدِّر الشيخ ويحرص على زيارته سواء في الرياض أو مكة أو الطائف، ولقد ذهبت إليه بكثير من كتابات الشيخ وشفاعاته، فكانت محل القبول والاستجابة السريعة فجزاهم الله خير الجزاء.

وصدّرت الصحف في الأيام الأولى من وفاته ــ رحمه الله ــ بكم هائل من أقوال الأمراء، وحسن ثنائهم عليه ودعائهم له وترحمهم عليه وبيان ما له من المكانة العالية.

بل حتى على الصعيد العالمي جاءت برقيات التعزية من جميع زعماء العالم الإسلامي، وكثير منها تعبر عن حب الشيخ واحترامه وأن موته خسارة عظيمة للعالم الإسلامي بأسره، وقد سُطِّر على صفحات الصحف كثير من الكلمات والمقالات، لعدد من الزعماء والقادة في العلام الإسلامي.

ولقد نطقت مقالات كثيرٍ من أصحاب السمو الأمراء بما لسماحته من منزلة عظيمة في نفوسهم جميعاً.

بل وحتى النساء سواءً الأميرات أو غيرهن كان لهن منزلة كبيرة واهتماماً خاصاً لدى سماحته ، وكُنّ يضمرن له من الحب والإجلال الشيء الكثير ، واستمع إلى بعض هذه المقاطع لبعض الأميرات وفقهن الله ، وهن يروين مشاعرهن تجاه الشيخ – رحمه الله – ويبدين أموراً ربما خفيت على كثير من الناس ، مما يبدي عظمة هذا الرجل وسعة أفقه ، وسلامة صدره ، وحبه الخير لجميع الناس ، وتواضعة لكل الأجناس ، تقول الأميره منيره بنت محمد البواردي ، حرم صاحب السمو الملكي الأمير مشعل بن عبد العزيز:

«إنا لله وانا إليه راجعون لقد فقدنا عالمنا وشيخنا أبا عبدالله عالماً بارزاً وبقية من السلف الصالح لقد أفاض وأسهب جميع من رثاه رحمة الله عليه ورأيت أن أتطرق لناحية من شخصيته العظيمة تتعلق بالمرأة ومكانتها في هذا المجتمع الخير ، من خلال اتصالنا به دائماً ومقابلتنا له أحياناً ، لقد احترم المرأة وأجلها وأعطاها من وقته وجهده الكثير ، تعامل معها كأم لهذا المجتمع المسلم كان لايبخل على أي امرأة سواء

عـرفـهـا أم لـم يعـرفـهـا سـواء كـانت من أبناء هذاالبلد أو غـيـره من بلاد المسلمين كـافـيـاً من الوقت وليت شعـري مـا هو هذاالوقت وقت مليء بالطاعـة والعـبـادة والعلم والتعليم وخـدمـة عـبـاد الله من ذوي الحـاجـات والمقـاصـد رغم همومـه ومشـاغله بأمور الإسلام والمسلمين لا يتوانى عن الإسهام ولايبخل بالإجابة .

ولانلمس تصريحاً أو تلميحاً أو أي ضجر من السؤال رغم تكرار تلك الأسئلة وبساطتها أحياناً .

وأذكر أننا حينما سافرنا في إجازة عيد الأضحى المنصـرم دار بيننا – وكنا مجموعة من النساء – نقاش حول بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بالسفر كالصلاة وما شابهها . ولما عدنا من السفر وجدتها فرصة سانحة لأن أذهب لمنزله العامر بعد عصر اليوم الثاني والعشرين من ذي الحجة قبيل سفره لمدينة الطائف بيوم واحد فحضر الشيخ وبدأ هو بالسؤال فسألني عن سمو الأمير بالاسم ثم عن أبنائي واحداً واحداً ثم سألني عن بناتي ثم سأل عن الوالدة . وترحم على الوالد ودعا له كعادته وفياً محباً لأصحابه وألقيت عليه الأسئلة التي أريد ورغم ذلك أجاب وفصل ورجح كعادته رغم اعتقادي بتكرارها عليه آلاف المرات وجدت منه العالم المتميز بسعة الصدر وحسن الخلق والذكاء والفطنة وكان حقا مدرسة تعلمنا قبل كل شيء أن العلم خلق وسماحة ويسر ومحبة وأن خلق الأنبياء والصالحين هو نفس الخلق الذي يجب أن يتحلى به العلماء فهم ورثة الأنبياء وأحسست إحساس الغبطة والشكر لله تعالى أن

جعلني أنتسب لهذا الدين العظيم بمبادئه وبأحكامه الواضحة ، وصدق خير من قال فقد قال تعالى ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ وأحسست وأفهمت عمق هذه الآية العظيمة خاصة بعد استيفاء أسئلتنا وإجاباته اليسيرة على الفهم الواضحة المقصد وقد كان ذلك له بما حباه الله سبحانه وتعالى من العلم الغزير والفهم العميق لمقاصد هذا الدين وهذا والله قليل من كثير من شمائله وصفاته رحمة الله عليه . . إننا إذ تعد تلك الشمائل في والدنا وشيخنا وعالمنا الفاضل لنشعر بالعزة والفخر أن جعله الله من هذه الأرض الطاهرة ومن هذا الكيان العظيم كما أننا نسأل الله أن يخلف لنا ولجميع المسلمين خيراً في مصيبتنا فيه وإذا نعزي أنفسنا وأهلينا في هذا المصاب الجلل لنرفع أيدي الضراعة لله سبحانه وتعالى أن يرفع قدره ويكرم وفادته ويتغمده بواسع رحمته وصلى الله وسلم على سيدنا وحبيبنا وقدوتنا محمد وعلى آله وصحبه الكرام الطيبين أمين » .

وتقول الأميرة منيرة بنت سعود الكبير – وفقها الله – :

« حقيقة أجد نفسي عاجزة عن وصف مشاعري ، لقد فقدنا شيخنا الجليل الذي وهب جل وقته وجهده لخدمة المسلمين . وقدر الله لي أن أذهب لمنزله خمس مرات تقريباً للنهل من علمه الغزير ، كنا نذهب له بعد صلاة العشاء فيجلس ويجب على اسئلتنا بكل رفق ولطف وإذا حدثناه بأي منكر يخص النساء يتأثر وينصح ويوجه . ثم ينصرف من عندنا لوجود موعد آخر لديه ، ووالله لو كان يحصل لنا

الالتقاء به يومياً لما تأخرنا وأتمنى أن تبقى سيرته بيننا باستمرار ولا تنقطع البتَّة» .

وتقول الأميرة منال بنت مساعد بن سعود بن عبد العزيز – وفقها الله – :

« من فضل الله علي وإحسانه أنني زرت سماحة الوالد الشيخ عبدالعزيز بن باز – رحمه الله – في بيته ثلاث مرات لسؤاله والاستفادة من توجيهاته . كما أنني حججت معه في العام الماضي فأتيحت لي فرصة الاستماع إليه إذ كان يأتي لمخيم النساء لينصحهن ويجيب على أسئلتهن . وقد لفت نظري في الشيخ غزارة علمه وحسن خلقه إذ اجتمعت فيه هاتان الصفتان الرائعتان كان متواضعاً رحب الصدر مما جعله مقبولاً ومحبوباً لدى الناس ومن فرط تواضعه وتقديره للآخرين كان إذا أتاه زائر يبادر هو بالسؤال عن اسمه وحاله ورقم هاتفه مما يشعر هذا الزائر بقدره لدى الشيخ وهذا ما لمسته بنفسي إبان زياراتي له .

كما كان – غفر الله له – يشجع النساء على العلم والدعوة وأذكر بهذا المقام أننا ذهبنا لزيارته وكانت برفقتنا أخت عربية مديرة لمركز إسلامي ببريطانيا أتت لزيارة المملكة وعلى الرغم من كثرة مشاغله إلا أنه فرغ نفسه من أجل استقبالها وإن كا ن يبدو عليه آثار الإرهاق وهذا اتضح لنا من خلال ضغطه على رأسه – إلا أنه جلس واستمع لها وشجعها على الدعوة ودعمها وأكرمها بوليمة خاصة بها ببيته المبارك » .

(مجلة الدعوة السعودية ، العدد : ١٦٩٣)

وهكذا كان ولاة الأمر جميعاً بدأً بخادم الحرمين الشريفين – حفظه الله – وانتهاءً بأقلهم سناً أو منصباً يحترمون رأيه ، ويزورونه في بيته مرات وكرات .

والشيخ في تعامله المميز مع ولاة الأمر في هذه البلاد يرسم نهجاً واضحاً جلياً لكل من أراد لدعوته النجاح ، ولأسلوبه الفلاح ، وهو ينطلق من أسس ثابتة ، ومن نظرة شرعية متعمقة ، يوازن بين المصالح والمفاسد ، ويحرص على لم الشمل وجمع القلوب ، وانتقاء أخف الضررين ، وتعامله ذلك كان نتيجة خبرة طويلة ، وعمر مديد ونهج فريد . يقول الشيخ محمد الصبيحي : « عندما أعلن جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود – غفر الله له – توحيد المملكة العربية السعودية في منتصف عام ١٣٥٢ هـ كان عبد العزيز بن عبد الله بن باز – رحمه الله – قد بلغ سن الرشد والأهلية حيث كانت سنه في ذلك الوقت ٢١ عاماً تماماً ، ومعنى ذلك أن سماحته قد عاصر توحيد المملكة في دولة قوية تجتمع على كلمة التوحيد خلف راية (لا إله إلا الله . محمد رسول الله) عاصر تلك الحقبة صبياً ويافعاً ثم رجلاً .

وعندما بدأ حياته العملية تقريباً كانت قد أرسيت قواعد بناء هذا الكيان الكبير الذي شهد وضع لبناته الأولى .

هذه الخلفية المبكرة في حياة (ابن باز) كان لها – بكل تأكيد – آثارها البالغة على تكوينه الفكري وبناء شخصيته بوجه عام ، فقد شهد في الواقع العملي أوضاع التمزق والتشتت والتنافس وصراعات

النفوذ بين إمارات شاعت فيها الفوضى والخرافات والأباطيل ، وابتعد بعضها بوضوح عن أسس دين الله الحنيف .

كما شهد عملية التحول الكبرى في المجتمع من الولاء لتلك الإمارات المتصارعة إلى الولاء لشريعة الله والالتزام باحترام سلطة سياسية واحدة تراعى مصالح الجميع ، وتسعى لخير كل أبناء هذه الأرض على السواء .

وهكذا كان ابن باز قريباً من التحولات الكبرى التي عاشها المجتمع السعودي ، وأدرك الفارق بين الحالتين بوضوح ما بين التشتت والتصارع والفقر إلى حالة الاستقرار والرخاء والازدهار ، هذا التحول كان له بلا شك أثر في تكوين شخصية ابن باز بل وشخصية كل الرواد والعلماء الذين عايشوا تلك الحقبة الاقتصادية من حياة المجتمع العربي السعودي وشاهدوا الجهد الذي بذل في بناء الدولة السعودية . وهذه المعايشة جعلتهم بالتأكيد أكثر حرصاً وتصميماً وكفاحاً من أجل التمسك بالقيم الإسلامية الصحيحة النابعة من العقيدة الصافية لإدراكهم أن تلك المبادىء هي التي أقامت تلك النهضة التي يعيشونها ، والتي قد يتعامل معها بعض أبناء الأجيال الجديدة كمعطيات واقعة دون إدراك الفارق بينها وبين ما قبلها ، مما زاد معه دور العلماء في توضيح الحق ، واستجلاء أمر الدين لترسخ العقيدة ويصمد البناء» .

ولعلّنا نختم الحديث عن هذا الأمر الذي أطلنا فيه نظراً لأهميته وحساسيته وغياب الصورة الواضحة فيه لدى كثير من الناس نختمه

بمقال من المقالات الطيبة التي تحدثت عن هذا الموضوع ، وهو لفضيلة الدكتور : خليل بن عبد الله الخليل – وفقه الله – يقول : « اختلفت مناهج العلماء والدعاة في القديم والحديث بشأن معادلة صعبة معقدة ألا وهي التعامل مع العوام والتفاهم مع الحكام . فالبعض غلب الجانب الأول وأعطاه جل اهتمامه وبذلك فقد الجانب الثاني . والبعض الآخر على النقيض من ذلك ، غلب الجانب الثاني فاسترضاه ومالاه فكسب ثقته وأحياناً لم يكسب شيئاً ففقد الجانب الأول وقلّ إن لم يكن ندر – على الأقل في العصر الحديث – من استطاع أن يتعامل مع الجانبين في آن واحد بنجاح . حقق الفقيد المستحيل أو لنقل « المعجزة » فاستطاع – رحمه الله – أن يتعامل مع العوام على ما فيهم من غشامة وكلالة وتعامل مع الحكام على ما فيهم من حساسية المسئولية ولم يفقد نفسه في المعركة ، ولم يتنازل عن مبادئه للترضية .

وكأنه هيأه الله القوي العزيز للقيام بهذا الدور في زمن اختلطت فيه المفاهيم وتشابكت فيه خطوط الإيديولوجيات ، وتفاقمت فيه المشاكل .

إنه كان « الميزان » وكلمته هي الفصل في النزاع تدمغ الباطل وترفع الخلاف . إن الدين في عقله واضح ، والإيمان في قلبه راسخ ، والحق حق بصرف النظر عن مصدره والباطل باطل بصرف النظر عن حامله ، ولا مجال للحسابات الشخصية لدى سماحته – رحمه الله – .

انه مع عامة الناس صباح مساء ، فالمستفتون والدعاة يستطيعون

التحدث معه والمناقشة لما يراه والأخذ والرد ليعرفوا «بدقة» وجهة نظره وليطمئنوا إلى دينهم الذي يدينون به وهو لا يكل ولا يمل من الشرح والبيان بل إنه يشجع طلابه على بذل الجهد والسعي لمعرفة الحق .

استطاع أن يحشد للدين طاقات الشباب ، واستطاع أن يوجههم الوجهة الصالحة ، واستطاع أن يكبح جماحهم بالعلم والتجرد والمتابعة التي استمرت عشرات السنين ، ثم استطاع أن يعلم الكبار في المساجد والمجالس منذ أن كان قاضياً في محافظة الدلم التي بزغ فيها نجمه ، فكان نموذجاً للقاضي العادل ، والمصلح الحكيم والمربي الفاضل .

يعرف سماحته - رحمه الله - أنساب الجزيرة العربية وعائلاتها وقبائلها ، فتعامل مع الجميع بحب واحترام حاضرة وبادية بدون تفرقة على أساس مناطقي أو عائلي ، الجميع لديه أحباب في الله .

يملك - رحمه الله - مواهب القيادة من الذكاء والجلد والفراسة ، كما أنه قادر على تفسير الأحلام ويقرأ على المرضى . وكان يسلك منهج علماء السلف الأبرار ، كل ذلك لله لا للمباهاة . لم يسخر مواهبه لجمع حطام الدنيا وإنما سخرها لنشر العلم والذود عن الحق .

وكان - رحمه الله - قوياً على العامة وقادراً على أن يسمعهم مالا يحبون ، وهذا يتطلب قوة نفسية وتجرداً للحق . هنالك علماء ودعاة قادرون على أن يقفوا أمام الحكام مواقف قوية ولكنهم ضعفاء أمام العوام خشية أن يخسروهم . أما الفقيد فهو قوي بالحق مع العوام ومع الحكام .

تعامل – رحمه الله – مع السياسة والسياسيين ، سواء كانوا أمراء مناطق ، أو ملوكاً ، أو رؤساء دول فكانوا مقدرين له ، ومحترمين لشخصيته المتميزة التي تدخل في مضمار «السهل الممتنع» .

عرف عنه أنه عالم سمح متجرد واضح ، مما سهل على الجميع التعامل معه والنزول إلى رأيه في كثير من الأحيان . لقد عاصر الملك عبد العزيز – رحمه الله – ، وكان يلتقي به في محافظة الدلم عندما يزور المنطقة ، وتعامل مع الملك سعود والملك فيصل والملك خالد رحمهم الله ، وكانوا جميعاً محبين له ، مستنيرين بعلمه ، مسترشدين بتوجيهاته ، مستعينين بطلابه واثقين من نصائحه .

وتعامل مع الملك فهد – أمد الله في عمره – وذكر عنه مرة عندما ترأس مجلس الجامعة الإسلامية بحضور الفقيد بأنه – خادم الحرمين الشريفين – مع أي قرار يتخذه للمجلس ، وذكر عنه أنه في منزلة الوالد للجميع .

تميز الشيخ الفقيد بحب العائلة المالكة ، وحبهم له ، رجالاً ونساء كباراً وصغاراً ، يستشيرونه ويوكلونه على صدقاتهم ، والقصص في ذلك كثيرة خصوصاً مع صاحبات السمو الأميرات ، إنها علاقة صادقة متمكنة من نفسه ومن نفوسهم . زرته فجر يوم من شهر رمضان المبارك عام ١٤٠٦هـ بعد صلاة الفجر ، بصحبة أحد أفراد الأسرة الكريمة ، حيث صلينا في مسجده صلاة الفجر للتحدث معه في أحد المشاريع الإسلامية ، ولم يصل في المسجد المجاور لمنزله وإنما صلى في مسجد آخر

وعندما دخلنا منزله ، إذا به قد سبق ودخل مع عائلته ، وعندما علم من في المجلس عن الزائر أنه من أصحاب السمو ، طلب الانتظار ، وعندما أخبر الشيخ بذلك خرج من عند عائلته وجلس ، وسر بالأمير ورحب به ثم بدأ يسأله عن خالته وعمته ، فلقد عرفه وأثنى عليه وشجعه على طلب العلم والزواج المبكر – ولم يكن الأمير متزوجاً بعد – وكان لذلك اللقاء أطيب الأثر في نفس الضيف الأمير الشاب الذي سلك للعلم الشرعي مسالكه ووفق ولله الحمد .

كان واضحاً وصادقاً حكيماً مع القيادة السياسية ولم يكن يعمل لنفسه وإنما كان يعمل دائماً لتحقيق الأهداف والأسس التي قام عليها « الكيان السعودي » وكان صبوراً متأنياً يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة لذا حظي بالحب والاحترام من الجميع ، ومن ذا الذي سيتحدث وسماحة الشيخ عبد العزيز موجود ، إنه صاحب الكلمة الأخيرة وكانت الثقة المتبادلة بينه وبين القيادة كفيلة بضمان التلاحم والتفاهم .

لقد أدرك الفقيد – رحمه الله – كما أدرك إخوانه من العلماء – أن علماء المملكة يملكون « كياناً سياسياً » ويقومون على رعاية الحرمين الشريفين ، لذا حافظوا على الانسجام مع الحكام فهم ليسوا مثل غيرهم ممن يقول كلمته لتسجيل موقف فقط أو لإبراء الذمة فقط . إنها ستكون موضع التنفيذ في الغالب وسوف يطالبون الناس بتطبيقها .

تصدى سماحة الفقيد لتحقيق « المعجزة » فكان « ملاذاً » للعامة عند الخطوب وكان « مرجعاً » للدولة عند الاختلاف ، فتحقق بعون الله

وتوفيقه «الانسجام التاريخي» النادر بين العلماء والأمراء ، بين المؤسسة السياسية والمؤسسة الدينية .

لا يعني ذلك أنه لم تمر أوقات عصيبة ، ولا يعني ذلك أن الكمال متحقق ، ولكن ذلك يعني أن النيات صادقة ، وأن المساعي ناجحة، وأن آلية التكامل متأصلة فحمى الله المملكة من شرور الفرقة ومن فتنة الاختلاف» . (جريدة الجزيره العدد : ٩٧٣٠) .

وقد كان لسماحة الشيخ – رحمه الله – علاقة مميزة مع ولاة الأمر في هذه البلاد خاصة ، ومع قادة بعض الدول الإسلامية عامة ، وكان الشيخ يدعو لهم في أوقات كثيرة ، ويتحرى أوقات الإجابة يدعو لهم قبيل الإفطار في رمضان ، ويدعو لهم في صلاته بالليل ، ولا تكاد تخلو كلمة من كلماته أو محاضرة من محاضراته من الدعاء لولاة الأمر عامة ، وولاة أمر المملكة خاصة ، وكانت هذه العلاقة لا تمنعه من إسداء النصيحة الصادقة بالطريقة الشرعية المؤثرة ، وكان يزجي نصائحه ، ويكتب رسائله ، ويبعث بتوجيهاته لعدد كثير من القادة والأمراء والوزراء ، في أسلوب لطيف ، ولفظ لين ، وعبارة حانية .

ولقد كان له مواقف غايةً في القوة والإنكار على كثير من زعماء العالم الإسلامي ، ولعل الله يقيض لذلك الكم الهائل من رسائل الشيخ للزعماء والأمراء من يبرزها للناس ، ويظهرها للملأ لتسهم في بيان جزء مهم من حياة الشيخ ودعوته منهجه – رحمه الله – .

ومن أعظم مواقف الشيخ مع الزعماء والتي لم يجرؤ عليها غيره أن

يعث ببرقية استنكار لجمال عبد الناصر حينما أمر بإعدام سيد قطب – رحمه الله – ، الذي كان للملك فيصل بن عبد العزيز – رحمه الله – قصب السبق في الشفاعة له لدى الزعيم المصري .

*** محبة العلماء وطلبة العلم :**

ومع هذه العلاقة المميزة والحب المتبادل بين الشيخ وولاة الأمر فقد نال الشيخ منزلة كبيرة ، ورتبة رفيعة ، ومحبة فائقة لدى العلماء وطلبة العلم ، وأولعت قلوبهم بمحبته ، وامتلأت نفوسهم بتقديره ، يقول الدكتور يوسف القرضاوي : «ودعت الأمة الإسلامية علماً من أعلامها الأفذاذ ، ونجماً من نجومها الساطعة في سماء العلم ، علامة الجزيرة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، الذي كان جبلاً من جبال العلم ، وبحراً من بحور الفقه ، وإماماً من أئمة الهدى ، ولساناً من ألسنة التوحيد ، وعماداً من أعمدة الدين ، وركناً من أركان الأمة ، طالما استفاد من علمه المسلمون في الجزيرة والخليج وفي شتى بقاع الأرض ، عن طريق اللقاء والمشافهة ، أو الكتاب والمراسلة ، أو الهواتف والإذاعة ، أو الكتابة والصحافة ، أو الرسائل والكتب ، أو الشريط المسموع .

عاش الشيخ عمره المبارك للعلم والدين ، يعلّم ويدرس ، ويجيب ويفتي ، وينصح ويدعو ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، مع حكمة بالغة ، ورفق وبصيرة ، فإن الله يحب الرفق في الأمر كله ، وما دخل الرفق في شيء إلا زانه ولا نزع من شيء إلا شانه .

كان أكبر همٍّ الشيخ الدعوة إلى التوحيد الخالص ، وتصفية

العقيدة من الشرك أكبره وأصغره ، جليه وخفيه ، والوقوف في وجه القبوريين والخرافيين ، واتباع ما جاء عن السلف في وصفه الله تعالى مما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ، وكان لا يدع فرصة ولا مناسبة إلا أكد فيها هذه المعاني ، لا يمالىء ولا يجامل » .

ويقول معالي الشيخ محمد السبيل : « وقد أصيبت أمة الإسلام اليوم بوفاة عالم الأمة وإمام أهل السنة والجماعة في هذا العصر علاّمة زمانه ، وفقيه أوانه » .

ويقول معالي الدكتور عبد الله التركي ، وزير الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد : « لقد كان - رحمه الله - طوداً شامخاً في العلم والزهد والتقوى وحب الخير للناس ، نمط فريد من أنماط العلماء العاملين الصالحين ، يذكرنا بأئمة علماء السلف الذين جاهدوا في الله حق جهاده » .

ويقول سماحة الشيخ عبد العزيز آل الشيخ ، نائب سماحة المفتي - سابقاً والمفتي حالياً - : « فقدنا جبل السنة ، ولقد نزل خبر وفاته كالصاعقة على المسلمين لأنه الملجأ الوحيد بعد الله تعالى في هذا الزمن الذي يعتمد عليه المسلمون في جميع المجالات والافتاء والدعوة والإرشاد وقد ودع المسلمين في وقت هم في أشد الحاجة إليه » .

ويقول فضيلة الشيخ صالح اللحيدان - رئيس مجلس القضاء الأعلى - : « وعرفنا سماحته منذ فتح المعهد العلمي عام ١٣٧١ هـ

وكـان يدرس في المعـهـد وكليـة الشـريعـة ، وعندمـا انتـقـل للجـامـعـة الإسلاميـة أمر سماحـة الشيخ محـمـد بن إبراهيـم - رحـمـه الله - وكـان رئيساً للجامعة بأن يأتي لإلقاء دروس في معهد القضاء العالي ، وكنا من طلابه ، ولا أعلم له نظيراً في العالم الإسلامي حسب معرفتي في بذل جاهه وجهده ورفقه بالناس وتحمله لهم في درسه أو منزله . . وكـان - رحـمـه الله - شديد الإجلال والمحبة لشيخه وشيخنا سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ، وكان إذا تحدث عن شيخه بكى . وأضاف فضيلته : لقد كان يدافع عن الأفغان ويتأثر لاختلافهم ويضيق صدره بحوادث الصومال ، ويتألم بما يحدث للعالم الإسلامي من ضائقه وسوء . يهتم بمشاكل المسلمين في أوروبا ويسعى لنشر الدعاة في العالم ، وهناك أعداد كبيرة من الدعاة في أستراليا وغيرها تصرف مرتباتهم عن طريقة من أموال المحبين للخير من أمراء وتجار .

إن كافة المسئولين وعلى رأسهم خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ابن عبد العزيز لا يردون له طلباً وكان سماحته محل احترام سائر الأمة وعلى رأسهم خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي العهد وسمو النائب الثاني » .

ويقول فضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين - عضو هيئة كبار العلماء - : « في هذا اليوم توفي علم من أعلام الأمة الإسلامية وهو الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله - عن عمر مديد نسأل الله تعالى أن يجعله له بركة ، وأن يغفر له ويفسح له

في قبره وينور له فيه ويخلفه في عقبه إنه على كل شيء قدير .

وإننا نقول كما قال النبي ﷺ : لله ما أخذ ولله ما أعطى ، وكل شيء عنده بأجل مسمى ، فحقه على إخوانه المسلمين الدعاء بالمغفرة والرحمة ، وألا يكله الله إلى عمله طرفة عين ، فإن الإنسان إذا وكل إلى عمله وإلى قوته وكل إلى ضعف وعجز» .

ويقول فضيلة الشيخ عبد الله البسام – عضو هيئة كبار العلماء – «سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز هو المستحق في هذا الزمن بلقب (شيخ الإسلام) فهو الداعية الكبير ، وهو المفتي الأول ، وهو المرجع في كل شأن من شئون الإسلام ، لما حباه الله تعالى من إخلاص لدينه وأمته ولما امتاز به من علم وبُعد نظر ، وقبولٍ لدى المسلمين» .

ويقول معالي الشيخ صالح آل الشيخ – نائب وزير الشئون الإسلامية : «إن فقدان ورحيل سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز مصاب جلل وعظيم ألم بالأمة الإسلامية عامة وهذه الديار خاصة لما لسماحته – رحمه الله ورفع درجته – من مكانة في قلوب الجميع ، سواء ولاة أمرنا الذي يكنون له كل تقدير واحترام وعرفان لجهاده وفضله أو للعلماء وطلبة العلم الذين تتلمذوا على يده أو عامة الناس الذين لا يخلو مجلسه منهم صباحاً ومساء سواء من داخل المملكة أو خارجها .

وإن الألم بفقدان سماحته لا يختص بفئة معينة بل أصيب به الجميع على اختلاف طبقاتهم ولا نحصي من اتصل وهو يبكي ويحتسب ويسأل الله أن يعوض الأمة في خير خلف .

ولا ننسى أن هذا العالم الجليل ذا المقام الصدق ، عاش مع الناس فترات طويلة بلباسهم ولغتهم ، ولكن قلبه وروحه شابهت المثقفين الأوائل فعاش عيشة روحانية كالتي نقرأها في سيرة الأخيار والأبرار كما أنه تميز بقوة تمثيله لمنهج السلف الصالح في الدعوة والعلم ورعاية المصالح ودرء المفاسد .

إضافة إلى مواقفه الواضحة والداعية والناصحة في الولاية الشرعية منذ عهد الملك عبد العزيز حتى عهد خادم الحرمين الشرفين وآخرها موقفه في أزمة الخليج ، وهذا هو الواجب على العلماء والدعاة ، وأن تكون رعايتهم للصالح العام ، وائتلاف الناس وعدم الفرقة بين الناس وولايتهم .

وكذلك كان سماحة الفقيد في حياته مع نصحه للراعي بالطريقة الشرعية ، ويجمع الجميع أن الفقيد الراحل مصاب جلل ومن أعظم ما أصاب ولاة الأمر والناس أجمعين .

وإن الجميع صغاراً وكباراً تأثروا بعلمه وشفاعته وحسناته وفقده لا يختص ببلد دون الآخر ، وأسأل المولى عز وجل أن يرفع درجة سماحته ويجزيه خير الجزاء لقاء ما بذل طوال عمره وأن يبارك في عقبه ويتغمده بواسع رحمته ويسكنه فسيح جناته ، ويلهم أهله وذويه وأمته الصبر والسلوان » .

ويقول فضيلة الشيخ صالح الفوزان – عضو هيئة كبار العلماء – : « إن المسلمين فقدوا عالماً إسلامياً كبيرا كرس كل وقته منذ ثلثي قرن

لخدمة الأمة الإسلامية قاطبة وترك سماحته بصمات قوية في جميع أنحاء العالم الإسلامي من خلال دعوته الصالحة وأعماله الخيرة ومساعداته الكريمة للمسلمين ، إنه خسارة للمسلمين بفقدانه .

فقد العالم الإسلامي مفتياً وداعياً ومنقذاً ووالداً للجميع لا يفرق بين أحد ولا يرد طالباً تقدم له بطلب - رحمه الله وأسكنه فسيح جناته - » .

ويقول فضيلة الشيخ بكر أبو زيد - عضو هيئة كبار العلماء - : « هو حقيقة جبل السنة ورجل الجماعة ، وهو أيضاً حامي حمى السلف وأثره كبير ، فرحم الله شيخنا وأسكنه فسيح جناته ، من أهم أعماله - رحمه الله - أنه منذ أن بدأ عمله حتى وفاته يوم الخميس لم يتوقف يوماً واحداً عن العمل حتى خلال مرضه بالمستشفى كان يستمع لمشاكل المسلمين ، ويتلقى اتصالات هاتفية وهو على سريره ليرشد المسلمين في أمور دنياهم ، ولم يبخل على المسلمين حتى في اللحظات الأخيرة من عمره تلقى اتصالات هاتفية ، أرشد خلالها وأفتى في أمور الدين » (جريدة الجزيرة ، العدد : ٩٧٢٤) .

ويقول معالي الدكتور صالح بن حميد في مقاله المدرج ضمن كتابنا هذا : « لقد دفنت في مقابر العدل بمكة المكرمة الطاهرة مرجعية من مراجع الفقه والفتوى ، وعلم من أعلام الحديث والسنة ، ونموذج شامخ من نماذج التقوى والصلاح ، برحيله - رحمه الله - حدثت بأهل الإسلام ثلمة واسعة ، وفتحت ثغرة عميقة ، يدرك المتأمل غورها إذا

تذكر غزارة علم الفقيد ، ويهوله عمقها حين يتأمل اقتران العلم بالعمل اقتراناً أتعب فيه الفقيد من بعده . لم يتوقف يوماً عن طلب العلم والاستزادة منه ، ولم يتوقف عن تعليمه وبذله ، ثم لم يتوقف فيما رأينا وعلمنا لحظة عن الممارسة العملية في لحظه ولفظه ، قوله وفعله ، في البيت والمسجد ، والمكتب والمركب ، والحضر والسفر ، فهو في كل أحواله يربي ويوجه ، ويعظ ويرشد ، ويعلم ويفتي ، ويدعو ويفقه» .

وقد نقلنا في الصفحات القادمة عدداً هائلاً من مقالات العلماء وحسن ثنائهم على سماحته – رحمه الله – .

*** محبة المسئولين :**

أما المسئولون بمختلف مستوياتهم في هذه البلاد على وجه الخصوص ، فقد كانو يكنّون للشيخ احتراماً كبيراً ، ويعرفون قدره ، ويقبلون شفاعته ، ولقد كان أكثر الوزراء ومن دونهم أوّل ما يُقلّد أحدهم منصباً أو وزارة تجده يبدأ بزيارة سماحة الشيخ ، فيُعرفه بنفسه ويمتثل توجيهاته ، ويطلب منه أن يدعو له بالتوفيق والرشاد ، وكان يلقاهم بصدر رحب ، ويدعو لهم دعاءً طيباً مباركاً ، ويعظهم ويوصيهم بتقوى الله تعالى في السر والعلن ، يقول معالي الدكتور محمود سفر – وزير الحج – : «زرته في بيته في الطائف عقب صدور أمر تعييني وزيراً للحج وسألته أن يوصيني فكان الكلام ينطلق من قلبه بصدق ويجري على لسانه بعفوية فوقعت في قلبي وصاياه برداً وسلاماً وحفظت ذاكرتي نصائحه بارتياح وامتنان» .

ولقد ذهبت إلى رجل من كبار المسئولين بخطاب شفاعة لأحد المسلمين ، فلما رأى خطاب سماحة الشيخ تهلل وجهه ، وظهرت عليه دلائل البشر ، وعلامات السرور ، وقال يكفيني أن الشيخ كتب لي : « إلى حضرة الابن » بشّر الشيخ بنجاح موضوعه ، وقبول شفاعته .

وكلما ذهبت إلى دائرة حكومية لإنهاء ما يهم سماحة الشيخ من تصاريحٍ للمساجد أو كهرباء أو مياه فقد كان الواحد منهم يهتم للأمر أكثر من نفسه .

ولماذا نذهب بعيداً ، وقد أعطي الشيخ الأراضي التي أقيم عليها مسجده ومجمعه الخيري ، والتي تتجاوز العشرة آلاف متر ، وتربو قيمتها على المائة مليون ريال ، أعطيت له مجاناً .

*** محبة الأغنياء والتجار :**

وتسابق إلى حبه ونيل رضاه التجار والأغنياء ، وأهل اليسر والثراء ، وكانوا يسابقون بصدقاتهم وزكواتهم إلى سماحته لتوزيعها في مصارفها المستحقة ، ثقة منهم بأمانته ، ورضى باختياره ، وحباً لنيل دعواته .

وقد كان يدعو لهم بالبركة فيما أعطو وما أبقوا ، ولقد كان هؤلاء التجار على مختلف طبقاتهم يتوافدون على سماحته لا سيما في بعض المناسبات التي تكون ميداناً للبذل والعطاء والصدقة ، مثل شهر رمضان وأيام الحج ، وحلول الكوارث والنكبات لبعض البلاد الإسلامية ، لقد رأيت أحد التجار الكبار يتوسل لدى بعض الموظفين عند الشيخ ،

يتوسل إليه ويترجاه أن يغتنم له فرصة من الفرص في أسفار الشيخ إلى مكة ، ويستأذن منه ليرافقه من الرياض إلى مكة ، وفي أداء العمرة ، حرصاً منه على متابعة الشيخ ، ومعرفة دقائق حياته ، والاستفادة منه في تطبيق السنة في السفر والحضر والمناسك ، وقد رأيته مع الشيخ في غاية الأدب والتواضع ، وهو ممن يملك الملايين .

لقد رأيت بنفسي من محبة الناس لهذا الشيخ ما لم يخطر على قلب ، ولا يرد على ذهن ، ولاصوّره قلم الصغير والكبير ، الملك والوزير الغني والفقير ، العامي والمعلم ، العربي والأعجمي ، المدني والقروي ، الحضري والبدوي .

ولقد رأيت من خلال إشرافي على بناء جامع سماحته بمكة المكرمة رأيت من حب الناس له – عموماً والتجار خصوصاً – ومن يسر هذا المشروع وتهافت العقبات من طريقه ما يسر الخاطر ويثلج الصدر ، المقاول يحبه ويحترمه ، العامل سواءً عربياً أو أعجمياً يعمل بحب ونشاط ، لأن المشروع لابن باز ، المهندس يجتهد بإخلاص لأن المشروع لابن باز ، بل لقد كان أصحاب المحلات التجارية إذا ذهبنا لشراء شيءٍ يتعلق بالمسجد فإذا وصلنا معهم إلى أقل قيمة ممكنة ، قلنا لهم : إن هذا لمسجد الشيخ ابن باز ، فإن الواحد لا يتردد ، وقد نأخذ السلعة بنصف قيمتها ، أذكر أننا حينما فرغنا من التشطيب ، وجئنا إلى الفرش مكثت حوالي الشهر وأنا أبحث وأسأل وأستشير وأستخير ، وأقارن بين الأسعار فقررت أخيراً الشراء من إحدى المؤسسات ، وقد كنت في غاية الهم والحزن ، لأن هذا الفرش سيكلف أربعمائة ألف ريال ، فكنت أراه مبلغاً

هائلاً ، وقبل كتابة العقد بساعات خطر في ذهني أن أذهب إلى جده وأسأل فربما أجد فيها أقل مما وجدته في مكه ، فامتطيت سيارتي وتوكلت على الله ، ووالله ما ذهبت يمنة أو يسره ، بل كأن هنالك من قادني أنا وسيارتي إلى ذلك المحل في جده ، فتقدمت إلى الموظف ، وقلت له : أين صاحب المحل ، قال لي : موجود بالدور الثاني ، قلت له : وكيف الرجل ، هل هو يحب الخير والتعاون ، قال : نعم هو من أهله ، فصعدت إليه ، فإذا به رجل تلوح على وجهه علامات الطيبة والخير ، وهو الشيخ إبراهيم السريع – وفقه الله وإخوانه لكل خير – فما إن أخبرته أن الأمر يهم سماحة الشيخ ابن باز إلا وبادر بقوله : أنا والمحل والعاملين في خدمة الشيخ ، وتحت أمره ، ونسأل الله أن يكسبنا رضاه ، وكان كما قال جزاه الله خيراً ، فقد تم فرش المسجد بأدواره الثلاثة والسكن بأدواره الثلاثة بمائة ألف ريال .

* محبة الأدباء والمفكرين :

ويكفي دعماً لهذه المسألة ما جادت به الأقلام من كبار المثقفين والصحفيين والشعراء والمفكرين ، على اختلاف مذاهبهم ونزعاتهم ، وقد نقلنا منها كمّاً هائلاً في كتابنا هذا .

* محبة الفقراء والمساكين وعموم الناس :

وإضافة إلى هذه المكانة العالية لسماحته لدى العلماء ، فقد نال أسمى مراتب الحب من عامة الناس والفقراء والمنقطعين ، فقد كان – بعد الله تعالى – نصير الضعيف ، ومأوى المنقطع ، وغنى الفقير ،

ومأوى عابر السبيل .

لقد رأيت من بكائهم على فراقه ما يدمي القلوب ، ويقرح الأجفان ، ولقد رأيت جموعهم الهائله وهم يتوافدون ليشاركوا في الصلاة عليه وحمل جثمانه الطاهر ، ثم أقبلوا زرافات ووحدانا لتقديم واجب العزاء وإزجاء عبارات الدعاء والثناء ممتزجة بالألم والبكاء .

ويقول مدير مكتب سماحته – رحمه الله – الدكتور عبد الله الحكمي : « أبكيه ويبكيه الفقراء والمساكين فهو أبو المساكين سعى في رفع معاناتهم ، وفك كربتهم ، وقضاء ديونهم ، وعلاج مريضهم ، رحمهم وألان لهم الجانب ، فامتلأت دواوين مكتبه بطلباتهم ، يخصص لها الوقت الطويل يدرسها ويبذل الجهد في نفعهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً . فكم من مدين كان سبباً في قضاء دينه ، وكم من فقير رفع عنه ألم الحاجة ، وكم من مسكين فرج كربته ، بسط لهم مائدته ، وأوسع لهم في مجلسه ، حتى قال افريقي فقير رث الثياب جاء يسأل عنه في موسم الحج الأخير . يسأل : أين الشيخ ؟ فقيل له : لم يستطع الحج ، ماذا تريد ؟ فقال : أنا لا أريد منكم شيئاً : ولكني مسكين والشيخ أبو المساكين! » .

ويقول الشيخ أحمد بن عبد العزيز الحمدان : « بقيت مآثر الأمة التي كانت تعيش داخل ذلك الرجل ، وهكذا يعيش العظماء بعد موتهم ، العظماء الذين لم يكونوا يعيشون لأنفسهم ، ولا لرغباتهم ،

ولا لشهواتهم ، بل كانوا يعيشون للصلاح والإصلاح .

مات صاحب العقيدة الصلبة النقية السلفية ، وصاحب التالق في العبادة وصاحب اللسان الذي لا يفتر عن ذكر الله تعالى ، وصاحب الخلق الحسن ، والسلوك القويم ، من لين جانب وتودد الى الخلق ، وصفح عن المعتدي ، وإعراض عن الجاهل ، وحرص على إعطاء كل ذي حق حقه ، وهداية الخلق أجمعين .

مات رجل وبقيت امة مذكورة ، ومآثر مسطورة ، وأعمال صالحة مبررة ، بقيت أمة كانت في ذلك الرجل تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتحقق سبب خيرية هذه الأمة ﴿ **كنتم خير امةٍ أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾ .

بقيت أمة كانت في ذلك الرجل تلم الشعث ، وترأب الصدع ، وتجمع الشمل بين أفراد المجتمع ، فما تقع حالة شقاق إلا وهرع الناس إليه ولا حالة طلاق إلا وسارعوا للمثول بين يديه ، يطلبون حل مشكلاتهم وإنهاء نزاعاتهم ، وجمع شتاتهم ، فيفتي ، ويوجه ويرشد ويقدم النصح للجميع .

ولا وقع خلاف بين طلاب علم ودعاة إلا وجعلوا قوله هو الحكم الفصل الذي إليه يعودون وعن رأيه يصدرون ، وعنده ينتهون .

بقيت أمة كانت في ذلك الرجل ترعى الأرامل ، وتمسح دموع اليتامى ، وتواسي الثكالى ، وتعين العجائز والمسنين ، وتنفق على

الفقراء والمساكين ، وتفرج هموم أصحاب الديون ، وتفك كرباتهم فما يسمع بمسكين محتاج إلى مساعدة ، ولا أرملة تحتاج إلى إعانة ولا عاجز يحتاج إلى رعاية ، إلا وسعى جاهداً إلى أرباب الأموال أن ينفقوا عليه ، ويمدوه بمساعداتهم ، ويعدهم بأن يخلف الله عليهم ويبشرهم بعاقبة إنفاقهم في الدارين .

فكم من يتيم سيتألم لموته ؟ وكم من أرملة ستبكيه ؟ وكم من عاجز سيجد أثر فقده ، وكم من صاحب دين ستزداد كربته بموته؟ » .

*** محبة الجماعات الإسلامية :**

وتتعدد الأحزاب والجماعات ، ويحدث بينها التفاوت والخلاف أحياناً إلا أن جميع الأحزاب والجماعات والاتجاهات تجتمع في محبة الشيخ وإجلاله واحترام رأيه .

وهو – رحمه الله – إضافةً إلى منزلته العلمية التي فرضت احترامه على جميع فئات الناس ، كان أيضاً يتعامل معهم بأجمل أسلوب ، وأحسن وسيلة ، يأتي إليه بعض الناس أحياناً وهم يفيضون غضباً ، ويمتلؤن حماساً ، للرد على عالم معين ، أو مفكّر ، أو على جماعة ويذكرون من الأخطاء والعيوب والملاحظات ، فلم يكن – رحمه الله – يندفع وراء تلك المقولات ، أو يتعامل بذلك الأسلوب ، بل يتأكد ويتثبت من الأمر أولاً ، فإذا عرف ملاحظة شرعية ، أو مخالفةً دينية ، قدم نصيحة بأحسن عبارة ، وأصدق بيان .

ولم يكن ينال من الجماعات الإسلامية ، أو يشهر بأخطاء المخطيء منهم ، بل إذا سئل عن جماعة قال : « هم على خير كبير ، ونفع الله بجهودهم ، ولديهم بعض الملاحظات ، وكتبنا لهم بذلك ، نسأل الله أن يهدينا وإياهم » – ومعلوم أن الحديث هنا عن الجماعات الإسلامية التي بينها خلاف في بعض وجهات النظر أما المخالفة للكتاب أو السنة فليس لنا كلام معهم – وهو مع ذلك كله لا يفتأ يدعو الجميع إلى الجماعة الواحدة ، وإلى الاحتكام لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، والبعد عن عوامل الفرقة والشتات والتباغض .

وصـــفـــات ذات منك يأخـــذها الورى
في المكرمـــات فكلهـــا أســـمـــاء
وتجـــمـــعت فـــيك القلوب على الرضى
وتـوافـــــقـت في حـــــبك الأهـواء

صح عنه ﷺ قوله : « إن الله تعالى إذا أحب عبداً نادى جبريل : أن اللـه يحب فلاناً فأحبُّوه فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض » .

ولـو كـــتـــبت بدمع العين ملحـــمـــة
بديعـــةً جـئـتكم في ثوب مــعــتــذر
لـم أسـتطع أن أُجلِّي عـشـر عــاطفـتي
في حـــبـــه لا ولا عـــشـــراً من العُـــشُـــرِ

٢١ - القيام بالمسئولية ، والصدق في حمل الأمانة :

وقال تعالى : ﴿ **يا أيها الذي ءامنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون** ﴾ [الأنفال : ٢٧] .

وقال تعالى : ﴿ **والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون** ﴾ [المعارج:٣٢] .

ويقول ﷺ : « آية المنافق ثلاث : إذا حدّث كَذَبَ ، وإذا وعدَ أخلف ، وإذا ائتُمن خان » [متفق عليه] .

ولذلك كان سماحة الشيخ من أبعد الناس عن هذه الصفات ، وهو - رحمه الله - يعرف المنزلة العظمى لمن أدى الأمانة ، وقام بالواجب ، ونصح للأمة ، ويعرف قوله ﷺ : « أربعٌ إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا : صدقُ الحديث ، وحفظُ الأمانة ، وحُسن الخلق ، وعِفّة مطعم » [صحيح الجامع : ٨٧٣] .

والشيخ - رحمه الله - يعلم أنه مسلم ، وأن عليه أمانة عظيمة ، ثم هو عالم ، وعليه أمانة عظيمة ، ثم هو موظف مسئول يتقاضى أجره فعليه أمانة عظيمة ، فأتى بما طلب منه ، وأضعاف أضعافه ، وقت الدوام الرسمي لا يخرم منه دقيقة ، كان إذا كان في اجتماع ، أو عمل خارج إدارته ، ففرغ منه يسأل عن الساعة ، فإذا بقي ولو نصف ساعة عن نهاية الدوام يعود إلى مكتبه ، ويكمل بقية دوامه ، وهذا والله رأيته أنا عدة مرات ، ومع ذلك فوقت الشيخ كله دوام ، ويومه وليلته في خدمة المسلمين .

إن صاحب الحاجة لا يتعب في الوصول إلى الشيخ ، يأتي الإنسان لديه مشكلة أسرية ، أو قضية شخصية ، أو فتوى شرعية ، فإن لم يجد الشيخ في العمل ، ذهب إلى بيته ، فتغدى معه ، وعرض عليه أمره ، فإن لم يكن قابله في العصر ، وقضى له حاجته ، أتى إليه من المغرب إلى العشاء في بيته ، فإن لم يمكنه أتى إليه بعد العشاء ، فتعشى معه ، وعرض قضيته ، فإن لم يمكنه أتى إليه بعد الفجر ، فهو يجلس إلى الساعة الثامنة تقريباً .

لقد رأيته – رحمه الله – في الأيام الأخيرة من حياته ، وهو على عمله الدؤوب ، وصبره العظيم ، بل يزيد ولا ينقص ، في ليلة من الليالي صلى المغرب ثم ألقى درساً ، ثم صلى العشاء ، ثم عاد إلى البيت ليستقبل عدداً من حالات الطلاق ، استنفذت من وقته أكثر من ساعة ، ثم قام لموعد مع عدد من الأطباء بالجامعة لديهم أسئلة واستفسارات ، ثم انتهى منهم ، وألقى محاضرة في مدينة أخرى عن طريق الهاتف ، كل هذا الجهد والعمل فقط من المغرب إلى ما قبل النوم دعك من بقية النهار ، وهو مريض منهك ، المرض يفتك بجسمه ، والوباء يلتهم أحشاءه ، ولم يبق منه إلا جلد على عظم ، وفي الليلة التي تُوفِّي فيها – رحمه الله – كان جالساً للناس من المغرب للعشاء ، وأفتى في بعض المسائل بعد العشاء ، وجلس إلى أهله وأبنائه ، ثم في الثلث الأخير من الليل وهو في مصلاه يذكر ربه ويسبحه ويحمده ويمجده ، سافرت الروح إلى بارئها ، وغادرت الروح الطاهرة هذه الدنيا

بأتعابها وأوصابها ، سافرت في ليلة الخمس ، لأنه كان يستحب السفر كل اثنين وخميس فسافر إلى مولاه ، وأجاب رباً دعاه - رحمه الله ، رحمه الله ، رحمه الله - .

يقول الدكتور عبد الله الحكمي : « لقد كان من نشاط الشيخ واجتهاده في الأشهر الأخيرة من حياته ما يبعث على العجب ، فقد كان يضاعف جهده ، ويرهق نفسه ، ويريد أن ينهي أكبر قدر من المعاملات والأوراق والبحوث ، وكأنه يعلم أنه مودّع ، أحب أن ينجز أكبر قدرٍ ممكن من مصالح المسلمين وحوائجهم » .

سئلت مرة أن أتكلم عن وصف الشيخ بإيجاز فقلت : الشيخ هو الصورة المشرقة للإسلام ، وأنا أعي وأعني ما أقول ، إذا أردت أن تنظر إلى الإسلام واضحاً نقياً ، بيناً جليا ، فانظر إلى حياة هذا الشيخ وسيرته بمعنى أن الخصال المحموده ، والمثل الطيبة التي أمر بها الإسلام خير من يطبقها في هذا الزمن ، وخير من تمثلت في حياته ممن رأينا هو سماحة الشيخ - رحمه الله - وفي سنن الترمذي : أن ابن المبارك سئل عن حديث « يد الله على الجماعة » : من الجماعة؟ ، فقال : أبو بكر وعمر ، قيل له : قد مات أبو بكر وعمر! ، فقال : فلان وفلان ، قيل له : قد مات فلان وفلان ! ، فقال : : أبو حمزة السُّكري جماعة » .

كان ﷺ قرآناً يمشي بين الناس ، وأفعاله وأقواله سنة للناس ، فجاء الشيخ - رحمه الله - فكان قرآناً يمشي بين الناس ، وتمثل سنة المصطفى

ﷺ فأصبح قرآناً وسنة يمشي بين الناس ، فوالله ما رأيته في يوم من الأيام متلبساً بأمر معيب ، أو ماضياً في تصرف مشين ، أو مخالفاً لسنة ، بل كان شديد الحرص على تطبيق السنة بحذافيرها ، في كل أموره كبيرها وصغيرها ، دقيقها وجليلها ، في علمه ، في تعليمه ، في نصحه ، في توجيهه ، في أخلاقه ، في نومه ، في صومه ، في حجه ، في صلاته ، في أذكاره ، في مأكله ، في مشربه ، في ملبسه ، في شفاعته ، في إصلاحه ، في سمته في وقاره ، في منزله ، في ضيافته ، في معاملته لأهله ، في معاملته لأبنائه وزملائه وأصحابه وأصدقائه والعاملين معه ، ولمن تحت يده ، وللصغير والكبير ، والغني والفقير ، والغريب والمنقطع ومهما قيل ويقال ، ومهما روي ويروى ، فهو أقل من القليل .

هل ما روينا وما يُروى لنا صورٌ
من الحقائق أم ضربٌ من الحُلُم
نعم فكلّ معاني الفضل ماثلة فيكم
وكل سمات النبل والشيم

هذا نزر من نهر ، وقطر من بحر ، وفيض من غيض ، ويسير من كثير ، من الصفات النبيلة ، والآداب الجميلة ، والفعال الحميدة ، والأعمال الرشيدة التي تجسدت واقعاً حياً في حياة شيخنا – رحمه الله – ، وقد مات هذا الإمام وما في قلبه غلّ على مسلم ، رحمه الله رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جناته .

لماذا كان أمة وحده ؟!

والدعاوى ما لم يقيموا عليها
بينات أصحابها أدعياءُ

خلاصة الأمر عن هذا الإمام – رحمه الله – أنه : (كان أمة وحده) ، إنها ليست عواطفاً مجردةً عن الحقائق ، وليست إدعاءات خالية من البراهين ، إنها الإمامة في أبهى مظاهرها ، والعظمة في أجمل مناظرها .

قل لي بربك هل تحتاج الشمس الساطعة إلى دليل ، وهل يفتقد البدر المنير إلى شهود ، إن صفات هذا العالم ومناقبه شمس أشرقت على الدنيا ، ونجومٌ تألّقت في سماء الكون ، وإن مكارمه وفضائله وعلمه ، بدورٌ مزهرةٌ في الأفق الواسع .

كيف يطوي كونَ المعالي ضريحٌ
والمعالي لا يحتويها مكانُ؟
من نُعَزّي ..؟ سيل الفجيعة طام
كل قلب يجتاحه طوفان؟
أنت حيٌّ في كل ذرة رمل
من بلادي ما مرك النسيان

فكتاب الخلود سفر مضيءٌ
أنت فيه الختام والعنوان
وإلى رحمةٍ وطيب مقام
في جنان تُرابها زعفران

لك أن تتأمل تأملاً سريعاً بعض المعالم البارزة في هذا العمر المديد والزمن المبارك ، هذه المعالم التي ستبقى شاهد صدق وعدل على مد التاريخ :

*** نور الإيمان :**

كُفَّ بصره بعد أن كان ينعم بنوره ، ويسعد بضيائه ، فلم ينطوِ على نفسه ، يتحسر على بصره أو يبكي حظه ، بل ازداد نوراً إلى نوره وبصراً إلى بصره ، وهمة إلى همته .

إن يأخذ الله من عينيّ نورهما
ففي فؤادي وقلبي منهما نور
قلبي ذكيٌّ وعقلي غير ذي دخلٍ
وفي فمي صارم كالسيف مأثور

وكأن حكمة الله تعالى ، اقتضت أن يتمحض هذا القلب المؤمن الخاضع الصادق يتمحض له وحده سبحانه ، فإن العين رسول القلب ، ولو ترك هذا الرسول يتعامل مع أشياء الحياة الدنيا ومباهجها ، فلربما يُحدث تشويشاً على قلب امتلأ بجلال الله ، وفاض بحبه والإيمان به ،

فلا داعي إذن لهذا البصر ، تنزع ملكيته ، ويعوض صاحبه بنور في قلبه يملأ حياته أنساً وسروراً وإيماناً ويقيناً ، فلا يرى إلا نور خالقه ، ﴿ **الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درّيّ يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم** ﴾ [النور : ٣٥] .

وانظر لباز التقى والعلم تبصره
بدون عينين قد أربى على البشر
عبدالعزيز الذي تهفو النفوس له
وتشتري نظرة في وجهه النضر
كالبحر في علمه السامي وذو خلق
كالمسك كالعنبر الفواح كالزهر

انطلق الشيخ في حياته بهمّة تتحدى الصعاب ، وإيماناً يعانق السحاب ، فهو يحفظ القرآن فلما أتمّ حفظه ، ووعاه بقلبه ، يمّم بوجهه شطر السنة المباركة في نهم شديد ، يحفظ متونها ، ويدرس أسانيدها ، ويدرس العربية والفرائض والفقه والتفسير ، بدأت مخايل النبوغ والولاية والكرم من وقت مبكر في حياته ، كان يلمسها فيه من رافقه في طلب العلم وتحصيل المعرفة .

وعيّرني الأعداء والعيبُ فيهمو
فليس بعار أن يقال ضرير

إذا أبصر المرء المروءة والتُّقى
فإن عمى العينين ليس يضيرُ
رأيتُ العمى أجراً ، وذُخْراً وعِصْمَةً
وإني إلى تلك الثلاثِ فقيرُ

*** القاضي المعلم :**

تبدأ حياته بالقضاء فيمكث فيه أربعة عشر عاماً ، لم يكن قاضياً يؤدي دوامه الرسمي ، يقبض راتبه آخر الشهر ، فيصرفه على نفسه وأهله ، وانتهت مهمته بذلك ، بل كان القاضي ، والمعلم ، والمربي ، والإمام ، والمرشد ، والمصلح ، والكريم ، محكمته بيته ، وبيته محكمته ذاع صيتهُ ، ولمع اسمه ، وتسابق إليه طلابُ العلم ، ينهلون من علمِ هذا الشاب المبارك المتدفق حيويةً وعلماً ونشاطاً ، والمتوقد ذكاء وعبقرية وسناءً ، وهكذا سالت أوديةٌ بقدرها من العلم والخير والدعوة إلى الله تعالى .

*** مخايل الذكاء :**

ثم حينما أدرك أهل العلم والفضل أن بين ظهرانيهم كنزاً عظيماً ، وغنيمة بارده ، وسراجاً مزهراً ، ونوراً متلألأ ، وغيثاً هنيئاً ، قرروا أن يعم الجميعَ خيرُه ، ويُنشر لطلبة العلم عِلمُه ، فنُقِل إلى المعاهد العلمية بمدينة الرياض ، ثم كلية الشريعة ، ودرّس الفقه ، والتوحيد ،

والحديث ، واتصل هذا العطاء المبارك ما يقارب عشر سنوات (١٣٧١ - ١٣٨٠ هـ) ، كانت زاخرة بالعطاء المتألق ، والعلم المتدفق ، وتعددت قنوات هذا النهر الزاخر إلى كثير من البقاع والأراضي الهامدة ، فذهبت غبرتُها ، ورويت تربتها ، فاهتزت وربتْ وأنبتت من كل زوج بهيج .

*** من المحلية إلى العالمية :**

ثم عين نائباً لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وامتد عطاؤه الدؤب لمدة تسع سنوات (١٣٨١ - ١٣٩٠ هـ) .

فلما بلغ القمة في العلم والحلم والفضل والتقى ، وتوجهت الأنظار إليه ، وتطلعت النفوس إليه ، وأضحى ملء السمع والبصر ، أسندت إليه رئاسة الجامعة الإسلامية ، فلم يمكث في هذا المنصب إلا خمس سنوات ولكنها تعدل خمسين عاماً ، وقد كان جهد الشيخ وعلمه وفضله فيما مضى من عمره قبل هذا المنصب ، كان جهداً محلياً إلى حدٍ كبير ، أمّا الآن فقد انداحت دائرة هذا الجهد المبارك ، والعطاء المميز لتشمل العالم الإسلامي كله ، ﴿ **فإن لم يصبها وابل فطل** ﴾ ، ففتح أبواب الجامعة لأبناء المسلمين من أنحاء الدنيا ، فنهلوا من علمه ، ونهلوا من علم الجامعة التي حوت أفاضل العلماء ، وأساطين الدعاة ، ولقد كان الشيخ - رحمه الله - على عادته في بذل كامل وقته وجهده وماله للمسلمين ، كان جامعة متنقلة . اسمع ما يقوله أحد الطلاب الذي تخرجوا على يديه من تلك الجامعة ، يقول : « ولذلك كان يوم وداعه للجامعة بعد أن

أسندت إليه رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء ، كان وداعاً مشهوداً حزناً وأسى ، بكاءً ونحيباً ، بكاء كبكاء الثكلى ، ونحيباً كنحيب اليتامى ، حيث فقدوا من يحنو عليهم كحنو الآباء على أبنائهم ، فبيته كان بيتاً لمن لا بيت له ، ومأوى لمن لا مأوى له ، يسعى في حل مشاكلهم ، ويبذل وقته في توجيههم ونصحهم ، ويفتح صدره وقلبه لاستقبالهم ومشاركته لهم في همومهم ، وما ينزل بهم ، فكانت الجامعة في عهده البيت الواسع ، والمأوى الرحب لعربيهم وعجميهم ، أبيضهم وأسودهم ، فالكل يلهج بابن باز ، فقد أحبته القلوب ، وتعلقت به النفوس ، وقد ربى أجيالاً وخرّج أفواجاً من طلبة العلم ، عُمرت بهم المعمورة ، وانتشروا في بقاع الأرض ، ينشرون دين الله عقيدة وشريعة ، وكان لهم بعد ذلك معيناً وناصراً وداعماً ومؤيداً مما جعله يتبوأ هذه المنزلة الغالية في بلاد المسلمين ، ويكسبه هذه الشهرة المنقطعة النظير في زماننا المعاصر» آهـ .

***** إمام العلماء :**

انتقل الشيخ الأجل – رحمه الله – ليكون على رأس هرم العِلْم والمعرفة ، وعلى قمة عَلَم الفكر والهدى ، ويصدر الأمر الملكي بتعيينه في منصب الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد برتبة « وزير » ، ويا الله كم فتح الله على يديه في هذا المنصب من أبواب الخير ، وكم يسر من سبل الهدى ، ومهد من طرق المعرفة ، وبث من نور العلم ، ما ظنك برجل قلبه ونفسه وحبه وهوى نفسه

وسلوة روحه وقرة عينه : الدعوة إلى الله ، وتعليم الناس الخير ؟ ما ظنك به إذا أصبح زمام الأمور بيده ، والناس تصدر عن رأيه . جَنَّد كل ما لديه من طاقات ، وبذل الغالي من الأموال والأوقات ، اختار العلماء الناصحين ، ومكّن للدعاة الصادقين ، وحث الجميع على العمل ، وشجعهم على الدعوة ، وشدّ من أزرهم ، ورفع من قدرهم ، وضرب لهم المثل الأعلى بنفسه ، فما كان يدعوهم إلى أمرٍ إلا وهو أسبقهم إليه ولا يحضهم على شيءٍ إلا وقد تمثل فيه ، فازدهرت الأرض بالعلم ، وآتت الجهود ثمارها ، فشهدت البلاد علماً ونوراً وصلاحاً ودعوة ودروساً ، حتى أصبحت مجالس الناس ومنتدياتهم وحفلاتهم ولقاءاتهم ومدارسهم وأنديتهم ودوائرهم ، بل ومطاراتهم وقطاراتهم وسياراتهم ، أصبحت جميعاً تعج بالعلم وأهله ، وتعمر بالخير وذويه ، وتعطر بالقرآن ومعانيه ، وتُنوّر بالإسلام ومراميه ، وقد وجد من الحكومة ما يشد من أزره ، ويقوي من مكانته ، ويسمع لرأيه ، ويستجيب لندائه ، ولم يكن هذا الجهد المبارك ، والخير العميم ، حكراً على هذه البلاد ، بل امتد ليشمل أنحاء الدنيا ، فاهتم الشيخ – رحمه الله – بالدعوة إلى الله ، وتنوير المسلمين ، والشد من أزرهم ، والوقوف ضد التيارات التي تريد اجتثاثهم ، فجند جنوداً ، وأقام مراكزاً ، وأرسل دعاةً وجهز هداةً لأغلب بلدان العالم . كانوا يستنيرون برأيه ، ويمضون بتوجيهه ، وإذا بالجماعات الإسلامية ، والمراكز الدينية في أنحاء الدنيا إذا ما أشكل عليها شيء من الدين ، أو خفي عليها باب من العلم ،

لجأت – بعد الله – إلى سماحة الشيخ ابن باز – رحمه الله – فإذا قال فالمعتمد لديهم قوله ، وإن أفتى فالفتوى محبوبةٌ مقبولة ، وأي لجنةٍ تنشأ أو جماعةٍ تقوم ، أو مشروع يقترح من العالم فإن الأساس لنجاحه وفلاحه بعد الله تعالى أن يحظى بتزكية من سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – ، فَتُجعل تاج المشروع ووجهه وروحه .

ولقد كنت أرى من محبة الشيخ – رحمه الله – من أبناء العالم الإسلامي ما يسر النفس ، ويسعد الخاطر ، كنت أراهم في الحج ، وفي رمضان ، حينما يكون سماحته في مكة تجد سيارات الأجرة ذاهبةً آيبة بالذين يأتون من أنحاء العالم ، فيقبلون في رغبةٍ جامحة لرؤية ابن باز والسلام عليه ، والنهل من علمه ، وسؤاله عمّا يشكل عليهم ، تغص الشوارع ، ويكتظ الحي ، ويمتليء مجلسه بهؤلاء المسلمين من أنحاء الدنيا ، وكنت حينما أقرأ الأسئلة على سماحته في مسجده بمكة أجد أمراً عجباً ، هذا السائل يسئل : يا سماحة الوالد أنا ابنكم من أمريكا وأسئل عن كذا ، وثانٍ : يا سماحة الشيخ نحن من مسلمي فرنسا ، ولدينا كذا وكذا ، فكيف نتعامل مع ذلك ، وثالث : يا سماحة الشيخ أنا قادم من جزر القمر ، وأريد أن تدعو لي .. ، ورابع : يا سماحة الشيخ نحن من أبناءكم المسلمين من ألمانيا ، أو بريطانيا ، أو الصين .. إلخ ، وهكذا تجد هذه الأسئلة العالمية التي تنبئك بعالمية هذا الإمام ، وسعة علمه ، ورفعة شأنه في أنحاء الدنيا .

ولقد استمر دعم سماحته للدعوة والدعاة في أنحاء العالم إلى

وفاته – رحمه الله – حيث توفي ولا زال تحت رعايته أكثر من ألفين داعية حول العالم ، تصرف مرتباتهم عن طريق سماحته .

مضى شيخنا – رحمه الله في هذا المنصب منذ عام ١٣٩٥ هـ إلى عام ١٤١٤ هـ ، حيث صدر الأمر الملكي بإنشاء وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، وصدر الأمر بتعيين سماحته – رحمه الله – مفتياً عاماً للمملكة ورئيساً لهيئة كبار العلماء ، وبقي في هذا المنصب إلى أن توفاه الله عز وجل في فجر الخميس السادس والعشرين من شهر محرم لعام عشرين وأربعمائة وألف من الهجرة بمدينة الطائف ، وصلي عليه بالمسجد الحرام بعد صلاة الجمعة ، ودفن بمقبرة العدل بمكة المكرمة – رحمه الله رحمة واسعة – ، هذه المناصب الرئيسية في حياة الشيخ .

* المناصب الشامخة :

ولكن مع هذه المناصب الشامخة ، ومع هذا الكم الهائل من البذل والتضحية ، لم يكن ذلك هو كل ما في حياة إمامنا – رحمه الله – بل كان يجمع إلى ذلك رئاسة عددٍ من المناصب ، كل منها يتطلب رجالاً عدّة لإدارته ، والقيام به ، ومع ذلك فقد قام على رئاستها جميعاً إلى جانب نهجه العامر المعهود في حياته طيلة ليله ونهاره ، كما يقول الدكتور يوسف القرضاوي – وفقه الله – : « كان الشيخ يرأس إدارة الفتوى والبحوث والدعوة ، ويرأس هيئة كبار العلماء ، ويرأس المجلس

التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي ، ويرأس المجلس العالمي الأعلى للمساجد ، ويرأس مجلس المجمع الفقهي للرابطة وظل سنين رئيساً للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، فلم يضعه ذلك في برج عاجي أو في صومعة منعزلة ، بل ظل بيته مفتوحاً ، ومكتبه مفتوحاً وقلبه مفتوحاً لكل ذي حاجة من أبناء المسلمين ، مادية أو علمية ، لا يغلق بابه في وجه أحد ولا يضيق صدره بلقاء أحد ، ولا يدخر جهده في مساعدة أحد » .

قام على رئاسة هذه المهام ، فأثراها بعلمه ، وتوّجها بفعله ، وأسعدها بفقهه .

*** رئيس هيئة كبار العلماء :**

كان يرأس هيئة كبار العلماء ، وهي هيئة عظيمة الشأن رفيعة القدر ، عالية المكانة . ليست الهيئة مجرّد مجموعة من العلماء يجتمعون لإصدار بعض الفتاوى الفقهية فحسب ، بل هذه الهيئة كانت ذات صبغة علمية اجتماعية سياسية ، تهتم بأهم القضايا الشرعية ، والمسائل الاجتماعية ، والمصالح السياسية ، فيما يتعلق بالمملكة العربية السعودية على وجه الخصوص ، وفيما يتعلق بالعالم الإسلامي على وجه العموم ، فهي بمفردها قلعة من قلاع العلم والمعرفة ، لها أهميتها البالغة ولما تصدره من فتاوى وتوصيات . وإدارتها والقيام عليها ، والنجاح في قيادتها ، ليس بالأمر الهين ، ومع ذلك فقد تمكن الشيخ من القيام عليها

بقوة واقتدار ، وكان حسن السياسة ، حكيم القيادة ، بديع الريادة ، لم توجد ذرّةٌ من جفوةٍ أو شقاق بينه وبين إخوانه وأبنائه العلماء .

كريمٌ يغض الطرف فضل حيائه
ويدنو وأطراف الرماح دوان
وكالسيف إن لا ينته لان مَسُّه
وحدَّاه إن خاشنتهُ خشنان

يقول لي أحد الأعضاء : كانت تطرح المسألة من المسائل ، فيبدأ النقاش فيها ، فهذا يدلي برأيه ، والآخر يبدي وجهة نظره ، وذاك يقول وهذا يلاحظ ، وقد يحتدم النقاش ، وأنت تنظر إلى الشيخ وهو في غايةٍ من الإنصات والأدب والتواضع ، حتى إن الذي يراه وهو لا يعرفه ، يقول هذا من عامة الناس ، فإذا ما بدأ سماحة الشيخ قائلاً : الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ثم اندفع كالسيل المتدفق ، وتفجر بالعلم كالبحر الهادر ، وجاد بالحكمة كالؤلؤ والمرجان ، وأورد الآراء ، وناقش الوجهات ، ثم نفذ بفكره الثاقب إلى أعماق المسألة ، فجاء فيها بنبأ عظيم ، ورأي حكيم ، فيأتي رأيه مثل فلق الصبح ، ويلقى من الجميع القبول والربح ، فإذا بالجميع منذ أن يبدأ كلامه في غاية من الإنصات والاستماع والإجلال والإعجاب والإكبار .

ومُخرّق عنه القميص تخالُه
بين الرجال من الحياء سقيما

حتى إذا رفع اللواء رأيتَهُ
تحت اللواء على الخميس زعيما

يقول الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان – عضو هيئة كبار العلماء – في مقاله المدرج في هذا الكتاب : «إذا التقى مجلس هيئة كبار العلماء فأول ما يبتدر سماحته الحديث بالسؤال عن شؤون الأمة الإسلامية ، يستكشف أخبارها في جميع أقطارها ، يتلمس أنباءها إن كانت خيراً حمد الله وأثنى عليه وإن كانت غير ذلك أحزنه أمرها ، ودعا الله أن يكشف الغمة عنها ، وسعى ما استطاع من قول وعمل وجهد لما يرفع عنها الشدة ، ويزيل عنها البأس .

يتأنى – رحمه الله – في الأحكام ، يعطي الفرصة الكافية لكل صاحب رأي أن يعرضه ويقرره دون تضييق أو مضايقة ، يمد الوقت أكثر فأكثر مداولة ونقاشاً حتى يتمخض المجلس عن رأي سديد يحقق المصلحة . ولا يطمئن حتى لا يبقى للمداولة والنقاش مجال وهو في أثناء ذلك وقبل ذلك وبعده ، يذكر نفسه وأعضاء المجلس في صوت متهدج ممتلئ خوفاً ورهبة من المولى عز وجل . يذكر بمراقبته تعالى والإخلاص والتجرد والنصح للعامة وولاة الأمر ، ومن ثم الدعاء بالصلاح والرجوع الى الله عز وجل لا يفتأ يكرر هذا بداية وانتهاء» آهـ .

وإنني على يقين أن الهيئة الموقرة – متّعنا الله بعلمائها – ستقوم بواجبها تجاه إمامها العظيم ، وشيخها الكريم ، وستجلّي للدنيا حقائق

ووثائق من جهده النافع ، وعطاءه الناصع .

*** رئيس مجلس الرابطة :**

وكان سماحته – يرحمه الله – يرأس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي ، وهي أيضاً هيئة لها مكانة عالمية بعيدة المدى ، عميقة الأثر ، واسعة النشاط ، ونشاطها على مستوى العالم الإسلامي ، وقد قام بهذه المهمة خير قيام ، وحقق نجاحاً باهراً ، وسمعة شامخة ، وإكباراً وإجلالاً من العالم بأسره .

*** رئيس المجلس الأعلى :**

وكان – رحمه الله – يرأس المجلس الأعلى العالمي للمساجد ، وهذا أيضاً من المجالس ذات الأهمية البالغة ، فهو مجلس عالمي ، وليس وطنياً أو إقليمياً ، وقد ظهرت بركة الشيخ ، وصلاح نيته ، ظهرت آثارها واضحة جلية على هذا المجلس ، وما قام به من مهام على مستوى العالم الإسلامي .

*** رئيس المجمع الفقهي :**

وكان يرأس المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة ، التابع لرابطة العالم الإسلامي .

وهذا المجمع من أعظم وأجل وأنفع المجامع ، إنه قلعة شامخة من قلاع العلم ، إنه منارات إشعاع تسطع أنوارها في أنحاء العالم الإسلامي

إنه عطر يفوح بعبير الشريعة الربانية ، ويعبق بشذى الفقه الإسلامي ، أنشيء ليقوم بمهمة عظيمة ، ويؤدي رسالة خالدة .

ولهذا المجمع الفقهي مجلس يضم نخبةً ممتازة من فقهاء العصر ومفكريه ، متخصصين في مختلف المجالات والعلوم الإسلامية .

وقد أنشيء في عام ١٣٩٦ هـ ، هذا المجمع الذي شَرُف برئاسة سماحة الشيخ له ، وصل في التوفيق إلى مداه ، وبلغ في المجد والسبق والفضل إلى منتهاه ، وكانت إدارة الشيخ له وقيامه بمهامّه محط إعجاب وإكبار من الجميع ، واسمع بعض أعضاء المجمع ماذا يقول عن الشيخ : «ولقد رأيته في المجمع الفقهي يستمع وينصت إلى الآراء كلها ، ما يوافقه منها وما يخالفه ويتلقاها جميعاً باهتمام ، ويعلق بأدب جم ، ويعارض ما يعارض منها برفق وسماحة دون استعلاء ولا تطاول على أحد ، متأدباً بأدب النبوة ، ومتخلقاً بأخلاق القرآن» .

وإنك بنظرة واحدة إلى الموضوعات والمسائل التي طرحت ودرست في هذا المجمع ، ترى الأهمية الكبرى لوجوده وتعرف المنزلة العظمى له .

لقد عالج كثيراً من القضايا ، ودرس عدداً هائلاً من المسائل الشائكة التي تعترض المسلمين في شتّى أنحاء الدنيا .

وأعلم يقيناً أن المسئولين في الرابطة عموماً ، والمجمع الفقهي خصوصاً – وفقهم الله وبارك فيهم – سيقومون بالكتابة عن جهود

الشيخ – رحمه الله – وأثره وإثراءه لهذه القلاع العملاقة .

*** عطاء بلا حدود :**

وقد كان سماحة الشيخ إضافة إلى ما سبق ذِكْره ، عضواً هاماً بارّاً راشداً لكثير من اللجان والهيئات ، ومع كل ما رأيت من جهودٍ عملاقة ، ومناصب شامخة ، وأعمالٍ جادّة عظيمة كبيرة كثيرة ، فإنْ هذا كلّه في كفّه ، وما تركه من تراث العلم وبركة الهدى ، وروائع الفتيا في كِفّة .

وفتاوى اللجنة الدائمة التي كان يرأسها – رحمه الله – من الأعمال العملاقة التي ستظل على مر القرون ينطق بفضله ، وتشهد بعظمته ، وتُبين عن سعة علمه ، وقد بلغ المجموع والمطبوع منها عشرات المجلدات .

أفلا يكون من قام بهذه الجهود الجبارة ، ومن أفعمت حياته بهذه الأعمال العملاقة ، التي عمّ نفعها الأرض ، ووصل خيرها إلى أنحاء الدنيا ، إضافة إلى ما مرّ من صفاته وسماته وجهوده ودعوته وبذله وكرمه ودروسه وعلمه ، أفلا يكون مثل هذا الرجل : «**أمّـة وحـده**» ؟!! .

اللهم لا تحرمنا أجره ، ولا تفتنا بعده ، واغفر لنا وله ،،،

بعض صفاته كما رواها طلابه

صفات الشيخ عديدة ، ومناقبه جمة ، ومزاياه نهر فيّاض ، وبحر متدفق ، وإضافة لما سبق ذكره نورد بعضاً من صفات الشيخ ومناقبه كما يرويها بعض طلابه ومحبيه :

يقول الشيخ الدكتور عبد الله المجلي : « حياة الشيخ كلها عطاء ، ولكنها خير ، وكلها مواقف إيجابية وأحداثها ذات دلالة وأبعاد تربوية ودعوية ، ومن الجوانب المهمة في حياته – رحمه الله – ما يلي :

١ – عدم الملل من القراءة والبحث والمطالعة فيمكن أن يجلس ساعات دون ملل و ضجر في حين أن من حوله يملون ويضجرون ولقد استمر الشيخ في البحث والقراءة ومطالعةالكتب من سنوات عمره الأولى حتى ساعاته الأخيرة رحمه الله .

٢ – الشيخ يحضر لدروسه جيداً ويقرأ كثيراً قبل الدرس بوقت كاف .

٣ – الشيخ متابع جيد وبدرجة كبيرة للأحداث السياسية من خلال وسائل الإعلام المتنوعة والنشرات ا لخاصة .

٤ – يحب – رحمه الله تعالى – الأخبار الطريفة والغريبة التي تنشر عبر وسائل الإعلام ويتعجب منها، وكنت أحرص على إحضارها إليه

لإدخال السرور على نفسه – رحمه الله – وهو مسرور دائماً .

٥ – لايبخل الشيخ بجاهه في أي مجال من مجالات الحياة ولايتردد في بذل المعروف لأي أحد .

٦ – لم يكن الشيخ رحمه الله متساهلاً في أمور الشفاعة ، فالشفاعة الحسنة عنده أولاً قربة وطاعة لله تعالى ثم هو لايشفع إلا لمن يُزكّى عنده من عدد من الثقات المعروفين لديه بخلاف مايظنه بعض الناس عنه في هذاالأمر .

٧ – للشيخ قدس الله روحه تعامل فريد مع الأطفال فحينما يسلم عليه الصبيان فإنه غالباً مايسأل عن الاسم ومستوى الدراسة ثم يسأله من ربك ومادينك ومن نبيك ولأي شيء خلقت وما الدليل ، وأحياناً ماذا تحفظ من القرآن .

٨ – أعمال الشيخ الخيرية والدعوية كثيرة جداً ، فهناك آلاف المساجد بنيت بواسطته في الداخل والخارج ، وهناك المدارس وحلقات القرآن الكريم وحفر الآبار وشق الطرق وإعانات الزواج وغيرها كثير جداً ولايوجد فيما أعلم عمل خير إلا وكان للشيخ فيه نصيب وافر رحمة الله عليه .

٩ – من شدة كرمه وترحيبه بضيوفه أنه إذا انتهى من الأكل على العشاء أو الغداء لايبادر بالقيام إلا بعد أن يتأكد من أن الجميع قد انتهى ، وإذا قام قبل ذلك فإنه يردد عبارته المشهورة (كل باختياره كل

باختياره) بمعنى اتموا أكلكم - رحمة الله تعالى عليه .

وإذا دعا له الضيف بعد الأكل فإنه يردد عليه بقوله : فيه العافية .

١٠ - إذا سمع من أحد كلاماً لايعجبه أو تدخل فيما لايعنيه فإنه يقول له (سبح سبح) لايزيد على ذلك .

١١ - من دعواته التي كان يرددها (اللهم اهدنا فيمن هديت) و(الله يحسن العاقبة) و (الله يطيب قلوب الجميع) حينما يذكر أحد عنده بسوء .

١٢ - حينما يخرج من عائلته ويستقبله أحد كُتَّابه أو أحد طلابه أو أحد حراسه فإنه يبدأ بالمصافحة قبل الشخص الآخر ويسأل عن أحوال أهله وهكذا من كريم خلقه وعظيم تواضعه .

١٣ - لاتوجد قضية من قضايا المسلمين في حياة الشيخ إلا وكان له رأي فيها ودور بارز في معالجتها » .

(مجلة الدعوة العدد : ١٦٩٣)

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز العقل معدداً بعض مناقب الشيخ في مقالة له عن سماحته : « ولعلي في هذه العجالة أشير الى بعض هذه الفضائل والخصائص التي وجدتها فيه من خلال دروسه وجلساته ومن كتبه وأشرطته :

١ - التقوى والخشية لله تعالى .

٢ – الإخلاص والصدق مع الله والنية الصالحة .

٣ – كثرة تعلقه بالله تعالى وقوة التوكل والاعتماد عليه سبحانه ويقينه العظيم بالله تعالى .

٤ – كثرة تذكر الآخرة ونعيم الجنة وما أعده الله لأهلها وعذاب النار وما أعده الله لأهلها .

٥ – خشوعه وبكاؤه الكثير من خشية الله .

٦ – زهده في هذه الدنيا وتجافيه عنها وعن كل حطامها .

٧ – ورعه العظيم في أقواله وفتاويه رغم ما رزقه الله من علم غزير فقد سمعته عشرات المرات يقول إذا سئل (الله أعلم) في مسائل يفتي بها سائر الناس فضلاً عن طلبة العلم .

٨ – قوته في العبادة وجمعه بين أنواعها من صيام وصدقة وقيام ليل وكثرة ذكر واستغفار وغيرها .

٩ – غزارة علمه وموسوعيته المتكاملة وإلمامه بفنون الشريعة وعلومها ، وجمعه المتين بين الفقه والحديث .

١٠ – فهمه العميق لمقاصد الشريعة وإحاطته بنصوصها مع سعة الأفق وبعد النظر ودقة الفقه .

١١ – إدراكه الواسع لقواعد المصالح والمفاسد وقدرته الفذة على التوفيق

بينهما ومعرفة الأصلح في هذا الباب الذي تزل فيه الأقدام .

١٢ - حرصه الشديد على اتباع السنة والدليل واقتفاء أثر النبي ﷺ في كل شيء .

١٣ - جلده وصبره وجده في العلم فلقد كان يجلس لبعض دروسه ما يقارب من ثلاث ساعات جلسة واحدة ويقرأ عليه فيها أكثر من عشرة كتب رغم تقدم سنه وتردي صحته - رحمه الله - .

١٤ - ما حباه الله ومنَّ به عليه من قوة الحافظة والذاكرة التي متعه الله بها إلى آخر حياته .

١٥ - حرصه - رحمه الله - على كسب القلوب وتقارب الآراء وجمع الكلمة وتوحيد الصف .

١٦ - أدبه الرفيع مع المخالفين وعدم تجريحهم والتغليظ عليهم ، وهذه منقبة عظيمة لا يتصف بها إلا أعاظم الرجال .

١٧ - تصديه للبدع والرد على المبتدعة وجهاده الطويل في هذا المضمار .

١٨ - صدعه بالحق ووقوفه - رحمه الله - في وجوه الفتن واجتهاده العظيم في رد المنكرات وقمع الفساد وثباته الواضح أمام أمواج الفتن .

١٩ - مواقفه الجبارة في الإصلاح والدعوة ونشر الخير والعلم والأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر .

٢٠ - عالميته الواسعة وتجاوزه هموم بلده ووقوفه مع المسلمين في أقطار الأرض والإحساس بهمومهم ومتابعة أخبارهم ودعمهم المعنوي والمادي .

٢١ - صدق شفقته على الأمة ودوام مناصحة المسلمين عامتهم وخاصتهم ، واجتهاده - رحمه الله - في ذلك .

٢٢ - تواضعه الجم ووقوفه مع الفقراء والمساكين والأرامل في كل بلد وفتح بابه لكل أحد ، وسماعه لمشاكل الناس جميعاً والاجتهاد في معالجتها ، والسعي في قضاء حوائج الناس ، والشفاعة لهم .

٢٣ - سماحة نفسه - رحمه الله - وسعة خلقه ولطفه ولين عريكته مع جميع الناس .

٢٤ - كرمه العميم وسخاؤه الذي لا يشق له غبار .

٢٥ - حلمه وعفوه وصفحه - رحمه الله - على من أغلظ عليه أو آذاه .

٢٦ - سمته ووقاره - رحمه الله - والسكينة التي لا تفارقه أبداً .

٢٧ - بشاشته وطلاقة وجهه وحسن منطقه - رحمه الله - تعالى . فلله دره كيف جمع بين هذه كلها وهذه الصفات التي ذكرت في هذا الإمام المجدد إنما هي غيض من فيض سقتها كي يُقتدى به فيها (وله في كل واحدة مما ذكرت قصص وأخبار ومواقف عظيمة

تستحق التأمل وتثير العجب تكتب بالمجلدات) فهو قدوة ومثال يُقدم لشباب الإسلام وطلبة العلم بل والعلماء عسى أن نسير مسيره ونرتسم خطاه ونتأسى به في هذه الخلال العظيمة التي منّ الله عليه بها جميعاً ، نسأل الله أن يرفع قدره ويعلي في العالمين ذكره ، ويسكنه فردوسه الأعلى ، كما نسأله أن يأجرنا بفراقه ويخلفنا مثله ، ويجبر قلوبنا بفاجعة موته – رحمه الله – رحمة واسعة ، وصلى الله على نبينا محمد » .

(جريدة الرياض العدد : ١١٢٨٩)

قصائد في مواكب الجلال

أنا الذي صغت ألوان القريض وما
فَتِئْتُ أشدو بها في كل مضمار
نَظَمْتُ أزكى فنون القول في زمن
غيري يُغَنِّي لأحباب وسُمَّار
بازية الدهر من أقوى الشهود على
سبقي وصدقي وإجلالي وإكباري

تغنيت بسماحة الشيخ - رحمه الله - في عددٍ من القصائد ، وأنشدت الشعر بحضرته مرات عديدة ، وأوقات كثيرة ، ولقد كان سماحته لا يسمح بإنشاد الشعر في مدحه بحضرته ، وإذا بدأ الشاعر في قصيدة مدح لا يسمح له بإكمالها ، إلا أنا ولله الحمد ، فقد أنشدت عدداً من القصائد بحضور سماحته أثنيت عليه ومدحته في كثير منها ، ولم يكن يزد على قوله : «غفر الله لي ولك» .

ومن أشهر ذلك قصيدة بازية الدهر ، وقد سعدت بإلقائها أمام سماحته بمكة المكرمة في السابع والعشرين من شهر ذي الحجة لعام أربعة عشر وأربعمائة وألف للهجرة :

يا مرحباً بإمام قدره عال
وصوته عندنا مستعذب غال

يا مرحباً يا إمام الحق أنفسنا
قامت تحييك في حب وإجلال

تراقصت كلماتي وانبرى قلمي
لمنطق صادق كالسيل هطال

ما أعظم الأنس يا أغلى الضيوف فقد
جدتم علينا وأنتم أهل أفضال

أقبلت إذ أقبل العام الجديد فما
أحلى وأجمل هذا الفال من فال

من ضيفنا؟ خير من في الأرض في نظري
شهادة ما أنا عنها بميال

يا من رأى مثله أو من يضارعه
فليأت بين الملا يزري بأقوالي

يا رائد العلم في هذا الزمان ويا
مجدد العصر في علم وأعمال

وحاتم في عطاياه وجودته
في بحركم لا يساوي عشر مثقال

في الجود مدرسة ، في البذل مملكة
في العلم نابغة ، أستاذ أجيال

الحق مذهبه ، والنصح يعجبه
والذكر يطربه يحيا به سالي
العلم مؤنسه ، والله يحرسه
ما كان مجلسه للقيل والقال
بالنص فتواه ، بالرفق ممشاه
من فيض تقواه مخشوشن الحال
لم ينتقص أحداً ، لم يمتليء حسداً
لم يفتتن أبداً بالمنصب العالي
العين دامعة ، والكف ضارعة
والنفس خاشعة من خشية الوالي
المال ينفقه ، والوعد يصدقه
والشهد منطقه مستعذب حال
يا درة العصر يا بحر العلوم فما
رأت لك العين من ند وأمثال
حقاً فقد عرف التاريخ كوكبةً
مضيئة من صناديد وأبطال
مثل ابن حنبل أو مثل ابن تيمية
أو البخاري في إسناده العالي
لكننا يا حبيب القلب نبصرهم
كأنما مثلوا في شخصك الغالي

يا مشرق الوجه عيني حين تبصركم
أحب من خير أصناف العطايا لي
وقد ألام على هذا الثناء وقد
يقول بعض أناس مسرف غال
يا لائمي لاتلمني لم سماحته
سبا فؤادي واستولى على بالي
دعني أتيه على الدنيا برائعة
بازية الوجه زهرانية الشال
دعني فقد فتنت نفسي بروعته
وحبه رغم حساد وعذال
باز تصيد قلبي ثم طار به
إلى سماء الهوى فلترحموا حالي
بئس البيان الذي لم يكتس حللاً
من مدح شيخ عظيم القدر مفضال
لو ناب أمر معاذ الله أو خطر
أفدي سماحته بالنفس والمال
لو أن لي حيلة أهديته مقلي
فليس شيء على شيخ الهدى غالي
لكن عينيه في الميزان راجحة
تزري بمليون من أبصار أمثالي

لم تبصر العين لكن الفؤاد يرى
بنور خالقه من بعد أميال
أنت الكفيف ولكن أبصرت أمم
بفيض علم نقي منك سلسال
رفعت للعلم أبراجاً مشيدة
تجلو صداه وتحيي رسمه البالي
كم قلعة للهدى والعلم شامخة
يطل منها سناكم خير إطلال
مرت ثمانون عاماً كلها عمل
ودعوة في شموخ دون إدلال
وأنت لا زلت تمضي دونما ملل
في همة تبلغ الجوزا وإقبال
يا رائداً في ركاب النور متقداً
تطيب فيه تراتيلي وأقوالي
سر بارك الله في علم وفي عمل
والله يرعاك في حل وترحال
قم يا إمام الهدى حي القلوب بما
آتاك مولاك من علم وأفضال
قم يا ربيب التقى عطر مسامعنا
فالكل في قربكم مستأنس سال

قم وازرع الهمة العلياء في أمم
غاصت بأقدامها في عمق أوحال
وناد في أمة الإسلام إن لها
مجداً تليداً مضى في دهرها الخال
كم أنقذت أمما كم حطمت صنماً
وبددت مجد سفاك ودجال
تربعت فوق هام المجد أزمنة
لأنها صدقت في طاعة الوالي
وسادها كل شهم نابه ورع
مجاهد صادق بالحق قوال
فباعت المجد والأخلاق وافتتنت
بالسير في ركب كفار ومختال
تعب من شهوات الذل ساردة
في نومها وارتمت في حضن قتال
إلا أناساً أنار الله رؤيتهم
لم يرتضوا السير في أعقاب ضلال
ساروا على الحق ما ذلوا وما وهنوا
وما استكانوا وما خروا لتمثال
يا أمتي بددي الأوهام وانتفضي
وحطمي رق آصار وأغلال

يا أمة يعرف التاريخ سطوتها
وبأسها ما لها لاذت بأذيال
كانت إذا غضبت يوماً على أحد
تزلزل الأرض منها أي زلزال
واليوم يا سائلاً عنها فقد منيت
بوابل من جحيم الذل منهال
تفرق واختلافات ومسبغة
أما الجهاد فيلقى شر إهمال
يذلها بعد ذاك العز شرذمة
في الأرض من نسل أوغاد وأنذال
هذي فلسطين يلقى المسلمون بها
أذية لم ترد يوماً على بال
والعين تبكي على البلقان من جثث
وهتك عرض ومن تشريد أطفال
تدمى جراحاتنا في كل ناحية
من الفلبين حتى أرض صومال
وذاك شعب العراق الحر شرذمة
تذيقه شر نيران وأنكال
والجرح يثعب في كشمير وآ ألمي
وكم يهان بها من ذات خلخال

وســـاكـن الـهـنـد يـبـكـي مـن تـسـلـطـهـم
ومن مـكـائـد غــدار ومــحــتــال
وتلك لـبـنـان يـغـتـال الجـمـال بـهـا
فـلـعـنـة الـلـه تـغـشـى كـف مـغـتـال
وتلك ألـبـانـيـا كـم تـشـتـكـي ألماً
وروسـيـا كـم بـهـا من شـر أهوال
وانـظـر لـبـعـض ديـار المـسـلـمـين تـرى
أبـنـاءهـا بـين مـقـتـول وقـتـال
وبـعـضـهـا انسلخت من دينهـا ورمـت
دعـاتـهـا في لظى سـجـن وأغـلال
يا أمـة عـزهـا الإسـلام لـيـس لـهـا
فـيـمـا عـداه سـوى بؤس وإذلال
فـهـل يـعـود لـهـا عـز وأبـهـة
وقلـبـهـا من هـدى مـعـبـودهـا خـال ؟!
من يرتجي عـزة في غـيـر طاعـتـه
كـظـامـيء يـرتجي مـاء بـغـربـال
والـلـه لـو رجـعـت لـلـحق والـتـزمـت
بـنـهـجـه دون تمـيـيـع وإخـلال
ويمـمـت وجـهـهـا لـلـعـلـم وانـتـفـعـت
بـنـوره لاهـتـدت مـن بـعـد إضـلال

ونالت المجد في أحلى مناظره
وأصبحت بعد ذل في الذرى العالي
يحميك مولاك يا أرض النبوة من
ضيم وسوء اختلافات وبلبال
يا من بمنهج مولاها وطاعته
فازت بأمن وإيمان وأموال
على ثراك النقي الحر كم درجت
أقدام أعظم أبطال وأشبال
يا قبلة الأرض سيري في الطريق على
منوالهم خير منهاج ومنوال
وامضي على نهجك الوضاء واعتبري
بما يحيط بنا من سيء الحال
يا رب يا سامعاً صوتي ومسألتي
أدعوك يا رب في صدق وإجلال
أدعوك يا مبدع الأفلاك من عدم
وخالق الناس من طين وصلصال
يا واسع الفضل يا من لا شريك له
ويا مقدر أرزاق وآجال
أطل لنا عمر هذا الشيخ إن لنا
بمثله خير أمجاد وآمال

واحفظه من كل سوء وارحمه أبداً
من أي ضيم وأسقام وأنكال
وزده علماً ونوراً وارحم طلعته
يوم القيامة من حر وأهوال
يا رب واجعل جنان الخلد منزله
في رفقة المصطفى والصحب والآل

ومن ذلك هذه الأبيات المرتجلة التي ألقيتها بمناسبة زيارة سماحة الشيخ رحمه الله لنا في ٢٩ / ١٢ / ١٤١٨ في منزلي بمكة المكرمة :

من مثليَ اليوم في ضيفي وزواري
ومن له مثل ما آتاني الباري
يا ليلة من ليالي الأنس زاكيةً
تكاد تنطق من إسعادها داري
ضيفي إمام الهدى والعلم في زمني
وخير من سار يحذو حذو مختار
ضيفي الذي عَمَّت الآفاق شهرته
وعلمه الجمّ في أرجاء أمصار
هذا الإمام الذي نشدو بروعته
قد صار في عصرنا كالكوكب الساري

والعـذر يا شـيـخنا فـالنفس راهبـة
مـسـقـامكـم بـين إجـلالٍ وإكـبـار
لو صـغت في حـبكم عـشرين ملحـمـة
لم تبـد مما بقلبي عـشـر مـعـشـار

ومن ذلك قصيدتي التي ألقيتها في زواج ابنة الشيخ - رحمه الله - في الرياض في ٢٧ / ٢ / ١٤١٩ هـ :

بحـر من العلم أم صـرح من الهـمم
أم قـمـة ترتقي عن عـالي القـمم
فـرد من الجـيل أم جـيل بمفـرده
فـيض من الجـود أم غـيثٌ من الكرم
شـمس على هامـة الأرجـاء سـاطعـة
أم أنه البـدر يجلو حـالك الظلم
هـل أنـت لـيـلٌ لـرواد الـهـدى سكن
فـيـه أم الفـجـر أم نبع لكل ظمي
أم أنت نور لمن حـفّت به شـبـهٌ
من العـقـائد والأفكار والنظم
هل أنت يسـرٌ لمن ضـاق الزمـان به
أم أنت مـأوى لأهل الفـقـر والعـدم
هل أنت سـور على التـوحـيـد يحـفظه
أم أنـت لـيـث عـلـى بـوابـة الـقـيـم

أعـــــــزك الـعـلـم أم أن الـعـلـوم بـكـم
نـالـت أعـــــز الأمــــــاني مـن بـنـي الأمم
هـل الـعــبـــارات تحلو فـــيك أم حليت
بـك الـعـــبـــــارات بين الـرسـم والـنـغـم
هـل مــــا روينـا ومـــا يروى لـنـا صـــور
من الحـــقـــائق أم ضــــرب من الحـلـم
نـعـم فـكـل مــــعــــاني الـفــضـل مـــاثـلـةٌ
فـــيكم وكل ســمـــات النبل والـشـــيم
مــــاذا يضــيف بيـــاني حين أنشـــده
وأنـت أشـــــهـــــر من نـار عـلى عـلـم
مــاذا تقــول قــوافي الـشــعــر عن رجل
لـه من المجـــد ركـن غـــيـــر منهـــدم
مـــا قلـت إلا يـســـيــراً من مناقـــبكم
وأنـت أعـظـم مما صـــــاغـــــه قـلـمي
لـو جــــاز فـــيكم غلوٌ كنت أول من
يـغلو بشـــيخ الـهـــدى والـعلم والحـكـم
لـكـنـه حــــبـكـم في الـلـه راســـيـــــة
جـــذوره وارتوت من مـــهـــجـــتي ودمي
حـب لـرمــــز الـهــــدى والحق في زمني
والحب في الـلـه حـــبـل غـــيـــر منصــرم

من منهج الدين أفكاري وقافيتي
وروعة الصدق والإخلاص عطر فمي
أَزِمَّةُ الشعر والإبداع طوعُ يدي
والوزن والحرف والألفاظ من خدمي
أتيت والحب والأشواق تغمرني
وفي حروفي عبير البيت والحرم
وزمزم والصفا والركن في لغتي
والخيف والمشعر الأسمى على علمي
لو كنت في آخر الدنيا لسرت لكم
حباً لرؤياك لو مشياً على قدمي
أسير للوالد الغالي لذي أدب
لا ينقضي من تلقي علمه نهمي
يا رب فاحفظه نحظى من سماحته
بالعلم والحلم والتوجيه للقدم
والعذر يا شيخنا فالجد يطربني
ومدح أهل التقى والفضل من هممي
في النفس من حبكم ما لا يقوم له
شعري وليس يجلِّي كنهه كلمي
لكنه بعض ما في القلب بحت به
في محفلٍ رائعٍ بالأنس متسم

ومن ذلك قصيدتي (من وحي البيان) وقد ألقيت بحضور سماحته ، ومن أبياتها :

يادعوة بارك الباري مسيرتها
نقية مابها شوب ولا كدر
مادام فينا ابن باز شيخ دولتنا
بمثله يرتجي التأييد والظفر
رمز الهدى والتقى والله يحفظه
بمثله أمة الإسلام تفتخر
ماعاش يُحني لغير الله جبهته
أو غره أنه في الناس مشتهر
فالزهد ديدنه والنصح مبدؤه
والعين باكية والقلب منكسر

ومن ذلك قصيدة (موكب الدعوة والدعاة) وقد ألقيت أمام سماحته – رحمه الله – ومنها :

أُنْسنا ياسماحة الشيخ أُنْسٌ
لايجارى والليل ليل سعيدُ
القوافي تهيم في وصفك الأغلى
ويحلو إذا ذكرت النشيد

أيهـا العـالم المبـجل شـعـري
قـال شـيـئـا مما تـريد الوفـود
نـحـن نـأوي إلـيـك فـي كـل كـرب
بـعـد ربـي فـأنت ركـن شـديـد
نـبـذل النفس والنفـيس ليـبـقى
وليـعلو في أرضنا التـوحـيـد
مـالـنـا مـطـمـع ولانـيـل غـنْـمٍ
فـرضى الـلـه منتـهى مـانـريد
إنـهـا روعـة العـقـيـدة نزهو
فـي رباهـا وعـن حـمـاهـا نـذود
نـحـن أتبـاع سنـة وكـتـاب
مـاجـهلنا فـالـدرب درب سـديد

ومن ذلك قصيدة (نور الإيمان) وقد ألقيتها أمام سماحته – رحمه الله – في عام ١٤١٤ هـ ومنها :

قـالوا بلا بصـر يمشي فـقلت لهم
عـمى البـصيـرة أقـوى من عـمى البـصـر
إن الـعـمى أن ترى النهج القـويم فـلا
تُـهـدى إليـه وتبـقي حـائر الفكـر

إن العمى أن يعيش القلب في شبه
كظلمة الليل في غي وفي نكر
إن العمى أن ترى الإنسان مظلمة
حياته عاش بين الكأس والوتر
إن العمى أن ترى العينين مبصرة
لكنها من هدى الباري بلا بصر
وانظر عماية من ضلوا وما انتفعوا
بأعين ماثلتها أعين البقر
عين ترى كل مافي الأرض وامتنعت
من نور خالقها ياخيبة النظر
ليس التقى مظهراً أو حسن هندمة
وليس في أعين فتانة الحور
إن التقى أن يعيش القلب ممتلئاً
بنور مولاه يأبى ظلمة الخور
وأفضل الناس عند الله أعظمهم
تقوى فما قيمة الأشكال والصور
قد عاتب الله خير ا لناس في رجل
أعمى وخلده في الآي والسور
وانظر لباز التقى والعلم تبصره
بدون عينين قد أربى على البشر

عبد العزيز الذي تهفو النفوس له
وتشتري نظرة في وجهه النضر
كالبحر في علمه السامي وذو خلق
كالمسك كالعنبر الفواح كالزهر

هذا الإمام

هذا الإمام بسيط في عظمته ، متواضع في هيبته ، قريب في رفعته :

دانٍ على أيدي العفاة وشاسعٌ
عن كل ند في الندى وضريب
كالبدر أفرط في العلو وضوؤه
للعصبة السارين جد قريب

هذا الإمام ..

يطوي الزمان بفعل الجميل من القول ، والصالح من العمل ، ويطوي المكان بشمولية الاهتمام ، والرعاية لعباد الله في أصقاع الأرض فهو كالغيث الهنيء مباركاً أينما كان إن أصاب الأرض منه ري وإلا فطل ..

هذا الأغر الأزهر المتألق المـ
تدفق المتبلج الوضاء
فعليه من خلق النبي دلالة
وعليه من نور الإله بهاء
للناس إجماع على تفضيله
حتى استوى اللؤماء والكرماء

وصـــفـــات ذات منك يـأخـــذها الـورى
في المكرمـــات فكلهـــا أســـمـــاء
وتجـــمـــعت فـــيك القلوب على الرضى
وتـوافـــــقـت في حـــــبك الأهـواء

هذا الإمـام ..

عالمي يعلم أن الأمة واحدة وأن العالم الإسلامي كل لا يتجزأ ، وإن تباعدت أقطاره ، وتناءت دياره ، وهو العضو الصالح البار الراشد ..

بالشــــام أهلي وبغـــداد الهـــوى وأنا
بالرقـــمـــتين وبالفـــسطاط إخـــواني

وقال آخر :

وحـــيـــثـــمـــا ذكـــر اسم الله في بلد
عـــــددت ذاك المنى من صلب أوطـاني

هذا الإمـام .. رباني فلا يقول إلا بالوحي نصاً وروحاً ، ولفظاً وفقهـاً .

هذا الإمـام .. ولي فالولاية ظاهرة في السمت والزي والشارة والرسم .

بنفـــسي ذاك الشـــيخ مـــا أعظم الهـــدى
كـــأن الثـــريا في هداه اســـتـــقلَّت

ولاية هذاالإمام سلامة الصدر والكرم الفياض والأريحية النادرة ، والتواضع الجم ، والسمو على الحطام ، والتعالي على الركام .

هو البحر من أي النواحي أتيته
فلجته المعروف والجود ساحله
تراه إذا ما جئته متهللاً
كأنك تعطيه الذي أنت سائله
فلو لم يكن في كفه غير روحه
لجاد بها فليتق الله سائله

إيمان عميق ، وهمة عالية وخشوع وخضوع ، وتنفيذ لأوامر الشريعة ، وصيانة لمكاسب الشرع ، وذياد عن حياض الملة .

المنهج حنيفي ، والنهج أحمدي ، والكرم حاتمي ، إمامة راسخة رسوخ القيم ، منفردة انفراد العظمة ، ساطعة سطوع الحجة ، سر العظمة فيه أنه متواضع في بساطة ، وجلال النعمة عليه أنه عبد صالح ، وغاية المدائح التي تروى عنه أنه كم من القيم والمثل العليا .

هذا الإمام ..

رجل عامة تجده في المسجد جامعة كبرى ينهل منها الوارد ما عذب وطاب ، وفي البيت مضيافاً تسطر أفعاله في الجود مع كعب بن مامة وهرم بن سنان ، وفي مكتبه مجاهداً باذلاً شفيعاً كاشف كربة ، وقاضي حاجة ، وفاصل معضلات .

ضربتم من العلم المنيع سرادقاً
فأنتم به بين السماكين سكان
وتهتز أعواد المنابر باسمه
فهل ذكرت أيامها وهي قضبان
وإنْ نَقشت في الطرس منه يراعُه
رأيت عصا موسى غدَت وهي ثعبان

ميراثة الثقافي آية وحديث ، وسند ورواية ، وفقه ودراية ﴿ **أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها** ﴾ .

أوحده الله فما مثله
لطالب ذاك ولاناشد
وليس لله بمستنكرٍ
أن يجمع العالَمَ في واحد

هذا الإمام . . يعيش مع الناس وقلبه في الملأ الأعلى ، ويتحدث معك وروحه تسبح في ملكوت الله ، يحمل هموم الأمة على عاتقه ويتزاحم الناس على بابه وتحيط به الأمور والأحداث من جانب ، وهو مع ذلك كله لايفتر عن ذكر خالقه ، ولا مناجاة حبيبه .

لقد كنت – والله – أرمقه حتى وهو ينصت لمحدثه مباشرة أو عن طريق الهاتف ولسانه لايفتر عن الذكر والتسبيح والتهليل ، اندفاعاته القلبية تتوجه إلى الله ، وهمته تمر مرَّ السحاب ، صنع الله الذي أتقن كل شيء .

لولا عجائب صنع الله ما نبتت
تلك الفضائل في لحم ولا عصب

* * *

إذا كان حب الهائمين من الورى
بليلى وسلمى يسلب اللب والعقلا
فماذا عسى أن يفعل الهائم الذي
سرى قلبه شوقاً إلى العالم الأعلى

هذا الإمام ..

يأتيه المكلوم المحزوم المهموم يحمل جبالاً من الحزن واللوعة والأسى فما يلبث أن يعطيه وصفة طبية من حديثه العذب ، وكلماته الناصعة ، ودعواته الطاهرة ؛ فتطمس ذلك كله ، ويخرج سالياً منتشياً . ويأتيه الغاضي المتحمس المندفع الذي يتطاير الشرار من عينيه فيستقبل ذلك كله بهدوئه العذب وصدره الرحب ، وقلبه الحاني ، ونصحه المتفاني ، فإذا بالغاضب يهدأ والمتحمس يقنع والمندفع يتعقل .

هذا الإمام ..

تمر به العواصف المدمرة وهو ثابت كالطود الأشم ، وتنزل به ومن حوله النوازل المخيفة ، وهو شامخ شموخ الرواسي ، راسخ رسوخ إيمانه ، ثابت ثبات مبدئه ، قوي قوة منهجه ﴿ **قال ياقوم أرأيتم إن كنت على بينه من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون** ﴾ .

إن لشداد الحق في منهج سماحته معلما ، ولرواد الفضيلة في مشربه موردا ، فهو علم في الوسطية ، بين الغلو والجفاء ، وبين القبول المترخص والرفض الجائر ، وبين الأخذ بظاهر اللفظ واطراح المقاصد ، وبين التقيد بآراء الناس والإعراض عن البرهان فهو صاحب حجة ، قائم بدليل متمسك بوحي ، عاضٌّ على السنة بالنواجذ . ﴿ **نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء** ﴾ .

إن العبقرية الوهمية التي تتوج بها طائفة من الناس تتلاشى وتذوب إذا مرت عليها رياح الصدق والطهر والورع من سماحته رحمه الله رحمة واسعة .

هذا الإمام كما قال المتنبي :

للشمس فيه وللرياح وللسحا
ب وللبحار وللأسود شمائل
هزمت مكارمه المكارم كلها
حتى كأن المكرمات قبائل
علامة العلماء واللج الذي
لاينتهي ولكل لج ساحل
لوطاب مولد كل حي مثله
ولد النساء ومالهن قوابل
يا افخر فإن الناس فيك ثلاثة
مستعظم أوحاسد أو جاهل

ولقد علوت فما تبالي بعدما
عرفوا أيحمَدُ أم يذمٌّ القائل
الطيب أنت إذا أصابك طيبه
والماء أنت إذا اغتسلت الغاسل

هذا الإمام ..

حبه قربة يتقرب بها إلى الله عز وجل ، الحديث عنه متعة تطيب هبا النفس ويعشقها الفؤاد ، ويتيه بهاالقلم

والتغني بشمائله شرف رفيع ومقصد شريف ، والسير في ركابه سير على نهج صاحب المحجة البيضاء التي لايزيغ عنها إلا هالك .

يامن له في الناس ذكر سائر
كالشمس يشرق نورها وتحول
ومواهب حضريَّة سيارة
لاينقضي سفر لها ورحيل
وخلائق كالروض رق نسيمه
فسرى وذيل قميصه مبلول
وتلاوة يجلو الدُّجى أنوارها
قد زانهاالترتيب والترتيل
وإذا تهجد في الظلام فحسبه .
من نور غرة وجهه قنديل

مـلأت وظائف بره أوقاته
فسخاؤه وعطاؤه مبذول
أيامه كست الزمان محاسنا
فكأنها غرر له وحجول
هذا هو الشرف الذي لايدعى
هيهات ماكل الرجال فحول

اللهم اجزه عنا وعن المسلمين خير الجزاء واجعل منزله مع سيد المرسلين وإمام الأنبياء ، إنك أنت سميع الدعاء .

مشهد الرحيل

أيها الشيخ الذي بُحتُ بالأشواق لَكْ
ليت روحي قُدِّمتْ للمنايا بدلك

توفي الشيخ – رحمه الله – قبل فجر يوم الخميس في اليوم السابع والعشرين من شهر محرم لعام عشرين وأربعمائة وألف من الهجرة ، في مدينة الطائف ، وحمل جثمانه الطاهر إلى منزله بمكة المكرمة صبيحة يوم الجمعة ، وهناك تم غسله وتكفينه – قدس الله روحه ، ثم انطُلق به مصحوباً بوفود هائلة من أمامه وخلفه ، وعن يمينه وشماله ، بقلوب محترقة ، وأدمع باكية ، وأنفس والهة .

وداعك مثل وداع الربيع
وفقدك مثل افتقاد الدِّيَمْ
عليك السلام فكم من وفاءٍ
نفارقه منك كم من كرم

ذهبوا به إلى المسجد الحرام الذي عاش ليلة من لياليه المشهودة حيث غصّت أبوابه ، وملئت رحابه منذ اليوم الأول ، حيث توافدت الناس من أنحاء الدنيا ، أقبلت القلوب قبل الأقدام ، وتسابقت الأرواح قبل الأشباح ، وسالت الدموع قبل الجموع .

غصّت الطرق البريّة بالقادمين إلى مكة ، وارتبكت المطارات لذاك الزحام الرهيب ، والإقبال المهيب من الناس ، كلهم يريدون الحجز إلى جدّة أو الطائف ، وكثّفت الرحلات ، ولكنها لم تستطع أن تستوعب تلك الأعداد الهائلة التي جاءت لتلقي نظرة وداع على الإمام الراحل .

أخذتُ مكاني في المسجد الحرام بصعوبة فائقة ، فأديت تحية المسجد ثم جلست فإذا بالنحيب من عن يميني وشمالي ، وأمامي وخلفي ، فأطلق بصري للصفوف البعيدة في شتى الاتجاهات فلا أرى إلا متقنعاً باكياً ، ووالهاً منتحباً ، ومطرقاً حزيناً ، وأناساً قد خفضوا رؤوسهم ولهم خنين بالبكاء ، فكنت أعطي النفس رغبتها ، وأطلقها على سجيتها ، فأدعها تبكي ساعة ، ثم أخنق عبرتي ، وأمسح دمعتي ، وأنظر في أحوال الناس ، وما هم فيه من كرب عظيم ، ثم أعود أنثر دموعي مدراراً ، وحُقّ لي ذلك ، فما ظنكم بإنسان يشعر بأن قلبه النابض سقط من بين جنبيه ، أو يجد شعلة من حريق تشب أحشائه وتأكل فؤاده ، أو يحس أن نور عينه انطفأ ، وسراج لياليه أُخمد ، وفرات ماءه قد أصبح غورا ، لقد كنت بل ومكثت لعدة أيام بعد وفاة الشيخ ، وأنا لا يزال عندي أمل أنه سيعود ، وأن الخبر قد يكون مغلوطاً ولكن هيهات لقد عشت الموقف الذي عاشه عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – مع النبي ﷺ حينما جاءه نبؤ وفاته ، فسل سيفه وقام في الناس قائلاً ، من قال : إن محمداً قد مات ضربته بسيفي هذا .

ولقد عرف كثير من أحبتي وأصدقائي محبتي العميقة للشيخ ،

وتعلقي الشديد به فبادَروا بالاتصال بي وزيارتي ومواساتي جزاهم الله خير الجزاء ، وكان كل منهم يقول : حينما سمعت الخبر أول ما خطر على بالي أنت .

وأعود إلى سَرْد الحدث .. المهم أنني مضيت على تلك الحالة المذعورة حتى صعد الخطيب المنبر ، فلما بدأ الخطيب في خطبته ، وتحدث عن هول الفاجعة قائلاً : « وقد أصيبت أمة الاسلام اليوم بوفاة عالم الأمة وإمام أهل السنة والجماعة في هذا العصر ؛ علامة زمانه وفقيه أوانه الداعية إلى الله تعالى على علم وبصيرة ، المجاهد في سبيل الحق والهدى سماحة العلامة الجليل الشيخ عبد العزيز بن باز » ضج الناس بالبكاء ، وجادت العيون بالدموع ، واشتد أزيز الصدور ، فلما فرغ من الصلاة ، ونادى المنادي : « الصلاة على سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز يرحمكم الله » تدافع الناس باتجاه الجنازة ، وعَظُم الزحام وكَثُر الضجيج ، واشتد الموقف ، وادْلَهَمَّ الأمر ، وخشينا على الجنازة من ذلك التدافع المهول ، والسباق المهيب لحمل الجنازة ، وبقي الناس ما يزيد على عشر دقائق لم تهدأ ثورتهم ، ولم يسكن ضجيجهم ، ماج بعضهم في بعض ، وتخطى بعضهم بعضاً ، كلٌّ يريد أن يحمل الجنازة وكل يريد أن يقترب للصلاة عليها ، وكل يريد أن يكون عن كثب ليتأمل الموقف وليسارع إلى حمل الجنازة بعد الصلاة ، ولولا أن الإمام سارع بالتكبير لطالت المدة ، والناس على هذه الحال .

ويعجز القلم عن تصوير حقيقة الموقف بعد انتهاء الصلاة ، لك أن

تتصور كيف يكون الأمر لو ازدحم عشرة آلاف رجل أو عشرين على شخص أمام موقع معين ، أو أمام دائرة حكومية ، كيف يكون الموقف ، فما هو الحال يا ترى فيمن ازدحم عليه أكثر من مليوني مسلم على الأقل ، أقبل هذا الموج المضطرب من الناس بجنازة الشيخ على أكتافهم بل على رؤوس أصابعهم ، سبقتُ الجموع إلى السيارة التي ستحمل الشيخ فصعدت عليها أنظر في هذا الموقف الرهيب ، (وأستغفر الله العظيم مما فعلت) ، والله لقد ظللت أصيح وأبكي بأعلى صوتي ، والذي نفسي بيده ما ارتسم أمام ذهني وأنا أتأمل ذلك الموقف الأجل إلا وقوف الناس لرب العالمين ، أقبلت الأمواج المضطربة من الناس ، الحر شديد ، والزحام شديد ، والموقف مهيب ، والحشد رهيب ، والعرق يبلغ منهم كل مبلغ البكاء يملأ المكان والزمان ، والنحيب يهد الصدور هداً ، لقد اندفعت بالبكاء المرير من غير شعور ، من غير وعي ، لقد اضطربت في نفسي مشاعر عدّة ، مشاعر الحزن لفقد الشيخ ، مشاعر الهيبة لهول الموقف ، مشاعر الخوف الشديد على جنازة الشيخ التي أصبحت كأنها قطعة الخشب الصغيرة على سطح الأمواج الهادرة ، وأنا أبكي وأهتف وأنادي : يا الله لطفك ، يا الله لطفك ، يا الله لطفك ، كان مئات العسكر قد انتشروا وكوّنوا ممراً للجنازة يبدأ من باب الحرم إلى باب السيارة ، ووقفوا صفاً واحداً قوياً على الناحيتين لكيلا يخترقهم أحد من الجموع الهادرة وراءهم ، وقد بذلوا جهداً عظيماً في ذلك ، ولكن الكثرة تغلب الشجاعة اخترقهم الناس ، وهاجوا وماجوا ،

وتسارعوا نحو الجثمان الطاهر ، كُلٌّ يطمع في المشاركة في حمل الجنازة ، أو على الأقل يظفر بلمسها ، أو يكحل عينيه برؤيتها فقط ، وما كادت يدي تلامس أول النعش - لأجذبه إلى داخل السيارة - إلا وقلبي يكاد يسقط من بين جنبي ، وبجهاد شديد ، وتعبٍ شاق من العسكر والمتطوعين استطعنا إغلاق باب السيارة ، فصعد الناس على مقدمة السيارة ، وعلى السطح ، وعلى مؤخرة السيارة ، فإذا بهم كَسِربْ النحل المتجمّع في جذع سدرةٍ على يعسوبه ، انطلقت السيارة تخترق الجموع بصعوبة مريرة ، والناس عن يمنة ويسره ، وأمامها وخلفها ، يجرون لاهثين ، الأنفس خائفة ، والقلوب واجفة ، والدموع واكفة ، يا الله ، يا الله ، يا الله ، سقطت أرديتهم ، وتطايرت عمائمهم ، وتقطعت أحذيتهم ، يمشون على حرارة الأسفلت المحرقة ، وكأنما يمشون على سجاد وثير ، بدأ الطريق يتسع قليلاً قليلاً ، وبدأ الزحام يخف حين البعد عن الحرم بكيلو متر تقريباً ، ثم انطلقت السيارة في طريقها إلى مقبرة العدل بمكة المكرمة ، وهي تبعد عن الحرم أربعة أو خمسة كيلو مترات تقريباً .

هذا إمـــام الجـــيل في نعـــشـــه
قـــومـــوا انظروا كـــيف تزول الجـــبالْ

ولم يمنع بعد المسافة كثيراً من الناس من المشي من الحرم إلى المقبرة سيراً على الأقدام ، لقد سالت الأودية بالناس ، واكتظت الطرق بالمسلمين المولين وجوههم شطر المقبرة في مشهد لم أر له مثيلاً إلا زحام

الناس وتوافدهم إلى المشاعر في أيام الحج .

انطلقنا بالجسد الطاهر تجاه المقبرة ، وأنا جالس بجواره ، ويدي على قدميه أتحسس بردها ، وأتلمس طهرها ، والبكاء قد هَدَّ جسمي ، وبُحَّ صوتي ، وكادت حبال حنجرتي أن تتمزق ، خارت قواي ، طاش عقلي ، ذُهلت نفسي ، تبدد فؤادي . وكنت إذا التقطت أنفاسي قليلاً أرفع أكف الضراعة إلى الله وأدعو قائلاً : اللهم إنك تعلم أنني أحبه فيك فاجمعني بهذا الحب معه في جنات النعيم ، وعلمني بهذا الحب شيئاً مما علمته . وكان معي في السيارة الشيخ أحمد بن عبد العزيز ابن سماحة الشيخ – رحمه الله – وهو منهمك في دموعه ، غارق في بكائه ومعي مرافق الشيخ ، وأمين مكتبته الأخ صلاح عثمان السوداني الذي أشهد أنه كاد يلفظ أنفاسه من شدّة بكائه ، وقد أغمي عليه وخرّ صريعاً في الطائف حينما سمع خبر موت الشيخ ، ودخل إلى غرفة العناية المركزة بمستشفى الهدى .

أما الذي كان يقود السيارة التي تحمل جثمان الحبيب ، فهو الأخ محمد السيلاني ، هذا الرجل الذي تفانى في خدمة الشيخ ، والسعي لنيل رضاه ، فهو ممن غمرهم الشيخ بإحسانه ، وبالرغم من أنه ليس موظفاً أو مرافقاً أو يتقاضى راتباً ، إلا أن جلَّ وقته مع الشيخ وفي خدمته وفي مساعدة العاملين مع سماحته ليلاً ونهاراً حينما يكونون في مكة المكرمة بالذات أو في الطائف ، ويكاد يبسط راحته للشيخ ليمشي عليها .

وصلنا إلى المقبرة وأنا في كرب عظيم ، وخوف أليم من الموقف أمامنا ، خفت أن يتكرر الموقف الذي حدث عند الحرم ، أتينا إلى المقبرة ذات المساحة الكبيرة ، وإذا بالناس عليها مثل الغمام ، أحاطوا بأسوارها ، ومنهم من صعد إلى الجبال المطلة عليها في منظر مهيب ، وموقف مرعب ، وقد تذكرت قول الإمام أحمد - رحمه الله - لأهل البدع : « بيننا وبينكم الجنائز » ، ولكن حُسْن تصرف المسئولين منع اللهُ به ما كان يمكن أن يحدث من هرج ومرج ، وتدافع وتطاحن ، وتزاحمٍ وتسابق على المقبرة ، فقد صدرت الأوامر السريعة بمنع أي أحد كائناً من كان بدخول المقبرة ، وكان هذا عين الصواب والتوفيق .

وصلنا إلى المقبرة وأول من فتح باب السيارة الأمير ماجد بن عبد العزيز - أعظم الله أجره - أمير منطقة مكة المكرمة ، ومعه وكيل الأمارة الأمير سعود بن عبد المحسن - أحسن الله جزاءه - وكان من أول الناس حضوراً وأكثرهم أثراً الأمير متعب بن عبد العزيز - أعظم الله مثوبته - حملت جنازة الشيخ على كتفي ولم أدعها إلا عند القبر ، وكنت ممن دلاه إلى القبر .

حملت جثمانه الزاكي على كتفي
وكنت أطمع لو أن طال مشواري
نثرتُ سيل دموعي فوق تربته
ومُضْرَم الحزن يكويني بإسعار

وودعته الوداع الأخير ، وبردت شيئاً من لواهب القلب بملامسة

جسده الطاهر من وراء الكفن .

مددت إلى التوديع كفّاً ضعيفةً
وأخرى على الرمضاء فوق فؤادي
فلا كان هذا آخر العهد منكمو
ولا كان ذا التوديع آخر زادي

ولم أكن أتذكر في هذا الموقف إلا وفاةَ النبي ﷺ وموقفَ الصحابة وذهولَهم وبكاءهم يوم وفاته ، وتذكرت قول فاطمة بنت محمد ﷺ وهي تقول : « كيف طابت نفوسكم وأنتم تحثون التراب على رسول الله ﷺ » . أُوْدِع الشيخُ - رحمه الله في قبره جعله الله روضة من رياض الجنة - وكان الناس أمراء وعلماء ملتفون على القبر ، وكأن على رؤوسهم الطير .

أيا قبر شيخيْ كنت أول حفرة
من الأرض خطت للسماحة مضجعا
ويا قبر شيخيْ كيف واريت شخصه
ولو كان حياً ضقت حتى تصدعا
فلما مضى شيخيْ مضى الجودُ والندى
وأصبح عرنينُ المكارم أجدعا

وقف كثير منهم بضع دقائق يدعون الله تعالى له ، ويسألون له التثبيت ، وانطلقت الأمة المسلمة عائدة من طريقها بعد أن دفنت قلبها النابض وضميرها المتوقد وعنوانها الناصع ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

والذي نفسي بيده ما مرّ عليّ موقف أشد وقعاً ، وأكثر ألماً ، من ذلك اليوم الذي فقدنا فيه سماحته .

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر

عدنا من المقبرة ميممين إلى منزل الشيخ ، وكأننا دفنا معه قلوبنا وأرواحنا أما الأمير ماجد بن عبد العزيز – حفظه الله – فقد اصطحب أبناء الشيخ إلى القصر الملكي ، بناءً على أمر خادم الحرمين الشريفين – حفظه الله – الذي أمر أن يكون غداؤهم عنده ، فاستقبلهم وواساهم وشدّ من أزرهم ودعا لوالدهم .

ألست ترى موت العلى والمحامد
وكيف دفنا المجد في قبرٍ واحدِ
وللدهر أيام يُسئن عوامداً
ويحسنّ إن أحسنّ غيرَ عوامدِ

انطلقنا إلى منزل الشيخ – رحمه الله – بمكة لاستقبال المعزِّين ، ويا الله .. يا له من موقف ، ويا الله .. يا له من يوم عصيب ، ومشهد مهيب ، احتشدت الوفود ، واكتظ الزحام ، والأمة في مهرجان مهول ، عزاء وبكاء ، وجيبٌ ونحيب ، المجالس غصّت بالناس ، والفناء الواسع أترع بالملأ ، وكأنك في فناء الكعبة المشرفة في ليلة السابع والعشرين من رمضان ، أو في يوم الحج الأكبر ، والبوابات كادت تقتلع من أصولها لكثرة المزاحمين عليها ، والأرض كادت أن تميد بمن فوقها ، لجور الحمل

عليها ، وقيل يا أرض الحب ابلعي ماءك ، ويا سماء الدموع لا تقلعي ويا ماء الحزن لا تغض ، وقيل بعداً للقوم الكافرين .

ولأوّل مرّةٍ أرى مثل ذلك المشهد الذي اجتمعت فيه كل الطبقات ، وكل الأجناس ، وكل اللغات ، في مكان واحد ، في موقف واحد ، في منزل واحد ، في هم واحد ، في مصاب واحد ، وكأننا في يوم عرفة ، أقبلت جموع الأمراء على مختلف المستويات ، وأقبل الوزراء والعلماء ، وطلبة العلم ، وشيوخ القبائل والوجهاء ، والفقراء والمساكين ، والأبيض والأسود ، والعربي والأعجمي ، والكبير والصغير ، قُطعت نياط القلوب ، ومزّقت أوتار الحناجر ، وأضرمت نيران الصدور ، وجرت أنهار الدموع ، لقد رأيت بعض الأمراء الذين ما كنا نراهم إلا على شاشة التلفاز أو على صفحات الجرائد ، رأيتهم في هذا الموقف وهم يزاحمون الناس ، يخترقون الصفوف ، يتقاذفهم الزحام يمنةً ويسرة ، عيونهم باكية ، وجناتهم محترقة ، عقولهم ذاهلة ، يعزون الناس ، والناس يُعزونهم ، ولا تسمع إلا ترانيم الدعوات الصادقة – رحمه الله ، غفر الله له ، عوض الله المسلمين خيراً – .

على الرغم من أنف المكارم والعلى
غدتْ داره قفراً ومغناه بلقعا

ألم تر أن البأس أصبح بعدهُ
أشلَّ وأن الجود أصبح أجدعا

فمرا على قبر المسوّد وانظرا
إلى المجد والعلياء كيف تخشعا
فإن يك واراه التراب فكبّرا
على الجود والمعروف والفضل أربعا
ولا تسأما نوحاً عليه مُكرَّراً
ونوحاً لفقدان الحبيب مُرجّعا
فما كان شيخٌ هلكهُ هلك واحد
ولكنه بنيانُ قوم تضعضعا
ولا تحسبا أني أواريه وحدَهُ
ولكنني واريتهُ والندى معا

أما أنا فقد كنت كالإنسان الذي فقد كل شيءٍ في حياته فجأة ، فأصبح ذاهلاً والهاً ، خالي الفؤاد ، شارد الذهن ، محترق الأحشاء . كنت أحياناً أدع نفسي لأمواج الملأ أينما حملوني مضيت معهم ، أتأمل كل زوايا المنزل ، وأحدق في أطراف البيت ، وأدقق في أنحاء الفناء ، وكأنني في عالم آخر ، كنت – وديمةُ الدموع تهمي – أتأمل في كل شيء ، وأستعيد شريط الذكريات : هنا كان الشيخ يجلس ، هنا كان يستريح ، هنا كان ينام ، هنا كان يستقبل ضيوفه ، هنا كان يستقبل الفقراء . ويجود بالعطاء ، ويحنو على الضعفاء ، ويبذل الشفاعة ، ويصدح بالنصيحة . هنا كان يصلي ، هنا كان يستقبل الناس ، هذا كرسيه ، ذاك هاتفه ، تلك سيارته ، ذاك سائقه ، هذا

مرافقه ، هذا كاتبه ، ذاك خادمه ، كلما رأيت شيئاً ، أو رمقت أحداً ممن كان له به صلة ، فكأنما أُشْعِلتْ نار الحزن من جديد ، وفُجّرت ينبوع الدموع للتّوْ .

كنت أحياناً أصيخ بسمعي ، وأصغي بقلبي لعلي أسمع قرع نعاله أو وقع عصاته ، فلا يصدم سمعي إلا نشيج الوالهين ، وآهات المحترقين ، وأزيز صدور المُعَزِّين ، مضيت أتنقل في الدار أبحث عن أبناء حبيبي وقرّة عيني ، كنت أعانق الواحد منهم فلا آلوا ألصق صدري بصدره من فيض محبتي لوالدي ووالدهم . كنت أعانق عبد الله وعبد الرحمن وأحمد وخالد ، وأحياناً أعانق الواحد أكثر من مرّة . أبحث عن إخواني المرافقين لسماحته لعلي أرى صورته فيهم ، وأجد ريح قميصه عندهم . الشيخ محمد الشويعر شحب لونه ، وتهدّج صوته ، وتيبست شفتاه ، وجف ريقه ، وجرى دمعه ، الدكتور عبد الله الحكمي لم أعد أعرفه لتغير وجهه ، وضمور جسمه ، وشحوب لونه ، لصدره أزيز ، ولقلبه وشيج . الشيخ عبد العزيز بن ناصر مزقه الحزن ، وبدّده الأسى الشيخ محمد الموسى أغلق باب مكتبه على نفسه ، وأرسل النفس على سجيتها ، وأجرى سيل الدموع ، حاولت أن أكلمه أو أسمع منه شيئاً فلم يستطع كلامي وابيضَّتْ عيناه من الحزن فهو كظيم ، الشيخ ابن عتيق ذلك الرجل الطيب يده على قلبه خشية أن يسقط ، لحيته البيضاء اخضلت بالدموع عانقني في صمت ، وقد صام عن الكلام فلم يكلم ذلك اليوم إنسيا ، وإنما ترك الكلام لدموعه ، وأطلق العنان لعبراته ،

هكذا كنت أتنقل بينهم باحثاً عن طيب الحبيب ، هناك الأخ حَمَدْ يتأوه ويبكي ، وهناك الأخ سعيد يئن ويشكي ، ذهبت إلى الحارس والخادم والسائق والقهوجي أعزيهم ويعزونني ، أذكي لهيب أحزانهم ويذكون لهيب أحزاني ، أقيمت صلاة العشاء في مسجد سماحته فتقدمت للصلاة بالناس ، فتذكرت سماحته ومقامه خلف الإمام ونبراته الخاشعة ، ودعواته الضارعة ، ثم تذكرت أنه لن يصلي معنا أبداً ، وأن الأُنس معه انقضى ، والغبطة به تلاشت ، والحبيب غادر إلى غير عوده ، وتذكرت بلال حين قام يؤذن بعد وفاة النبي ﷺ فحينما قال : أشهد أن محمداً رسول الله ، خنقته العبرة ، وانهمك بالبكاء ، تذكرت أبا بكر الصديق عمر وعثمان وعلي ، والصحابة جميعاً – رضي الله عنهم – تذكرت موقفهم في أول صلاةٍ غاب عنهم فيها إمامهم وحبيبهم ﷺ ، فخنقتني العبرة ، وانهمكت في البكاء ، وضج المسجد بالنحيب ، وامتلأ الأفق بالأنين ، وكدت أخر على وجهي في المحراب ، ولم أستطع أن أكمل قراءتي وأتم صلاتي إلا بجهد جهيد .

وهكذا عشنا ذلك اليوم الرهيب ، والمشهد الغريب ، وظلت أفواج المعزِّين تتوافد إلى ساعة متأخرة من الليل ، ثم كان العزاء في اليوم الثاني بمنزله بالطائف ، والموقف نفسه يتكرر ، والمشاهد ذاتها تتجدد ، ثم انتقل العزاء في اليوم الثالث إلى منزله في الرياض ، وما قيل هنا يقال هناك وربما أكثر من ذلك بكثير .

اللهم اغفر لشيخنا ، اللهم اغفر ذنبه ، وارفع درجته ، واجمعنا به

في جنات النعيم إنك على كل شيء قدير .. وإنا لله وإنا إليه راجعون .

ودع الصبر محب ودعك
ذائع من سره ما استودعك
يقرع السن على أن لم يكن
زاد في تلك الخطى إذ شيّعك
يا أخا البدر سناءً وسنا
رحم الله زماناً أطلعك
إن يطل بعدك وقتي فلكم
بتّ أشكو قصر الوقت معك

أجمل ما قيل

في شيخ الجيـــل

«أولاً : النثـــر»

هذه المشاركات المشكورة هي أجمل ما قيل من وجهة نظرنا ، وفي حدود ما قرأنا ، وقد يأتي بعد طباعة كتابنا هذا كتابات عدة ، ومقالات كثيرة تفوق ما هو موجود ، ولو رصدنا كل ما كتب لاحتاج ذلك إلى عدّة مجلدات .

وليس ترتيبنا لها على حسب قوتها العلمية أو فائدتها الفكرية فقد يكون هناك مقالات هي أولى بالتقديم من غيرها ، ولكن المسألة ليست مسألة مفاضلة ، بل هو رصد لهذه الجهود المباركة ، والعواطف الجياشة ، والمشاعر الصادقة ، وقيمة كل مقالٍ هي في منزلته عند الله تعالى ، وذلك على حسب نية قائله ، بارك الله في الجميع ، وأعظم أجرهم ، ورفع قدرهم ، ونضّر وجوههم .

المـؤلـف

رحمك الله يا شيخنا

بقلم صاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن فهد
ابن عبدالعزيز آل سعود حفظه الله
وزير الدولة وعضو مجلس الوزراء

الحمد لله المتفرد بالبقاء والدوام ، القائل في محكم كتابه ﴿ **وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون** ﴾ والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين القائل : « جاءني جبريل – عليه السلام – فقال : يا محمد عش ماشئت فإنك ميت وأحبب من شئت فإنك مفارقه » .

وبعد .. فقد رزئت أمة الإسلام في أنحاء الدنيا بخطب فادح ومصاب جلل نقصت به الأرض من أطرافها وثلم به جدار الدين والملة ذلكم هو فراق إمام أهل السنة والجماعة وحيد عصره وعلامة زمانه سماحة الوالد الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز .. فقد أفل نجم وغاب بدر واحتجبت شمس وحزنت على فراقه قلوب ملؤها الرضا بقضاء الله وقدره واليقين بأن ماعند الله خير وأبقى .

لقد كان سماحته جامعة يؤمها القاصدون فيتخرجون فيها بعلوم شتى وتجارب فريدة . لقد ملأ قلبي حب واحترام وتقدير سماحة الشيخ – رحمه الله – لكثرة ما يتحدث والدي مولاي خادم الحرمين الشريفين حفظه الله عن مكانة العلماء عامة ، وهذا الإمام وماله من مكانة في

نفسه خاصة ، فأورثني ذلك رغبة في القرب من سماحته والأنس بحضوره وزيارة مجلسه بين الحين والآخر ، فعلمت عن سماحته بعد اللقاء به فوق ماسمعت من حديث الناس عنه .

لم يكن سماحته عالماً مفتياً متحرراً من التقليد والجمود مولعاً بالدليل فحسب ، بل جمع إلى ذلك أنواعاً من الفضل والكرامات .

لقد كان سماحته – يرحمه الله – يأخذ بقلب كل من عرفه عن قرب بتواضعه الجم لذوي الحاجات والضعفاء وكرمه الدائم الذي لا يعرف السآمة والملل ، وكان ذا صفات يندر أن تجتمع لسواه من العلماء وأهل الفضل ، فهو حليم صبور لايغضبه إثقال السائلين عليه ولاينفره إلحاح ملح أو تحامل حاسد .. يقابل الإساءة بالاحسان ، والجفوة باللين ، والمنع بالعطاء .

قالوا : ألا تصف الكريم لنا؟ فقلت على البديهْ

إن الكريم لكالربيع تحبه للحسن فيْه

وإذا تميز حاسدوه بكى ورق لحاسديْه

وكان كذلك متوجاً بحلم ورفق وهيبة لاتفارق محياه .. لقد رأيته – رحمه الله – يتفاءل في أوقات عصيبة يظن فيها الناس الظنون . ثقته بالله عظيمة ، يشرح الله صدره للحق فيثبت عليه ولو أكثر عليه المكثرون أو أرجف المرجفون .

كلماته صادقة اللهجة والولاء لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم بعيدة كل البعد عن التكلف .

لقد فقد سماحته – رحمه الله – بصره لكنه جاوز المبصرين في آرائهم وأقوالهم وفتح الله له آفاق البصيرة .

لم يسافر سماحته خارج المملكة العربية السعودية قط . . لكنه عالمي في منهجه ولاتوجد قضية من قضايا المسلمين الكبرى إلا ولسماحته فيها مقام شاهد ورأي سديد ودور حميد ابتداءً من قضية فلسطين ومروراً بأفغانستان والصومال والبوسنة والهرسك والشيشان وانتهاء بكوسوفا التي له فيها دور محمود على الرغم من اندلاع الحرب فيها في وقت كان سماحته يعاني من أعراض المرض فلم يزده مرضه مع ماتحمله إلاتجلُّداً وثباتاً .

لقد كان – رحمه الله – على ماعنده من الغيرة على دين الله والحرص على نشر العقيدة الصحيحة حريصاً على تأليف القلوب وإيصال الحق إلى المخالف بطريقة لاينفر منها قلبه بل بأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة حتى هدى الله على يديه الكثيرين ممن فتنوا بالبدع والمخالفات الشرعية فأصبحوا بفضل الله من دعاة الحق والخير على منهج السلف الصالح منهج أهل السنة والجماعة .

لقد طالعت كتباً عن سيرة سماحته في حياته لكني على يقين بأن ماسيرويه مَنْ لزم سماحته عن قرب ممن أدركوا دقائق أخلاقة وروائع

مناقبه في حياته والتي لم يكن – رحمه الله – يأذن بنشرها في حياته ستظهر لنا أكثر مما علمناه عنه بكثير .

وبهذه الصفات العظيمة تبوأ عالمنا الجليلُ هذه المكانةَ العظمى في قلوب المسلمين على اختلاف نزعاتهم وذاع صيته في أصقاع الأرض فكان بحق عالم الأمة وداعية العصر ، وعلماً من أعلام الزمان لاتُمحى ذكراه على مر الأيام ولن تنساه الأجيال على تعاقبها . فهو إن رحل عنا إلى دار البقاء فقد بقيت مآثره وعلمه مما يخلِّد الله به الذكر ويرفع به المنزلة وسيظل بإذن الله حياً بعلمه وعمله وجهاده ودعوته .

فـاصنعْ لنفسِك قبلَ موتك ذكـرها
فـالذِّكْـرُ للإنسانِ عـمـرٌ ثانِ

وإني إذ أعزي المسلمين عامة ومولاي خادم الحرمين الشريفين حفظه الله وسمو ولي عهده الأمين وسمو النائب الثاني حفظهم الله وأصحاب المعالي والفضيلة وأسرة سماحته وأهل العلم والدعوة خاصة ؛ لأسال الله الذي أكرم بلادنا وأمة الإسلام بسماحته أن يخلف على المسلمين بخير وأن يجعل في كبار علمائنا خاصة ، وكبار علماء المسلمين عامة ، خير خلف في إمام علم مضى وسلف .

نعم .. إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن وإنا على فراق سماحته لمحزونون .. ولانقول إلا مايرضي ربنا : (إنا لله وإنا إليه راجعون) .

(جريدة الرياض العدد : ١١٢٨٣)

كلمة الأمير محل التقدير

صاحب السمو الملكي الأمير عبد العزيز بن فهد بن عبد العزيز – حفظه الله – حينما ينطق بيانه مرصعاً درراً من الألفاظ على جبين الصحف . ألفاظ تفيض وفاء ، وتقطر حباً ، وتفوح عبيراً ، وتنطق أسى ولوعةً وحزناً على سماحة العلامة الأجل ، والشيخ الأمثل عبد العزيز بن عبد الله بن باز – رحمه الله – .

حينما يكتب تلك الكلمات الباكية ، ويسطر هاتيك العبارات الشاكية ، فإنه لا يكتب من فراغ ، ولا يتكلم مجاراة للواقع ، أو تمشياً مع الحدث ، بل أجزم أنه صادق في مشاعره ، صادق في تأثيره ، صادق في حبه ، صادق في لفظه ، أقول ذلك عن علم واثق ، ويقين صادق ، فقد كان من المحبين لسماحته قولاً وفعلاً ، واعتقاداً وبذلاً ، حباً ظهرت آثاره ، وعظمت أخباره ، وشعّت أنواره . منذ أن بزغ فجر هذا الشاب ، ونضج فكره ، واستوى على سوقه ، وهو من المتطلعين لفعل الخير ، المحبين لبذل المعروف ، المقدرين للعلماء ، وفي مقدمتهم سماحة الشيخ – رحمه الله – .

ومنذ ذلك الحين وسماحة الشيخ – رحمه الله – يُعَوِّل بعد الله

تعالى عليه في كثير من الأمور ، وعددٍ هائل من المسائل ، لا يكاد يمر يوم إلا ويرد اسم هذا الأمير الشاب على لسان سماحة الشيخ ، فقد رأيت سماحته يحيل إليه النصيب الأوفى من حاجات الناس ، وكربات المسلمين ، ومتطلبات المؤمنين من بناء المساجد ، ودعم المشاريع الدعوية والجمعيات الخيرية ، وتفريجِ الكربات ، وقضاء الحاجات ، وتحمل الحمالات ، وكان لا يرد شيئاً من شفاعات الشيخ ما أمكنه ذلك ، وأعرف أنا من ذلك مسائل كثيرة ، وقضايا عديدة ، ومن أهم ذلك مسجد سماحته الكبير الذي يعتبر من أهم المساجد في المملكة ، وهو أكبر وأهم مسجد في مكة المكرمة بعد الحرم الشريف أكثر من ثلثي تكاليفه عن طريق الأمير عبد العزيز بن فهد أجزل الله مثوبته .

ومن أعظم ما يذكر لسموه : أن سماحة الشيخ – رحمه الله – بعثني إلى سموه قبل وفاته بأقل من ثلاثة أشهر في مشروع كبير بمكة المكرمة وهو « مجمع ابن باز الخيري » تبلغ تكلفته أكثر من ثلاثة عشر مليون ريال ، فذهبت للأمير ، فلما علم أنني قادم إليه لأمر يهم سماحة الشيخ بادر بالترحاب ، وبالغ في الإكرام ، فعرضت عليه مشروع الشيخ فقبله بكل ترحيب وسرور واطمئنان ، وقال لي : الشيخ في عيوننا ، ولا نرفض له طلباً ، وبشر سماحته واعتبر أن الموضوع منتهٍ ، وصدق فيما قال ، فلم يمض أسبوعان إلا وقد وصل « الشيك » من سموه بكامل القيمة .

وها نحن الآن على قدم وساق في تنفيذ هذا المشروع العملاق في

أطهر بقعة على وجه الأرض ، فهنيئاً لسموه بهذه المشاريع الخيرية وهنيئاً له بتلك الدعوات المباركات التي كان يرددها سماحة الشيخ في أوقات كثيرة ، وآمل من الله تعالى أن يوفق سموه للسير قدماً في طريق الفلاح ، ودروب الصلاح ، وآفاق النجاح ، وأن ينفع به البلاد والعباد .. إنه سميع مجيب ،،

المؤلف

حيــاة أوقفت للـــه

بقلم سمو الأمير خالد بن عبد الله بن فهد الفيصل

الحمد لله الذي له ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى ، القائل في محكم تنزيله ﴿ **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون إنما يتذكر أولو الألباب** ﴾ والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي أخبرنا بأن العلماء هم ورثة الأنبياء .

نجم أفل ، وصرح شامخ اعتلى القمة فكان لها أهلاً ، وأباً صالحاً تركنا ورحل ، والحزن استولى على قلوبنا فوضعها لديه في الأسر يوم أن صدمنا وفجعنا بوفاة أبرز وأعظم علماء وفقهاء هذا القرن سماحة العلامة الوالد الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله رحمة واسعة - الذي لم تنجب ولم تعرف الأمة الإسلامية عالماً جليلاً ومصلحا وفقيهاً مثله منذ قرون عديدة وشهد المسجد الحرام بساحاته الواسعة قرابة مليونين من المصلين والمشيعين الذين قدموا من شتى أنحاء العالم كان في مقدمتهم جميعاً ولي أمر المسلمين خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز في لفتة طيبة كريمة ليست بمستغربة منه - يحفظه الله - تركت في النفوس أبلغ الأثر والتقدير .

تربطني بسماحة والدي ومعلمي عبد العزيز بن باز علاقة وثيقة شرفني وأكرمني الله بها منذ أحد عشر عاماً تقريباً وكنت أشعر أثناء الحديث معه بالعطف والحنان والرقة والرحمة في كل كلمة من كلماته وألمس في نصائحه وتوجيهاته إخلاصاً لو وزع على العالم كله لوسعه ، وعندما أزوره في مجلسه العامر أو أحضر درساً من دروسه كنت أشعر من تواضعه وزهده وورعه أنني في حضرة بقية باقية من السلف الصالح رحمهم الله جميعاً ، ولم أخبره بفقد عزيز إلا وكان سباقاً للصلاة عليه وتشييعه ولا بقدوم مولود إلا وشاهدت الفرحة ترتسم على محياه الطاهر ولا بمرض قريب أو حبيب إلا وصار دائم السؤال عنه والدعاء له ، منتهى سعادته كلها في صلته بالله حباً له وخوفاً منه وتوكلاً عليه وتسخير علمه وفقهه في نفع المسلمين .

إن فراق سماحة الوالد الشيخ عبد العزيز بن باز عن هذه الدار – مما لا شك فيه – صدمة كبيرة ومصيبة عظيمة وفاجعة بمعنى الكلمة فمن منا لم يبكه أو قدر على حبس دموعه ، ومن منا لم يعتصر الحزن قلبه وامتنعت عن كل شيء نفسه منذ علم بهذا المصاب الجلل والفقد الموجع ولكنها سنة الله في خلقه فمن يكون على ظهر الأرض اليوم سيكون غداً في باطنها . يقول الله عز وجل ﴿ **وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون** ﴾ وأثر عن الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – « من عظمت مصيبته فليتذكر مصيبته في فقد محمد ﷺ » .

رحم الله سماحة والدنا ومعلمنا الشيخ عبد العزيز بن باز فكم من

عالم وداعية كان هو المعلم والموجه لهم ، وكم من يتيم ومحروم كان كافله ، وكم من ضعيف ومسكين سعى في قضاء حوائجهم ومساعدتهم ، وكم من بيت أسري مشتت من مشاكل طلاق وغيره كان لسماحته الفضل بعد الله في لم شمله وكم وكم وكم ؟ سمعت من أحد الثقات أن أحد الدعاة كان في رحلة إلى جمهورية كينيا فوجد امرأة عجوزاً مسلمة تدعو للشيخ ابن باز ، يقول فقلت سبحان الله ما علاقة هذه العجوز بسماحة الشيخ؟ فعندما سألتها قالت لي : إنني كنت في حاجة ماسة فجاءني أحد الأشخاص فقال خذي هذه من الشيخ ابن باز .

نعم .. لقد رحل عنا وتركنا شيخنا وعالمنا الجليل ونحن جميعاً الصغير منا والكبير والغني والفقير والقريب والبعيد أحوج ما نكون إليه من أي وقت مضى ، غير أن عزاءنا الذي يخفف عنا وطأة وهول هذه الفجيعة ما خلفه من بعده – رحمه الله – من ثروة علمية هائلة هي أكبر من أن تعد وتحصى لا غنى لنا عنها وإرثاً فكرياً وفقهياً لا يساويه إرث سيظل مرجعاً ومنهلاً ننهل من معينه العذب الصافي ومنهجاً سلفياً قويماً سنظل نهتدي به كواحة خضراء يستظل تحت ظلالها الجميع من دعاة ومصلحين ومن عامة الناس وخاصتهم إلى يوم الدين .

إننا نحتسب فقيدنا الغالي عند الله تعالى في جنة الخلد التي ينال فيها كل مؤمن ما يتمنى وفوق ما يتمنى فما خسر دنيا ولا آخرة ولا خسر مالاً ولا أهلاً ولا ولداً ممن آمن معه وعمل صالحاً طابت دنياه بحبه

لله فطابت آخرته بنعيم الله ورضوانه فهنيئاً لأهلها وهنيئاً للعاملين لها ولو لم تكن الجنة إلا دار كرامة ودار رضوان الله على من فيها لكفى ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾ قال الشاعر :

إن لله عباداً فطنا
طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا
أنها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا
صالح الأعمال فيها سفنا

نسأل الله بأسمائه وصفاته أن يجزي سماحة والدنا خير ما جزى به عباده الصالحين وأن يصبرنا على فراقه وألاّ يفتنّا بعده والحمد لله على قضائه وقدره ولا نملك إلاّ أن نقول ما يرضي ربنا «إنا لله وإنا إليه راجعون» .

(جريدة الرياض العدد : ١١٢٨٣)

مقطع من خطبة الحرم المكي

في يوم الجمعة ١٤٢٠/١/٢٨ هـ اليوم الذي صُلي فيه على الشيخ

لمعالي الشيخ محمد بن عبد الله السبيل

* إمام وخطيب المسجد الحرام *

وهذا مقطع من خطبة معالي الشيخ محمد بن عبد الله السبيل إمام وخطيب المسجد الحرام :

وقد أصيبت أمة الاسلام اليوم بوفاة عالم الأمة وإمام أهل السنة والجماعة في هذا العصر ؛ علامة زمانه وفقيه أوانه الداعية إلى الله تعالى على علم وبصيرة ، المجاهد في سبيل الحق والهدى سماحة العلامة الجليل الشيخ عبد العزيز بن باز فإن فقده مصاب أليم وحادث جليل على أمة الإسلام تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جنته وبوأه منازل الأبرار مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً وجزاه الله عما قدمه للإسلام والمسلمين خير الجزاء وعوض الله المسلمين بفقده خيراً وإن مما يهون وقع المصاب ومرارة الحزن أن الله تعالى مكن لهذا الدين وقيض له علماء مخلصين وفقهاء بصيرين ولا سيما علماء هذه البلاد المباركة يجلون رسالة الإسلام ويدعون إلى الله على علم وبصيرة فبارك الله تعالى في حياتهم وسدد على طريق الحق خطاهم ومنّ على الجميع بالصبر والاحتساب في الفقيد .

(جريدة المدينة ، العدد : ١٣١٧٤)

كان طوداً شامخاً في العلم والزهد والتقوى وحب الخير

بقلم معالي الدكتور : عبد الله بن عبد المحسن التركي

* وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد *

إن خطب المسلمين جلل ، ومصابهم فادح ، في فقد سماحة شيخنا ووالدنا الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته ، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

لقد كان - رحمه الله - طوداً شامخاً في العلم والزهد والتقوى ، وحب الخير للناس له في كل ميدان من ميادين العمل الصالح يد تذكر فتشكر ، نمط فريد من أنماط العلماء العاملين الصالحين يذكرنا بأئمة علماء السلف الذين جاهدوا في الله حق جهاده ، وورثوا علم النبوة ، وتحملوا الأمانة ، وجاهدوا في أدائها على خير ما يكون الجهاد نذروا أنفسهم لنشر دين الإسلام والدعوة اليه ، والذب عنه ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقامت الحجة بهم على الناس ، ورأى الناس فيهم من الصفات والعزم والحزم والتقوى ، والعمل الصالح ، ابتغاء مرضات الله ، ما ثبت الدين في النفوس والمجتمعات ، وأبرز خيرية أمة محمد ﷺ ، التي أخبر الله تبارك وتعالى عنها بقوله : ﴿**كنتم خير أمة**

أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ .

كانت الدعوة إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ والصبر على ذلك والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ديدنهم إتباعاً لقول الله تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ .

نسأل الله أن يتغمد فقيدنا برحمته ، وأن يكتب له أجر جهاده وعمله وآثاره العظيمة في مختلف ديار المسلمين وأن يجعله من أولئك الأئمة الأعلام ، لقد كان الشيخ عبد العزيز بن باز في عصره إماماً جدد في نفوس كثير من العلماء والدعاة الكثير من القضايا التي جددها أسلافه من أهل العلم ، وبخاصة ما قام به الإمام االشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في العصر الحديث وفي جزيرة العرب على وجه الخصوص .

وكان سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – حريصاً كل الحرص على اتباع الكتاب والسنة ، وبخاصة في قضايا المعتقد ، توحيداً لله سبحانه في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله ، وعبادته ، والداً لطلاب العلم وبخاصة منهم أهل الحاجة والغرباء ، بابه مفتوح ونفسه مفتوحة ، متواضعاً ، محباً للخير ، باذلاً له ، حريصاً على المؤمنين ، كباراً وصغاراً مدركاً لأهمية هذه البلاد « المملكة العربية السعودية » وموقعها المتميز في نشر الإسلام والدعوة اليه ، ومثنياً في كل مناسبة على ما يقوم به

ولاة الأمر فيها ، من عمل صالح ، وبذل مستمر في إنشاء المساجد ، وطبع الكتب وتعليم الناس الخير ، وعون المسلمين في كل مكان ، وقبل ذلك وأهم منه حرصهم على تنفيذ أوامر الله وتطبيق شرعه . مواقفه – رحمه الله – مشهودة في الذود عن الدين وأهله وعن المملكة وأهدافها ، وما قامت من أجله ، نصراً للدين ، ودعوة لتوحيد الله ، وإخلاص العبادة له .

عرفت سماحته منذ خمسة وأربعين عاماً ، تتلمذت عليه ، واستفدت من نصحه وتوجيهه ، وقويت صلتي به عندما توليت إدارة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، فكان – رحمه الله – حريصاً على الجامعة ورجالها ، يسأل عنها وعن مشروعاتها ويحضر مناسباتها ، وقَلَّ أن يعقد مؤتمر وندوة فيها إلاّ وهو في مقدمة الحاضرين والموجهين .

وبعد انتقالي منها إلى وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، كان شديد الصلة بالدعوة والدعاة ، يسأل عنهم ويعينهم ، ويسعى لحل مشكلاتهم ، يهتم بالمساجد والأئمة والجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن . ولا أذكر أني طلبت منه رأياً أو عوناً أو إسهاماً في مجال خير ينفع الناس ، ويسهم في ربطهم بالكتاب والسنة إلاّ وكان مستجيباً بما يستطيع ، ناصحاً ، مخلصاً ، فجزاه الله أحسن الجزاء وأكرمه لقاء ما قام به في سبيل الإسلام والمسلمين .

سيبقى الخير – بإذن الله وعونه – في أمة محمد ﷺ ، وستقوم

الحجة على الناس بوجود العلماء والدعاة ، أمثال سماحته – رحمه الله – وفي بلاد الحرمين المملكة العربية السعودية ، على وجه الخصوص لما حباها الله به من مزايا وما وفق قادتها وولاة الأمر فيها من الاهتمام بالعلم والعلماء ، والدعوة الى الله ، ومناصرة المسلمين والذب عن قضاياهم .

من الصعوبة بمكان أن يفي المتحدث أو الكاتب بالجوانب العديدة والصفات الحميدة ، التي كان يتصف بها سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ، وليس هذا هو الهدف من كتابة هذه الأسطر ، وإنما الهدف أن نعرف أهمية العلم والعلماء في حياتنا ، وأن نقدر العلم وأهله ، فبه تحيا النفوس ، ويقوى الإيمان ويزداد العمل الصالح ، وتبقى الآثار الحميدة ، ويبتعد الناس عن الأهواء والبدع والخرافات ، ويستقيموا على صراط الله المستقيم ، الذي دعا اليه خاتم الأنبياء والمرسلين ، ومن تبعه باحسان من أهل العلم والإيمان .

وأن ندرك أن فضل الله عظيم على أمة محمد ﷺ ، وأن هدايته وتوفيقه هما السبب فيما يحصل للإنسان من علم وتقوى وعمل صالح ، وأن العالم بقدر ما تصلح نيته وتستقيم سريرته ، ويقتفي من سبقه ممن لازم الكتاب والسنة ، بقدر ما يكتب له القبول ، ويكثر خيره ونفعه .

إن لسماحة والدنا وشيخنا عبد العزيز بن باز رصيداً كبيراً في هذه

الدعوات وله على طلاب العلم واجب كبير ، في ذكر الصالحات له ، والبر به ، والإحسان اليه ، بعد أن انتقل من هذه الدنيا الفانية الى دار نسأل الله أن تكون له خيراً ورحمة وفضلاً واسعاً ، كما نسأله أن يجبر كسر المسلمين في مصابه ، وأن يجعل في عقبه الخير والصلاح والبر ، اللهم اغفر له وارحمه ، وأكرم نزله ووسع مدخله ، واجمعنا به في دار كرامتك ، واكتب له ما تكتب لعبادك الصالحين ، وأئمة الدعوة المهديين وعوضنا والمسلمين خيراً ، والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلاّ بالله ، وصلى الله وسلم على نبي الهدى ، نبينا وإمامنا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه أجمعين . (جريدة المدينة ، العدد : ١٣١٧٤)

مصاب جلل وخطب عظيم

بقلم معالي الشيخ الدكتور : عبدالله بن محمد آل الشيخ

* وزير العدل *

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين إمام الدعوة إلى الله وقدوة من بعده من المسلمين .. محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه واقتفى أثره إلى يوم الدين .. أما بعد ،،

فإن حكم الله لا محالة نافذ ، وأمره لاشك واقع .. ولقد فجعت الأمة الإسلامية بأسرها بوفاة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز المفتي العام للمملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء ورئيس إدارة البحوث العلمية والإفتاء .

وما من شك أن مصاب الأمة في سماحته جلل .. وخطبهاعظيم غير أننا لا نملك إلا أن نمتثل بهدي رسول الله ﷺ ونقول « اللهم اجرنا في مصيبتنا واخلفنا خيراً منها » . وإننا بفقد سماحته نفقد ما كان سماحته عليه من لين الجانب وبساطة المعيشة وحب الخير والنصح والتفاني في قضاء حاجات المسلمين والبشاشة فيمن يرد اليه وحرصه على أحوال المسلمين وتلمسه لمشكلاتهم والسعي إلى إعانتهم فضلاً عن

ما وهبه الله من علم ورأي سديد .

لقد كان سماحته على قدر كبير من فهم مقاصد الشريعة واهدافها والفهم الحقيقي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونشر العلم وتقدير وفهم مسئولية الدولة وكان في هذا كله مرجعاً للجميع من الكبار والصغار والعلماء وعامة المسلمين وكان لكل هؤلاء الرجلٍ الذي يبذل جل وقته لقضاء حوائج الناس وارشادهم حتى أصبح مثلاً أعلى وقدوة حسنة للجميع . العالم والعامي ، الكبير والصغير ، الرئيس والمرؤوس مجمعاً عليه إجماعاً لايقبل الشك ولا الاختلاف فكان بذلك نادرة زمانه وعالم عصره وإمام وقته .

إن فقد الأمة لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ليس فقد شخص أو فقد غال على النفوس أو فقد عالم من علماء الأمة فحسب بل هو فقد ركن عظيم طالما استندت عليه هذه الأمة بماطبعت عليه من تحكيم شرع الله وحفظ مكانة العلماء ومعرفة منزلتهم وتعظيم قدرهم والأخذ بمشورتهم ولقد كان سماحته في قمة هؤلاء العلماء ورأسا لتلك الكوكبة المضيئة من مصابيح الأمة وقدوة حسنة لهذا الجيل النابه من المشايخ والعلماء وطلبة العلم نهلوا من علمه الغزير واقتدوا بسيرته العطرة وتتلمذوا على يديه فكان نعم العالم وكانوا نعم طلبة العلم .

أسأل الله عز وجل أن يجعل ما قدمه سماحته للإسلام والمسلمين في موازين حسناته وأن يجزل له الأجر والمثوبة وأن يجعله في أعلى

درجات الجنة كما أسأله عز وجل أن يجعل فيمن خلفه الخير والصلاح والنفع والرشاد وأن يحفظ لهذه الأمة دينها وأئمتها وولاة أمرها وأن يمن على الجميع بالصبر والسلوان وصلى الله على نبينا محمد وعلى أله وصحبه وسلم .. ﴿ **إنا لله وإنا إليه راجعون** ﴾ .

احتجنا لعلمه .. واستغنى عن دنيانا

بقلم معالي الدكتور : محمود بن محمد سفر

* وزير الحج *

قليلون هم الرجال الذين تتذكرهم الأمة ويكتب عنهم التاريخ وتبقى ذكراهم على كل لسان وصفاتهم محل تقدير واعتبار . وتكون الذكرى ويكون التقدير بحجم العطاء في مختلف دروب الحياة خدمة للأمة لا فرق في ذلك بين عطاء وعطاء ولا تباين بين جهاد وجهاد . وتكون الذكرى أعمق والتقدير أرسخ عندما يكون الرجل عالماً يسعى بنور الله بين الناس ينشر العلم والكلم الطيب والدعوة الى الله .

وتكون الذكرى أكثر تثبيتاً والتقدير أكثر ترسيخاً عندما يجمع الرجل العالم مع علمه وفقهه الورع والتواضع والزهد والإخلاص . والرجل الشيخ العالم المجاهد عبد العزيز بن باز – رحمه الله – كان من أولئك الرجال العاملين الذين وهبوا أنفسهم وأوقاتهم لتكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله .

زرته في بيته في الطائف عقب صدور أمر تعييني وزيراً للحج وسألته أن يوصيني فكان الكلام ينطلق من قلبه بصدق ويجري على

لسانه بعفوية فوقعت في قلبي وصاياه برداً وسلاماً وحفظت ذاكرتي نصائحه بارتياح وامتنان .

ومسيرة جهاد الشيخ ستكون محل دراسة وبحث من جميع المهتمين بسير العلماء وتراجم الرجال الصالحين فقد كان الشيخ طوال مسيرة حياته واضحاً في كل ما قال ومخلصاً في كل ما فعل ومحتسباً في كل ما بذل من نفسه وصحته .

لقد أجمع الناس على محبته وإن اختلفوا حول أسباب تلك المحبة الغامرة له .

فمنهم من أحبه لورعه وتقواه . .

ومنهم من أحبه لتواضعه وزهده . .

ومنهم من أحبه لعلمه وفقهه . .

ومنهم من أحبه من أجل كل تلك الصفات . .

لكنهم أجمعوا جميعهم على محبته .

وإن اختلفت الناس على أسباب محبة الشيخ عبد العزيز بن باز فإنهم كانوا جميعاً صادقين في محبته فقد كان للشيخ – رحمه الله – العديد من الصفات الحسنة والأخلاق الكريمة بجانب غزارة علمه وفقهه فهو ورع وتقي ومتواضع وعالم وفقيه وزاهد وذكي .

لقد لقي الشيخ ابن باز ربه وقد أجمع الناس على محبته فقد كان نموذجاً للعالم المتمكن من علمه ، الواثق من دينه ، المدافع عن عقيدته ، الداعي إلى ربه بالموعظة الحسنة والحكمة السديدة ، البسيط المتواضع في مظهره الواثق المتمكن في مخبره .

أما أنا فكنت أحب الشيخ – رحمه الله – بكل صفاته ولكن الذي حببني فيه أكثر صفتان متلازمتان رزقه الله إياهما : تواضعه تواضع العلماء ، وزهده في مباهج الدنيا وزخرفها ، فكان بهاتين الصفتين أُنموذجاً للعالم المسلم القدوة .

لقد ظل طوال حياته – رحمه الله – داعياً إلى الله على بصيرة وهادياً للناس بالحق وساعياً بين الناس بالخير وناصحاً للناس بالصدق وحاثاً للناس على البر .

قد يكون بين علماء الأمة الإسلامية من هم في علم الشيخ وفقهه لكني أظن أنهم ليسوا جميعاً سواء في تواضعه وزهده ، وعلماء الأمة هم حملة الكلمة وحماتها ، وهم قادة الفكر ودعاة الرشاد ، وهم ذخيرة الأمة وعتادها وثروتها ومصدر عزها واعتزازها . وعلماء الأمة هم صفوة مجتمعاتها ونتاجها الطيب وهداة طريقها ونور مسيرتها ، فالمكانة التي تضع الأمة علماءها عليها توضح مدى عمق أو سطحية نظراتها الحضارية ، وتبين أيضاً مدى استعدادها للسير على طريق الخير والحق والعدل وحرصها على تكريم روادها . ولهذا نجد أن المجتمعات المسلمة

الملتزمة تضع علماءها في مكان الصدارة والريادة لأنها مجتمعات تؤمن بشرع الله وتسير على نهجه وتلتزم بثوابته في شتى شؤون حياتها كما نجد أن تلك المجتمعات كلما ازدادت توقيراً لعلمائها ، وتكريماً لهم ، ودعماً لأعمالهم وجهودهم بمزيد من العناية بهم والرعاية لهم . وذلك المفهوم الحضاري لتوقير العلماء والمحافظة عليهم هو الذي دفع بالحلفاء عند دخولهم ألمانيا إبان الحرب العالمية الثانية الى البحث عن كتبها لصون محتوياتها والحرص على علمائها حفاظاً على نبوغهم ، واهتماماً بإنتاجهم . وعكس ذلك ما فعله المغول عند دخولهم بغداد في نهاية الدولة العباسية فقد عمدوا إلى إحراق (المكتبات) وقذفوا بالمخطوطات في النهر ، حتى اسود ماؤه . وعذبوا جل العلماء . وقتلوا منهم من قاومهم ووقف أمام هجمتهم الشرسة .

لقد عنيت الحضارات الإنسانية المتعاقبة بالعلماء وأنزلتهم منازل التقدير والتبجيل . ومنحتهم كل الاهتمام . ولعل الحضارة الإسلامية كانت من أبرز الحضارات تبجيلاً وإجلالاً للعلماء . يتضح ذلك من قراءة تاريخ « العصر الذهبي » للدولة الإسلامية ، ولم يأت تكريم الأمة الإسلامية لعلمائها على مر العصور والأزمان اعتباطاً أو رد فعل بقدر ما جاء انطلاقاً من العقيدة الإسلامية التي تؤكد على هيبة العلماء ، وخشيتهم لله ، ومن يخشى الله ويهابه يقدره الناس ويوقروه .

لقد سُئل العرب : كيف ساد فيكم فلان ؟ قالوا : احتجنا لعلمه واستغنى عن دنيانا . وعندما يسألنا العرب والمسلمون كيف ساد فيكم

ابن باز ؟ نقول لهم : احتجنا لعلمه واستغنى عن دنيانا .

رحم الله الشيخ رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته وجعل جميع أعماله في موازينه وأخلف الأمة فيه من أمثاله ما هي جديرة بهم وحريصة عليهم .. إنا لله وإنا اليه راجعون .

(جريدة الشرق الأوسط ، العدد ٧٤٧٧)

رحمك اللــه يا أبا عبد اللــه

بقلم معالي الأستاذ الدكتور : عبد الله بن صالح العبيد

* أمين عام رابطة العالم الإسلامي *

نعم يارب الأرباب ﴿**لكل أجل كتاب**﴾ لا راد لقضائك ولا مقدر لآجالك .. لك الخلق ولك الأمر .. خلقت الموت والحياة لتبلونا أيّنا أحسن عملاً ، لا إله إلاّ أنت تفعل ما تشاء وتحكم ما تريد ... لك الحمد على ما قضيت ولك الشكر على ما أعطيت .

لك الحمد يارب على ما رزقتنا ورحمتنا وتكرمت به علينا من جزيل عطائك ونسألك الصبر على ابتلائك وبلائك .

لبت ندائك نفس والدنا وشيخنا وإمامنا عبد العزيز بن عبد الله بن باز واستسلمت روحه الطاهرة لقضائك وقدرك . وانهمرت الدموع يارب على قدر ما تذكرت النفوس من كرمك وفضلك وعطائك ، فاللهم أعطها ولا تحرمها .. اللهم استجب دعاء عبادك فيما سألوك وتقبل منهم ما تحشرج في حلوقهم واستكن في صدورهم واعتمل في نفوسهم من حب لعبدك وابن عبدك .. خانهم في التعبير عنه جلل الخطب وضعف النفس وحزن القلب ودمع العين ، فاللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه ... اللهم تقبله في عبادك الصالحين واحشره

مع النبيين والصديقين ، فقد أخلص لك الدين واعتصم بحبلك المتين وكان من عبادك المخلصين ، اللهم ارحمه فقد كان بعبادك رحيماً ، اللهم وأكرمه فقد كان بينهم كريماً ، وشفع فيه سيد خلقك فقد كان لسنته خادماً ولمنهجه تابعاً ومطيعاً ، اللهم وبارك له ببركة كتابك فقد كان له حافظاً ومحفظاً ودليلاً ، اللهم جازه بالحسنة إحساناً وبالسيئات عفواً وغفراناً ، اللهم وارحمنا إذا صرنا إلى ما صار إليه ، فإنا نشهدك يا الله على حبك وحبه وحب كل من يحبه .

رحمك الله يا أبا عبد الله .

رحمك الله فقد نذرت نفسك لتحقيق صفاء العقيدة وخدمة الشرع والشريعة .

تقلدت مناصب الحكام والقضاء والدعوة والإفتاء وتميزت في إدارة المجالس والمجامع بالتأكيد على الاعتماد على الدليل والحرص على منهج اليسر والتيسير وكان خيارك دائماً (يسروا ولا تعسروا) يسر الله حسابك وسهل على المسلمين سلوك طريقك ومنهاجك .

رحمك الله فقد حفظت كتاب الله وسنة رسول الله من عبث الأهواء وتصارع المذاهب والآراء ، ونأيت بهما عن الخلافات الشخصية والمناحي السياسية ، وخاطبت صاحب كل رأي يحتمل الصواب ، وكل من بلغكم عنه ما يخالف الحق والصواب ، وكنت رحمك الله مدرسة في بعد النظر شديد التحري في النقل والخبر ، فكم رددت على مسامع

الناقلين كلماتك الحلوة والمرة «اتهم نفسك قبل أن تتهم غيرك ، فقد يكون الخطأ فيما عندك أو فيما بلغك» رحمك الله فقد كنت الحريص على النصح والنصيحة والبعد عن التشهير والفضيحة ، كنت عفيف اللسان ، سليم السريرة طاهر الوجدان . فما ظلمت وما أسلمت وما خذلت .

رحمك الله فقد حفظت للولاة حقوقهم وشاركت الدعاة همومهم.

رحمك الله يا من بذلت مالك وجاهك ووقتك لخدمة الإسلام والمسلمين وفتحت بابك وصدرك وقلبك للمحتاجين ، فما بخلت ولا ندمت .

رحمك الله يا من أطعت الأمراء وقدرت العلماء وأكرمت الشرفاء وأطعمت الفقراء ... يامن عمرت بيوت الله بالعلم والبناء والذكر والدعاء وخدمة دعوة الله في السراء والضراء ..

نسأل الله أن يعظم لك الأجر ويجزل لك الجزاء ..

كم لك يا أبا عبد الله من سجل مشرف في البذل والعطاء وكم تستحق من كل محب ومنصف من تسجيل المحاسن والثناء؟ ولكن حسبنا أن نتوجه إلى الله بالدعاء بأن يجزيك عن كل ذلك أحسن الجزاء وأن يضاعف حسناتك ويتجاوز عن سيئاتك وأن يخلف على الإسلام والمسلمين خيراً .. فإلى جنة الخلد أيها الرجل التقي وصاحب

الثوب النقي . إلى لقاء من خلق الموت والحياة ليبلونا أينا أحسن عملاً . نسأل الله ألا يخيب لنا أملاً وأن يجمعنا وإياك في دار الخلد مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

(جريدة الرياض ، العدد : ١١٢٨٣)

ولسوف يذكرك الزمـان

بقلم معالي الشيخ الدكتور : صالح بن عبد الله بن حميد

* إمام وخطيب المسجد الحرام ، وعضو مجلس الشورى *

الحمـد لله رب العـالمين ، والصـلاة والسـلام على أشـرف المرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى اله وأصحابه أجمعين .. وبعد .

ففي فجر يوم الخميس السابع والعشرين من شهر الله المحرم من عام عشرين وأربعمائة وألف ، فارق الدنيا وانتقل إلى رحمة الله ورضوانه بإذنه سبحانه علم من أعلام الأمة ، وبحر من بحارها ، وحبر من أحبارها إمام أهل السنة ، وحامي عقيدة السلف ، حجة هذا العصر ، شيخنا ووالدنا سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز .

ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، وإننا على هذا الفراق لمحزونون ، نسأل الله العلي القدير ألا يحرمنا أجره ، ولا يفتننا بعده ، وأن يغفر لنا وله ، اللهم اغفر له ، وارفع درجته في المهديين ، واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين .

لقد طويت صفحة من صفحات تاريخ الإسلام ، صفحة من صفحات العلم والفضل ، والتقوى والورع ، والزهد والعفة . لقد قال عنه الكثير كثيرون ، ولسوف يقولون ثم يقولون ، وإن مؤلفاته وآثاره

تقول أكثر وأكثر .

لقد دفنت في مقابر العدل بمكة المكرمة الطاهرة مرجعية من مراجع الفقه والفتوى ، وعلم من أعلام الحديث والسنة ، ونموذج شامخ من نماذج التقوى والصلاح ، برحيله – رحمه الله – حدثت بأهل الإسلام ثلمة واسعة ، وفتحت ثغرة عميقة ، يدرك المتأمل غورها إذا تذكر غزارة علم الفقيد ، ويهوله عمقها حين يتأمل اقتران العلم بالعمل اقتراناً أتعب فيه الفقيد من بعده . لم يتوقف يوماً عن طلب العلم والاستزادة منه ، ولم يتوقف عن تعليمه وبذله ، ثم لم يتوقف فيما رأينا وعلمنا لحظة عن الممارسة العملية في لحظه ولفظه ، قوله وفعله ، في البيت والمسجد ، والمكتب والمركب ، والحضر والسفر ، فهو في كل أحواله يربي ويوجه ، ويعظ ويرشد ، ويعلم ويفتي ، ويدعو ويفقه .

جانب من جوانب عبقرية الشيخ وتميزه يتمثل في الحياة الزاهدة الورعة التي أخذ بها نفسه ، لك أن تتخيل رجلاً يعيش فيما عهد من حياته أكثر من سبعين عاماً – لم يحسب من ذلك سنوات الطفولة والصبا – على حال واحدة لا تتغير من هذا التماسك العجيب والتمسك المتين ، والموقف الحازم الصارم من الدنيا ، لم يرفعه في أعين الناس إلا صغر الدنيا في عينه ، هذه الدنيا التي لا تذكر في مجلسه قط فكل مجلسه قال الله عز شأنه .. وقال رسوله محمد ﷺ ، وقال أهل العلم ، قراءة وتحديثاً وشرحاً وبسطاً ووعظاً وتوجيهاً واشتغالاً بهموم المسلمين العامة والخاصة ، يحل مشكلاتهم ، ويسعى في حوائجهم ،

ويشفع فيما لا يستطيعه بنفسه . تتجلى عبقرية هذا الإمام في الحياة التي عاشها في منزله بين المساكين والغرباء ، والتي لم تعهد لأحد مثله في هذا العصر ، يستقبلهم ، ويحتفي بهم ويدنيهم ويتفهم مشكلاتهم، ثم يسعى في حلها مهما كان نوعها ، ثم يلتف كل من حضر حول مائدة الشيخ ليلتقي على هذه المائدة المستديرة الغني والفقير ، والوجيه والوضيع ، والكبير والصغير .

كما تتجلى عبقرية الشيخ – رحمه الله – في هذا الاحترام الكبير والود العظيم الذي احتفظ به مع الموافق والمخالف . لم يعرف عنه كلمة نابية ، ولم يعهد عنه لفظ جارح مع كثرة رسائله ومخاطباته ومكاتباته ومقابلاته فهو راد ومردود عليه ، متصد لبيان الحق لا يسكت على باطل ولكنه كان محافظاً على سمته ووقاره وعفته وأدبه في قلمه ولسانه ، لأنه يقرن العلم بالعمل فعنده ورع حاجز ، وتقوى حافظة ، ولا نزكيه على الله ، لقد أبقى الله له الحب والود في قلوب الناس في احترام يندر أن يكون له مثيل ، وما ذلك بعد توفيق الله ، إلا لصحة المعتقد ، والسلامة من الهوى ، والحرص الشديد على تحري الحق مع ما انطوت عليه نفسه من حب الخير للجميع ، بل حب إصابة الحق للجميع .

تتجلى عبقرية الفقيد – رحمه الله – فيما رسمه وطبقه من علاقة متينة حكيمة وقورة بين العلماء والدولة ، والراعي والرعية ، الدولة وفقها الله وسددها تعرف علمه وفضله وغايته وحكمته ، وهو يعرف وظيفته ومنزلته ، هبت عواصف ، وهدرت بحار ، وهاجت أمواج ،

فكان هو بإذن الله الصاري الممسك بشراع السفينة ، نحسب أن الله قد وفقه وألهمه لما علم من صلاح نيته وصحة مسلكه وصدق نصيحته ونفاذ بصيرته .

تتجلى شخصية الشيخ – رحمه الله – بالنظر فيما يتعرض له العالم الإسلامي وغير الإسلامي من غزو فكري ، ومحاولات اختراق أدت في بعض صورها إلى حالات من الغلو والتشدد أو حالات من التسيب والتحلل مع اختراق لإضعاف الولاء للدين والانتماء للعقيدة الحقة .

إن مواجه هذه الحملات ضعفت في كثير من الجبهات في مواقع من العالم الإسلامي تحت تأثير الزخم الإعلامي أو الضغط السياسي ، فتجلت بفضل الله مدرسة الشيخ المتمسكة بدينها بقوة لتستبقي ملامح الأمة وقسماتها بعيداً عن الانهيار والانبهار والتأثر بمد الغزو الثقافي والفكر الغربي العلماني ، لا تأخذه في هذا الباب لومة لائم ، لا يبالي أن يقع الأمر والنهي موقع الرضا والقبول أو موقع الكراهية والاعتراض ، ومن أجل هذا لم تكن له – رحمه الله – جناية على الدين أو الأمة أو الحكام .

توزان عجيب في فهم القضايا واستيعابها ، وإعطاء الحلول لها في فهم لدرجاتها وأهميتها في الشوون العامة والخاصة في السياسة والحكم والعقيدة والفقه والدعوة والشؤون الاجتماعية . لقد كان – رحمه الله – مدرسة في حكمته وتعامله الرصين والإيجابي مع هذه القضايا

مع هذه القضايا الكبرى منها والصغرى . هو نموذج لما تحظى به هذه البلاد المباركة من علماء مخلصين ناصحين يقدمون النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم ، فتركوا علماً نافعاً وأثراً طيباً ، وقدوة حسنة ، – ولله الحمد – . هو نموذج لما يوليه ولاة الأمور في بلاد الحرمين الشريفين من محبة لأهل العلم واحتفاء بهم وبنصحهم ودعوتهم ووعظهم ، لقد سعدت بهم وسعدوا بها فارتقت هذه البلاد في موقعها المتميز في البلاد الإسلامية . بمثل هذه السيرة والانسجام والتوافق الذي نهنأ به ، ويتناقله القاصي والداني بين العلماء والحكام .

في هذه البلاد ارتقى شأن العلماء واستقر الحكم ، وطبقت الشريعة في أرض الله على عباد الله ، ففتحت الأمة صدرها لمحبة حكامها ، وبذلت لهم الطاعة لأنهم ساسوا الناس بسياسة الشرع ، وبمثل هذا الانسجام والالتزام والمحافظة أصبح المجتمع مسلماً في دولة مسلمة متمسكاً بإسلامه معتزاً بدينه عصياً على الذوبان ، محمياً بإذن الله من الضياع والتحلل والانهيار ، إن غياب شيخنا – رحمه الله – يخلي ساحة المرجعية الإسلامية في العالم الإسلامي من مثل هذه الشخصية الفذة ، ويتأكد هذا الغياب ويعظم حجمه في النفوس كلما تذكرنا غزارة هذا العلم الذي دفن ، والصلاح الذي اختفى ، والورع الذي توارى ، والصدر الواسع الممتليء بالحب والنصح والصدق والشفقة على الأمة كلها ، كل ذلك واريناه في مقابر العدل في مكة المكرمة الطاهرة ، ولكن حسن عزائنا بربنا وبما هدانا إليه سبحانه من

الدين الحق والرضا بمر القضاء ، فكل نفس ذائقة الموت ، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ، ويخف الأسى ، ويحسن العزاء ، إذا ما نظرنا إلى ما تركه رحمه الله من تراث وخلفه من علم ، وربّى من تلاميذ ، ومن حسن العزاء ما نعيشه في هذه البلاد المباركة في حكم بشرع الله ، وسياسة الناس بدين الله ، والذي انبثق منها هذه المنزلة المحفوظة لأهل العلم فهي التي أكرمت ابن باز حياً وميتاً ، وكرّمت إخوانه وسلفه وخلفه من أهل العلم وطلبته .

إن من حسن العزاء إن شاء الله أن أهل العلم في هذه الديار ولله الحمد متوافرون في علمهم وفضلهم وحسن مسلكهم ، وتأييد ولاة الأمر لهم ، وثقة الأمة بهم .

ومن حسن العزاء إن شاء الله في خلفه سماحة المفتي العام الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ – حفظه الله – والذي يخلف الشيخ – رحمه الله – في أعماله ومهامه ، فهو أهل علم وفضل وتدين وصلاح ، من أسرة علمية مباركة ، وارثة للعلم والدعوة ، نسأل الله أن يعينه ويسدده .

وفي الختام أسأل الله سبحانه أن يتغمد شيخنا الفقيد بواسع رحمته ، وأن يجبر مصاب أمة الإسلام بفقده ، وأن يعوضنا فيه خيراً ، وأن يصلح عقبه ، ويجعل العلم فيهم ممتداً موروثاً بمنه وكرمه ، إنه سميع مجيب »»

(جريدة المدينة ، العدد : ١٣١٩١)

الإمـام العـلامـة

معالي الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد

* إمام وخطيب المسجد الحرام . وعضو مجلس الشورى *

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبي بعده ،، وبعد

فإن الأجيال في كل عصر بعامة ، وفي هذا العصر بخاصة محتاجة حاجة ماسَّة إلى التعرف على الشخصيات البارزة في مجتمعهم ، المعاشة في واقعهم ، الشخصيات التي يقوم عليها – بإذن الله – البناء ويرتسم بسيرتها المنهج .

يحتاج النشء إلى التعرف عن قرب على هؤلاء الرجال الذين يحملون المسئولية بقوة واقتدار ، وكفاءة واصطبار ، يحملون على عواتقهم أمانة الحفاظ على دين ا لله وتربية عباد الله في جمع عجيب بين الحب لهم والغيرة عليهم .

منطلقهم في ذلك الدين بكل شموله الإيماني والفكري والاجتماعي والاقتصادي والثقافي والسياسي ، دين الدنيا والآخرة جميعاً ، الإيمان والعمل الصالح معا ، إنهم علماء المساجد والمنابر وشيوخ الميادين والعامة .

وصاحب السماحة الإمام العالم العلامة الحبر والبحر والدنا وشيخنا الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز–رحمه الله رحمة واسعة ورفع درجاته أعلى منزلة أنموذج من هؤلاء ، علم يتسنم الذروة في الرجال ويعلو القمة في الأفذاذ ديناً وورعاً وعلماً وفضلاً وكرماً وجوداً ، ولا أزكي على الله أحدا ، وماشهدنا إلا بما علمنا وعلم البواطن موكول إلى الله وحده فهو أعلم بمن اتقى ، وهو أعلم بمن هو أهدى سبيلاً .

لقد عاش الشيخ رحمه الله حياة علمية دعوية متوازنة يتوافق فيها الفكر مع العمل ويقترن فيها العمل بالسلوك حياة تجلى في توازنها الفكر الثاقب ، والعطاء النير ، والإسهام العميق ، والمدد الغزير في ميادين الحياة كافة . امتداد في العلم والدعوة والتربية والتوجيه شمل أصقاعا عريضة من العالم الفسيح من خلال أثره الفكري المقروء والمسموع ومشاركاته الميدانية في المؤتمرات والمجامع والحلقات والمنابر والمجالس واللجان ، رئاسة وأستاذية وعضوية ، إنه رجل شاء الله أن يقع على كاهله أعباء جسام في الدعوة والإرشاد والبحث العلمي والإفتاء وخدمة قضايا المسلمين كافة .

إن العطاء والتوازن والثبات في حياة الشيخ وسيرته – علمٌ وتعليماً ودعوة – جلي بارز من خلال الرصد للقنوات التي صبغت عطاء الشيخ وأَطَّرتْ أثره في إطار متميز ، ولعل ذلك يتبين من هذه القنوات الثلاث الكبرى :

الأولى : الإيمان العميق والعقيدة الراسخة في الله ورسوله وكتابه ودين الإسلام وأثر ذلك في سيرته ومسيرته سلوكاً حسناً وورعاً وزهداً وصدقاً في اللهجة وحباً للناس وثقة متبادلة وعطفاً ورقة وكرماً وبذلاً .

الثانية : التأصيل العلمي المبني على أصلي الدين : الكتاب والسنة ، فالشيخ يحفظ القرآن كله ويتدبره ،و يحفظ الكثير من السنة ويفقهها ، فهو دائم التلاوة للقرآن بتدبر ، قدير في الاستحضار للسنة بتفهم ، سريع الاستشهاد بهما ، ملتزم للاسترشاد بنورهما مع دعوته الظاهرة في كل مجلس وناد للأخذ بهما والرجوع إليهما والحث على مداومة قراءتهما ومطالعتهما ، وحفظ المتيسر منهما .

الثالثة : روح الاجتهاد والاستنباط المنبثقة من الفقه المتين والدراسة الواعية والفهم العميق والفكر المستنير مع الإحاطة البينة بمقاصد الشريعة وأصولها وقواعدها وضوابطها .

ومن يسبر ذلك ويرصده في حياة هذا الإمام يدرك وضوح الطريق عنده وانسجامه مع نفسه ، ومن حوله في توافق سوي وسيرة معتدلة ونهج قويم .

هذا هو الشيخ الذي يزكو شكره ، ويعلو عند أهل العصر ذكره ، ويعني الأمة أمره .

الصنيعة عنده واقعة موقعها والفضيلة إليه سالكة طريقها ، إن أوجز في الموعظة كان شافياً ، وإن أطنب كان مذكراً ، وإن نبه إلى ملاحظة فهو المؤدَّب المؤدِّب ، وإن أسهم في التوجيه فهو المفهم ، واضح البيان ، صادق الخبر ، بحر العلوم ، نزهة المتوسمين ، خصيم الباطل ، نصير الحق ، سراج يستضيء به السالكون . لين العريكة ، أليف مألوف ، يرفعه في أعين الناس صغر الدنيا في عينه ، لايتطلع إلى ما لايجد ولا يكثر إذا وجد ، متحكم في سلطان شهوته لاتدعوه ريبة ولايستخفه هوى خارج من سلطان لسانه لايتكلم بما لايعلم ولايماري فيما يعلم خارج من سلطان الجهالة ، لايقدم إلا على غلبة ظن في منفعة لايرى إلا متواضعا ، وإذا جد الجد فهو القوي الغيور ، لايشارك في مراء ، ولا يلوم إذا وجد للعذر سبيلاً ، لم ير متبرماً ، ولامتسخطا ، ولاشاكيا ، ولامتشهياً ، لايخص نفسه باهتمام دون إخوانه ، واسع الشفاعة طويل يد العون هذه إلماحات في سيرته وإشارات إلى ظاهر حاله والله ربنا وربه هو حسبنا وحسبه . فعليك أيها النبيل بالأخذ بمجامع المحاسن إن أطقت وإن عجزت ، فأخذ القليل خير من ترك الجميع ، ولله الحجة على خلقه أجمعين رحم الله الشيخ رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته وجمعنا به في جنات الخلد إنه سميع مجيب الدعاء .

(كتاب بازية الدهر)

رحم الله الشيخ ابن باز وأسكنه فسيح جناته

بقلم معالي الدكتور : علي بن مرشد المرشد

* الرئيس العام لتعليم البنات *

إن الموت حق كتبه الله على كل حي في هذه الحياة يقول سبحانه وتعالى : ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون** ﴾ والمسلم يتقبل هذه المصيبة بقبول حسن لإيمانه أن كل من دنت منيته وانتهت أيامه في هذه الحياة فلن يتأخر ساعة واحدة ، كما قال الله عز وجل : ﴿ **فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** ﴾ .

ولذا فإن حق الميت على عارفي فضله الدعاء له والبر به بعد موته وموت العلماء بخاصة له أثره في نفوس المسلمين وذلك لما عرف به العلماء من أعمال صالحة وخصال جليلة ، وقد بين لنا البشير النذير ﷺ قيمة العالم وما يتركه رحيله عن هذه الدنيا من نقصان العلم بقوله عليه الصلاة والسلام : «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن بقبض العلماء » الحديث .

وفضل العلماء كبير ومنزلتهم عند الله عالية يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ﴾ ويقول : ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾ ويقول رسوله ﷺ :

«العلماء ورثة الأنبياء» وقد تأثر جميع المسلمين بوفاة سماحة والدنا فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته ، فهو من العلماء الأفذاذ الذين سخروا أوقاتهم لخدمة الإسلام والمسلمين والدعوة إلى الله على بصيرة والعمل على إعلاء كلمة الله ، وسِجِلٌّ سماحته حَافِلٌ بجليل الأعمال وذلك من خلال ما تقلده – رحمه الله – من مناصب ، وما قام به في حياته المديدة من أعمال تمثلت في القضاء والفتيا ، والتدريس ، ورئاسة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ثم عمله في إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، ومن خلال ما قام به من جهود في الأعمال التي كان يشارك بها غيره من العلماء مثل هيئة كبار العلماء ورابطة العالم الإسلامي والمجلس الأعلى للمساجد وغير ذلك من الأعمال الجليلة التي يصعب تعدادها وكلها تصب في خدمة هذا الدين ونشره وإعلاء كلمة الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

ولقد عرفت سماحته – رحمه الله – عن قرب أثناء عمله في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وكنت آنذاك أعمل بإدارة تعليم البنات بالمدينة واستمعت الى دروسه العلمية والمتمثلة في شرحه لصحيح البخاري وغيره من الدروس العلمية الكثيرة .

وكنت ممن استفاد منه في شرح صحيح البخاري ، واستفدت من دروسه وما يرويه من تجاربه أثناء عمله وكان يتسم – رحمه الله – بلطف المعشر ، محباً للعلماء وطلبة العلم يؤنسه وجودهم معه ، فهو

يأنس بأحبته وزائريه ويبش في وجوههم ، وهذه أخلاق العلماء المعهودة والمعروفة عنهم ، كان - رحمه الله - رجلاً فذاً من طراز العلماء الذي يذكر بسلفنا الصالح في سمتهم ومعشرهم وصدق أحاديثهم وحبهم للاطلاع وبعدهم عن المظاهر ، ولم يثنه كبر سنه - رحمه الله - وتأثر صحته في أيامه الأخيرة عن شئ مما كان يقوم به من واجباته العلمية والعملية .

لقد كان سماحة الشيخ - رحمه الله - نسيجاً وحده ومن علماء الرعيل الأول الذين يندر وجود أمثالهم في هذا الزمن الحاضر فهو العالم المخلص الذي نذر وقته للنصح والإخلاص لله ورسوله ولولاة الأمر وعامة المسلمين يدعوهم الى الخير بحكمة وصبر وعلم.

رحم الله سماحة الشيخ عبد العزيز وأسكنه فسيح جناته فقد عاش محمود السيرة سليم القلب عالماً محققاً محباً للعلم والعلماء مسخراً وقته من أجل إعلاء كلمة الله وخدمة الإسلام والمسلمين . رحمه الله رحمة الأبرار ، وأحسن عزاء أسرته ومحبيه وطلبته وعموم المسلمين وجعل في ذريته الخير والبركة ليعيدوا سيرته ويتأسوا به وبأمثاله من سلف هذه الأمة وعلى رأسهم المصطفى ﷺ الذي أمرنا الله بالتأسي به بقوله سبحانه وتعالى : ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الأخر**﴾ ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ونحمد الله على قضائه وقدره ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(المدينة ، العدد : ١٣١٧٤)

عين باكيـة وقلب حزين

بقلم معالي الدكتور : سهيل بن حسن قاضي

* مدير جامعة أم القرى *

ما شاء الله كان ، ومالم يشأ لم يكن . ولا رادّ لأمره ، اللهم إنا نؤمن بقضائك ، ونحتسب عندك أجر الصبر على المصيبة ، والرضى بالقضاء ، والتعزّي بسيد الخلق ﷺ ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

لقد هزنا - يعلم الله -وفاة عالم البلاد ومفتيها ، فضيلة والدنا ومعلمنا الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، مفتي عام المملكة العربية السعودية ، ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء .

وبرحيله - رحمه الله - تفقد البلاد والأمة الإسلامية عامة عالماً من أبرز علمائها ، وصلحاء الرجال فيها - كما نحسبه والله حسيبه - . فقد آتاه الله من سعة العلم ، وكمال آداب العلماء وفضائل المربين وحسن سمتهم وعملهم ما تشهد عليه سيرة حياته بيننا ، وما قدّمه لدينه وأمته من نصح وإرشاد وسعي إلى الخير ، وما نرجو أن يكون خالصاً مقبولاً مأجوراً عند الله ومضاعفاً في ميزان حسناته .

وإننا لا ننسى لسماحته – رحمه الله – حُبَّه وحرصه على جامعة أم القرى ، وما كان يخصها به من علمه وتوجيهه ، حيث كانت الجامعة تسعى إلى استضافته دائماً في مكة المكرمة ، وفي فرع الجامعة بالطائف فتحضى بتوجيهاته العظيمة ، ونصائحه المباركة ، ولقد كانت شفاعاتُه تلقى منا الرضى والقبول .

شَرُفَت الجامعة بالتصميم والإشراف الفني لجامع سماحته الكبير بمكة المكرمة ، وفرّغت لذلك عدداً من أساتذتها احتراماً لسماحته ، وتقديراً لجهوده ، وتعاوناً معه على دروب الخير والصلاح ، ومشاريع البر والفلاح .

وإننا نبكي فيه صلاح الحال ، وغزير العلم ، وصالح العمل ، ومواقف الخير والجهاد في سبيل الدعوة والتبليغ والإرشاد . وما عند الله أبقى ، ورحمته له ولنا أوسع وأحسن ذخراً . ونعزّي فيه قادة البلاد والأمة الإسلامية أجمع . ونسأل الله جميل الصبر والسلوان لهم ولأهله وذوي محبته وطلابه عامة .

فاللهم ارحمه رحمة واسعة ، ظاهرة وباطنة ، لا تغادر ذنبا ، واخلف على أمة محمد ﷺ خير الخلف ، وعوضنا عن فقده مثوبة وأجراً وصبراً جميلا .

إمام في علمه .. قدوة في سلوكه

بقلم فضيلة الشيخ الدكتور : عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان

* عضو هيئة كبار العلماء *

اختار المولى جل وعلا إلى جواره الكريم سماحة الشيخ عبد العزيز ابن عبد الله بن باز وقد كان - رحمه الله - عالماً فذاً ، ومثلاً رفيعاً في العلم والسلوك ، تتابعت مآثره ونمت فضائله ، اعترف له الجميع بالإمامة في العلم والقدوة في السلوك . يوم الخميس ٢٧ / ١ / ١٤٢٠هـ فخيم على الأمة الإسلامية سحابة حزن وألم عميق .

وصلى عليه جموع المسلمين في المسجد الحرام الذي شهد جمعاً من المصلين وكأنه يوم من أيام الحج ، امتلأت ردهاته وازدحمت ساحاته بالمصلين يلهجون بالدعاء والرحمة لإمام فقدوه لم يأل جهداً في بذل النصح والحب والشفقة عليهم طوال عقود من السنين ينفذ نصحه وكلماته إلى مسامعهم وقلوبهم في رفق ولين ، وحب وعطف .

ووري جثمانه الطاهر بمقبرة العدل بمكة المكرمة في يوم مبارك يوم الجمعة ٢٨ / ١ / ١٤٢٠هـ تحمله القلوب لا الأكتاف ، ازدحمت في تشييعه مسالك مكة وفجاجها في منظر وجمع عظيم من الأمة يعلوهم الحزن وتكسوهم الكآبة .

ورددت المساجد في جميع أنحاء البلاد وفي معظم بلاد العالم الإسلامي أصداء النداء (الصلاة على فقيد الأمة الإسلامية الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز) ، بكاه العلم والعلماء والمثقفون والعامة والصغار والكبار فقدته الساحة الإسلامية في وقت هي في أمس الحاجة اليه وإلى أمثاله من العلماء القدوة المخلصين ، فقد اتسع نشاطه الإسلامي على امتداد الزمان والمكان فترة حياته المباركة .

الحديث عن سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز مفتي المملكة العربية متعدد الجوانب متميز الخصائص .

هو في العلم ، إمام جمع العدل بين الحديث والفقه ، في اجتهاد يتحرى الحق والصواب ، يتوخاهما مع الإجلال والإكبار لآراء العلماء السابقين ، والمجتهدين المتبوعين في غير مجافاة أو مغالاة موافقاً لهم أو مخالفاً متمثلاً بآداب القرآن والسنة وسلف الأمة ﴿ **ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا** ﴾ .

يقدر – رحمه الله تعالى – رأي مخالفه ويحترمه بل يجله إذا كان له دليل ووجهة نظر لها ملحظ علمي يصغي له ويفسح له المجال ، دون اعتراض ، أو تحامل ، يحاول – رحمه الله – أن يوائم بين الواجب والشرع والمواقع التي يعيشها الناس فيما يجد له مندوحة محتذياً في هذا منهج السلف الصالح من فقهاء الأمة والحرص على أن تكون تصرفات المكلفين ضمن إطار الشرع وحدوده .

أثرى الفقه الاسلامي بفتاواه الاجتهادية التي كان لها الأثر الديني والاجتماعي في الإصلاح والتوفيق بين الأزواج ولم شمل الأسر ، بل امتدت آثار فتاواه الى الأقطار التي يحل بها مسلمون في مشارق الأرض ومغاربها .

كانت أوقاته منظمة عامرة إما بدرس يلقيه ، أو سماع لكتاب من كتب السنة يتلى عليه فيما يتاح له من وقت في منزله ، أو مكتبه ، أو دعوة يدعى إليها عازفاً عما تمتلئ به المجالس من خوض في الحديث بكل أشكاله وألوانه .

جاهد – رحمه الله – لإصلاح حال الأمة ومصلحتها والسعي الحثيث لرأب الصدع بين الأفراد بالرفق واللين ، وبما يقرب بين القلوب المتباعدة ، والنفوس المتنافرة ما وسعه منطقة ، ينتصر للحق ، ويوصي به في لهجة هي الحب والإخلاص ، والغيرة على محارم الله وحدوده ، فأصبح ما يقوله وينصح به مقبولاً لدى الحاكم والمحكوم الكبير قبل الصغير ، القوي قبل الضعيف .

منح – رحمه الله – حبه وعطفه وشفقته ونصحه للأمة دون تمييز.

شؤون الأمة الإسلامية هاجسه ، تمتلك عليه مشاعره وهمومه إذا التقى مجلس هيئة كبار العلماء فأول ما يبتدر الحديث سؤاله عن شؤون الأمة الإسلامية ، يستكشف أخبارها في جميع أقطارها ، يتلمس أنباءها ان كانت خيراً حمد الله وأثنى عليه وإن كانت غير ذلك أحزنه

أمرها ، ودعا الله أن يكشف الغمة عنها ، وسعى ما استطاع من قول وعمل وجهد لما يرفع عنها الشدة ، ويزيل عنها البأس .

يتأنى - رحمه الله - في الأحكام ، يعطي الفرصة الكافية لكل صاحب رأي أن يعرضه ويقرره دون تضييق أو مضايقة ، يمد الوقت أكثر فأكثر مداولة ونقاشاً حتى يتمخض المجلس عن رأي سديد يحقق المصلحة . ولا يطمئن حتى لا يبقى للمداولة والنقاش مجال وهو في أثناء ذلك وقبل ذلك وبعده ، يذكر نفسه وأعضاء المجلس في صوت متهدج ممتلئ خوفاً ورهبة من المولى عز وجل . يذكر بمراقبته تعالى والإخلاص والتجرد والنصح للعامة وولاة الأمر ، ومن ثم الدعاء بالصلاح والرجوع الى الله عز وجل لا يفتأ يكرر هذا بداية وانتهاء .

متواضع ، خافض الجناح موطأ الأكناف ، يقصده أصحاب الحاجات بمشاعر الثقة والطمأنينة في حاجة يقضيها لهم ، أو شفاعة يأملونها منه متأكدين من عطائه وإحسانه ما استطاع الى ذلك سبيلاً .

ملاذ - بعد الله جل وعلا - لطلاب العلم من البلاد الإسلامية ممن وصدت أمامهم الأبواب ، أو عجزت إمكاناتهم عن مواصلة دراساتهم يجدون منه - رحمه الله - الحب والعطف والترحيب ، لا يضن بشفاعته لدى ولاة الأمر - حفظهم الله - الذين يعرفون له حق قدره فيحققون لهم رغباتهم ، يلتحقون بالجامعات والمؤسسات العلمية ينهلون من مناهل العلم الصافية .

حصل للأمة بهذا السعي الحميد منه – رحمه الله – الخير الكثير فقد أمد الأمة الإسلامية في جميع أقطارها بمد زاخر من العلماء النبهاء والدعاة المخلصين هم جنود الصحوة الإسلامية في الوقت الحاضر .

أب للأيتام والأرامل الذين فقدوا الأب والقيِّم فأمَّنهم بما يحفظ عليهم حياتهم ، ويكفكف آلامهم ، ويغنيهم عن السؤال .

باب دارته مفتوح للكبير والصغير ، لطالب العلم ، والبائس الفقير فتراهم جموعاً متعددة الأجناس ، والأعمار ، طبقات وفئات متنوعة ، لحاجات وأغراض مختلفة ، وكلهم واثق بالله ، ثم طمع في نواله وإحسانه ، وقضاء حاجته ، وبعد هذا لا يتفرقون إلاّ عن ذواق ، يشاركهم تناول الطعام ، يتحدث إليهم مؤنساً لهم ، ويتحدثون إليه مصغياً في حب وتواضع .

امتد معروفه وإحسانه الى معظم مرافق الأمة داخل البلاد وخارجها دون أن يرى لنفسه فضلاً ، أو منة .

الزهد ، والورع ، والتقشف ، والبساطة مظهر شخصيته – رحمه الله – وعنوان طويته .

انصرف عن الدنيا ومباهجها ، ورغب في التقليل منها في وقت يحرص غيره على التكالب عليها ، والتكاثر منها فمنحه المولى جل وعلا القبول لهدى عباده ، يطرق حديثه القلوب ، وتتجاوب لمقالته النفوس الراغبة في الخير ، وصدق الأخ الأديب الدكتور سعيد السريحي :

(غابت الدنيا عن عينيه ، وحضرت الآخرة في قلبه) .

إن غاب الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز – رحمه الله – عن الأعين فسيظل حياً في قلوب الناس وفكرهم فقد ترك من الأعمال مالا ينقطع ثوابه من علم وعلماء ينتفع بهم ، ومن الآثار ما تحمده له الأجيال ويخلده التاريخ ، وستظل كلماته وتذكيره للأمة حيَّةً في نفوسهم لأنها صدرت من إمام صدق ما عاهد الله عليه ، محض النصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، وكما قال الأخ الأديب السيد محمد علي الجفري (وأنت اليوم أوعظ منك حياً) تذكيراً بما كان يذكر به المسلمين رحمه الله رحمة الأبرار .

غادر الحياة الدنيا بذمة بريئة ، وسريرة طاهرة نقية . اللهم إن عبيدك شهودك في أرضك وأنت خير الشاهدين ، وعدت من أحسن إلى عبيدك ، وضعاف خلقك أن ترفع درجته ، وتعلي منزلته مع الذين أنعمت ، عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، ووعدك الحق ، اللهم وقد حل في رحابك فأنت الذي تتولى جزاءه ومثوبته .

والعزاء الجميل في فقده لأولاده الذكور والإناث وذوي قرابته ، ولولاة الأمر في هذه البلاد ، ولمحبيه كافة ولعموم المسلمين ، ﴿**إنا لله وإنا إليه راجعون**﴾ .

(جريدة عكاظ ، العدد ١١٩٥٢)

علامة الجزيرة وفقيد الأمة . الشيخ عبد العزيز بن باز

بقلم فضيلة الشيخ العلامة الدكتور : يوسف القرضاوي

ودعت الأمة الإسلامية علماً من أعلامها الأفذاذ ، ونجماً من نجومها الساطعة في سماء العلم ، علامة الجزيرة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، الذي كان جبلاً من جبال العلم ، وبحراً من بحور الفقه ، وإماماً من أئمة الهدى ، ولساناً من ألسنة التوحيد ، وعماداً من أعمدة الدين وركناً من أركان الأمة ، طالما استفاد من علمه المسلمون في الجزيرة والخليج وفي شتى بقاع الأرض ، عن طريق اللقاء والمشافهة ، أو الكتاب والمراسلة ، أو الهواتف والإذاعة ، أو الكتابة والصحافة ، أو الرسائل والكتب ، أو الشريط المسموع .

عاش الشيخ عمره المبارك للعلم والدين ، يعلّم ويدرس ، ويجيب ويفتي ، وينصح ويدعو ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، مع حكمة بالغة ، ورفق وبصيرة ، فإن الله يحب الرفق في الأمر كله ، وما دخل الرفق في شيء إلا زانه ولا نزع من شيء إلا شانه .

كان أكبر همٍّ الشيخ الدعوة إلى التوحيد الخالص ، وتصفية العقيدة من الشرك أكبره وأصغره ، جليه وخفيه ، والوقوف في وجه القبوريين والخرافيين ، واتباع ما جاء عن السلف في وصفه الله تعالى مما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ، من غير تحريف ولا تعطيل

ولا تكييف ولا تمثيل ، وكان لا يدع فرصة ولا مناسبة إلا أكد فيها هذه المعاني ، لا يمالىء ولا يجامل .

وكان الشيخ في الفقه حنبلياً ، ولكنه لم يكن مقلداً يأخذ القول في مذهبه ولو كان ضعيف الحجة ، بل كان – رحمه الله – يعتمد الدليل ويستند إلى الكتاب والسنة ، ويعرض عن مذهبه إذا كان الحق مع غيره ، لا يخشى لومة لائم ، وقد كان فوق أن يلومه أحد ، ولذا رأيناه يكتفي بآراء شيخ الإسلام ابن تيمية في الطلاق ، وإن كان علماء المملكة لا يفتون بها ، وإنما يأخذون بالمعتمد في المذهب .

كان الشيخ يرأس إدارة الفتوى والبحوث والدعوة ، ويرأس هيئة كبار العلماء ، ويرأس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي ، ويرأس المجلس العالمي الأعلى للمساجد ، ويرأس مجلس المجمع الفقهي للرابطة وظل سنين رئيساً للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، فلم يضعه ذلك في برج عاجي أو في صومعه منعزلة ، بل ظل بيته مفتوحاً ، ومكتبه مفتوحاً وقلبه مفتوحاً لكل ذي حاجة من أبناء المسلمين ، مادية أو علمية ، لا يغلق بابه في وجه أحد ولا يضيق صدره بلقاء أحد ، ولا يدخر جهده في مساعدة أحد .

لم يكن العلم الغزير وحده الذي ميّز ابن باز ، بل ميزه كذلك قوة إيمانه ، وغيرته على دينه ، واهتمامه بأمر أمته ، وتحرقه على مآسي المسلمين ، وحسن خلقه في معاملة الناس ، ورحمته بالصغير ، وتوقيره للكبير ، وتعرفته بحق أهل العلم من إخوانه وإن اختلفوا معه .

اتصل حبل الود بيني وبين العلامة ابن باز في مناسبات كثيرة ، في مؤتمرات رابطة العالم الإسلامي ، وفي المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وكنت عضواً فيه ، وكان الشيخ نائباً لرئيسه إذ كان رئيسه هو ولي عهد المملكة الأمير فهد بن عبد العزيز حفظه الله في ذلك الوقت ، وفي مجلس المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي الذي أتشرف بعضويته ويرأسه الشيخ ، وفي المؤتمرات العلمية والدعوية العالمية التي أقيمت في المملكة ، مثل المؤتمر العالمي للاقتصاد الإسلامي في مكة المكرمة ، والمؤتمر العالمي للدعوة والدعاة في المدينة المنورة ، ومؤتمر مكافحة المسكرات والمخدرات والتدخين في المدينة المنورة أيضاً .

أبى الشيخ على نفسه أن يغادر المملكة ، وكم دُعي من أقطار وجهات شتى ، ولكنه اعتذر ، وعندما أقيم المؤتمر العالمي للسنة والسيرة في دولة قطر في افتتاح القرن الخامس الهجري وجهنا إليه الدعوة وألححنا عليه ، ولكنه قال : إنه كان يود الاستجابة للدعوة ، ولكن هذا سيفتح عليه أبواباً لا يستطيع سدها ، وأصر على موقفه ونهجه في الاعتذار .

لم أر مثل الشيخ ابن باز في وده وحفاوته بإخوانه من أهل العلم ، ولا في حبه وإكرامه لأبنائه من طلبة العلم ، ولا في لطفه ورفقه بطالبي الحاجات من أبناء وطنه ، أو أبناء المسلمين عموماً ، فقد كان من أحاسن الناس أخلاقاً ، الموطئين أكنافاً الذي يألفون ويؤلفون .

ولقد رأيته في المجمع الفقهي يستمع وينصت إلى الآراء كلها ، ما يوافقه منها وما يخالفه ويتلقاها جميعاً باهتمام ، ويعلق بأدب جم ،

ويعارض ما يعارض منها برفق وسماحة دون استعلاء ولا تطاول على أحد ، ، متأدباً بأدب النبوة ، ومتخلقاً بأخلاق القرآن .

لا أعرف أحداً يكره الشيخ ابن باز من أبناء الإسلام ، إلا أن يكون مدخولاً في دينه أو مطعوناً في عقيدته ، أو ملبوساً عليه ، فقد كان الرجل من الصادقين الذي يعلمون فيعملون ، ويعملون فيخلصون ، ويخلصون فيصدقون ، أحسبه كذلك والله حسيبه ، ولا أزكيه على الله تعالى .

ليس معنى ذلك أن الشيخ كان معصوماً من الخطأ ، فما ادعى ذلك لنفسه ، وما ادعاه له أحد من محبيه ، ولكن خطأه مغمور في جنب صوابه ، وهو مأجور إن شاء الله ، لأن رأيه جاء بعد تحر واجتهاد منه ، والمعصوم من عصمه الله .

ولقد اختلفت مع الشيخ العلامة في بعض المسائل نتيجة لاختلاف الزوايا التي ينظر منها كل منا ، ومدى تأثر كل منا بزمانه ومكانه ، إيجاباً وسلباً ، ولم أر أن هذا الاختلاف غيّر نظرتي إليه ، أو نظرته إليّ ، وظللت – والله – أكن له المحبة والتقدير ، وأدعو له بطول العمر في خدمة العلم والإسلام ، وظل كذلك يعاملني بود وحب كلما التقينا ، وكلما لقيه أحد من أبناء قطر حمّله السلام إليّ – رحمه الله وأكرم مثواه – .

الحديث عن العلامة ابن باز ذو شجون ، ومجال القول ذو سعة ،

ولا نستطيع أن نوفي الشيخ ما يستحقه في هذه العجالة ، إنما هي كلمات كتبتها على عجل أودع بها الشيخ الجليل ، وفاءً لبعض حقه ، ومعرفة بقدره وتقديراً لمكانته وفضله .

إن موت العلماء الأفذاذ مصيبة كبيرة ، فإن الأمة تفقد بفقدهم الدليل الذي يهدي ، والنور الذي يضيء الطريق ، يقول علي – كرم الله وجهه – إذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف منه .

وقال ابن عمر – رضي الله عنهما – : ما قبض الله عالماً إلا كان ثغرة في الإسلام لا تسد ، يؤكد هذا حديث عبد الله بن عمرو المتفق عليه : « إن الله لا يقبض العلم ، ينتزعه انتزاعاً من صدور الناس ، ولكنه يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جُهّالاً فسئلوا ، فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » .

(مجلة المجتمع ، العدد : ١٣٥١)

وبكى العلماء أمام تواضعه

بقلم معالي الدكتور : محمد بن سعد الشويعر

* مستشار سماحة المفتي - رحمه الله - *

الموت حق ، لان حكمة الله جلّت قدرته اقتضت ان الحياة الدنيا ، دار فناء ، وان كل من عليها هالك ، ولابقاء إلا لله سبحانه ، كما قال تعالى : ﴿ **كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾ .

وإنما الحياة الأبدية ، في دارالخلود ، بعد البعث والنشور : إما شقاوة ابدية لأهل الكفر بالله ومعاندة شرعه ، الذي شرع لعباده ، وإما سعادة سرمدية لعباد الله ، المؤتمرين بامره ، والمستجيبين لشرعه المنزل على رسله عليهم الصلاة والسلام .

ولو كان لأحد خلود ، لبقي رسول الله ﷺ أفضل الخلق واكرم الانبياء والمرسلين على الله ، ولما مات قبله الانبياء والمرسلون .. ولكنها سنة الله في خلقه يفعل مايشاء ويحكم ما يريد .

لقد فقدت المملكة علماً من أعلامها ، يعتبر من بقية السلف الصالح بعلمه وورعه ، وببذل نفسه لصالح دين الله : دعوة ومساعدة ، وتفاعلاً مع قضايا المسلمين في كل مكان .. واهتماماً بشئونهم ، لان الدعوة إلى دين الله هي جل هاجسه وتصحيح العقيدة من البدع والشوائب التي لم يأذن بها الله وتتصادم مع الصحيح من فقه رسول الله

ﷺ هي شغله الشاغل .

إنه العالم الجليل المحبوب في مشارق الأرض ومغاربها . من جعل الله له القبول في قلوب أهل الايمان ، سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز مفتي عام المملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء بالمملكة وادارة البحوث العلمية والافتاء ورئيس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة الذي انتقل إلى رحمة الله .

ولايسع كل مسلم الا الرضا والاستسلام لامر الله والقول كما جاء في كتاب الله الكريم : ﴿ **إنا لله وإنا اليه راجعون** ﴾ والحمد لله على ماقضى ودبر والمصائب عندما تحل بالناس فانما هي ابتلاء واختبار .

ولاشك ان وفاته – رحمه الله – جعلت في الحناجر غصة ، وفي القلوب ألماً ، لكن تحمل ذلك بالصبر الذي أمر الله به ، والدعاء له بجنة الفردوس الاعلى ، وقد بشر الله الصابرين بالخير العميم فقال سبحانه : ﴿ **وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنالله وإنا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون** ﴾ نسأل الله ان يجعلنا جميعاً منهم .

فهو – تغمده الله بواسع رحمته – لم يكن من ذوي العلم الذين يباهون بعلمهم ، ولم يكن صاحب منصب يستأثر بمنصبه لكن العلم يزهو بمثله ، والمنصب يسعد بأمثاله .. حيث كان في جميع أعماله ينظر ببصيرة العالم الورع ، فيراعي مصلحة الدين وتعاليمه قبل كل شيء .

ويهتم بالضعيف حيث يوصي من حوله دائماً بقوله : « ارفقوا بالناس ، وساعدوهم في قضاء حوائجهم .. الله يرحم ضعفنا وضعفهم » .

كان يأمر بالسعي في مصالحهم وتتبع حوائجهم حتى تنتهي بتأكيد ويقول : والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه .

ذلك أن فقدان الشيخ فقدان لامور كثيرة تعلمناها منه وآداب رفيعة أخذناها عنه تطبعاً وحسن توجيه ، فهو مع علمه الجم . مدرسة بأخلاقه ، ومدرسة بحماسه للدعوة إلى دين الله ، ومدرسة بحب الخير والمساعدة للقاصي والداني ، في كل شئونهم بدون تمييز ومدرسة بالتواضع النادر مثله في هذا الزمان ، يبين هذا عندماتأتي وفود من الخارج يريدون السلام عليه .. وبعد السلام والجلوس يسألني بعضهم .

اين الشيخ ومتى يأتي حتى نسلم عليه ونشرح له قضايانا .. ولما أجيبهم بأنه هذا الجالس الذي سلّم عليهم وبمجلسه المليء فئات من البشر من آفاق الدنيا بدون تفريق .. هذا الشيخ الذي وهبه الله خصالاً هي من سمو الإسلام ومثالياته .

ولقد بكت أمامي أكثر من شخصية اسلامية كبيرة ، بعد اخبارهم ليقولوا « تعودنا حتى من علماء بلادنا التعاظم والمواعيد المسبقة .. إن هذا لانظير له الا فيما نقرأ في الكتب عن علماء السلف الصالح .

أما الكرم فناهيك بهذه الخصلة التي تتمثل في أكثر مما سمعنا عن كرماء العرب ، فالسخاء والبذل والوجه البشوش سجايا تطبع بها ،

منذ حداثته ، وهو لايملك من حطام الدنيا شيئاً فلما قدر سخره للضعفاء ، ولذوي الحاجات .. إذ راحته في كثرة الضيوف .. وتوافر اصحاب الحاجات .. وادخال السرور عليهم .

قال الشاعر :

لعمرك ما الرزية فقد مال
ولا فرس يموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد شخص
يموت بموته خلق كثير

لذلك فإن الشيخ عبدالعزيز بن باز أسكنه الله فسيح جناته قد عرفه الناس منذ توليه القضاء عام ١٣٥٧هـ في الدلم بالخرج ، وحتى مساء الليلة التي توفي فيها حيث لم يقعده المرض عن الاحتجاب عن الناس والسعي في مصالحهم : إجابة وإفتاء ، ومساعدة وتشفعا .

وقد عرف رحمه الله بذلك الخلق لم يتزحزح عنه ، ولم يتبدل ساعة من نهار ، مواعيد جلوسه ثابتة ، ومجلسة مفتوح في المكتب والبيت ومائدته ممدودة ، وهواتفه لا تسكت ليلاً ولانهارا ، بالاجابات والتفاعل مع الناس في قضاياهم ، وتبسيط الامور أمامهم ، لأنه يطبق حديث رسول الله ﷺ : « يسروا ولاتعسروا » وسجاياه الحميدة العديدة مستمرة ودائمة ..

فالمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، عندما يختلفون في أمر

وتكثر أمامهم الآراء يلجأون بالهاتف من أي منطقة لسماحة الشيخ عبدالعزيز فيصدرون عن رأيه ، ويرضون بما يوجههم إليه .

والجاليات الإسلامية في انحاء المعمورة رغم انه لم يغادر المملكة طول عمره لايحل قضاياهم ولايريح قلوبهم من أي أمر يريدون ، ولايبذل الجاه لبناء مساجدهم ومراكزهم ، أو يمدهم بالكتب إلا الشيخ عبدالعزيز بن باز .

ومع هذا فمن واقع معايشتي معه : فهو لايصدر في أموره عن رأي شخصي ، ولا من عاطفة ذاتية ، ولكنها حمية الإسلام ، والتوثق من الدليل الشرعي : آية أو حديثاً .. ثم استخارة الله سبحانه بعد ركعتين يدعو الله فيهما فإن ارتاح قلبه اطمأن وعمل بعد التوكل على الله .

ولذا فإن الشيخ عبدالعزيز أب رحيم وعطوف على اليتامى والمساكين ، وعلى الأرامل والفقراء ، وعلى المحتاجين ومن لاتصل كلمتهم إلى المسئولين ، فيوصلها بشفاعة ودعوات للمشفوع تجعل قلبه يرق ، ويده تسخو ولعل الله سبحانه قد حقق له حديث رسول الله عليه وسلم الذي جاء فيه « إن الله إذا أحب عبداً جعل حبه في قلوب الناس » وما أحصي كثرة الخصوم الذين يعتذرون إليه كتابياً وهاتفياً ومشافهة عن النيل منه سابقاً والتحدث فيه فيدعو لهم ويسامحهم ويعفو عنهم وعن من لم يعتذر .

وهذا من سماحة نفسه ، وطهارة قلبه الذي لايعرف الغل ،

ولايريد الا الخير وناهيك بالحديث في أمور الدنيا تلك الخصلة التي لاتجدها في أي مجلس يجلس فيه : فأول ما يبدأ به سؤاله عن احوال المسلمين وما هم عليه إن كانوا من الداخل وعن أولادهم وأسرهم ، أو استيضاح عن الدعوة إلى دين الله وطلاب العلم الشرعي ، ونشاط العمل في هذا السبيل إن كانوا من الخارج ، أو من ذوي العلاقة بالدعوة والعلم من الداخل .. وبعد ذلك يأمر أحد القراء بتلاوة ماتيسر من كتاب الله، ليشرع في تفسير تلك الآيات واستظهار معانيها .. وهكذا في المناسبات وفي حفلات الأعراس.

بعد ذلك يجيب على أسئلة الحاضرين .. وإن بقى متسع في الوقت قبل انفضاض المجلس سأل عن أحوال المسلمين في كل مكان .

ولئن كانت المنابر تبكي البلغاء والخطباء – كما يقولون – فإن الأقلام تعجز عن إيفاء الشيخ حقه ، أو التحدث بمآثره .. ولكن حقه علينا الدعاء .. ولانقول في هذا المصاب الجلل إلا ما قال رسول الله ﷺ لما مات ابنه إبراهيم ، « إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول الا مايرضى الرب ، وإنا لفراقك يا ابراهيم لمحزونون » .. وكل مسلم عرف الشيخ يقول : إنا لفراقك يا أبا عبدالله لمحزونون .. أحسن الله عزاء ذريته وآله وعوض الله المسلمين من يخلفه ويترسم خطاه .

(جريدة الجزيره ، ٢٨ / ١ / ١٤٢٠)

رحمك اللـه أبا عبداللـه

بقلم : د . عبدالله بن حافظ الحكمي
* مدير عام مكتب سماحة المفتي العام للملكة *

الحمـد لله رب العـالمين والصـلاة والسـلام على أشـرف الأنبـياء والمرسلين وعلى آله وصحبه الكرام إلى يوم الدين .

رحـمك الله أبا عبـدالله اللهـم في جنات عـالية قطوفـهـا دانيـة ، اللهـم اجـعل مـثـواه في جنة الخلد مع النبـيين والصـديقين والشـهـداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً . آمين .

طلعت علينا شمس النهار وقد فارقنا شمس العلوم والمعارف قبل أن ينبلج نهارها ويشع ضوؤها ، وحل يوم الخميس وقد ودعنا فيه زينة الأيام وإمام الزمان . يوم الخميس هذا اليوم الذي كان لايختار السفر إلا فيه ، أتم الله له الاختيار فكان سفره الأخير فيه ، فإلى خير مستقر إن شاء الله . والحمد لله على ماقضى وقدر .

نذكر الوالد الحبيب بأعمال الخير التي قضى حياته فيها ، وعطّر تاريخ أيامه بأريجها ، جهد دائب لايعرف الاجازات ولا الاستراحات ، منقطع لنشر العلم ونفع الخلق في ليله ونهاره ، حتى السويعات الأخيرة

من حياته ، عمر مديد وعمل حسن ، فليهنأ الوالد – أبو عبدالله – بالعمل الطيب والذكر الحسن . أجزل الله له الأجر ، وأعظم له الثواب ، وتقبل منه ، وجزاه خير ماجزى به عبداً صالحاً .

نذكر الوالد الحبيب ولن ننساه .

نذكر مجالس الفتيا : يجيب كل سائل ويحل معضلات المسائل ، وما رأيت أسرع منه إجابة ، ولا أوقع على المقصود ؛ جواب بلا إطالة ، مقنع لايدفع ، قد أحاط بالأدلة ، وجمع الأقوال ، فانقطعت بجوابه الحجج . قنع الناس بكلامه فلا تردد بعد قوله ، ولاجهل بعد فتواه . أجمع على قبول قوله العلماء والعامة . فكان المرضي عند الجميع . علمٌ واسع ، ورأيٌ سديد ، وعقلٌ راجح ، وفراسةٌ صادقة . إن علم أجاب وإن أشكل عليه الأمر لجأ إلى الله داعياً ذاكراً مسبّحاً مستغفراً متضرعاً أن يلهمه الصواب ، فنعم العالم الورع التقي الزاهد .

نذكر المساجد : المساجد التي سعى في بنائها بالتعاون مع ولاة الأمر وأهل الخير التي تعد بالمئات في داخل المملكة وخارجها . كان آخرها ثلاثة مساجد في يوم وفاته على مكتبي قد بدأ – يرحمه الله – في اجراءات تعميرها . حرص على ذلك ، وفرّغ لهذا العمل موظفاً يتابع معاملاتها في مكتبه الخاص ، ووقتاً يدرس أوراقها فيه .

نذكر حرصه على إعمارها بحلقات العلم التي أقامها فيها جُل

حياته . يبدأ درسه بعد صلاة الفجر إلى أول الضحى ، دروس متعددة تعلو على دروس الجامعات والمدارس العليا في عددها ومستواها . هو الشيخ والمعلم فيها .

نذكر حثه على أداء الصلاة فيها جماعة . وعدم التهاون ، ولن ننسى كلما ردد المؤذن : الله أكبر ، الله أكبر ، حي على الصلاة ، حي على الفلاح . دعوته الدائمة إلى اجابته : البدار البدار ، الإسراع الإسراع. أذكر وصيته يوم جئت أقرأ ورقة فور انتهاء المؤذن من الأذان . فسأل : لم أسمع الأذان ، هل أذن ؟ . فقلت : نعم الآن أذن . فقال : اتعمل وقد أذن؟ ، الصلاة الصلاة .

نذكر مواعظه في المساجد حيث يتردد فيها ، الحث على الخير ، والترغيب فيه ، والدعوة إلى كل عمل صالح والتحذير من كل شر ومنكر ، واعظ مؤثر ، ونصيحة مشفق تلامس شغاف القلوب لا لبلاغتها ولكنه الصدق في النصيحة . ومن الذي لم يسمع منك تلك الوصية الخالدة ، جماع كل وصية (ياعبدالله : عليك بتقوى الله) هي بدء كل موعظة وختامها (ياعبدالله عليك بتقوى الله) .

جعلنا الله ممن انتفع بعلمه وكان لدعوته سامعاً مطيعاً . نذكر المدارس التي شارك في تأسيسها في مختلف بقاع الأرض ، والمدارس التي ساهم في استمرارها .

والمدارس التي سعى في اعانتها ، والمدارس التي جعل لها مقررات سنوية ، أو تحمّل فيها رواتب بعض المدرسين .. أذكر واحداً من أهم أعماله التي حرص عليها واهتم بها تلك هي رعاية دار الحديث الخيرية بمكة المكرمة أشرف على عملها ، وكفل طلابها ، وأقام لها المباني الحديثة ، وعين فيها المدرسين الأكفاء ، ووفر ميزانيتها ، وحرص على تميزها واستقلالها حتى غدت شهادتها العالية تعادل الشهادة الجامعية وطلابها من مختلف بلاد الدنيا . الشرط المهم في قبولهم فيها ؛ الرغبة في طلب العلم والدعوة إلى الله .

نذكر الصفات العالية ، نذكر الأخلاق الفاضلة ، نذكر التعامل السامي ، نذكر العلم ، نذكر الحلم ، نذكر التواضع ، نذكر الشجاعة في قول الحق ، نذكر الكرم ، نذكر الجود ، نذكر السخاء الذي ليس له حدود ، نذكر العطف على الأيتام ، نذكر العطف على الفقراء والمساكين، نذكر العطف على الغرباء المقطوعين ، نذكر العطف على من ضاقت بهم الحيل وانقطعت بهم السبل وسدت في وجوههم الأبواب . فوجدوا في بابه بعد باب الله خير ملجأ ومعين ، فكانت شفاعته ، وكانت صلته ، وكان بره .

الوالد الحبيب : أبكيه وقد كثر الباكون حولي : العيون تدمع ، والقلوب تحزن ولانقول إلا مايرضي ربنا . إنا لله وإنا إليه راجعون .

أبكيه ويبكيه طلبة العلم : هم جلساؤه وأبناؤه وأقاربه ، قد قدّم الأنس بهم على الأنس بالأهل و الأولاد ، وقف وقته لهم . فصدروا منه عن مورد عذب زلال . جنوا من علمه أنفع علم وأقوم سلوك . علم شرع قد وثقت أحكامه بالآيات القرآنية ، وأيدت بالاحاديث النبوية الصحيحة . أقام متونها ، وصحح أسانيدها ، فعلمه اليقين لا الشك ، والنور لا الظلام ، والحقيقة لا الحيرة ، علم من عقل واع ، وقلب مخلص قد ربط نيته وتوجهه بالله مولاه ، فأجرى على لسانه الحق في جل أموره واستجاب دعاءه في إصابة الحق في القول والعمل في غالب شؤونه .

أبكيه ويبكيه الدعاة إلى الإسلام في كل مكان : نصرهم ، وآزرهم، بذل الجهد في توجيههم إلى المنهج السليم في الدعوة بقوله وعمله ، وقد كفى كثيراً منهم مؤنة الحاجة بما رتب لهم من الإعانات ، وسعى لهم في إجابة مايطلبون من الإعانات .

أبكيه ويبكيه الفقراء والمساكين – أبا المساكين – سعى في رفع معاناتهم ، وفك كربتهم ، وقضاء ديونهم ، وعلاج مريضهم ، رحمهم وألان لهم الجانب ، فامتلأت دواوين مكتبه بطلباتهم ، يخصص لها الوقت الطويل يدرسها ويبذل الجهد في نفعهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً . فكم من مدين كان سبباً في قضاء دينه ، وكم من فقير رفع عنه ألم الحاجة ، وكم من مسكين فرج كربته ، بسط لهم مائدته ، وأوسع لهم في مجلسه ، حتى قال افريقي فقير رث الثياب جاء يسأل عنه في

موسم الحج الأخير . يسأل : أين الشيخ ؟ فقيل له : لم يستطع الحج ، ماذا تريد ؟ فقال : أنا لا أريد منكم شيئاً : ولكنني مسكين والشيخ أبو المساكين! .

أبكيه ويبكيه كل مواطني المملكة رجالاً ونساءً شباباً وشيباً أحبوه الحب كله تربوا على علمه ، داوم على نصحهم بكل خير ، وتوجيههم إلى كل فضيلة ، فكان الحزن لفقده عظيماً وكان البكاء الصادق وكان الحزن وكان الأسى .

أبكيه ويبكيه المسلمون معي في كل مكان : اهتم بأمرهم ، ناصح قادتهم ، ذكر عامتهم بما ينفعهم ، كان السباق في كل خير يصل إليهم كلما سمع هيعة كان من أوائل الواصلين ، يذكره المسلمون في مصر والشام وفلسطين ، يذكره المسلمون في الصومال والجزائر والكويت ، يذكره المسلمون في الفلبين ، يذكره المسلمون في كشمير ، يذكره المسلمون في أفغانستان ، يذكره المسلمون في البوسنة ، يذكره المسلمون في كوسوفا . يذكره المسلمون في كل مكان ، ينصر قضاياهم، ويهب لنجدتهم بما أوتي من جاه وكلمة مسموعة ودعوة مطاعة .

الوالد الحبيب : هل أستطيع البوح في هذه الكلمة بما في القلب من مشاعر الحب من لواعج الأسى والحزن من ألم الفقد . معذرة فللكلام

حدود وأنا في كلا الحالين متهم ممن عرفه حق المعرفة ، متهم بالتقصير . وممن جهل قدره متهم بالمبالغة في الوصف وهو مخطئ في ظنه ، ومعذرة إن خانني التعبير فالمصاب جلل والخطب فادح.

الوالد الحبيب : خمسةٌ وعشرون عاماً قضيتها معه أنعم بقربه وحديثه ، وأحظى بتوجيهه ، وأسعد بخدمته فكيف اختزالها في بضعة سطور؟! .

خمسة وعشرون عاماً : كان لي فيها الوالد بعد اليتم من الوالد فنعم الخلف! .

خمسة وعشرون عاماً : لم أره فيها إلا ساعياً في سبيل الخير ، آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، ناصحاً لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم . مجيباً لسائل مغيثاً لملهوف ، معيناً لذي حاجة .

خمسة وعشرون عاماً : أشهد شهادة صدق لم أسمع منه كلمة جارحة ينتصر بها لنفسه ، أو يؤنب بها أحداً من الخلق إلا في حق قضى الشرع به .

خمسة وعشرون عاماً : لم يعنف أو يزجر ، إن رضي عن عملنا دعا لنا بالأجر والثواب ، وإن لم يرض دعا لنا بالهداية والصلاح . إن ألح شخص أو اشتط في طلب لم يزد عن أن يقول له (سبح) .

فكم كان عظيماً في تعامله في قوله وفعله . من حين عرفته إلى أن فقدناه وهو خير معلم وخير موجه ولازالت تتردد في مسامعي كلمته الأخيرة في آخر لقاء وآخر وداع وأنا أسأله هل يوجه بأمر أو يوصي بعمل نُجريه فقال (نعم وصيتي تقوى الله) فإلى رحمة الله أبا عبدالله .

والوالد الحبيب : أأعزّي أم أعزّى فيه ؟!! .

فالعزاء العزاء ولاة الأمر : أعظم الله أجرك خادم الحرمين في فقيد البلاد والعباد ، وأحسن الله عزاءك سمو ولي العهد في شيخ الإسلام ، وجبر الله المصيبة سمو النائب الثاني في إمام الفتيا والعلم . والعزاء لكم جميعاً أفراد الأسرة المالكة من عرفتم للشيخ قدره ، كان الناصح وأنتم المستجيبون وكان المشير وأنتم المقدرون . وفّى ووفيتموه فجزاكم الله خير الجزاء على حبكم للشيخ وإجلاله وأحسن الله عزاءكم فيه .

والعزاء العزاء ، الصبر الصبر ، أبناء الشيخ عبدالله وعبدالرحمن وأحمد وخالد وأهل بيته الكرام في فقيد الجميع ، والعزاء العزاء آل الباز، والعزاء لكل من أحب الشيخ واستفاد من علمه وعمله ، والعزاء للمسلين عامة في إمام المسلمين وفقيد العلم والدين . اللهم اجبر مصيبة الجميع فيه ، واخلفه على المسلمين بالخلف الحسن إنا لله وإنا إليه راجعون .

اللهم اغفر له وارحمه ، وعافه واعف عنه ، وأكرم نزله ، ووسع

مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ، ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، اللهم ادخله الجنة ، وقه من عذاب النار ومن عذاب القبر ، اللهم تقبل منه ماقدم من صالــح الأعمال .

اللهم لاتحرمنا أجره ، ولاتفتنا بعده ، واغفر لنا وله ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

(جريدة الرياض ، العدد : ١١٢٨٣)

فماذا عن الأمة .. بعد ارتحال الأمة؟

بقلم الدكتور : أحمد عبد الرزاق الكبيسي

* أستاذ الفقه المقارن - جامعة أم القرى *

إن والدنا الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - وأسكنه فسيح جناته ، كان أمة بحق في عمق تفكيره وبعده نظره ، في غيرته على الأمة ، والتفاني في إصلاحها ومصلحتها ، وسد خلتها ، ولمِّ شعثها وحرصه على عقيدة الأمة وشريعتها ، وتعمقه في علم السنة والغيرة عليها . إنه بحق مدرسة متكاملة للجيل المعاصر وأنموذجاً متميزاً يندر وجوده في هذا الزمان ، فقد جمع الله له من الخصال الخيرة من النادر أن تجتمع في شخص واحد : علم وحلم ، زهد وصلاح ، كرم وسعة صدر رحمة وغيرة ، صبر وتضحية ، ورع وخشية ، قوة في الحق لا يخشى في الله لومة لائم ، ورباطة جأش لا تهزه العواطف . وليس ما نقوله بألفاظ تكتب أو عواطف تدوّن ، وإنما هي حقيقة يجسدها واقعه ، كان يمكن لكل من عايَشَهُ أو صاحبه أن يلمس فيه ذلك كله . وكم هو جميل وسديد قول علامة القارة الهندية الشيخ أبو الحسن الندوي - حفظه الله - يقول عن سماحة الشيخ الوالد ابن باز - رحمه الله - بأنه «أُعجوبة زمانه» وهذه كلمة تصدر من عالم عالمي رباني ، امتاز بفكره وجهاده لها أبعادها ودلالاتها ، وما كان ليقول مثل هذه الكلمة لولا

أن رأى فيه من العجائب والنوادر التي لا توجد في غيره ، ومن مثل الندوي في عالميته وسعة اطلاعه ، وقوة بصيرته ، وعمق غوره في معرفة الرجال ، فلا غرابة أن يقول ذلك الندوي ، حيث لا يعرف الفضل لأهله إلا ذووه .

وعليه فلسنا بمبالغين إذا قلنا إن فقدانه فقدان أمة ، وبخاصة في هذا الزمن الذي قلَّ فيه العلماء ، فيندر أن يوجد مثله ، فهو أمة بحق ، وإن مصاب الأمة فيه مصاب عظيم ، حيث فقدان العالِم ثلمة في الإسلام لا تسد ما اختلف الليل والنهار ، كما جاء عن عائشةوجابر - رضي الله عنهما - من نحو ذلك .

وروى الطبراني عن الدرداء رفعه : موت العالم مصيبة لا تجبر وثلمة لا تسد ، وموت قبيلة أيسر من موت عالم ، وهو نجم طُمس . وثبت في صحيح الحاكم عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ **أولم يرو أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرفها** ﴾ ، قال : « موت علمائها وفقهائها » . ومنا ما رواه البيهقي عن أبي جعفر أنه قال : « موت عالم أحب إلى إبليس من موت سبعين عابدا » .

فإذا كان هذا بالعالِم فكيف بالعالِم الذي رزقه الله حسن الشمائل ، وجمع فيه كريم الخصال ، فيحق لقلوب الأمة أن تفجع ، ولعيونها أن تدمع ، ولكن ما نقول إلا ما يرضي الإله الرب الخالق : ﴿ **وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون * كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم**

بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون﴾ ، ونحتسب الأجر عنده والعوض منه إن ربي على كل شيء قدير .

لقد كانت صلتي بالوالد الفقيد ما يقرب من خمس وثلاثين سنة ، لم أر فيه تغيراً إلا نحو الخير ، فكلما ابتعدت منه ازدتُّ إليه شوقاً ، وكلما اقتربت منه كان الشوق إليه أعظم ، وكنت أبهر لصبره وحلمه ، حيث يفد إليه الناس من كل حدب وصوب ، وكم من مرة أحضره ويأتي إليه من الناس مَنْ الجلافة صفته الظاهره ، فيخاطب الوالد بأسلوب جلف ، فيجيبه الشيخ بأسلوب مرن ، يمتص جلافته وغلظته ، ويهون عليه الأمر ، ويدعوه لتناول طعام الغداء عنده ، ويبشره بأن مشكلته ستحل ، وأن أمره سينجز ، فيخرج من عنده وكأنه اليوم ولدته أمه ، لجميل ما لقي ، وعظم ما حصل عليه .

وأذكر واقعة هي واحدة من آلاف الوقائع التي يمكن أن تروى عنه ، وإنما أذكر هذه الواقعة بعينها ليعرف القاريء الذي لم تتح له فرصة اللقاء بالفقيد الوالد - رحمه الله - كم هو بُعد نظره وإرهاف حسه وحبه لطلبة العلم وغيرته عليهم وإنفاق كثير المال ، لتبقى سمعتهم خيرة ، وذكرهم بين الناس حسن ، وهذه الواقعة أحكيها عنه يوم أن كان في الجامعة الإسلامية نائباً لرئيسها ، ومن ثم رئيساً لها أي مما يزيد عن نحو ربع قرن وهذه الواقعة هي أن طالباً أفريقياً قد أخفق في اختبارات أعوام متكررة فكان لا بد من فصله بحسب ما تقتضيه لوائح الدراسات الجامعية ، وكان له عيال كُثُر ، حيث له أكثر من زوجة فترحيله مُكلفٌ

إذاً ، وما تدفعه الجامعة لأجل ترحيل الطالب لا يفي إلا ببعض الغرض ، وما بقي من تكلفة ترحيل الطالب وأسرته وأولاده هو الكثير الغالب ، وبخاصة في ذلك الوقت ، فاقترحوا على سماحة الشيخ أن يتكلم في مسجد الجامعة على حث الأساتذة والموظفين والطلاب على إغاثة أخيهم ، ولـمّا جاء وقت الحديث الذي اتُّفق عليه ، لم يتحدث الشيخ فاستُغرب ذلك من الشيخ ، ولما استفهم منه ، هل أنك نسيت موضوع الطالب؟ فأجابهم : إنني لم أنس ، ولكنني لم أشأ أن أجرح مشاعره أو أمس أحاسيسه بما يحزنه ويؤسفه ويؤسف جماعته بما يُتحدث من جمع المال لهذا الطالب ، فيتأذى هو نفسياً ، ويتأذى معه أبناء بلده ، فانظر أخي القارىء إلى هذا الحس المرهف ، والرقة المتناهية التي قد لا يفطن إليها صاحب القضية نفسه . قالوا له : وما الحل إذاً يا سماحة الشيخ؟ قال : سأكتب أنا إلى سمو الأمير سلطان ، وقد كتب بالفعل إلى سموه ، وأرسل إليهم سمو الأمير سلطان جزاه الله خيراً شيكاً بمبلغ ١٢٠٠٠ ريال إعانة لهذا الطالب ، ومن غير شك أنه مبلغ في ذلك الوقت ليس بالقليل ، ففرح المسؤولون بالجامعة حيث حُلَّتْ مشكلة الطالب . ثم حاول الطالب أن يحصل على هذا المبلغ ليستكمل به شراء التذاكر كي يسافر ، وبشديد الإلحاح على المسؤولين من قبل الطالب أُعطي هذا المبلغ ، وكان المسؤول عن الأمور المالية آنذاك فضيلة الشيخ عمر فلاته - رحمه الله - فأمر بإعطائه هذا المبلغ ، وبعد فترة رأى الطالب فسأله عما فعل ، وهل اشترى التذاكر؟ فأخذ الطالب يلوي رأسه بخجل وحياء

مفيداً بأنه لم يشتر التذاكر بحجة أنه كانت عليه ديون للناس بالمدينة فسددها وأنه اشترى بعض الهدايا والحاجات لأولاده ولم يبق من المبلغ إلا الشيء القليل ، فاشتد محدثي الشيخ عمر فلاته غضباً على الطالب وكال له من اللوم والتأنيب بما يقتضيه الموقف ، ويقول : بقيت في حيرة وحرج ماذا سأحدث الشيخ ابن باز ، وأنا الذي أمرت أن يُصرف له هذا الشيك من سمو الأمير سلطان ، ولم أجد بداً من مفاتحة الشيخ ابن باز بذلك ، وأنا في الوقت نفسه في غاية الحرج مما أَحْدَثَ الطالب ، ولما فاتحت سماحة الشيخ بما جرى أجابني بصدر رحب ونفس هادئه : إن الطالب قد أحسن صنعاً . فقلت له : كيف أحسن الطالب صنعاً ، وقد بدد هذه الأموال؟ فقال له : أتريد الطالب أن يسافر وذمته مدانة ، ويتحدث الناس أن طلاب الجامعة يسرقون أموال الناس فيؤثر هذا على سمعته . وانظر أخي القاريء إلي هذه النظرة الفاحصة الثاقبة التي لا يفطن لها إلا من رزق الحكمة ورجاحة العقل وبعد النظر وعواقب الأمور وما يترتب عليها .

إن سماحة الوالد لم ينظر إلى إنفاق المال بنظرة عادية ، ولكن نظر إلى ما وراء ذلك ، أن الطالب قد سدد ديونه فنظر إلى هذه الزواية ووجد للطالب غذراً وأكبر صُنعه ، فتنبه الشيخ إلى ما لم يتنبه إليه غيره ، وفطن إلى ما لم يفطن له غيره : «أتريد الطالب أن يسافر وذمته مدانة ، ويتحدث الناس أن طلاب الجامعة يسرقون أموال الناس فيؤثر هذا على سمعته» وهذا موقف تتجلى فيه سماحته وحرصه على سمعة طلاب

العلم ، وأن لا يتـحـدث عنهـم العـامـة بما هو مـشين . نعم فـقـد أوتي الحكمة ﴿ ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيراً كثيرا ﴾ .

واسمع أخي القارىء إلى تكملتها : وما الحل يا سماحة الشيخ؟ قال : الحل أن تأخذوا من الطالب ما بقي . قالوا : ما بقي إلا من نحو ألفي ريال ، قال : إذاً استقطعوا بقية قيمة التذاكر من مرتباتي .

ألا مـا أكـرمـهـا من نفس ، ومـا أعظمـه من خلق ، ومـا أروعـه من موقف يتجلى فيه رحمته وتضحيته ونظرته البعيدة السامية ، وحنانه الأبوي ، وعـاطفتـه الجياشة ، فهذا غيض من فيض ، ولذلك كـان يوم وداعـه للجـامـعـة بعـد أن أسندت إليه رئاسـة إدارات البـحـوث العلمـيـة والإفـتـاء ، كـان وداعـاً مـشـهـوداً ، حـزنـاً وأسى ، بكاء ونحـيب ، بكاء كـبـكاء الثكلى ، ونحـيـبـاً كنحيب اليـتـامى ، حيث فـقـدوا من يحنو عليهم كحنو الآباء على أبنائهم ، فبيته كان بيتاً لمن لا بيت له ، ومأوى لمن لا مأوى له ، يسعى في حل مشاكلهم ، ويبذل وقته في توجيههم ونصحهم ، ويفتح صدره وقلبه لاستقبالهم ومشاركته لهم في همومهم ، وما ينزل بهم ، فكانت الجامعة في عهده البيت الواسع ، والمأوى الرحب لعربيهم وعجميهم ، أبيضهم وأسودهم ، فالكل يلهج بابن باز ، فقد أحبته القلوب ، وتعلقت به النفوس ، وقد ربى أجيالاً وخرّج أفواجاً من طلبة العلم ، عمرت بهم المعمورة ، وانتشروا في بقاع الأرض ، ينشرون دين الله عـقـيـدة وشريعـة ، وكـان لهـم بعـد ذلك مـعيناً وناصـراً وداعـمـاً ومؤيداً مما جعله يتبوأ هذه المنزلة الغالية في بلاد المسلمين ، ويكسبه

هذه الشهرة المنقطعة النظير في زماننا المعاصر .

وكان – رحمه الله – صادقاً مع الله ، فصدقه الله ، فجعل له القبول في الأرض ، فكان كالغيث أينما حل نفع ، وما ذلك إلا ثمرة الإيمان الصادق التي أخبر الله عنها : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا** ﴾ ، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : « يخبر الله تعالى أنه يغرس لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات وهي الأعمال التي ترضي الله عز وجل لمتابعتها الشريعة المحمدية ، يغرس لهم في قلوب عباده الصالحين محبة ومودة ، وهذا أمر لا بد منه ولا محيد عنه ، وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ من غير وجه :

فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال : يا جبريل : إني أحب فلاناً فأحبه ، قال فيحبه جبريل ، قال : ثم ينادي في أهل السماء ، إن الله يحب فلاناً فأحبوه ، قال : فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض » .

ولا أدل على محبة الله له ومن ثم محبة الصالحين له من بلوغهم خبر وفاته ، فقد ذعر الناس لوفاته ، وفجعوا بذلك الخبر ، وكأنهم لا يعرفون أن الموت غاية كل حي ، فداعيه لأهل الأرض داعي ، فهو المصاب جعلهم ينسون ، وكادوا يفتنون لولا رجوعهم إلى ربهم ، ويقينهم من أن الموت حق ، وأن ﴿ **كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة**

الدنيا إلا متاع الغرور﴾ .

وأما هو - رحمه الله - فقد أيقن الموت ، وأعد له عدته ، فعمل لما بعد الموت ، وأيقن أن الحياة الدنيا متاع الغرور ، فلم تشغله مباهجها وبهارجها فكان في استحضاره للموت واستغلاله لساعات وقته بين ذكر وعمل فكانت حياته كلها جد وليس للهزل عليه سبيل ، يبدأ عمله الرسمي بفجر كل يوم ، ولا يكف عنه إلا قبيل منتصف الليل ، لم يعرف إجازة ولا فسحة ولا خميساً ولا جمعة ، ولا صيفاً ولا شتاءً ، فكله جد وعمل ، وذكر وعبادة ، وما يخفيه بينه وبين ربه فهو أعظم ، واصلاً لرَحمه ، باراً لأبنائه ، متفقداً لأحوال إخوانه ، يبادرهم بالسؤال فكأنه لا يعَرف إلا هذا .

سيذكرني قومي إذا جدَّ جدُّهم
وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر
أولئك آبائي فجئني بمثلهم
إذا جمعتنا يا جرير المجامع

هذا عن الأمة الذي ارتحل فماذا على الأمة التي بقيت؟ فأسأل الله أن يعين محبيه من أهل العلم وطلبته ممن له به شغف وحب صادق ، بأن يسلكو مسلكه بالتضحية والإيثار ، والجد والمثابرة ، والسهر على أمور المسلمين ، والحزن على ما يصيبهم ، والتفرغ للعلم الشرعي تعليماً وتعلماً ونشراً وتوجيهاً وحباً للخير ، وفتح الأبواب والصدور للمسلمين

وخدمة العقيدة والسنة والذود عنها ، والدعوة إلى الله على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة ، فتلك الأمور كانت ديدنه ونهجه ، يوصي بها من يحب .

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم
إن التشبه بالكرام فلاح

تغمد الله فقيد الأمة بواسع رحمته، وأسكنه فسيح جناته ، وأنعم عليه مع النبيين والصديقين والشهداء ، وحسن أولئك رفيقا .

فــي وداع «الشيخ»

بقلم معالي الدكتور الأديب الشاعر: غازي القصيبي

إذا قيل «الشيخ» عرف الناس الرجل المقصود ...

جاءه اللقب من الجموع ...

لم يحصل عليه من الجامعة ...

ولم تُنعم به هيئة ...

ولم يصدر بتحديده مرسوم ...

كان – الشيخ – كبيراً ..

وكان كبيراً جداً ..

كان كبيراً بعلمه

وكان كبيراً جداً بتواضعه

وكان الشيخ كريماً ..

وكان كريماً جداً ..

كان كريماً بماله ..

وكان كريماً جداً بنفسه ..

وكان الشيخ طيباً .

وكان طيباً جداً ...

كان طيباً ... لا يخدع أحداً ...

وكان طيباً جداً ... لا يغضب من أحد خدعه ...

كان بعض اجتهاداته موضع خلاف

أما نزاهته الفكرية كانت محل اجماع ...

قولاً واحداً ...

... ذات يوم ...

قرع الباب بمنزلي في حي « الروضة » بالرياض ... وفتحت زوجتي الباب

وجاءت ، مذهولة ، تخبرني ان – الشيخ – عند الباب يستأذن في الدخول ...

وذهلت بدوري ...

كان البعض – غفر الله لنا ولهم – قد دقوا بين الشيخ وبيني « عطر منشم » ...

ونقلوا اليه ما نقلوا مشوهاً ... ومحرفاً ... وخارج سياقه ...

وكان بيني وبين الشيخ عتاب لم يخل من حدة ...

وتحمل الشيخ الحدة ...

كما يتحمل الأب الصبور نزوات الابن المشاغب . . .

وهرعت . . . استقبل الشيخ . . .

رغم الحمى التي كانت – وقتها – زائرة ثقيلة . . . بلا حياء . . .

قال الشيخ انه سمع بمرضي وجاء يعودني . . .

وتحدثنا طويلاً . . .

وقال عن عملي في وزارة الصحة ما يخجلني حتى بعد هذه السنين أن أردده . . .

ودعا لي . . . وخرج . . .

وذهبت ، ذات مساء ، أزوره . . .

وكان يجيب على أسئلة الرجال والنساء . . .

كعادته بعد صلاة المغرب . . .

عبر هواتف أربعة لا تنقطع عن الرنين . . .

. . . ثم خلا لي وجهه . . .

وتحدثنا ما شاء الله أن نتحدث . . .

وقبل أن أخرج قلت متردداً :

– يا سماحة الشيخ !

هل تسمح لي بإبداء نصيحة شخصية ؟

وابتسم ، وقال :

« ... تفضل ! تفضل ! » .

قلت :

– هذه الفتاوى الفورية على الهاتف ...

ألا يحسن أن تؤجل حتى تكتب وتدرس ؟

وقال الشيخ :

« جزاك الله خيراً !

أنا لا أفتي إلا في المعلوم من الدين بالضرورة ...

أو في الأمور البسيطة التي يحتاجها عامة الناس في اليوم ...

أما ما يحتاج إلى بحث وتمحيص ...

فليس مكانه الهاتف » .

وشكرت له سعة صدره ...

وخرجت ...

ومرت الأيام ... والأعوام ...

نلتقي بين الحين الطويل ... والحين ...

وكان ... كل مرة ...

يحييني تحية الوالد الشفوق ...

رغم العطر المسموم ...

الذي لم يكف تجار الوقيعة عن تسويقه ...

وجاء احتلال الكويت ...

وخاف من خاف ...

وسعى للغنيمة من سعى ...

وطمع في الزعامة من طمع ...

وانتهز الفرص من انتهز ...

وانتظر الناس «كلمة الشيخ» ...

ووقف الشيخ ...

وقال ما يعتقد أنه حق ...

ولم يبال بردود الفعل العنيفة ...

وبدأ الشيخ الضئيل عملاقاً في عباءته الصغيرة ...

والزوابع تدور حوله ...

مزمجرة ... هادرة ... شرسة ...

كل زوبعة تحاول أن تجرف الشيخ معها ...

وكان الشيخ الضئيل صامداً كالجبل الأشم ...

جاءت الزوابع ...

وذهبت ...

وثارت العواصف . . .

وهدأت . . .

وبرنامج الشيخ لا يتغير . . .

الصلاة . . . والدروس في المسجد . . . وتلاميذه بلا عدد . . .

الدوام في المكتب . . . ومراجعون بلا حساب . . .

وضيوف الغداء . . . وضيوف العشاء . . .

والباب المفتوح امام الجميع . . .

واللسان العف حتى مع المخالفين الذين لا يعرفون عفة اللسان . . .

والهاتف لا ينقطع عن الرنين . . .

و « الشيخ » . . . يجيب . . . ويجيب .

ويقضي كل لحظة من لحظات الصحو معلماً . . . أو متعلماً . . .أو عابداً . . .

يحمل هموم المسلمين في كل مكان . . .

حتى لكاد ينوء بها جسمه الضئيل . . .

لا يقول إلا ما يعتقد انه الحق . . .

ولا يرجو رضا أحد سوى الله . . .

ومات « الشيخ » . . .

ذهب بهدوء ...

كما عاش ببساطة ...

وترك الجموع الواجمة ...

تصلي على جنازة الرجل الذي لم يتأخر يوماً عن

الصلاة على جنازة مسلم ... معروفاً كان او مغموراً ...

رحم الله «الشيخ» الضئيل ... العملاق ...

عبد العزيز بن عبد الله بن باز ...

وأسكنه بعد سجن الدنيا الضيق ...

جنة عرضها السموات والأرض ...

أحسبه – ولا أزكي على الله أحداً –

أحب لقاء الله ...

وأرجو – وأستغفر الله أن اقول ما ليس لي به علم –

أن الله أحب لقاءه ...

ذكرياتــي مع فقيــد الأمــة

بقلم الشيخ : عطية محمد سالم

* المدرس بالمسجد النبوي الشريف *

فضيلة الشيخ عطية محمد سالم المدرس بالمسجد النبوي أحد الذين زاملوا سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز منذ ٥٠ عاماً أبدى حزنه الشديد على وفاة سماحته وظهر ذلك التأثر من خلال نبرات صوته وكلماته التي خرجت مفعمة بالحزن والأسى والإيمان بقضاء الله وقدره وقال الشيخ عطية : إن الحديث عن الشيخ ابن باز بالنسبة لي شيء طويل المدى بعيد . فقد عرفته منذ السبعينات عندما كان قاضياً في الدلم أما صلتي به عن قرب فكانت عندما كنت طالباً ومعلماً في كلية الشريعة وقد تتلمذت على يديه الفقه والحديث ثم زاملته وصاحبته سواءً في منزله أو في المسجد بعد تخرجي من الكلية في الرياض وفي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة كمساعد له بتكليف من الشيخ محمد بن إبراهيم وقد كنت حينها مسؤولاً عن شؤون التعليم وهذا ما زاد صلتي به عمقاً .

مآثر سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز يرحمه الله كثيرة هل ترون لنا بعضهاً من هذه المآثر من خلال قربكم من سماحته في فترة سابقة ؟

لا أعتقد مهما تحدثنا عن الشيخ ابن باز أن نوفيه حقه في التعريف به ولكن كان يرحمه الله علماً عالمياً وطوداً أشم وجبلاً يتميز بتوحيده وحلمه وكان لا يتحزب ولا يتعصب في البحث وفي المسائل الأخلاقية إنما يبحث بمقتضاه الخاص ويتكلم فيه برأيه . أما النواحي العلمية فكان بحراً وله من الذكاء والذاكرة ما لم تجده في غيره وقد أثبتت كثيرٌ من المواقف هذه الفطرة التي وهبه الله إياها من الذكاء والذاكرة .

هل يتذكر فضيلتكم بعضاً من هذه المواقف ؟

الشيخ عبد العزيز بن باز كان علامة في الحديث والفقه والتوحيد وكان موسوعة في هذه العلوم ومبرزاً فيها .. وعندما كنت أتعلم على يديه أتذكر أنه كان يشرح لنا في درس الحديث موضوعاً من المواضيع وكان يدرسنا في الفقه بنفس الباب على شيء آخر فقلت له ذات مرة يا شيخ أنت تورد أشياء في الحديث لا توردها في الفقه وتقتصر في الفقه على أشياء تذكرها في الحديث فما هي وجهة نظرك ؟ فقال سماحته يرحمه الله : الحديث ليس له حدود وبقدر ما أعطاك الله من الفهم وأقوال السلف سواء كان رأي الحنابلة أو غيرهم أو من علماء الأمة أما الفقه فأنت مقيد بكتاب الله في مذهب وكمدرس لهذا الكتاب ليس لك أن تخرج عنه عندما تشرحه وتبينه حتى الحد الذي يستوعبه الطالب . وذات مرة حصلت قضية من الشيخ أدهشت كل الحاضرين لإحدى المحاضرات الاجتماعية في الجامعة والتي حضرها سماحته وجاء المحاضر ليلقي محاضرته ومعه سبورة وكتب عليها اسم المحاضرة والنقاط

الخاصة بها والجزئيات المتعددة لهذه النقاط ثم أخذ يشرحها مفصلة بجزئياتها في ساعة ونصف وبعد المحاضرة طلب من الشيخ ابن باز أن يعلق عليها فذكر سماحته نقاط المحاضرة الست وجزئياتها وعلق على نقطة بالتفصيل ولم يترك شيئاً منها وهي كما ذكرت لك محاضرة اجتماعية وليست فقهية . واندهش الجميع من ذاكرة سماحته القوية وذكائه في استيعاب المحاضرة فلو أننا كنا موجودين لما استطعنا أن نعلق على أي نقطة دون النظر إلى السبورة وتذكر النقاط .

كما أنه يتميز بأخلاقه وسماحته وكرمه وكان يأتيه الفقراء والمساكين لطلب المعونة فلا يتردد أن يعطيهم ، وكثيراً ما طلب من صندوق الجامعة سلفة تخصم من راتبه ليعطيها هؤلاء الفقراء الذين قصدوه ومرة جاءني وقال لي : أريدك أن تعطيني سلفة قدرها مائتي ريال فضحكت وقلت له : الشيخ ابن باز يأخذ سلفة من عطية سالم ثم أردفت لو كان المبلغ لك لأعطيتك عشرة آلاف اذهب وخذ من الصندوق قال لي : عندما ذهبت إلى الصندوق أخبرني أمينه أن راتبي منتهي وأني مدين للصندوق للشهر الذي بعده بـ ٤٠٠ ريال .

هذا هو الشيخ ابن باز كان يقترض من الصندوق ولم يبق شيء من راتبه ومدين للشهر الذي يليه من أجل أن يعطي الفقراء والمساكين جاء يتسلف ليعطي غيره . نوادر كانت في الشيخ ابن باز يطمع أي واحد منا أن يصبح مثله .

(جريدة عكاظ ، العدد : ١١٩٥٠)

عالم الأمة الشيخ / عبد العزيز بن عبد الله بن باز

للمربي الكبير الشيخ : عثمان الصالح

من ينس لا ينسى عَلَماً في العلم نادراً . وحيد في الدعوة والنصح محبوب من الجميع لتسامحه ورحابة صدره ونزاهته وبعده عن الدنيا وقربه عند الله في (تأدية ما به أمر وما عنه حذّر) واليوم نعيش بذكرى سيدنا الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الباز .. الذي توفاه الله ليلة البارحة – لا شك أن الشيخ الباز – رحمه الله – عَلَمٌ من أعلام الدين صرف عمره التسعين في خدمة دين الله الذي شرف الله به نبيَّ المسلمين ورسوله بنشر هذه الدعوة التي له فيها التبشير والدعوة الراشدة فأكمله في هذه السنين الطويلة . ونشر الدين بما لديه من طلاب آمنوا بالله وبرسوله ودعاته وكانت دعوة في الشرق والغرب دوّت وأصبحت كتبه في كل قلب وفكر مضيئة اضاءة عمّت العالمين في المشرقين والمغربين لمن أراد الله له هداية . ولهذه الدولة من آل سعود الفضل الأول في نشر الدعاة وعلى رأسهم خادم الحرمين الملك فهد وولي عهده ، ثم سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز .. إن دولتنا السعودية ديناً والسعودية وطناً رائدة في مجال الدعوة الحقة .. وإن ابن باز عميد الدعاة إرشاداً وإيصالاً وهداية في الكلمة الى العالمين عامة .. إن وفاة شيخنا لكارثة

وفاجعة للجميع صغيراً وكبيراً وللعالم أجمع . وإن المملكة العربية السعودية في جزعها وألمها لفراقه لفي غاية الحزن والأسى ومليكها وولي عهدها ونائبها الثاني والأسرة السعودية ليدعون الله للفقيد أن يغفر له ويسكنه فسيح جناته لقاءَ ما عمل ، إلاّ أن ما دوَّنه في صدور كتبه وبحوثه وفتاواه لهو الكنز الأغلى والمال الأوفى الذي هو نبراس على الطريق والذي هو ذخر في العقيدة والصلاح والإصلاح . وإننا نعزّي خادم الحرمين وولي عهده ونائبه الثاني في وفاته وانتقاله الى جوار ربه تاركاً وراءه كنزاً من العلوم الربانية وثروة حوتها كتبه الجمّة وآراؤه المهمة في كل ما يعود على المسلم بالخير والهدى .. إن الشيخ عبد العزيز – رحمه الله – ما كانت الدنيا تخطر على باله ولم يسع لها وقد جاءته من جميع الجوانب ولكنه عزف عنها ونأى عن ملذاتها مكتفياً بالقليل لضيف أو لمستحق ، فرحم الله شيخنا وغفر له وجعل خلفه من فيهم الخير والبركة وإننا أيضاً نعزي الابن عبد الله وأحمد والأخوة بنين وبنات والأحفاد في هذا الصرح الذي راح .. والثروة العلمية التي وئدنا .. ولكنها باقية بقاء الليل والنهار .

كان – رحمه الله – على باله فكراً ولساناً هذه الدعوة فإذا علم أن انساناً نسب إليه أمر ذهب إليه ونصحه بنفسه وقليل مثله في الموعظة والعظة وكان حريصاً إذا التقى بضيف وافد بأن أول ما يقوله له :

ان على الجميع واجب النصح لله ولرسول الله . ثم يذكر له أن نقاء الدين والعقيدة هما كل شيء في الدعوة إلى الله .. وكان – رحمه

الله - متواضعاً كريماً جواداً بما يملك من راتب .. ومقبولاً جداً بين المواطنين والدولة تراه والداً في نصحه ، والداً في علمه .. محبوباً في بلده (المملكة العربية السعودية) وكل بلاد المسلمين عامة . كان يعيش في أفكارهم وأذهانهم ، فرحمه الله رحمة واسعة ، ولنا من تلاميذه وكتبه وبحوثه وفتاواه ما يجعله بين عيوننا وفي أفكارنا وأذهاننا على أن المعين الذي خلفه لنا ثروة لا تنسى ومجد لا ينسى وكنز لا يفنى سواء ما كان مسجلاً أو مجموعاً .. فرحمة الله على الفقيد وجعل - سبحانه - من أبنائه خلفاً صالحاً وإننا لنذكر أحد أبنائه بالعلم والخير والصلاح فإنه أديب وطالب علم يتحلى بالخلق العالي والنبل والشريعة التي حمل شهادتها وتحلّى بنتاجها وبنو الشيخ على مستوى عالٍ من الفهم بنين وبنات في ميدان نشر العلوم والمعارف كأبيهم يسيرون مساره وينهجون نهجه في العمل الصالح وقد كان - رحمه الله - يعرف للسائرين في هذا المسار فضلهم ورعايتم وتطبيقهم لأوامر الله .. بارك الله فيهم وجزاهم كل خير وإنني أوجه لزملائي وإخواني طلاب العلم بما أوتوا من علم وإدراك أن يدعوا له بالمغفرة والجزاء الأوفى سواء من الطلبة أو الدعاة لدين الله أو ممن حذقوا على ما لديه من علم مبذول ومعرفة نشرها كما للمواطنين في المملكة تعزية منا خالصة ولمن هم في الخارج أيضاً تعزية محبة وإجلال .. والله مع الجميع . (جريدة الجزيره ، العدد ٩٧٢٨)

كان موتــه موت أمــة !

بقلم الأستاذ الدكتور : علي بن سلطان الحكمي

كـانت وفاة سمـاحة شيـخنا الجليل عبد العـزيز بن عـبد الله بن بـاز – رحمه الله – ، وأفسح له قبره ، وأنزله الفردوس الأعلى من جناته حـدثاً عظيـماً عـصف بقلوب المسلمين ، ومـصاباً جللاً اشـتـدت على القلوب وطأته ، ولم تحتمل النفوس هول الصدمة به .

لقـد كـانت وفـاته إحدى فـواجع هذا الزمـان ، ونكبـة من نكبـاته ، تساوت فـيهـا مـشاعر المسلمين العامـة والخاصة ؛ فعبـرت فـيمـا نطقت وكتبت عن جلال الرزء فيه ومبلغ الحزن عليه .

ولم تكن الفـاجعة بوفاة شيـخنا الجليل مقصورة على المسلمين في المملكة العربيـة السعـودية فحـسب ، بل عم المصـاب بهـا المسلمين في مختلف أنحاء الكرة الأرضية ؛ فقد استقبلوا النبأ بوفاته ، واستقبلوا معه الجزع العظيم ، والحزن الأليم ؛ فكان مصابنا مصابهم ، وما روعنا روعهم وما أبكى العيون هنا أبكى العيون هناك :

بكـى الشـــرق فـــارتجت له الأرض رجـــةً

وفـــاضـت عـــيـــون الكون بالـعــبــرات

فـــفي الهند مـــحـــزون وفي الصين نادب
وفي مـــــصـــــر باك دائم الحـــســـــرات
وفي الشـــام مـــفـــجـــوع وفي الفـــرس نادب
وفي تـونس مـــا شـــئت من حـــســـرات

لم يكن موت سماحة شيخنا موت واحد ؛ بل كان موت أمة ؛ بما أحدثه من فراغ كبير قد لايتهيأ من يسده : فراغ في العلم ، والفتوى والزهد والتقى ، وفي البر والصلة ، والرعاية لشؤون المسلمين ، الأرامل والأيتام ، وسائر المحتاجين ؛ ممن وصلهم بعطفه ورعايته .

وكما كان موته موت أمة بما أحدثه من الفراغ الكبير ، فقد كان موته موت أمة بما أحدثه من خسارة فادحة ، وحسرة باقية ؛ لكأنه المقصود بقول الشاعر :

فـــمـــا كـــان قـــيس هلكه هلك هالك
ولـكـنـه بـنـيـــان قـــوم تـهـــدمـــا

كان الخطب بوفاة شيخنا الجليل عظيماً بعظمة المكانة التي تبوأها في قلوب المسلمين بعلمه الراسخ . وزهده الواضح ، وتقواه التي عَمَر الله بها قلبه . وما اتصف به من خلال تجل مآثرها عن الإفصاح : لكأنما عناه الشاعر في قوله .

لقـــد كـــان مـــقـــصـــود الجـــوانب آهلاً
تطوف به الآمـــال مـــبـــتـــهـــلات

مـــثــــابة أرزاق ومــــهــــبط حكمــــة
ومــطــلــع أنــوار وكــنــزه عــظــات .

لقد كانت الفاجعة بوفاة شيخنا أكبر من أن تتحملها القلوب ؛ التي التفت حوله ، والتقت به في الدرس والمراجعة ، والصلة المستديمة ، ناهيك عمن ارتبطت حياتهم به في هذه البلاد وخارجها ، إنها حسرة شديدة وطاتها على نفوسهم لايلهمون منها إلا الصبر على القضاء ، وتذكر المصيبة بموت المصطفى ﷺ .

وإذا أتتك مـصـيـبـة تشـجى بهـا
فـاذكـر مـصـابك بالنبي مـحـمـد

لكأن الله قد اختار له هذه النهاية الفاجعة لقلوبنا للمكافأة الكبرى في جنة الخلد، وملك لايبلى مع المؤمنين والمؤمنات ﴿**يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم**﴾ [الحديد : ١٢] .

(جريدة البلاد ، العدد : ١٥٦٥١)

الإمام العالم العامل سماحة الشيخ ابن باز

بقلم فضيلة الشيخ : أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري

كنت أول الأسبوع الذي مات في آخره سماحته أتابع في هذه الجريدة افتراءات الورداني - وأتكلم عن أصحاب شواهد الحال المتواترة الذين تجب موالاتهم - والتقرب إلى الله بمحبتهم .. ومنهم سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - قدس الله روحه ونوّر ضريحه - وهو فقيد العالم الإسلامي المعاصر اليوم في العلم الشرعي والفتوى ممن لم يعمهم ويصمهم هوى البدعة المتوارثة حمية عن غير برهان ، وعن غير حرص على طلب البرهان خارج تكايا المبتدعين المتوارثة ، وكان - رحمه الله - شجى في حلوقهم .. ثم نعي سماحته يوم الخميس الموافق ٢٧ / ١ / ١٤٢٠هـ ، وصُلِّي عليه يوم الجمعة بالمسجد الحرام بمكة المكرمة ودفن بها .. فـ« إنا لله وإنا إليه راجعون » .

قال أبو عبد الرحمن : أقطع الحديث عن تهويش الورداني إلى حين أعود الى الحديث عن سماحة الشيخ ابن باز علمياً - وهذا أمر مهم جداً وميزاته التي تجعله قريباً من الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - في عمله ومنهجه العلمي .. ولئن ذكرتُ أثر فقدان العلماء في الأمة :

فإنني حريص على تحرير مفهوم آية كريمة رددها كثير من مشيِّعيه ، وأضع ما بني على ذلك موضعه كقول أحمد بن غزال :

الأرض تحيا إذا ما عاش عالمها
متى يمتْ عالم منها يمتْ طرف
كالأرض تحيا إذا ما الغيث حلَّ بها
وإن أبى عاد في أكنافها التلف

وأهم وأجلى وأنفع ميزة للشيخ أنه علم ليعمل ، وتوسَّع في العلم الأخروي النافع ، ولم يخلط معه شيئاً من علوم الدنيا إلاّ ما كان من علوم الآلة لخدمة الشريعة كالنحو .. وكان - رحمه الله - لا يلحن في حديثه العامي ، ولا تدور العامية على لسانه .. ولم يطلب العلم لمجرد التلذذ والمتعة والمثاقفة والمسامرة والشهرة ، بل كان علمه - كما أسلفت - تعبداً في ذاته ، ولأداء العبادة وفق الأمر الشرعي ، ثم صار العلم لذته لأن لذته في العبادة .

وأبحر في العلم الشرعي حتى كان بآخره مرجع العالم الإسلامي ، وكان كل متورِّع لا يستريح الى غير فتواه .

وأما العمل فكان مثمراً متبعاً سمت كبار الصحابة ومن ندرت سيرته من التابعين ومن بعدهم كالإمام أحمد رضي الله عن جميعهم ، فأخذ على نفسه الحلم طبعاً وتطبعاً ما رأيته منفعلاً قط إلاّ مع الكتبي - رحمه الله - ناشر كتاب تحفة الأحوذي لسبب لا أذكره الآن ، وغاية

انفعاله أنه طلب من الكتبي اليمين على أن ما حدث لم يكن يعلمه .. وأخذ نفسه بالجد في الدعوة إلى الله ، والصبر على الأذى في ذلك .. وأخذ على لسانه ووقته ومجالسه البعد عن الفضول ، والقول الجارح ، والفحش ، والصلف والصخب ، والاشتغال بغير العلم الشرعي ، والانتقام للنفس أو الغضب لها .

قال أبو عبد الرحمن : وحضرت غداءه يوم جمعة مع ضيف عندي من آل الجرباء ، وكان حديثنا عن الأنساب ، فصرفنا عن ذلك بلطف . وإذا طرحت مسألة علمية في مجلسه ، وطال حولها الجدل قطعه بقوله : « سبِّح » ، وقد حدث هذا معي إذ جادلني دكتور اسمه حمد قبل أن يكون دكتوراً .

وأغلظ قول سمعته منه – رحمه الله – : أن القارئ يقرأ عليه في البيت بعد صلاة الجمعة ، والشيخ يشرح .. إلاَّ أن بعض الحاضرين يتظاهر بالعلم ، ويسابق الشيخ بالشرح ، فلما نفذ صبر سماحته التفت اليه ، وقال له : تأدَّب .. الدرس لي ، وليس لك .

وكان – رحمه الله – مواظباً على الصلاة جماعة إماماً ومأموماً ، مداوماً على النوافل من السنن الرواتب ، والورد ، والوتر والتهجد ، وصلاة الشروق والضحى ، وصيام التطوع ، والحج والعمرة .. شغل كل وقته – مع قلة النوم – باستماع الذكر والفقه والحديث والتفسير ، والشرح ، والمحاضرات والوعظ والفتوى والعمل الرسمي ، والسعي في

حوائج المسلمين ومصالحهم الخاصة كالشفاعة ، والعامة كالحسبة .. هذا ديدنه مدى عمره لا يتغير مدى حياته ، ولا يتراخى لكسل وخمول أو أثر عارض يستطيع مقاومته .. وكان مزحه حقاً ، وكان ضحكه ابتسامة لا قهقهة .. وكان سليم القلب ، محباً الخير للأمة ، حريصاً على هداية الناس ، وكان يتعامل معهم على ظواهرهم وعلى أصل العدالة في المسلم .. وذلك كما في دين ربه حتى يبين له ما يخالف الظاهر .. ولما بان له -- رحمه الله -- كثرة الغش والكذب والتدليس كان يتثبت فيمن يشفع لهم في الديون بطلب التوثيقات الثابتة وتعريفات العدول المعروفين ، وكان في مسائل الطلاق يسمع من الزوجين معاً ، أو يسجل إفادتهما لدى أحد المشايخ ، وصارت فتواه بمقتضى إفادة محررة مكتوبة من المستفتي في القضايا الهامة .

وكانت دعوته ونصحه بالتي هي أحسن ، وكان يقدم لها بالدعاء والابتهال ، ويختتمها كذلك ، وربما فاضت عبرته إذا كان النصح في أمر مزعج .. ولم يطمح لزينة الدنيا ومتاعها ، وقد كرر عليه أحد أمراء القرى في مناسبة زواج أن يمنحه أرضاً كبيرة في تلك القرية ، وردد ذلك كثيراً -- وكان عامياً مجتهداً -- ، فصرفه عن الحديث بلطف ، ودعا له وشكره .. وكانت في سنين مضت تتراكم عليه الديون لسعة كرمه ومواساته للمحتاجين ، ولم يخرج من بيت الطين بالعواطف إلاّ بإلحاح شديد من المسؤولين ، وبدعوى أن منصبه الرسمي يقتضي سكناً مناسباً لأجل كبار الوافدين عليه وكثرتهم .. ولم يكن كرمه -- رحمه الله --

مباهاة وتكلفاً ، ولا انتظام دوريات ولائم تُشغل بالفضول ، بل كان بذلاً لوجه الله سبحانه ، وكان جمهور سماحته من المحتاجين والغرباء الذين لا يرجو منهم غير ثواب الآخرة .. ومن زاحمهم مثلي بعض المرات فإنما يأتي محبة وتبركاً بطعام عالم عابد ورع كريم .

وكان إذا حزبته الفتوى ، وبيَّت النية على اختيار الحكم : أرجأ البت حتى يصلي صلاة الاستخارة .. إنه تعلَّم وعلَّم من أجل الآخرة ، وشمَّر للعمل من أجل الآخرة ، وحقق كل علم وعمل بنية العبادة ، فحقق بذلك مفهوم العالم بالله .. العالم بأمر الله الشرعي .. العامل بما علم اعتقاداً وقولاً وفعلاً بلا مسامحة أو تسويف أو كسل ، وعلم الله من نيته ماعلم ، فكان معاناً على الأداء في شيخوخته وشبابه .. وذلك منتهى الإمامة في الدين علماً وعبادة .. روى أبو حيان التيمي عن بعض السلف أنه قال : كان يقال : العلماء ثلاثة : عالم بالله عالم بأمر الله ، وعالم بالله ليس بعالم بأمر الله ، وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله .. فالعالم بالله وبأمر الله الذي يخشى الله ويعلم الحدود والفرائض ، والعالم بالله ليس بعالم بأمر الله الذي يخشى الله ولا يعلم الحدود ولا الفرائض ، والعالم بأمر الله ليس بعالم بالله الذي يعلم الحدود والفرائض ولا يخشى الله عز وجل .

قال أبو عبد الرحمن : الصنف الثاني هم عوام المسلمين العاملون العابدون ، وكثرة وجودهم بركة ، لأن الله يرفع بدعائهم عن المسلمين - راعياً ، ورعية - البأساء والضر .. والصنف الثالث علماء المناصب والجاه

والتوصل والشهرة ، وعلماء المبتدعة الذين يروجون للباطل ويجحدون البراهين ، ولا يصغون للحق حفاظاً على جاههم وعلى الكسب الخبيث كالمروجين لوحدة الوجود ، واتخاذ المساجد مشاهد ومعابد وثنية ، والتدين لله بالتجديف بمثل بردة البوصيري ، وإن الله سائلهم إن لم يتوبوا ، وإن محمداً ﷺ ذائدهم عن الحوض ، لما أخلوا به من أمر عظيم في قضاء الله الشرعي الذي جعل لرسول الله ﷺ - بأبي هو وأمي - خصوصية الرسالة ومنتهى العبودية ، وعمومية البشرية - ووجود علماء السوء هؤلاء نقمة ، وذهابهم رحمه .

قال أبو عبد الرحمن : أما من تشبث بالعلم مثلي ، وقصَّر أو تجاوز في عمله بما دون الكبائر ، ودعا للسنة ولم يدع للبدعة : فربما جعله ربه معادلاً للصنف الثاني بما لديه من علم وعمل قاصرين ! .

وأما الصنف الأول فأندر من الكبريت الأحمر ، وصدرهم في العصر الحديث - فيما نعلم ، وكمال العلم عند الله - سماحة الفقيد ابن باز - رحمه الله - ، فهؤلاء عملهم ودعاؤهم رحمة للراعي والرعية ودنوهم من السلطان وفي عمق العامة نور وضياء .

والمبرز في العلم والعمل هو المبرز في الإمامة بمقتضى سياق سورة فاطر ، فإن الله سبحانه قال عن نبيه محمد ﷺ : ﴿**إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة**﴾ ، فهذا هو العمل .. ثم ورد السياق بالبون الشاسع بين المهتدي والضال بضرب الأمثال ، وإرسال الله

سبحانه للرسل عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، وذكر إيمان من آمن وكفر من كفر ، ثم ذكر سبحانه شيئاً من آياته في الآفاق ، ثم قال : ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾ ، فهؤلاء هم العالمون بالله العالمون بشرعه ، المتدبرون في كونه ، العاملون من أجل ربهم .

وبالعلم والعمل يرفع الله درجات أمثاله دنيا وآخرة كما قال سبحانه في سورة المجادلة في سياق آداب المجالس : ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير** ﴾ .

وصح عن عمر رضي الله عنه مرفوعاً : إن الله يرفع بهذا الكتاب قوماً ، ويضع به آخرين .

قال أبو عبد الرحمن : الصنف الثالث في كلام أبي حيان التيمي هم الأخذلون المرذولون مهما كان حسبهم ونسبهم .

ولقد استدل كثير ممن رثى سماحة الشيخ بقوله تعالى : ﴿ **بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون** ﴾ [سورة الأنبياء : ٤٤] . . استدلوا بذلك على أن المراد موت مثل سماحته .

قال أبو عبد الرحمن : نقص الأمة بموت سماحته حقيقة لا ريب فيها لندرته علماً وعملاً ، ولكن هذه الحقيقة ليست هي مراد الآية الكريمة – وإن قال ذلك بعض العلماء – ، بل سياق الآية ودلالة نصوص أخرى على أن المراد فناء البشر مؤمنهم وكافرهم ، والوعيد لأهل الكفر

بالذات ، لأن الآية في سياق الكفار المستهزئين بالرسل ، المغترين بالمتاع وطول العمر ، فأنذرهم ربهم بسنته الكونية في إفناء الخلق .. وهم داخلون في هذه السنة : أفهم الغالبون ؟! .. ولهذا قال الحافظ ابن كثير: « اختلف المفسرون في معناه ، وأحسن ما فسر بقوله تعالى : ﴿ **ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرّفنا الآيات لعلهم يرجعون** ﴾ [سورة الأحقاف : ٢٧] .

وقال تعالى : ﴿ **وإما نرينّك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ، أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقِّب لحكمه وهو سريع الحساب** ﴾ [سورة الرعد : ٤٠ - ٤١] ، فإهلاك الله لهم ، أو توفي الله لرسوله ﷺ نَقْصٌ للأرض من أطرافها من أهلها لا من مسافتها ، ولهذا قال الشعبي : لو كانت الأرض تنقص لضاق عليك حُشُك ؟! .. ولكن تنقص الأنفس والثمرات .. وقال عكرمة : لو كانت الأرض تنقص لم تجد مكاناً تقعد فيه ، ولكن هو الموت .

قال أبو عبد الرحمن : وهذا المعنى هو معهود الشرع كما في قوله تعالى : ﴿ **ولنبلونّكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين** ﴾ [سورة البقرة : ١٥٥] .

ويبين أن نقص الأرض نقص من فيها من صالح وطالح قوله تعالى عن الكفار : ﴿ **أإذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد قد علمنا ما تنقص الأرض**

منهم ﴾ [سورة ق : ٣ - ٤] .. أي لن يغيبوا عن البعث في أعيانهم وأجزائهم ، فهم في علم الله بما تنقص الأرض منهم ، وتحت قدرته .

قال أبو عبد الرحمن : وأبيات ابن غزال المذكورة آنفاً إن كان يلحن بها عن الآية الكريمة من سورة الأنبياء فذلك هو الفهم الخاطئ كما أسلفته .. وإن أراد النقص في سلوك الأمة وعلمهم بموت العلماء فذلك صحيح واقعاً بالنسبة للعلماء العاملين الذين يخشون ربهم .

وأما قوله ﷺ كما في الصحيحين : «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسألوهم فأفتوا بغير علم ؛ فضلوا وأضلوا» : فإنما ذلك جزئي في مصر لا في كل عصر كغلبة الأمية والرجوع إلى العرفاء في بعض الأمصار .. ولا يكون ذلك عاماً عصراً ومصراً إلاّ عند الإيذان بقيام الساعة حتى لا يُقال : الله الله ! .

والعلماء المذكورون في الحديث هم أهل العمل والخشية بلا ريب لأن فتواهم عن ورع .

قال أبو عبد الرحمن : والأمة اليوم بخير ، وسيخلف سماحته سليلُ أسرة علمية من علماء الدعوة وأئمتها معروف بعلمه وورعه ، وسيشد عضده علماء كثيرون يكوِّنون بمجموعهم ما فدحنا به من فقد سماحة الشيخ ابن باز ، ويكون لهم من سيرته أسوة ، ويأخذون العصا من الوسط ، ليدفع الله عنا بدمائهم وصلاحهم وعلمهم وحكمتهم

الفتن والبلاء .. ومن خصائص الشيخ الكرم ، وما أقبح البخل في رجال العلم .. وكذلك لين الجانب ، والسعي في حوائج المسلمين ، فكل هذه الخصائص ستكون متوارثة إن شاء الله في علماء هذا البلد .

أما سفهاء الأحلام من المتدينين عن جهل بتحسير وتعسير ، وأما علماء الدنيا أهل السوء من ذوي الفكر السياسي والتواصل فَنَدْرَأُ في نحورهم بالدعاء لهم ، ومقاومتهم بالحجة والبرهان وصلاحية السلطان ، وبالإلتفاف حول علمائنا العاملين .

ولقد حفظ سماحة الفقيد - رحمه الله - القرآن في صغره ، وتعهده تلاوة وتدبراً ، وجدَّ في طلب العلم ، وكان يعمل في حراج القماش والعباءات ، ويدرس على المشايخ بالليل ، وتمثل وصية ابن مسعود رضي الله عنه ، فكان لا يتجاوز النصوص حتى يعرف معانيها ، ويتعهد حفظها ؛ فهو من الحفاظ الكبار في هذا العصر علمه في صدره لا في كتابه .. وكان إذا قرئ عليه ، ومر ما يحتاج إلى مراجعته أمر بالتأشير عليه ليراجع ، فإذا رُوجع له التقطته ذاكرته .. وكان يطبق علمه في الحال ، ولهذا استوعب حفظاً واستحضار معاني ما تمس إليه حاجة المفتي ، وكانت الشواهد من القرآن والسنة وأقوال أهل العلم تنثال على لسانه الشريف في كل مناسبة .

والمشهور أن مولده - رحمه الله - عام ١٣٣٠هـ ، وقيل ١٣٢٨هـ وأعلمني شيخي حمد الجاسر مهاتفةً أن الشيخ ابن باز أكبر منه بسنوات

ورجح أنه بلغ خمساً وتسعين .

قال أبو عبد الرحمن : حق على الشيخ أن يملي وينشر ما يعرفه عن سماحة الشيخ ، لأنه من أقرانه في السن ، وجمعهما العمل ، وسيكون عنده من العلم بالشيخ ما ليس عند غيره .

ولقد سألت سماحته عن الشيخ سليمان بن سحمان – رحمهما الله – ؛ فذكر لي أنه يعرفه ويتصوره قبل أن يفقد حبيبتيه ، وأنه لما مات ابن سحمان كان مع الشيخ ابن باز بصيص من النور .. وابن سحمان والشيخ سعد ابن عتيق توفيا رحمهما الله عام ١٣٤٩هـ ، وسماحة الشيخ ابن باز لم يفقد بصره نهائياً إلاّ بُعيد ذلك بعام .

وعندما أبحر سماحة الشيخ في الفقه والعقيدة والتفسير والضروري من علم الآلة : رأى أن الفقه هو الغالب منذ أن مات العلامة الجهبذ الإمام عبد اللطيف الأزهري ابن الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ – رحم الله جميعهم ، فاتجه سماحته للحديث حفظاً ، وتفهماً للمعاني ، وإلماماً بما نقل من توثيق الرواة وتمريضهم ، وما قيل عن علل بعض الأحاديث ، وحفظ حال كثير من الرواة المجروحين ، كما حفظ كثيراً من علل الحديث .. وله تعقُّب مختصر لإمام أهل الحديث الشيخ ناصر الدين الألباني يدل على تمكن سماحة الشيخ ابن باز في الحديث وعلومه .

ولم يتجاوز – رحمه الله – العلم بالعقيدة على طريقة أهل

الحديث إلى التوسع في العقليات .. على أنني حضرت له – منذ عشر سنوات أو أكثر – درساً بعد صلاة الفجر في مسجد الإمام تركي في فتاوى شيخ الإسلام ابتدء بالعقائد والعقليات ، وكان المقرئ الدكتور عبد العزيز المشعل ، فكان سماحته يعلق على أشياء ، ويأمر بالتأشير على أشياء ، ويتجاوز أشياءً .. ولم أستمر في معاودة الدرس ، لأنني جئت الفجر مرة مبكراً ، وكنت سارحاً في التفكير فجلست في مكان المؤذن الشيخ عبد العزيز بن ماجد – رحمه الله – سهواً ، فلما جاء أقامني بنهر ، وقال : ليس هذا مقعداً لك ، فجلست وراءه في الصف الثاني ، وكان الدكتور المشعل ملاحظاً للحركة ، فأفسح لي ودعاني .. وبعدها تكاسلت وآثرت التتلمذ على كتب الأموات .

ولقد حُفظت – بالبناء للمجهول – دقائق سيرة الشيخ منذ نشأته إلى أن لقي ربه ، فما سجل الناس عليه زلة أو صبوة تشينه .. والناس شهود الله في أرضه ، وأجمعت القلوب على محبته حتى كان يعرف المنافق والمداهن من مجرد الوقوع في الشيخ .

والشيخ حنبلي في أصول الفقه لا أعرف له اجتهاداً يخالف الأصول عند الحنابلة ، وهو حنبلي في الفقه بالجملة ، ولكنه يجتهد في دائرة أصول أحمد على طريقة أهل الحديث ، ويطلب الدليل ، ولهذا خالف الحنابلة في مسائل يسيرة كزكاة الحلي ، وبعض صور الطلاق البدعي ، ويستأنس بترجيحات شيخ الإسلام ابن تيمية .

أما في العقيدة فلا يخرج البتة عما نسب إلى الإمام أحمد - رحمه الله - سواء أكانت المسألة من الأمور القطعية الإجماعية أم من الأمور التي خالف فيها بعض السلف ، أو توقف فيها بعضهم .. ولما نشر الشيخ العلامة الورع حمود التويجري كتابه عن خلق آدم على صورة الرحمان ، وقدم له سماحته مؤيداً : شق ذلك عليَّ وحررت ثلاثاً وثلاثين صفحة على بطلان هذا القول ، وتأذيت كذلك من تعليقات معاصر على كتاب التوحيد للإمام ابن خزيمة - رحمه الله - حول هذه المسألة يرد عليه ، وأقمت البراهين على أن الله خلق آدم على صورته التي كان عليها في الجنة قبل أن يهبط إلى الأرض ، وأن الرسول ﷺ بين شيئاً من لوازم هذه الصورة لا يجوز حمله على غير آدم ، ولا يجوز إضافته الى الله ، ولا يجوز التفريق بين الضمائر المتوالية بغير دليل من لغة العرب أولاً ، ثم من مراد الشرع ، وذلك قوله ﷺ : طوله ستون ذراعاً .. وأطلت الجدل مع سماحته - وهو لا يحب الجدل والتشقيق الفلسفي - فانتهرني ، وقال : سبح سبح .. ومع هذا أخذ أوراقي ودرست من اللجنة ، فأيدت كتاب الشيخ حمود ، ولكنها رأت تداوله بين خاصة العلماء ، ولا يُتاح تداوله بين العامة .

وذات ليلة رأيت الكتاب يوزع في ونيت شرقي مسجد سلطانة بعد صلاة التراويح ، فصورت بحثي من مئات النسخ ، وأخذ الشباب في توزيعها .

ولقد بلي الشيخ بمتدينين متطرفين زببوا قبل أن يحصرموا ،

وأظهروا التعسير والتحسير بدعوى الاجتهاد ، ولم يمر بهم من العمر والتجربة ما يُظهر علمهم وورعهم وتأهلهم للاجتهاد .. ويقرنون مع دعوى الاجتهاد الدعوى بأنهم على مذهب الشيخ .. وكذبوا في ذلك ، وإنما حملوا تورعه لنفسه على أنه يوجب ذلك على الناس .

وبلي – رحمه الله – بآخرين من ذوي الدخول التاريخية والفكر السياسي باسم الاسلام ، فاتهموا سماحته بالمداهنة ومصانعة ولاة الأمر وكذبوا في ذلك أيضاً ، وإنما كان مقياس المصارحة عندهم : أن تلعلع المنابر بثلب المسؤولين ، والتشهير بالحق والباطل ، وجحد الإيجابيات ، وتضخيم السلبيات – التي هي معادلة بين المصالح والمفاسد ، وأن يكون الداعية خطيب فتنة .. وكرم الله سماحة الشيخ عن ظنون هؤلاء ، فكان – رحمه الله – في منتهى المصارحة لولاة الأمور من ملوك ، وأمراء ووزراء .. لا يداهن ، ولا يمجمج بالنصح ، ويخاطب القلب ، فيجتذب المسؤول ترغيباً وترهيباً بنصوص الشرع ، ويذكي حماسه بتاريخ الدعوة المجيد التي احتضنها آل سعود ، ونصروها ، وجاهدوا من أجلها ، وسعوا في محو الجهل والأمية بمقتضاها .. يتصل برجاله مكاتبةً ، ومهاتفةً ، ويلح ويبالغ .. وكل هذا في السر ويكون شبه سر حين لا يعلم قيامه بالحسبة إلاّ من يمر عليه الإجراء من الموظفين .. وأما في العلن فكان يدعو للدولة ، ويدعو إليها ، ويبتهل ويتهدج إذا حذَّر من الفتن .. وقد نُقل إجهاشه بالبكاء وهو يدرس في المعهد العالي خائفاً من الفتن ، ومرة في مسجد الإمام تركي الجامع الكبير .. وكان – رحمه الله – بورعه

وبصيرته أن هذه الدولة مهما كان النقص والنقد - دولة حق ورحمة وسنة في هذا العصر الممزق ، وهي دولة السلف وترجيح المصالح .

ومن صراحته في ذات الله أن أحد العوام الجهلة ذبح الذبائح عند عجلات سيارة الملك سعود - رحمه الله - بالصفا ابتهاجاً بقدومه ، فقام الشيخ ابن باز يدور والدمع يخنقه ، ويصيح بأعلى صوته : إنها حرام حرام لايجوز أكلها .. ولما علم الملك سعود - رحمه الله - بفعل الجاهل غضب ، وأظنها نقلت لحديقة الحيوانات ، وشكر للشيخ موقفه .

وكما كان الشيخ محبوباً لدى الرعية : فقد كان محبوباً معززاً مكرماً لدى الدولة ، لعلمها بصدقه ، ومحبته لمصلحة الأمة راعياً ومرعياً وقد تكبد خادم الحرمين الشريفين العناء لحضور جنازته يحف به آل سعود والمسؤولون والمشايخ ، والحزن في قسماتهم حقيقة لا تصنعاً ، لأنني سبق لي أن قرأت هذا الحزن في قسمات صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز ، وسمعت نبرته .. وفقد مثل ابن باز أكبر مصيبة على دولة سلفية .

وكان - رحمه الله - شجى في حلوق المبتدعين ، ولم يتفرغ للتأليف - سوى كتيبات تمس إليها الحاجة - ، وإنما بث علمه بالتدريس والوعظ وحلقات القراءة والفتوى والردود على المخالفين والرسائل .. وعند الناس من رسائله التي لم تصدر بأرقام رسمية مئات .. وبصماته العلمية - رحمه الله - ظاهرة في أعمال هيئة كبار العلماء ، واللجنة

الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، ومجالس رابطة العالم الإسلامي ، ورئاسة المجمع الفقهي .. الى غير ذلك من المؤسسات وفي دروسه الرسمية في الجامعة والكليتين ومعهد القضاء العالي ، وفي تقديمه وتعليقه على بعض الكتب ولا سيما معظم أجزاء فتح الباري .

وكان – رحمه الله – يلاين الناس ويداريهم لمصلحتهم ، والحرص على هدايتهم .. وإذا لم تنفع الملاينة استعمل نفوذه ، فعندما ألّف أحمد عبد الغفور عطار – عفا الله عنه – كتابه « ويلك آمن » ، وكان تهجماً على الشيخ الألباني بتهويش صحفي دون تحقيق علمي راسله ولاطفه ، ثم استدعاه ، وحاوره باللين ، ودعا له .. فلما رأى الإصرار والعناد وعدم الدفع بحجة أحرق ما وصل إلى المملكة من الكتاب ، ومنع ما لم يصل .

وكان ذا عقل راجح ، وكنت ألّفت كتاباً أثبت فيه رجوع الصنعاني عن مدحه للإمام محمد بن عبد الوهاب .. وليس ذلك رجوعاً عن دعوة السلف ، ولكنه صدّق أكاذيب بلغته من مربد التميمي والوهيبي كلها كذب على الشيخ .. وأثبت أن الشنائع التي رد عليها ابن سحمان ليست من كلام الصنعاني ، بل من وضع حفيد له غير سلفي .. وأجزت الكتاب من رقابة المطبوعات بالمدينة المنورة ، ودفعتُ به لمطابع بالمدينة ، فلما بلغ الشيخ خبر الكتاب اتصل بي الدكتور محمد بن سعد الشويعر يطلب الكتاب ، ثم بلّغني أن لا أطبعه ، فامتثلت وسحبت الملازم ، ثم استطلعت رأي سماحته بعد

ذلك عن سبب المنع ، فقال – رحمه الله – : إن عامة الناس لن يفهموا حقيقة مقاصدكم ، وسيُحدث تشويشاً على الدعوة ورجالها ، ثم أسهب في بيان الحق الواجب للإمام محمد وذريته وأحفاده ، وأنه ليس في نتيجة تحقيقي ثمرة كبرى فحمدت لسماحته هذا العقل الراجح ، وتوقفت عن إهداء الصور الخطية من الكتاب ، وعلمت أن الارتباط مع آل الشيخ – عقلاً ، ووجداناً – ارتباط بهذه الدعوة المباركة .

وكان – رحمه الله – عظيم التوكل على الله .. عظيم الاحتساب أبى إجراء عملية لعينيه ، لأن الأطباء أشعروه بقابليتها لإزالة بعض الماء ؛ فأبى امتثالاً للحديث المخبر بعظم الأجر لمن فقد إحدى حبيبتيه .. ولما أصيب في حلقه استمات خادم الحرمين الشريفين في إقناعه بالسفر على حسابه إلى أمريكا ، فأبى غاية الإباء على الرغم من الإلحاح الشديد من قبل الملك فهد أيده الله .

قال أبو عبد الرحمن : منذ عام ١٣٧٥هـ كنت أحضر مع الوالد دروسه في الجامع الكبير إذا جئنا في زيارة للرياض ، وكان جمهور الحضور آنذاك من العوام وأنصاف المتعلمين ، وكانت دروسه في الفرائض وكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب أو إلقاء الدروس الوعظية وكنا نلتذ بتلاوته في الصلاة الجهرية ولا سيما إن كان قدومنا في أيام رمضان المبارك ، فنصلي معه التراويح .. ثم لازمت دروسه عندما انتقلت للرياض من عام ٨٢ إلى ١٣٨٨هـ ، ثم استجدت لي أحوال ، فهجرت دروسه لا جفاء منه ، ولكن وحشة مني فإن زرته لماماً أكثر

العتاب والدعاء معاً ، وقد فصَّلت ذلك في التباريح ، وفي كتابي تحرير بعض المسائل على مذهب الأصحاب .

وقد أبلغني فضيلة الشيخ محمد العبودي – بدون سعي مني – أنه حاول مع سماحته أن أكون كاتباً عنده ، فلم يستجب ، واكتفى بالدعاء لي بالهداية .

ولما التحقت بالمعهد العالي للقضاء كنت ذا هيئة غير هيئة الطلبة : ألبس العقال ، وأتحيف اللحية ، وألبس الكبك ، والسختيان ،واللباس الأنيق ، وأعبث بالسبحة .. وكان أهل الخير يوصلون كل ذلك لسماحته فلا يرد عليهم بغير الدعاء لي بالهداية .

وفي الأسئلة التحريرية النهائية كانت أجوبتي مخزية في مادة الحديث التي يدرسها ، وكنت أغطي جهلي بالتقعر والتفلسف ، ونجحت في المادة نجاحاً على غير ما ينبغي .. وعلم من أهل الخير أن تلك أجوبتي ، فاشتد فيما بعد حزنه وتقريعه .. ولم يرتح إليَّ إلاَّ منذ عام ١٤٠٦هـ تقريباً عندما أقلعت عن خزعبلات الفن ، وأذن لي بخطاب رسمي بتدريس صحيح البخاري في مسجد سلطانة ، وإنما أراد – رحمه الله – جَرِّي إلى الحديث وعلومه ، واشترط البعد عن الظاهرية وقال لي : إنه قرأ في المحلى أول ما نشر ، ثم هجره لما فيه من حدة وعنف .

ومن الشباب أهل الخير – وأعرفه باسمه ورسمه – من بلَّغه أنني

كـتـبت على باب منزلي « دارة ابن حـزم » وعلى الآخـر « دارة داوود » ، فقال: يقال : إنك كتبت كذا وكذا ؟ .

فقلت : نعم .. أنا ظاهري بأصول فكرية ولغوية ، وهذان من أئمة المسلمين .. ولا يعني ذلك أنني تابع لابن حـزم في أغـلاطه الفـقـهـيـة والعـقـدية ، فـسـر – رحـمه الله – بذلك ، وحـذرني من مـزالق ابن حـزم وعلماء الكلام ، وأوصاني بكتب شيخ الإسلام ابن تيـمية وتلميذه ابن قيم الجوزيه .

قال أبو عبد الرحمن : ولـم أفلح في هذا الدرس ، لأنني كنت بين طلاب حـفـاظ أعلم مني بهـذا الفن من جهـة ، ولا يصل معظمـهـم إلى غور شرحي من جهة ، والله المستعان . (جريدة الجزيرة ، العدد : ٩٧٣٠)

كوكب غار ضوؤه

بقلم الشيخ الأديب : عبدالله بن محمد بن خميس

الآن يستريح المجاهد !! الآن يلقي الشيخ عصا الترحال الطويل ، الآن تنقضي رحلة طويلة من الجهد والجهاد والمثابرة الدؤوبة فيما ينفع العباد في دينهم ودنياهم .

وبالأمس القريب نعى الناعي الشيخ الجليل ، بالأمس فقط عادت مسيرة الوداع المليونية وقد وارت الثرى جثمان الشيخ الطاهر ، عادت ضارعة رافعة أكفها بالدعاء الطويل للشيخ بالرحمة والمغفرة ، وقد غفر الله للخطائين التوابين ، فكيف بالشيخ الجليل وقد رفعت أكف جميع أهل هذه البلاد الطيبة المباركة في نهار يوم فيه ساعة لايواتيها عبد وهو قائم يصلي ويدعو الله إلا واستجاب له الله ، كيف بالشيخ وقد صلى عليه الملوك والأمراء والشيوخ والعلماء وعامة الشعب من تلامذته ومحبيه ومستمعي فتاواه وقارئي كتبه ، كيف بالشيخ ومازال لسانه رطبا بذكر الله وقلبه مفعم بحب الله وخشية الله ، كيف بالشيخ وقته زاخر بعبادة الله وتفسير كتاب الله وتعليم شريعة الله ، كيف بالشيخ ولم يزل رنين هاتفه لاينقطع محدثاً للعباد ومفتيا في قضاياهم وناصحا

وهاديا لضالهم .

وما أحسب أن هذه التقنية الحديثة حملت في أسلاكها حديثا في الله مثلما حمله هاتف ابن باز .

الناس يضنون بأرقام هواتفهم الشخصية حتى على الأصدقاء ، ولكن هواتف الشيخ ورفاقه لم تكن شخصية بل كانت جماهيرية ! وهكذا تكون الأثرة ونكران الذات .

لم يكن وقت الشيخ ولاجهد الشيخ ملكا لنفسه .. كان ابا حانيا على كل ابن ضال ، يتعهده بالنصح والارشاد حكمة وموعظة حسنة كان أخا صادقا صدوقا لكل باحث عن الأخوة في الله ، وكان شيخا أمينا لكل باحث عن الحقيقة وكان معلما للجميع .

كان الشيخ عالما نادرا في جيله وفي زمانه ، نهل من بحور العلم يافع .. وقد حرم نعمة البصر في صباه ، ومنح نعمة البصيرة النافذة ، هو كما قال الشاعر :

هيهات أن يأتي الزمان بمثله
إن الزمان بمثله لبخيل

وكان الشيخ حكيما .. ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً .. كان حكيما في فتاواه .. حكيما في تناوله لأخطر قضايا الأمة .. حكيما حليما في الرد على سفهاء الأمة وما أكثرهم .. يأخذهم باللين

في مكان اللين وبالشدة في مكان الشدة .

وكان الشيخ جريئا .. كان جرئياً في الحق .. ما أن تحل بالأمة نائبة أو يدلهم بها خطب ، إلا وتساءل الجميع .. ماذا يقول الشيخ ؟

كان الشيخ لسان الأمة الصادح بالحق وفؤادها النابض بالتقوى .. كان رأيها الصادق الأمين .. يصدر الفتوى جريئة قوية صادحة بالحق ، فتطفئ لهيب الباحثين عن الحقيقة ، وتوغر صدور الحاقدين .. ولم يكن الشيخ يأبه .. كان جرئياً في الحق .. لم تكن تأخذه فيه لومة لائم ولاعتاب جاهل ولاتقول زنيم .. كانت فتاواه ومازالت تحدث خلافاً ويدور حولها جدل واسع .. كانت الدنيا تقوم ولاتقعد .. وهو ثابت كالجبل .. هادئ كالبحر .. شامخ كالطود .. لاتهزه ردود الأفعال ولا تثنيه عن كلمة الحق الأهوال .

وكان الشيخ كريماً .. كان جوادا معطاء ، ينفق إنفاق من لايخشى الفقر .. أقبلت عليه الدنيا فأعرض عنها ومنحها للغير .. وما أكثر مالجأ اليه المحتاجون وطرقوا بابه .. كان بابه مفتوحا .. يلجه الجميع في أي وقت يستقبلهم ببشاشته المعهودة ويقضي حوائجهم ما استطاع .. كان لايرد أحدا أبداً ، إن استطاع قضى حاجته وإلا فإن كتابه للمسؤولين كان أضعف الايمان .. ولم تكن قياداتنا الملهمة الرشيدة ترد كتابا لابن باز .. كانوا يعلمون أنه ماكتبه لدنيا يصيبها ولا لجاه يبتغيه ولا لنفع يرتجيه .. كان وجه الله هو غايته في دنياه .. وكان وجه الله هو مراده في آخرته

في آخرته .. ولانحسب الا ان الله قد بلغه مراده ، فهنيئا لك أيها الشيخ بلقاء رب تحبه ، ونحسبه يحبك .

وكان الشيخ ودودا .. يلقاك هاشا باشا .. في حديثه ألفة .. في ابتسامته مودة .. وفي ضحكته الخفيفة أدب وذوق ، فهل فارقتنا تلك الابتسامة الودود والوجه الطليق والصوت العميق الذي يتسرب بهدوء . وقوة في أعماق ووجدان وعقول سامعية فيفعل فيها فعل السحر ؟

كان في حديث الشيخ لسامعية ود وألفة تحسبه صديقا قديما .. ينادمك الفقه والتوحيد والعبادات .

وكان الشيخ ناصحاً أمينا .. كان خير بطانة لخير قيادة .. التقى النصح بالعدل والعلم بالعمل فكانت خير زيادة لخير أمة اخرجت للناس حكما وعلما .. يقول الشيخ فتسمع له الأمة من أقصاها إلى أقصاها .. يقول الشيخ وقوله الحق .. فيقطع قول كل خطيب .. كان منار فخر لبلادنا ومصدر اعتزاز لأمتنا .. أعان الله خلفه .

وكان الشيخ موحدا .. بل كان إمام الموحدين في عصره .. حمل راية التوحيد بامانة وصدق وقوة في عالم اسلامي يضطرم بنار الفتنة والخلافات ويشتعل بفتيل الفرقة والشتات وتعشش في ارجائه البدع والخرافات .. فحمل الشيخ ورفاقه بمعونة مباركة من قيادتنا الرشيدة هذه المسؤولية بأمانة وحكمة ، وظللنا زمانا وما زلنا أكثر البلدان استقرارا في تطبيق شرع الله الحنيف وتثبيت دعائمه على هدي من

كتاب الله المبين وسنة نبيه الأمين .. وكنا ومازلنا مصدر اشعاع ونور هداية للأمة .. فجزى الله الشيخ ورفاقه عنا خير الجزاء .

وكان الشيخ ممن اراد الله بهم خيرا ففقهه في الدين ، وكان ممن أحبهم الله فحبب فيه خلقه .. كانت حياته كلها صدقة جارية من البر والاحسان للمحتاجين ، والنصح والهداية للضالين ، والعلم والفقه للباحثين عن الحقيقة .

فدارت المطابع كأن لم تدر من قبل بمطبوعات بن باز ، ورن الهاتف كأن لم يرن من قبل بحديث بن باز ، وكتب الصحفيون والاعلاميون كأن لم يكتبوا من قبل آراء بن باز وصدح المذياع والتلفاز كأن لم يصدحا من قبل بأحاديث بن باز فهل من صدقة جارية أكثر من هذه؟

ثم أختاره الله إلى جواره .. فصلى عليه وشيعه أكثر من مليون مصل ومشيع في الحرم المكي وحده ، وعدة ملايين اخرى في أرجاء المملكة نهار الجمعة المباركة ، وأخرون من محبيه وتلامذته في معظم الأقطار العربية والإسلامية .. فأنعم بها من حياة .. وأنعم به من ختام كان الشيخ من زمرة من قال فيهم الشافعي :

إن لله عبادا فطنا
طلقوا الدنيا وعافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا
أنها ليست لحي وطنا

جعلوها لُجة واتخذوا
صالح الأعمال فيها سفنا

فاللهم لاتفتنا بعده ولاتحرمنا أجره ، وامنحنا اللهم بعد رحيله صبرا .. كما نفعت المسلمين بحياته حكمة وعلما وموعظة حسنة .. وأعن اللهم خلفه كما أعنته و« إنا لله وإنا إليه راجعون » .

وذهب الشيخ إلى ربه الذي وحده وأحبه

بقلم : زين العابدين الركابي

تبارك الذي جعل شهادة أولي العلم برهانا على وجوده ووحدانيته : ﴿ **شهد الله انه لا إله إلا هو والملائكة وأولو ا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم** ﴾ .

وتبارك الذي جعل العلماء ، خبراء به جل ثناؤه ، بأسمائه وصفاته وندب الناس ليسألوا هؤلاء العلماء الخبراء بالله : ﴿ **الذي خلق السموات والأرض ومابينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فأسأل به خبيراً** ﴾ .

وتبارك الذي جعل صدور الذين أتوا العلم ، وعاء حافظاً لآيات كتابه المجيد : ﴿ **بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم** ﴾ .. تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ .. فمن حفظ القرآن : حفظه في الصدور ، وهو الأصل .

وإنا لنشهد أن سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز - رحمه الله - كان من أولي العلم الراسخين ، الدالين على وجود الله ووحدانيته الذين امتلأت صدورهم بأشرف العلوم ، وفي مقدمتها :

كتاب الله العزيز .

لقد نعت القيادة السعودية - بأسى يشعر بعظم الفقد - إلى الشعب السعودي المحزون ، وإلى الأمة الإسلامية المكلومة ، نعت العلامة الكبير المجتهد ، الشيخ عبدالعزيز بن باز ، مفتي المملكة ورئيس هيئة كبار علمائها .

ومن ينعى من العلماء إن لم ينع هذا العالم الجهبذ النحرير ؟

قد يكون العالم ضليعاً في فن واحد من فنون العلم ، وقد يكون له نصيب من علوم أخرى ، لايرسخ فيها رسوخه في علمه الأساسي . أما العلامة ابن باز ، فقد كان راسخاً في علوم الشريعة كافة ، كان راسخاً في القرآن وعلومه ، مستبحراً في التفسير ، وكان راسخاً في السنة ، فهو ممن يرفع به الخلاف في علوم الحديث : الأسانيد ، وشروط الرواة ، والجرح والتعديل ، ومراتب الحديث .. الخ . وقد يكون المرء عالماً بهذا الفن ، ولكن ينقصه (فقه الحديث) . أما فقيدنا الكبير ، فقد كان فقيها في السنة المطهرة . وكان دائم الاستذكار - مثلاً - لـ (فتح الباري) للامام ابن حجر ، وهو إمام في فقه الحديث .

وكان فقيها متمكناً راسخاً في الفقه كله : أصوله وفروعه . وكان مفتيا غزير العلم ، متنوع الفتيا حاضر الذهن ، خصيب العطاء وكان أميناً ورعا في فتواه .

وكان لغوياً متضلعاً : في النحو والصرف ، وفي فقه اللغة .. الخ .

ذلك أن الشيخ كان يعلم : أن لغة العرب هي مفاتح الكتاب والسنة ، وأداة فهمهما فالقرآن عربي اللسان ، والرسول ﷺ عربي ينطق بالعربية .

وكان داعية عظيماً يحيا للدعوة وبالدعوة في حركته وسكنته ، في غدوه ورواحه .. كان يعز عليه أن تضيع الدقائق التي يقضيها في السيارة ، أو الساعة التي يمضيها في دعوة غداء أو عشاء ، أن يضيع شيء من هذا الوقت دون علم ودعوة .

ولذا كان يرغب إلى قارئه في السيارة ، أو في هذا البيت أو ذاك ليقرأ من هذا الكتاب أو ذاك ، قراءة يعلق عليها الشيخ بما يفيد الناس علما ، ويدعوهم إلى تجديد إيمانهم بالله .

وكان دوماً متحلياً بـ (خلق) العلماء الكبار ، كان دوماً متواضعاً ، سمحاً ، رفيقا ، رحيما ، عف اللسان ، مرهف الأحساس بالناس واحوالهم قبل وفاته بيومين تحدثت معه بالهاتف ، أطمئن على صحته وعلى عجل ابتدر السؤال عن الأهل والاولاد . رحمه الله ، ونور قبره بنوره الذي أشرقت له السموات والأرض .

مكانة العلماء :

وإذا كان من حسن الخطاب ، تنزيل الكلم في الوقت المناسب فإن هذه مناسبة مواتية لاجتلاء مكانة العلماء في الإسلام ، وعند المسلمين .

أن الإسلام علم كله :

أ - **﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾** .

ب - ﴿ **لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه** ﴾ .

ج - ﴿ **ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم** ﴾ .

وهذا العلم ، إنما يعلمه العلماء .

أ - ﴿ **أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الألباب** ﴾ .

ب - ﴿ **والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ومايذكر إلا أولوا الألباب** ﴾ .

ومن هنا ، لهذا السبب كانت مكانة العلماء عظيمة .

١ - عند الله : ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير** ﴾ وهذه المكانة الرفيعة تكون في الدنيا والآخرة .. ولنقرأ في (فتح الباري) هذا التفسير لهذه الآية : « يرفع الله المؤمن العالم على المؤمن غير العالم . ورفعة الدرجات تدل على الفضل ، إذ المراد به كثرة الثواب ، وبها ترتفع الدرجات ورفعتها تشمل المعنوية في الدنيا بعلو المنزلة وحسن الصيت ، والحصية في الآخرة بعلو المنزلة في الجنة .. وقال عمر : « أما أن نبيكم قد قال إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين » . وعن زيد بن أسلم في قوله تعالى : ﴿ **نرفع درجات من نشاء** ﴾ قال : بالعلم » .

٢ – وعند المسلمين .. يقول الشيخ موفق الدين ابن قدامة – في مقدمة المغني ، وهو يعدد محامد الله تباركت أسماؤه : « أتقن ما صنع وأحكمه ، وأحصى كل شيء وعلمه ، وخلق الإنسان وعلمه ورفع قدر العلم وعظمه ، وخص به حين خلقه من كرمه . وحض عبادة المؤمنين على النفير للتفقه في الدين ، فقال تعالى وهو أصدق القائلين : ﴿ **فلولا نفر من كل فرقه منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون** ﴾ وندبهم إلى إنذار بريته ، كما ندب إلى ذلك أهل رسالته ، ومنحهم ميراث أهل نبوته، ورضيهم للقيام بحجته ، والنيابة عنه في الإخبار بشريعته ، واختصهم بين عباده بخشيته ، فقال تعالى : ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾ . ثم أمر سائر الناس بسؤالهم والرجوع إلى أقوالهم .. ان الله برحمته وطوله وقوته وحوله ، ضمن بقاء طائفة من هذه الأمة على الحق لايضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك . وجعل هذه الأمة مع علمائها ، كالأمم الخالية مع أنبيائها . وأظهر في كل طبقة من فقهائها أئمة يقتدى بها ، وينتهى إلى رأيها، وجعل في سلف هذه الأمة أئمة من الأعلام مهد بهم قواعد الإسلام ، وأوضح بهم مشكلات الأحكام . اتفاقهم حجة قاطعة ، واختلافهم رحمة واسعة . تحيا القلوب بأخبارهم ، وتحصل السعادة باقتفاء آثارهم » .

هذا شرف رفيع بحق .. وتنبثق من هذا الشرف الرفيع مسؤولية

تناهت في الثقل : ﴿ **إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً** ﴾ .. وتناهت في العظمة : ﴿ **ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم** ﴾ . . ومن أساسيات هذه المسؤولية : تعليم التوحيد الخالص .. ونشر العلم الصحيح . والدعوة إلى الله بعلم وحكمة ورفق والفتيا التي تنزل هدى الله على واقع الناس وتوجيه الأمة ولاسيما الشباب - بالمنهج السديد والدفاع عن الإسلام - عقيدة وشريعة .. والتزام المنهج الوسط في كل شيء : المنهج العاصم من الغلو والتفريط . والتعاون مع ولاة الأمر على ذلك كله .

وليذكر العلماء : أن الشيخ ابن باز كان ينهض بذلك كله في سماحة ، وجد ومثابرة ، وتقى .

المجتمع الذي تعظم فيه مكانة العلماء :

وإنما تعظم مكانة العلماء - بوجه خاص - في المجتمع الذي تحكمه شريعة الإسلام ، وفي الدولة التي توحد الله ، وتأخذ نفسها بمنهجه سبحانه .

ويطول بنا السياق إذا استعرضنا صوراً عديدة من تاريخ المسلمين في هذا المجال . ولذا فحسبنا أن نضرب مثلاً بمكانة العلماء في المجتمع السعودي ، وفي الدولة السعودية : المملكة وما قبلها .

منذ البدء ، احتفى الإمام محمد بن سعود (مؤسس الدولة السعودية الأولى) بالداعية المجدد : الشيخ محمد بن عبدالوهاب -

رحمهما الله جميعها .احتفى به – هو وأبناؤه – وعرفوا له قدره ومكانته، وآزروه ونصروا الدعوة التي صدع بها في جزيرة العرب .

وبقي هذا الإجلال للعلماء ، سُنَّةً اطردت في الدولة السعودية في مراحلها المختلفة .. وحين نهض الملك عبدالعزيز – رحمه الله – نهضته الكبرى كرم العلماء ، وعرف لهم مكانتهم الرفيعة ، منذ بدأ وإلى أن أتم البنيان .

وتقدير مكانة العلماء ، ينبع من تعظيم الشريعة وتمكينها . فمن يعظم شريعة الإسلام ، ويمكن لها يعرف لحملتها قدرهم ومكانتهم .

ولاتزال هذه السنة الراشدة ماضيةً في المملكة ومن شاء دليلاً فليتأمل – مثلاً .

أ – في النظام الاساسي للحكم الذي أصل مكانة العلماء في المادة ٤٥ منه ، وهي المادة التي تقول مصدر الافتاء في المملكة العربية السعودية كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ويبين النظام ترتيب هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والافتاء واختصاصاتها » .

ب – في اجلال الشيخ ابن باز – حياً وميتاً .. أما وهو حي فالأمر معروفٌ مشهور ، وأما وهو ميت ، فقد نعته القيادة السعودية بحرارة ، واصطفت كلها ، تصلي عليه صلاة الميت في المسجد الحرام ، وأمرت أن تقام عليه صلاة الغائب في مساجد المملكة كافة لقد كان الشيخ عظيماً في حياته ، بالعلم ، والتقى ، وعمل

الصالحات . وكان عظيماً في مماته بهذا الحشد المسلم الضخم في الصلاة عليه : صلاة حضور ، وصلاة غياب .. روى الامام مسلم في صحيحة : أن النبي ﷺ قال : « ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً مسلماً لايشركون بالله شيئاً إلا شفعهم الله فيه » .

لقد ذهب الشيخ الجليل إلى ربه الذي وحّده ، وأحبه وعبده ، ودعا إلى عبادته وحده لاشريك له .

إن العين تدمع . والقلب يحزن . ولانقول إلا ما يرضي ربنا . وإنا لفراقك ياشيخنا لمحزونون .

ووجدت « ابن باز » في كافة أصقاع الأرض

بقلم : توفيق بن عبد العزيز السديري

* وكيل وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد المساعد للشئون الإسلامية *

من أصعب اللحظات على الإنسان أن يُنْعى اليه شخص عزيز عليه أثير على نفسه وكيف إذا ما اجتمع مع ذلك أن تكون محبة هذا الشخص وتقديره مكان إجماع السواد الأعظم من الناس .

لقد كان لنبأ وفاة سماحة والدنا وشيخنا العالم الزاهد العلامة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز وقع كبير على نفسي وأنا من هول الصدمة لا أكاد أصدق ما سمعت ، وأخذ شريط الذكريات يستعرض ما اختزنه عن هذا الرجل العظيم ، لقد عرفت سماحة الشيخ منذ الصغر حيث عرفته من خلال جدي رحمه الله ووالدي حفظه الله وبعض أقاربي حيث كانت تربطه بجدي وبعض أقاربي علاقة معرفة وصداقة ولازلت أذكر بعض المواقف التي جمعتني بسماحته ، هذه المواقف التي تؤكد على ريادة هذا الرجل وعلمه وفضله وزهده وإنسانيته وأذكر ذات مساء وكنت ابن ستة عشر عاماً تقريباً وكنا في مناسبة اجتماعية فاستأذنت من الشيخ وقرأت بين يديه حديث بدأ الإسلام غريبا »

وذكــرت بعض مــايدل عليــه هذا الحــديث وربطتــه بالواقع المعــاصــر للمسلمين فسُر الشيخ كثيراً بالرغم من حداثة سني وتقبل بصدر رحب ماقلت وعلق عليه تعليقاً لطيفاً مفيداً ولم يستنكف وهو العالم الكبير أن يلقي بين يديه فتى غر ليس له من التجربة والعلم مايؤهله لحضور مجلس الشيخ فضلا عن الكلام بين يديه بل إنه - رحمه الله - اغتبط بذلك ودعا لي وحثني على المواصلة في طلب العلم ، وكم من المواقف التي رأيتها أثناء حضوري لدروس سماحته ومحاضراته سواء في الجامع الكبير في الرياض أو في غيره مع طلبة العلم وغيرهم وتحمله رحمه الله الكثـيـر من العنت والأذى في سـبـيـل ذلك وهو لاينفك عن النصح والتوجيه والملاطفة والدعاء بالصلاح والهداية . . إن الشيخ ابن باز علم من أعلام هذا القرن ومن مجددية لقد سلك رحمه الله نهجا علميا مؤسسا على النهج الأصيل للدعوة السلفية المباركة التي أحياها الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب وإن أثر الشيخ ابن باز رحمه الله في نشر هذه الدعوة في أصقاع الأرض أثر كبير حتى إنك لاتصل إلى بلد من بلاد الدنيا إلا وتسمع ذكر الشيخ وعلمه وفضله وإن لمدرسة الشيخ أثر كبير في نشر السنة والاهتمام بحديث رسول الله ﷺ ولقد تأثر طلبة العلم المعاصرون والجامعات الإسلامية بنهج الشيخ ومدرسته في الاهتمام بتحقيق الآراء والفتاوى واعتماده على السنة الصحيحة المأثوره عن رسول الله ﷺ .

كما أن للشيخ فضلا كبيرا في صد كثير من الفتن التي عصفت

بهذه الأمة خلال حياته رحمه الله كما كان له يد طولى في توجيه شباب المسلمين الوجهة الشرعية السليمة والنأي بهم عن مزالق الغلو وانحراف الجماعات والأحزاب والفرق الضالة وقد كان دؤوبا على النصح والتوجيه وبيان المنهج الحق بكل ما أوتي من قوة وبكل ما استطاع من وسيلة وإذا نظرت إلى وقته رحمه الله وكيف أن الله سبحانه بارك فيه فإنك ترى العجب العجاب حيث يصرف وقته كله في سبيل الله كتابة وقراءة وسماعا وإجابة سائل في الطريق والمسجد وفي السيارة وعلى الهاتف وفي مكتبه ومنزله وفي جميع الأوقات .

إن الحديث عن الشيخ وفضله لايمكن أن يستوفى في مقال أو حتى في كتاب فالشيخ رحمه الله ظاهرة فريدة تستحق المزيد والعديد من الدراسات والبحوث ، ولكنها كلمة حَرَّى ، خرجت من قلب مكلوم بهذا المصاب الجلل والخطب الفادح وإلا فالحديث عن علم الشيخ وزهده وورعه وثباته في المحن والقبول الذي أعطاه الله له في الأرض وما واجهه من كيد أعداء الإسلام الذي لم يزده إلا ثباتا وقوة وصبراً ومصابرة ومرابطة وجهادا في سبيل الله ، إن الحديث عن ذلك كله يحتاج إلى وقت كبير وحسبي في هذه العجالة أن أشرت إلى جانب من ذلك .

رحم الله الشيخ وأسكنه فسيح جناته وأمطر عليه شآبيب رحمته وجزاه عن ماقدمه للإسلام والمسلمين خير الجزاء وخلف الأمة من بعده بالعلماء الصالحين المعلمين ونحن إذ نعزي أنفسنا في سماحة والدنا نقدم العزاء إلى إمام المسلمين خادم الحرمين الشريفين وولي عهده الأمين وسمو

النائب الثاني وإلى اسرة الشيخ المكلومة وإلى الأمة الإسلامية كافة وصدق الرسول ﷺ إذ يقول «إن الله لايقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ﴿ **إنا لله وإنا إليه راجعون** ﴾ .

بين عظم المصاب وحسن العزاء

بقلم الدكتور : محمد بن عبدالمحسن التركي
مدير مكتب وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة
والإرشاد للدراسات والبرامج

إنما يعظم المصاب بعظم المصيبة ، ولقد كانت المصيبة مفجعة والمصاب جللاً ، ولكن الذي يستعصم به كل مسلم هو الرضا عن الله – جل وعز – واحتساب ما أصابه عنده ، فإن لله ما أخذو له ما أعطى ، وكل شيء عنده بأجل مسمى ولولا أنه أمر حق ووعد صدق ، وأن آخرنا لاحق بأولنا ، لحزنا على أبي عبدالله حزناً غير هذا ولكن تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولانقول إلا ما يرضى ربنا جل وعلا لقد كانت الصدمة الأولى مذهلة أصمتت لها الألسنة والتاعت لها القلوب .

ثم كانت الإفاقة من الصدمة ، والرجوع إلى الواقع ليعايشك حقيقة المصاب وأبعاده ، وحرقته وأوجاعه .

١ – كان المصاب عظيماً لأن الشيخ – رحمه الله – كان الوعاء الذي جمع أنواع الفضائل ومآثر الخير وشوارد المعروف وخصال المروءة ،

في تكامل عجيب ، فلا تكاد تذكر خصلة من خصال الفضل ؛ إلا للشيخ فيها أوفر الحظ والنصيب ، ولا تأتي إلى الفضائل من وجه ، إلا أفضى بك إلى الشيخ ، فعلى كل باب من أبواب ا لخير مصيبة بالشيخ ، فيبكيه أهل العلم ، ويبكيه أهل الكرم ، ويبكيه أهل النسك ، ويبكيه أهل الزهد ، ويبكيه أهل المعروف ، ويبكيه ذوو الحاجات المعوزون ، وتبكيه الأرامل والأيتام ، فلكل من مصيبته مصاب .

٢ – عظم المصاب بالشيخ – رحمه الله – لأنه كان في حياته تجسيداً لدقائق السنن ، في سمته وهيئته ، وفي نسكه وعبادته ،وفي أخلاقه وشمائله ، وفي عمله ودعوته ، حتى تكاد تجزم أنه لاينطق إلا بسنة ، ولايصمت إلا بسنة ، ولايفعل إلابسنة ، ولايترك إلا بسنة ، لقد كانت حياته – رحمه الله – تطبيقاً عملياً لحديث رسول الله ﷺ وسنته ، فليس شيء من السنة عنده مهجور ، لقد كان دواوين السنة تمشي على الأرض .

٣ – عظم المصاب بالشيخ ، لأنه كان تجسيداً عملياً للمروءات ومكارم الأخلاق فكم يطربك أن تسمع أو تقرأ عن الحلم والكرم وصنائع المعروف ، ولكن أعظم من ذلك وأبلغ أن ترى هذه الفضائل متمثلة في شهم يحييها للناس ، فترى العيون مواقعها وصنائعها ، وهكذا كان الشيخ فإنه أقام سوق المروءات فرآها الناس عيانا بعد أن ظلوا زماناً يرددون : الجود يفقر والإقدام قتال .

٤ - عظم المصاب بالشيخ - رحمه الله - لأنه كان محل الاتفاق عند الكافة ، وملتقى طبقات المجتمع كلها على تنوعهاوتفاوتها ، فقد وسعهم جميعاً بعلمه وحلمه وحسن خلقه وطيب معشره ، وفضائله ومروءاته ، وواساهم بماله وجاهه ، ولذا رأينا فئات المجتمع كلها ترثيه الكبار والصغار ، والرجال والنساء الأمراء والوزراء العلماء والعامة ، الأدباء والمثقفون ، في إجماع يندر أن ينعقد مثله على شخص ، ولكنه فضل الله يؤتيه من يشاء فسبحان من وضع له القبول في الأرض : ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً**﴾ .

٥ - عظم المصاب بالشيخ ، لأنه شخصية لاتتكرر في كل الأمصار ، ولاتتوالى في كل الأعصار ، لأن تلك الفضائل تكون في العادة مفرقة بين الأخيار ، وهم قلة أما أن تجتمع في وعاء واحد فذلك لايوجد إلا قليلاً أو نادراً ، وقد كان الشيخ من هذا القليل النادر . لقد طوف كثيرون العالم الإسلامي والتقوا علماءه ورجالاته فلما التقوا الشيخ ، قالوا بفهم واحد : ما رأينا مثل ابن باز ، قالوا ذلك لا لأنهم لم يروا أعلم ، ولا أكرم ، ولا أحلم ولكن لأنهم لم يروا هذه الصفات اجتمعت ثم ائتلفت في شخص واحد ، إلا أن يكون سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز .

٦ - عظم المصاب بالشيخ - رحمه الله - لأنه كان عالماً متميزاً في علمه فقد جمع بين العلم الراسخ ، والفقه الدقيق ، والورع المتين ، وذلك

ماجعل فتياه محل الثقة والقبول في العالم كله .

لقد كان الفقيه الراسخ الذي يأخذ من النصوص مباشرة ، ويرجع إليها بلا واسطة ، فكانت حياته موصولة بسنة رسول الله ﷺ ودروسه عامرة بكتبها ، يؤلف بين نصوصها ومقاصد الشريعة ، فإذا حزبت معضلة ، أو نزلت نازلة فزع المستفتون إليه فأووا إلى ركن شديد .

٧ – عظم المصاب بالشيخ – رحمه الله – لأنه فقد رجل جبل على الخير ، فكانت مكارمه جبلة لاتكلفا ، وطبعاً لاتطبعا وهذا السر في استمراره ودأبه وتألقه فالمتكلف يكل ، والمتطبع يغلبه الطبع ، أما الشيخ فكانت المكارم جبليته وفعالها سجيته لايكل ولايمل ولا ينقطع .

لقد كان سروره بقضاء حاجة المحتاج أعظم من سرور صاحب الحاجة بانقضائها وكانت راحته ومتعته في نفع الناس بكل أوجه النفع : تعليماً وإعانة وشفاعة وقضاء حاجة ، وإغاثة لهفة ، هكذا كانت حياته ، بل هكذا كان في مرض وفاته ، لايؤنسه ولايريحه إلا هذه الفعال .

٨ – عظم المصاب بالشيخ ، لأنا كماأصبنا بعالم من أفذاذ العلماء قد أصبنا بكريم من أكرم الكرماء ، جمع الكرم من أطرافه ، فقد كان كريماً بعلمه وماله وجاهه ووقته وخلقه فجمع الكرم من أطرافه وبلغ

في غايته علياءها .

٩ – عظم المصاب بالشيخ – رحمه الله – فأصاب الناس كلهم ، وما زالوا إلى اليوم يتبادلون فيه العزاء ويعمرون بذكره المجالس ، وما ذاك إلا أن الجميع لازالوا يجدون ألم المصيبة ، وحرارة الفجيعة ، ولوعة الفراق ولايزال كل فرد في الأمة يعيش فجيعة اليتم بفقد ذلك الأب العظيم .

وبعد .. فلئن عظم المصاب في الشيخ ، فإن في الله – تعالى عزاء من كل مصيبة وخلفاً من كل فائت ، ودركاً من كل ذاهب ، وقد كان من لطف الله في قدره ما أعان على جميل الصبر وحسن العزاء .

١ – فمن حسن عزائنا في الشيخ مارأيناه من إطباق الأمة على الثناء عليه والدعاء له ، ومارأى المتأخرون أحداً أطبقت الناس عليه كإطباقها على الثناء على الشيخ والشهادة له بالخير ، وتلك عاجل بشرى المؤمن ، وقد قال رسول الله ﷺ في جنازة اثنى عليها خيراً : « أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة ، أنتم شهداء الله في أرضه » .

٢ – ومن حسن عزائنا في الشيخ أنه انقلب إلى ربه الذي عبده وأحبه وعظمه ودعا إليه ، فملأ قلوب الناس حباً لله وإجلالاً له ، فنحتسب أنه سيلاقي ربه بثمانين سنة من العمل الجاد لهذا الدين والجهاد في سبيله وتعلمه وتعليمه والدعوة إليه ، ونحتسب

أنه سيلاقي ربه بإخلاص صادق ومحبة عظيمة ، ونحتسب أنه سيلاقي ربه بأجور أناس كثيرين دلهم على الخير ، ودعاهم إلى الهدى .

٣ – ومن حسن العزاء في الشيخ أن الله حفظ عليه علمه ، وقواه ، فلقي ربه حاضر الذهن مجتمع العقل ، لم يذهب وعيه لشدة مرض ، ولم تفتر حدة ذهنه لكبر وأعاذه ربه أن يرد إلى أرذل العمر فمتعه بقوته ما أحياه فلله الحمد والمن والفضل .

٤ – ومن حسن العزاء في الشيخ أن علمه محفوظ في كتبه التي ألف ، وفتاويه التي أملي ، ودروسه التي سجلت بصوته ، وكل ذلك محفوظ ميسور ولم يكن شأنه شأن كثير من العلماء الذين أدرج علمهم في أكفانهم وانقطع بوفاتهم ، أماالشيخ فقد بقي بيننا بعلمه النافع الذي خلفه وتلاميذه الذين ربي .

٥ – ومن حسن العزاء في الشيخ أنه قرت عينه بهذه النهضة العلمية المباركة ، والتي كانت دروس الشيخ من مظاهرها، فبعد أن كان حضور دروسه في أواخر التسعينات أحادا أو عشرات صار في الأعوام المتأخرة مزدحماً بالمئات بل الألوف فالحمد لله الذي أرى الشيخ ما أقر عينه وأسعد قلبه .

٦ – ومن حسن العزاء في الشيخ ما رأيناه من عموم الفجيعه به ، حتى لف المجتمع بكل فئاته من قادته إلى كافة أفراده فلا ترى إلا مصاباً ،

ولا تسمع إلا داعياً ومثنياً ، ولئن كان ذلك تزكية للشيخ فهو تزكية للأمة ، وعلامة خيريتها وحياة مشاعرها، وحسن صلتها بعلمائها وأهل الخير فيها .

ثم بعد فإن الشيخ قدس الله روحه ، وبوأه من الجنة أعلى منازلها لم يكن معصوماً ، ولكنه كان مسدداً مهدياً ، أنار الله بصر بصيرته ، فهو يعبد الله على نور ويدعو إليه على بصيرة ، ويجتهد في إصابة الحق فيوفق له ، فرحم الله إمامنا رحمة واسعة ، وجمعنا به في دار كرامته مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

مصيبتنا في فقد علامة العصر

هشام بن صالح الزير
* قسم الدراسات الإسلامية جامعة أم القرى بالطائف *

الحمد لله وحده ، كل شئ هالك إلا وجهه ، والصلاة والسلام على نبينا محمد القائل « إذا أصاب أحدكم مصيبةً فليذكر مصيبته بي فإنها أعظم المصائب » . أما بعد :

فإن من أكبر المصائب وأعظم الفجائع تلاحق موت العلماء ، فلمثل هذا يحق للدمع أن يسيل ، وعذر فيه بالوجد الشديدوالعويل .

فبموت العلماء تكثر الآفات .. فيذهب معهم علم كثير ، وتفتح جبهات على المسلمين كانوا يردونها ، وتتكلم السنة بالباطل كانوا بالحق يخسرونها ، وتنتشر نيران فتن كانوا يطفئونها ، وتظهر شبهات تلبس على الناس دينهم كانوا يوهونها ويبطلونها .. ففي الحديث « موت العالم مصيبة لا تجبر ، وثلمة لا تسد ، وهو نجم طمس ، وموت قبيلة أيسر لي من موت عالم » أخرجه الطبراني في الكبير . أخرج أحمد والبزار من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « .. تكثر الفتن ويكثر الهرج ويرفع العلم » .. قال عمر – رضي الله عنه – : « أما إنه

ليس ينزع من صدور الرجال ، ولكن تذهب العلماء .

لقد أصيبت الأمة بوفاة شيخها ، وعلامة العصر وإمام أمته ، وقائد الدعاة الى الله فيه ، ناشر السنة ، وقامع البدعة ، العالم الرباني ، المحدث الفقيه الأصولي سماحة الشيخ / عبد العزيز بن عبد الله بن باز – رحمه الله – يوم الخميس ٢٧ / ١ / ١٤٢٠هـ ، لقد كان خبراً عز على الأمة مسمعه ، وأثر في القلب موقعه ، يهد الجبال الرواسي ، ويفلق الحجر القاسي ، كادت له القلوب تطير ، والعقول تطيش ، والنفوس تهيم . إن المصاب به فتت الأعضاء ، وفتت الأكباد ، رزء ملأ الصدور ارتياعا ، وقسم الألباب شعاعا ، وترك العقول مجروحة ، والدموع مسفوحة ، والقوى مهدودة ، لكن في الله عزاء من كل مصيبة ، وليس للمسلم إلا الصبر والرضا بقضاء المولى جل وعلا .

وعند الحديث عن الشيخ يرحمه الله ، يقف اللسان عاجزاً ، والفكر حائراً ، من أين البدء ؟ وفي ماذا سيكون الحديث ؟ إن الشيخ – رحمه الله – كان مثالاً في كل شئ عرف عنه ، زاهدا في حياته ، ورعا في تعاملاته . أخاذا بعلمه ودقة فهمه ، قدوة في كل فعاله وأقواله، سامياً في نياته ، عظيماً في تأملاته ، وبالجملة كان أنموذجاً رائعاً ، وتطبيقاً واقعاً لسنة المصطفى ﷺ . ليس القائل أنا فحسب ، لكن الأمة في هذا العصر أطبقت على صلاحه ، خط قلمي شجون محبتك ، وامتدت براعتي للحديث عن سيرتك ، وكم خشيت أن تخون العبارة ، ولا تحسن الإشارة ، فكم كتبت ، وكم نسخت واعدت .. وحذفت

واضفت ، واوجزت وأطنبت . لكن المحصلة للكل ، أن العبارات تعجز عن وصـفك ، والكلمـات لا تفي بذكـراك ، والأحـاسيس لا يمكن تجسيدها . . ولا في سيل من الكتب . . لكن من حضر وشاهد مشهد توديعك للدنيا في بيت الله الحرام فلابد أن يكتب .

حيث قدم الناس من الشرق والغرب من داخل البلاد وخارجها ، ممن يتكلم العربية ومن لا يحسنها ، العالم والعامي ، كلهم بقلب واحد حزين كسير مكلوم لا يجمعهم إلا حب الرجل الصالح ، العابد الزاهد ، الذي ملك قلوبهم ، وأسر نفوسهم ، بكرم علمه ، وعظيم حلمه ، وصدق نصحه ، وكريم سجاياه ، وعظيم شمائله ، له في كل خير أياد ، وفي كل بذل سخاء ، وفي كل بر عطاء ، اجتمعت قلوبهم لك بالمحبة في الله ولله ، وارتسمت على وجوههم علامات اليتم والحرمان . . العيون باكية ، والالسن مسترجعة ، ولك إلى أعلى الجنان داعية . . انتهى الإمام من صلاة الجمعة ، نادى المنادي : الصلاة على الشيخ . . لم يفق الجميع بعد من صدمة الفراق ، وان الشيخ فعلاً قد مات ، وأنه إلى ربه سيساق أصحيح ان الشيخ مات ؟ إن الخبر أصبح معاينة ، والمنادي ينادي :

الصلاة على الشيخ باسمه . . ومع إختلاف الأجناس واللهجات ارتفعت الأصوات بالبكاء والنحيب والعويل . . ، حتى لكأنها صغار فقدوا أباهم ، أو يتامى مات من يرعاهم . . لحظات مرت في المسجد الحرام ، لم يكن يخطر ببال الباكين أنهم سيبكون ، ولا الناحبين أنهم هكذا سيفعلون . إنها مشاعر يصعب تدوينها ، وأحاسيس يستحيل

تجسيدها . مع أن كثيراً منهم لم يحزنوا على آبائهم ولا أبنائهم كما رقت قلوبهم لفقدك ! .

إلى هذا الحد أحبك الخلق ! ما أجمل ما ربيت وعلمت . نور الله ضريحك أيها الشيخ .

إن ما زرعته فيهم بسيرتك العطرة وتعاملك الفذ وتفانيك في العلم والدعوة قد آتى ثماره ، فكلهم أحبك ، ولا إخاله إلا لله ، فقد كان تعاملك مع الجميع لله وفي الله .

كل واحد من هؤلاء يذكرك بأطيب الذكر ، فبذلكم السخي قد طاله .

أما طلاب العلم ومشايخه فأساهم عظيم ، وخطبهم شديد ، فقد فقدوا مرجع الأمة ، وإمام أهل السنة ، لقد كان الشيخ – رحمه الله – الموجه والمرشد ، والمعلم المربي لهم ؛ لما حباه الله – عز وجل – بالحفظ الغزير ، والفهم الصحيح ، والادب القوي القويم . إن الشيخ – رحمه الله – بالإضافة الى علمه الواسع بالعلوم الشرعية واللغوية كان إماماً في الحديث ، يستحضر أمهات كتب الحديث من ذاكرته بأسانيدها ، وهو مع هذا حاد الذهن ، شديد الفطنة ، لم يكن مقلداً ولا متعصباً ، وإنما منهجه منهج السلف الصالح ما صح الدليل فيه فالعمل عليه ، مع ما اشتهر به من سكينة ووقار وتواضع وزهد جعلت الناس يتوافدون عليه متى ما سمعوا بوجوده في أي مكان في المسجد أو في المكتب أو في

المنزل .. يسمع منهم بالرغم من كثرتهم وازدحامهم بإصغاء وانتباه شديدين ، فيجيبهم بما يقنعهم ، ويشفي صدورهم .

يأتيه سائل أرّقت ليليه حادثته ، فأسهدت عينه ، ولم يعرف لها حلاً ، فالكل من أهل العلم لحادثة هذا الرجل وقفوا ، حتى رأى محيا الشيخ عبد العزيز ، فاستبشر بالفَرَج ، فإذا بفتواه الملهمة ، المعتمدة على أصول الكتاب والسنة ، المذيلة بالدليل والحجة ، قد خرجت للملأ محجة ، تريح الفؤاد ، وترجع للذاهل الصواب .

من لهذه النوازل ؟ ومن لهذه الحوادث والفتاوى ؟ أفسح الله في قبرك أيها الشيخ .

لقد كان طلاب العلم يلجؤون إليه في المعضلات ، ويستنيرون برأيه في المدلهمات ، ويفزعون إليه في كل ما يرون مما يعكر على الناس صفوهم ، أو يفسد عليهم سلوكهم وخلقهم ، أو يلبس عليهم أمور دينهم ، فيجدون في الشيخ الدلالة بعد الحيرة ، والبيان بعد الغموض ، والعزيمة الصادقة ، والنصح الصائب ، والتوجيه والإرشاد ، والقوة في الحق ، والمسارعة الى العمل .

فأين مرجعهم ؟ ومن يوجههم ؟ وكيف الوصول لإمامهم ؟ تغمدك الله برحمته أيها الشيخ .

وهناك صنف آخر من الناس ضاقت في وجهه السبل ، وسدت في وجهه الطرق ، عصفت به عواصف الثبور ، وقواصف الدهور ، قد عاين

شدة متعبة ، وعانى أموراً مستعصية ، فما أن يعرض على الشيخ مشكلته ، ويبين له ملمته ، حتى سعى له الشيخ فيقشع عنه – بتوفيق الله – ضبابة محنته ، ويجلي عنه غمرة كربته ، فيخرج من عند الشيخ وكأنما أخرج من الضيق الى السعة ، ومن الانزعاج إلى الدعة .

والأمثلة في هذا كثيرة وغزيرة ، فكم شخص أقلقه الفقر ، وآخر أنهكه الدين ، وثالث يحتاج لعون في مؤسسة حكومية ، ورابع في عيادة طبية ، وآخر لقبول طالب ، وغيره في طلب وظيفة ونقل .. وشفاعته .. وكل ما يعتور الناس من حاجات في دنياهم .. والشيخ للجميع مستجيب .. اسألوا الامراء والوزراء ورؤساء الدوائر والوجهاء والأثرياء وكل من الناس عنده حاجة ، اسألوهم كم من شفاعة من الشيخ للناس وصلتهم ؟ وكم من خطابات منه – رحمه الله – لمنفعة الخلق بلغتهم ؟ وكم هاتفهم الشيخ لمساعدة الخلق ممن لا يعرفهم الا في وقت سؤالهم له ؟

والآن من لذوي الحاجات ؟ من يساعدهم في رفع الكربات ؟ ألا خلد الله أيها الشيخ في الجنان ذكرك ، وأعلى عنده قدرك .

وإذا جاءك طالب في حاجة أو مستلهما مشورة ، فما أن يدخل عليك الا تأخذه الدهشة ، ويمتلكه العجب ، لقد بهت لما رأى ، واستعظم ما شاهد ، فالشيخ الذي ذاع صيته ، وسارت الاقطار بأخباره يجلس في وسط الناس باختلاف أجناسهم ولغاتهم يسمع من ذاك

ويجيب ذاك ، يكلم كل واحد منهم على كثرتهم ، حتى كأنه لا يوجد في مجلس سوى ذلك السائل ، ومع كثرة الحضور يستقبل بين الفينة والأخرى مكالمات هاتفية وسيلا من المعاملات ، والكل ينشد رؤيته ، وسماع كلامه ، وحفظ جوابه ، والإنصات لفتواه ، يتأمل تصرفاته الشيخ وفعاله ، فيجد تطبيق السنة فيه واقعاً ، في حديثه مع الناس وتعامله ، فالزهد والتواضع ، والسكينة والوقار لا تفارق الشيخ أبدا ، لا يسمع منه إلا ما ينفع ، ولا يدور في مجلسه إلا الخير ، الناس على مائدته دوما مدعوون ، من جميع الفئات ، وشتى الطبقات ، وكلهم في مجلس الشيخ مستوون ، فمنزله مألف الأضياف ، ومأنس الناس ، شهد بهذا القاصي والداني ، يلحظ من يتأمل أفعال الشيخ ممارسته للسنة في كل فعاله ، في سفره وإقامته ، في تعامله وعبادته ، حتى في جلسة الاكل وطريقته ، فالشيخ كان يأكل بأصابعه الثلاثة ، ناصباً ظهره ، مقيماً رجله اليمنى ثانيها ، فارشاً رجله اليسرى على الأرض ، كما كان نبينا محمد ﷺ يفعل .

وإن كان في دعوة إلى مناسبة أو وليمة ، يأمر أحد الموجودين بقراءة القرآن ، ثم يقوم الشيخ بتفسير الآيات ويعقب ذلك بالدعوة الى الله والتذكير بالتقوى ، ثم يستقبل الشيخ أسئلة السائلين . وهكذا فيومه كله على هذه الحال ، درس وفتوى وسؤال عن حاجات الناس ، وتفقد لأحوال الأمة ، حتى ان تسجيل فتاواه – يرحمه الله – لبرنامج نور على الدرب لا يتم في أحايين كثيرة إلا قبيل نومه في الليل .

كل وقتك للأمة ، ياللك من صاحب همة ! وصدق القائل عنك : رجل من جيل الصحابة يعيش بيننا .

أما المسلمون في أصقاع الارض من موطن الإسلام ومهاجر المسلمين فمصابهم عظيم ، وخطبهم جلل فبالرغم من أنك لم تخرج من هذه البلاد حرسها الله إلا أنك كنت لهم قائد الدعوة ومهوى الافئدة فبمشورتك يستنيرون ، وعلى فتواك يعولون ، وعند الخصام برأيك يعملون ، فمن ينسى الدور الكبير الذي بذلته لما كنت في الجامعة الإسلامية ، اذ انتدبت باسم الجامعة المدرسين للتدريس في الجامعات والمدارس والمساجد في شتى انحاء العالم ، في الهند وأفريقية والشرق والغرب .. يعلمون الناس أمور دينهم الحق ، ويحصنوهم من التيارات الهدامة والفرق الضالة . فما ان يلاحظ الناس الخير الذي جاءهم حتى انهالت رسائل الشكر من علمائهم وعامتهم يشكرون الجامعة ان هداهم الله لدينه الحق على أيدي هؤلاء المدرسين ، ثم لم تزل تدعم المسلمين هناك بالدعاة وتزودهم بالمراجع ، وتحثهم وتوجههم وترشدهم ولا ينسى الناس ما كنت تناشد به من إقامة مراكز إسلامية في تلك الديار تكون منارات اسلامية ، تخرج الدعاة من أبنائها لتنشر الدين في البلاد التي حولها والحمد لله الذي اقر عينك بإفتتاح العديد منها على يد خادم الحرمين الشريفين حفظه الله .

لقد كانت قضايا المسلمين في الشرق والغرب هاجسك ، تسأل عنهم وتتابع أخبارهم ، وتناشدهم وتناشد لهم ، حتى إن الواحد

ليدهش من سعة اطلاعك على أخبارهم ، ومعرفتك بأوضاعهم .. ولأهمية ذلك لك فقل ان تخلو جلسة من المجالس التي ترأسها من الحديث عن أوضاع المسلمين والسعي لاصلاحها فمن ينسى الفتوى التي اصدرتموها في جواز إرسال الزكاة إلى المسلمين المحتاجين في الخارج ولا انسى ولن ينسى الناس ان الشيخ كان يسعى لهم حتى في أيامه الأخيرة ففي آخر جمعة صلاها في جامع العباس بالطائف وكان ذلك قبل وفاته بنحو عشرة أيام خطب الإمام عن أوضاع المسلمين في كوسوفا ومدى حاجتهم فما ان أنتهت الصلاة حتى وقف الشيخ امام الناس ، والقي موعظة حث فيها على التبرع للمسلمين هناك .. فلله درك عالم عامل ، وقدوة في الحق مناضل لم يؤخرك المرض عن الأمر بالخير .

وبعد رحيلك أيها الشيخ : من يهتم بهؤلاء المسلمين ؟ ومن يعايش قضاياهم ؟

وصدق القائل : الشيخ عبدالعزيز ليس ملكا لبلد أو شعب أو دولة انه ملك لجميع المسلمين .

أيها الشيخ : ومع كريم خلقك وعظيم حلمك ، كنت قويا في الحق ، لاتخاف فيه أحدا ، سيفا جلدا على المتجاوزين على حدود الله ، غيور على محارم الله ، تدافع عن حقوق المسلمين . فما سمعت ببدعة إلا سبقت الناس على حربها ولابظلم إلا أنكرته .

هل ينسى الناس أنك العالم الوحيد في العالم الإسلامي الذي

أرسل رسالة أنكر فيها على الطغاة قرار اعدام سيد قطب ؟ .

أولا يذكر الناس أنك استصدرت قرارا في رابطة العالم الإسلامي تدينون فيه أقوى دولة في العالم فرضوا طغيانهم الشيوعي بقوة العتاد والنار في جنوب اليمن ؟

أم هل يغفل الناس عما كتبته ونشرته من إنكار على كل من يريد مساس الاسلام بسوء ، أو يقول فيه بغير حق ، كائناً من كان ؟

أيها الشيخ : هاقد ترجلت عن صهوة جواد كلمة الحق فمن سيمتطيها ؟

أيها الشيخ : بكى الناس على فراقك مراراً ، عندماتركت مدينة الخرج ، ثم الرياض ثم المدينة ، بمشاهد كلها ألم ، وإحساس بالحرمان واليتم ، وكنت تسليهم بكلامك العذب ، ووعدك لهم بأنه – إن شاء الله – ليس آخر العهد ، مع عبرات تخنق كلامك فبقدر ماتزيد من بكائهم ، زادت مودتهم لك .

واليوم أيها الشيخ : من يسلينا عن فراقك ؟ ومن يعدنا بلقائك ؟ إنه المولى جل وعلا نسأله أن يلهمنا وذويك الصبر والثبات ، وأن يجمعنا بك في مستقر رحمته ، في جنة لافراق بعدها ، وأن يخلف الأمة بعدك بالخلف الصالح .

قدس الله ثراك ، وأكرم مأواك ، وتغمدك من عفوه بما يفوق آمال المؤملين ، ويوجب لك مرافقة الأنبياء والمرسلين ، إنه جواد كريم .

ابن باز حمل هموم الأمة دون كلل أو ملل

بقلم الدكتور: عبدالعزيز بن عبدالمحسن التركي

إن العلم والحلم والدعوة والصبر والبذل والسخاء وحب الإحسان إلى الناس ومراعاة مشاعرهم قل أن توجد في هذاالزمان إلا في القلائل من أهل العلم . وشيخنا ممن جمعوا بين هذه الفضائل وغيرها كثير .

إن سماحة الشيخ صاحب هم ، بل هموم عظيمة يخدم فيها دينه وأمته ، وصاحب الهموم يشغل وقته وجهده ولسانه وقلمه وجاهه لتحقيق همه والوصول إليه وهو نصرة الدين وإنكار المنكرات ونشر العقيدة السلفية التي جاء بها المصطفى ﷺ وعليها سلف أمتنا الأتقياء الأبرار .

فسماحة الشيخ – رحمة الله عليه – يحمل هموم الأمة ، ويحمل هم هذا الدين .

١ – فهو يسعى إلى إبلاغه ، ودعوة الناس إليه . لذلك فقد جعل وقته كله للعلم والدعوة إلى الله والعمل في سبيله والشيخ يعتبر نموذجاً في زمانه ،في حفظه للوقت وحرصه على العلم ، وصبره على الدعوة . فجميع مجالسه ذكر وتعليم ودعوة ، وحديث في أحوال

المسلمين ومشاركتهم في السراء والضراء .

٢ – وهو يحمل هم الدعوة إلى الله وإبرازأهميتها وفضلهاوأثرها على الناس جميعاً ، وأنها سبب لصلاح العباد وأمن البلاد وانتصار المسلمين والقضاء على أهل البدع والمشركين ، لذلك جند نفسه لهذا العمل وأرسل الدعاة على تكلفته الخاصة إلى دول كثيرة من العالم ، يدعو الناس للقيام بهذه الدعوة ودعمها بالمال والكتب للناس كل على حسب ماتيسر له .

٣ – ويحمل هم العلم وتبليغه للناس وتعليمه لهم . ولذلك نذر نفسه بل جعل مجلسه العام والخاص مجلس علم ودعوة ، ودروسه اليومية والأسبوعية مستمرة في حله وسفره ، فكلما جاء إلى بلد لم يشغله السفر ومتاعبه عن الجلوس إلى طلاب العلم ولعامة الناس يقرأ عليه في المجلس الواحد والدرس الواحد العديد من الكتب فتجد عنده عظيم الفهم وقوة التعليق وثاقب الحفظ . وامتاز الشيخ – رحمه الله – بذكاء حاد وحافظه قوية ؛ حفظ الكتب الستة كلها أوجلها وكذلك المسانيد ، وغيرها من كتب السنة يأخذ بالدليل ولايحيد عنه .

٤ – يحمل هم الفتوى فهو يعلم أنه مسؤول عما يقول في هذاالعلم وما يبلغه للناس ؛ فهو يستقبل الفتوى ليلاً ونهاراً سراً وجهاراً ، في مجلسه ومصلاه ، في سيره وركوبه . يتزاحم الناس عليه لأخذ

الفتوى ولم يسمع عنه أبداً تضجر ولاقلق ولاتذمر واعتذار . بل يقف أحياناً في الشمس حتى ينهي السائل سؤاله ويقضي حاجته تأتيه الفتاوى من جميع أقطار المعمورة مهاتفة أو مكاتبة أو مشافهة فيسعى للإجابة عنها مستدلاً في ذلك بالدليل الصحيح من الكتاب والسنة .

٥ - يحمل هم الإحسان إلى الناس ويسعى لقضاء حوائجهم المالية والاجتماعية وتفريج كربهم مهتديا بقول النبي ﷺ : « من فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة » وقول النبي ﷺ : « الناس عيال الله أحبهم إليه أنفعهم لعياله » يأتيه الفقير يشتكي فيساعده ، يأتيه المظلوم يشتكي فيناصره ، ويأتيه الجاهل فيعلمه . جمع الله به شتات أسر كانت متفرقة وأبناء مشردين فكان سبباً في لم شملهم .

٦ - يحمل هم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويسعى إلى ذلك بكل ما أوتي ، يتصل بصاحب المنكر أو يكاتبه ويدعوه لترك المنكر ويخوفه بالله ويحذره من غضب الله وانتقامه لايستهين بصغيرة ولايغض الطرف عن كبيرة وهو يعلم أنه لاصغيرة مع الإصرار ولاكبيرة مع التوبة والاستغفار . يكاتب المسؤولين ويهاتفهم ويشافههم في أمر المنكرات الخاصة والعامة . ويحث الناس على إنكار المنكرات والكتابة عنها وعدم التساهل فيها ، ويحثهم على الاهتداء بهدي الرسول ﷺ في ذلك وتوجيه القرآن في

الدعـوة إلى الله بالتي هي أحسن والشيخ – رحمة الله عليه – يهتم بذلك وبالجهة المسؤولة لأنه يعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صمام أمان للمجتمع، وسبب لحفظ كيانه وسبب لمنع العقوبة عن المجتمع ، وسبب لقبول الدعاء ورفع البلاء وغيره .

٧ – همه الإصلاح بين الناس أفراداً كانوا أو أسراً أو جماعات أو مجتمعات ومنزله وكتبه أكبر شاهد على كثرة الأسر التي تأتي إلى ساحته قد تهدمت أركانها بسبب الشقاق والنزاع ، أو بسبب الغضب والتسرع ؛ فيجلس مع كلا الطرفين ، وفي غالب الحالات يخرجون وقد هدأت أنفاسهم وارتاحت نفوسهم وعادت العلاقة بينهم وتم لم شملهم وهمه الإصلاح بين الجماعات الإسلامية التي يحدث بينها شيء من الخلاف الذي زرعه الجهل أو التحزب المقيت أو الخلافات على السلطة أو غيرها مما لايجوز حصوله من عامة الناس فكيف بأهل الدعوة والإصلاح؟ .

وكانت له – رحمه الله – جهود عظيمة في السعي للإصلاح بين المجاهدين الأفغان ، وبذل لهم نصحه وشفقته وحرصه على اجتماعهم وكان لهم معه وله معهم لقاءات كثيرة يركز فيها على هذا الأمر وأن الاتفاق خير كله والخلاف والنزاع شر يجب عليهم البعد عنه ، وغيرهم كثير .

٨ - همّه الدفاع عن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وموقفه مع بعض الدعاة الذين حكم عليهم بالإعدام في بعض البلاد الإسلامية كتب إليهم شافعاً ومدافعاً عنهم وهو بهذالايكبر الأخطاء ولا ينفخ في الأمور الخلافية التي يسع فيها الخلاف .

والشيخ وسيرته وعلمه وحلمه وكرمه يذكر بسير السلف الصالح من أمثال الإمام أحمد بن حنبل والشافعي والبخاري ومسلم وابن تيمية وابن القيم والشيخ محمد بن عبدالوهاب الذين صاروأعلاماً في العلم والدعوة إلى الله وإنكار المنكرات وبيان الحق للناس ، والشيخ رحمه الله رحمة واسعة صاحب علم وعبادة تعرفه الآيات والسور ، وهو يرددها في جنح الليل خاشعاً لله باكياً وكأني بالشاعر يعنيه إذ يقول :

لو كـــان يبكي كـــتـــاب الله من أحـــد
لـطـول إلـف بـكـتـك الآي والـســــــــور

وتعرفه الأسحار وتعرفه المساجد في سيره إليها في جنح الليل وفي وسط النهار فهو إمام المصلين أو خلف الإمام تماماً . تعرفه السنة بصحاحهاومسانيدها، حيث سجلت في صدره حفظاً وفهماً وتطبيقاً ودعوة إلى الله بها وعرفه الذكر وهو يردده صباحاً ومساء تعظيماً لله وتوبة واستغفاراً .

وعرفه المال وهو ينفق منه ويبذل منه بسخاء في مجالات الخير كلها . وعرفه الفقراء والمساكين ، حيث يتوجهون إليه لقضاء حوائجهم

ومساعدتهم في أمورهم .

وعرفه العلم والعلماء ، وعرفه الملوك والرؤساء ، وعرفه الأمراء والوزراء ، رفعوه وقدروه وأجلوه لعلمه وصدقه واحتسابه .

جعل الله له القبول عند الناس كلهم . من حضر مجلسه لايرفع صوته احتراماً وتقديراً .

لا يأكل وحيداً ، بل مع الفقراء والضيفان الذين لايخلو منهم منزله إن عزاءنا في الشيخ أن هذه الدنيا ليست دار بقاء ولاخلود ، ولقد مضى قبله إمام المتقين وسيد المرسلين محمد بن عبدالله ﷺ .

ولقد قال أنس بن النضر – رضي الله عنه – يوم قيل عن رسول الله ﷺ إنه قتل يوم أحد : قوموا فموتوا على مثل ما مات عليه .

وعزاؤنا أنه قادم على رب كريم يعطي الجزيل على العمل القليل .

إلى علمائنا الأجلاء :

إن الثغرة على الأمة بعد وفاة عالمها وإمامها كبيرة جداً ، والدور الذي قام به الشيخ – رحمه الله – كبير في مجالات التعليم والدعوة والإفتاء والتبليغ والإنذار والقيام بمصالح الأمة العامة والخاصة . وهذا العمل أقل ما يقال فيه إنه واجب ، ومن الواجبات ماهو كفائي وعيني ولقد كا ن سماحة الشيخ – رحمه الله – يقوم في حياته بالواجب العيني والآن أصبح الواجب على كل عالم في التعليم والدعوة والتبليغ

والإنذار أكثر إلحاحاً في الأداء حتى تغطى حاجة الأمة .

وإن على خاصة العلماء أن يحذوا حذو الشيخ – رحمه الله – وأن ينهجوا منهجه في الدفاع عن الأمة والقيام بمصالحها والاهتمام بشؤونها والبيان للمسؤولين عن كل أمر يخالف أحكام الإسلام والكتابة لهم عنه والوقوف أمام شياطين الإنس الذين يريدون إفساد هذه البلاد المباركة والإساءة إليها وتفريق شملها ونقل عفن الغرب وسلوكياته المنحرفة وحثالة أفكاره إلى ديار الإسلام ومنبع العزة والكرامة . إن المسؤولية كبيرة وعظيمة وعلماء الإسلام وأهل القرآن ورجال الغيرة على محارم الله هم أهلها.

وإلى طلاب الشيخ – رحمه الله – .. إلى من تعلموا العلم والدعوة إلى من عاينوا العلم والعمل والبذل والسماحة ؛ عليكم جميعاً أن تسعوا إلى تبليغ العلم وفتح المجال أمام العامة والخاصة من أجل هذاالدين .

فعليكم أيها العلماء وطلاب العلم أن تفتحوا الأبواب ، وتكثروا الحلقات وتجدوا في الإصلاح .

وفق الله الجميع لطاعته ومرضاته والذود عن دينه وحرماته .

وختاماً أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يجعل الشيخ – رحمه الله – في عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، ووالدي وجميع المسلمين .

إني أعـــــزيك لا أنـي عـلى ثـقــــة
من الحـــــيـــــاة ولـكـن سنـة الديـن
ليس المعـــزى بـبـــاق بعـــد مـــيـتــه
ولا المعـــزي وإن عــــاشــــا إلى حين

(مجلة الدعوة ، العدد : ١٦٩٣)

أمـــة في رجـل

أحمـد بن عبـد العـزيـز الحمـدان
* عضو مركز الدعوة والارشاد بجدة *

قال تعالى : ﴿ فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين ﴾ .

قيل لابن عباس رضي الله عنهما : وهل تبكي السماء على احد ؟ قال : نعم . إنه ليس أحد من الخلائق الا له باب في السماء ، منه ينزل رزقه ، وفيه يصعد عمله ، فإذا مات المؤمن فاغلق بابه من السماء فقده فبكي عليه ، واذا فقده مصلاه من الأرض ، التي كان يصلي فيها ، ويذكر الله فيها ، بكت عليه .

ان العالم اذا مات بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحاً .

وإن من أعظم الرزايا التي تصيب الأمة الإسلامية موت علمائها ، لأن تعويضهم عزيز ، وأثر موتهم على الناس ظاهر ، فهم رمز الحضارة ، بل هم أساسها وقاعدتها التي تقوم عليها ، وهم صمّام أمانها ، وضمان بقائها ، متى عرف الناس لهم قدرهم ، وانزلوهم منازلهم ، وأطاعوا أمرهم .

قال رسول الله ﷺ : «إنّ الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من

العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» .

ولقد مات يوم الخميس الموافق ٢٧ / ١ / ١٤٢٠هـ عالم الأمة وحبرها سماحة شيخنا الوالد العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، قدس الله روحه ، ونور ضريحه .

ودَّعَنَا ، وفارق هذه الدنيا ، فارقها بجسده ، تحقيقاً لما كتب الله تعالى على عباده : ﴿ **كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون** ﴾ .

مات الجسد ، وبقيت مآثر الأُمة التي كانت تعيش داخل ذلك الرجل ، وهكذا يعيش العظماء بعد موتهم ، العظماء الذين لم يكونوا يعيشون لأنفسهم ، ولا لرغباتهم ، ولا لشهواتهم ، بل كانوا يعيشون للصلاح والإصلاح .

مات صاحب العقيدة الصلبة النقية السلفية ، وصاحب التألُّه في العبادة وصاحب اللسان الذي لا يفتر عن ذكر الله تعالى ، وصاحب الخلق الحسن ، والسلوك القويم ، من لين جانب وتودد الي الخلق ، وصفح عن المعتدي ، وإعراض عن الجاهل ، وحرص على إعطاء كل ذي حق حقه ، وهداية الخلق أجمعين .

مات رجل وبقيت أمة مذكورة ، ومآثر مسطورة ، وأعمال صالحة مبرورة .

بقيت امة كانت في ذلك الرجل تجاهد أعداء الله بألسنتها وأموالها وأنفسها ، فما قام جهاد على وجه الأرض إلا كتب يحض عليه ، وأفتى بدعم أهله ، والدعاء لهم ، ومجاهدة أعدائهم بكل وسيلة ممكنة .

مات رجل وبقيت أمة مذكورة ، ومآثر مسطورة ، وأعمال صالحة مبرورة، بقيت امة كانت في ذلك الرجل تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتحقق سبب خيرية هذه الأمة ﴿ **كنتم خير أمةٍ أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾ .

حيث لم يترك معروفاً ، يسمع عن تفريط فيه ، ولو كان في أقصى الدنيا ، الا وأمر به ، ولم يترك منكراً ، يسمع عن وقوع فيه ، ولو كان في أقصى الدنيا إلا وأنكر على أهله .

ولا يعلم أن منكراً قائماً إلا وسماحته في رأس قائمة الواقفين لله تعالى في إنكاره وصده ، وحماية الأمة من شره ، بقيت أمة كانت في ذلك الرجل تعلم العلم ، وتأمر به ، وتحث عليه ، وتحارب الجهل ، وتحذر منه ، وتسعى جاهدة ، لإزالته ، فما ترك قرية ، ولا هجرة ، ولا دولة إلا وبعث اليها المعلمين والدعاة ، والمرشدين والمصلحين ، ليعلموا الناس ويرفعوا عنهم الجهل .

بقيت أمة كانت في ذلك الرجل تلم الشعث ، وترأب الصدع ، وتجمع الشمل بين أفراد المجتمع ، فما تقع حالة شقاق إلا وهرع الناس إليه ولا حالة طلاق إلا وسارعوا للمثول بين يديه ، يطلبون حل مشكلاتهم

وإنهـاء نزاعـاتهـم ، وجمـع شتـاتهـم ، فيـفـتي ، ويوجـه ويرشـد ، ويقـدم النصح للجميع .

ولا وقع خـلاف بين طلاب علـم ودعـاة إلا وجـعلوا قـوله الحكم الفصل الذي إليه يعودون وعن رأيه يصدرون ، وعنده ينتهون .

بقـيت أمـة كـانت في ذلك الرجل ترعى الارامل ، وتمسح دمـوع اليـتـامي ، وتواسي الثكالى ، وتعين العـجـازى والمسنين ، وتنفق على الفقراء والمساكين ، وتفرج هموم أصحاب الديون ، وتفك كرباتهم ، فما يسمع بمسكين محتاج إلى مساعدة ، ولا أرملة تحتاج إلى إعانة ، ولا عاجز يحتاج إلى رعاية ، إلا وسعى جاهداً إلى أرباب الأموال أن ينفقوا عليه ، ويمدوا بمساعدتهم ، ويعدهم بان يخلف الله عليهم ويبشرهم بعاقبة إنفاقهم في الدارين .

فكم من يتيم سيتألم لموته ؟ وكم من أرملة ستبكيه ؟ وكم من عاجز سيجد أثر فقده ، وكم من صاحب دين ستزداد كربته بموته ؟

بقـيت أمـة كـانت في ذلك الرجل يصـدر الناس عن فـتـاواه وقـد اقتنعوا ، ويتلقـونهـا ليـعـملوا ، ويفـتـخـر العوام ، قبل طلبـة العلـم ، في مجالسهم ، بأن سماحة الشيخ قد أفتاهم .

بقـيت فتـاواه ثلاثة عقـود من الزمن ملء السمع والبصر والفؤاد ، وسارت مشرقة ومغربة ، يتلقفها العرب والعجم ، ويدينون الله بالعمل بها .

بقيت أمة كانت في ذلك الرجل شوكة في حلوق أعداء الدين، من منافقين وعلمانيين، فليفرحوا فقد مات العدو الشريف، مات، نعم ولكن خلف، بإذن الله أمة صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

بقيت أمة كانت في ذلك الرجل مناصرة للمرأة، ساعية لنيل حقوقها، دون إعلان وضجيج، ودون جعجعة لا تصدر عن طحن، بل كان، ـ رحمه الله ـ يتألم لكل ضيم يصيبها، ولكل حق من حقوقها يسلب، ويحرص على الحفاظ عليها، وحمايتها ممن يريد استدراجها لينال منها شراً.

فكم كتب وألّف، وأفتى وعرّف.

موقفه من المغالاة في المهور، موقفه من عَضْل البنات، وتأخير نكاحهن، موقفه من نكاح الشغار، ونكاح التحليل، وحرمان المرأة من صداقها، ومن إرثها، وتسلط الأزواج على رواتبها، ومنعها من رؤية خاطبها ورؤيته لها، وإجبارها على الزواج بمن لا تريد، أو حجرها على ابن عمها، وضربها من قِبَل زوجها، وسبها وشتمها والإيلاء والمظاهرة منها، والإخلال بما اشترطته من شروط قبل زواجها، وإمساك الزوج للزوجة للإضرار بها، والتساهل في الطلاق والتلاعب بألفاظه، مما لا نسمع لأدعياء التحرير كلمة فيها، كان سماحته يفتي في هذه القضايا ويؤلف الكتب، ويلقي المواعظ والمحاضرات، ويوصي بالإحسان إلى

المرأة ، ويحذر من هضم حقوقها ، ويذكر فضائل النساء ، ويرسل خواص الدعاة للتحقق مما يقع منها ، ويكاتب ولاة الأمر والمسؤولين بشأنها ، ويضع المشروعات التي تخفف من وطأتها ، كالمشروعات الخيرية للمساعدة على الزواج ، ومكاتب مساعدات المحتاجين ، ومكاتب استقبال قضايا الطلاب ، والمشكلات العائلية ، في كل محافظة من محافظات بلادنا .

مناصبه التي تحمّل القيام بأعبائها ، مما تنوء بحملها العصبة من العلماء ، وغير ذلك مما يطول شرحه ، ويقصر الوقت عن ذكره .

فنسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلا أن يرحمه رحمة من عنده وأن يسكنه فسيح جناته ، وأن يلحقه بمنازل النبيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

الجوانب العلمية في حياة الشيخ ابن باز

بقلم : عبدالوهاب بن عبدالعزيز بن زيد

إنني في هذا المقام لا أتكلم عن الشيخ استكثاراً وتسلية ، وإنما لغرضين مهمين – لأجلهما تُكْتَبُ هذه المقالات .

الأول : الوفاء بحق شيخنا شيخ الإسلام ، والذكر الطيب له ، رجاء دعاء الصالحين له ، وتنادمهم بمحاسنه وعلمه .

الثاني : التذكرة والعبرة ؛ لمن أراد الأقتداء بالصالحين ، العلماء الربانيين ، أهل الدعوة والدين ، ولهذا فلن أتكلم هنا عن حياة الشيخ الأكاديمية ، وسيرته الذاتية – وبحمد الله هي معروفة للجميع – وإنما الكلام هنا عن خمسة جوانب في حياة الشيخ العلمية والعملية :

الأول : أُبوة الشيخ للجميع وهذه الأبوة تكاد تنعدم في زماننا الحاضر ، قليلة في الزمان الغابر ، الجميع من أهل العلم وعامة الناس صغيرهم وكبيرهم ، قريبهم وبعيدهم يشعر بأبوة الشيخ له ؛ فإذا صادف أحدهم كلاماً ورأيا للشيخ يأخذ به دون تردد ، ولا يشعر إلا أن والده هو الذي يتكلم وهذه الصفة في الشيخ إنما جاءت لسماحته الظاهرة مع إخوانه وأبنائه ، وموافقيه ومخالفيه ، يرشد ويدعو إلى الخير

لايجادل إلا بالتي هي أحسن ، هذا شيء .

والآخر : هم الدعوة في نفسه ، فالشيخ دائماً وأبداً يستشعر أنه ممثل للإسلام ؛ وأن وظيفته تكليف لاتشريف ، لاينتظر أن يأتيه الخبر والخطر ، وإنما هو الذي يتبنى الدعوة ، ويسعى إليها بكل مايملك فهمه الأول والأخير دعوة أخيه ومخالفه إلى الحق لايهمه نصره نفسه، أو ارتفاع ذكره ، أو إسقاط خصمه ، وإنما هدفه أن ينتفع خصمه بالحق ؛ وإن طال الأمد .

الثاني : الجانب العملي التربوي عند الشيخ :

وهذا يتمثل في أمرين :

أحدهما : التربية الأدبية لطلابه ومحبيه ، وجلسائه ، فالشيخ نموذج حي لأخلاق السلف ، من الخلق والسماحة ، والفضل والكرم ، والجود ، والمحبة لإخوانه وتلاميذه فمن يجالس الشيخ أو يحضر دروسه العلمية ، فإنه يرى أدبا لانظير له يتأثر به الجليس بمجرد أن يراه كثير التسبيح عند سكوته وربما بكى أثناء الدرس عند ذكر الصالحين ، ألحقه الله بهم .

والآخر : سلوك الشيخ للطريقة العلمية في التدريس ؛ فدروس الشيخ يطغى عليها الجانب العملي ، فعلى سبيل المثال في تدريسه لعلم الحديث تجد الجانب العملي من التخريج ، والنظر في الرجال ، ومراجعة الطرق والأسانيد ، وهذا كله أثناء الدروس ، ومن هذا يتعلم الطالب

هذا العلم بسهولة ، ودون تعقيد ؛ بخلاف ما إذا درسه نظرياً .

الثالث : المشاركة في فنون العلم : جمع الشيخ في سني تحصيله فنون العلم ؛ فقل علم إلا وللشيخ فيه معرفة ومشاركة وتأصيل ، فالشيخ في الاعتقاد هو إمام أهل السنة بلا مدافعة ، وفي التفسير وأصوله وأحكام القرآن إمام بارع ؛ مع حفظ وسرد لآيات الأحكام قل له في ذلك نظير ، وفي الحديث وعلومه فهو الإمام المشار إليه في ذلك . وأكثر مشايخنا أخذوا علم الحديث عن الشيخ ، بل إن الشيخ أكثر من اعتنى بهذا العلم بنشره وتدريسه ، واعتماده في المسائل الفقهية ، وفي الفقه وأصوله له فيهما تأصيل وإتقان ؛ مع الدقة ، والفهم والاستنابط ومراعاة مصالح الأمة بما لايُجْهل مقدار الشيخ فيه ، ولو جمعت آراء الشيخ الأصولية بأمثلتها وحررت لأغنت وأوفت ، وفي الفرائض – وهو علم نفيس – له فيه اليد الطولى ، وله التأليف المختصر المشهور والمسمى : « الفوائد الجلية في المباحث الفرضية » ، فيه من الشمول والاختصار ، والدقة والإتقان ما أجمل به هذا العلم الجليل في سفر صغير ، وفي اللغة والنحو المشاركة القوية ، والشيخ له اختصاص بذلك ، وهذا ظاهر في دروسه وفتاويه – فالشيخ – رحمه الله – جامعة كاملة ، لم يتخصص في علم واحد ؛ كما هو حال زماننا هذا الذي فقد فيه التأصيل العلمي إذ كل فن له صلة وتعلق بالآخر؛ فالحديث لايستغني عنه صاحب الاعتقاد ، ولا الفقيه ، ولا المفسر . . وكذا الفقه وأصوله لايستغني عنه المحدث ، ولا المفسر ، فمن تتلمذ على الشيخ استفاد من هذا كله ،

وعاد بحظ عظيم ، نسأل الله أن ينفعنا وإخواننا ومشايخنا مما تعلمناه على يديه ، وأن يبارك لنا وإخواننا في العلم والعمل .

الرابع : الدعوة إلى الله : إذا ذكرت الدعوة إلى الله ؛ فأول من يُذكر هو سماحة الشيخ ابن باز ، وهو الداعية إلى الله بكل مفاهيم ومعاني الدعوة إلى الله ، إذْ قبل كل شيء فَهَمٌّ الدعوة في قلب الشيخ ، يعرف ذلك كل قريب من الشيخ أو بعيد والشيخ – رحمه الله – عالمي الدعوة ، قل أن يجود الزمان بمثله ، هو عون لإخوانه الدعاة بالنفس والمال ، والجاه والقلم ، وكل مايستطيع نذر الشيخ نفسه للدعوة على أصولها العلمية المنبثقة من الكتاب والسنة ، لايحيد ولايميل ، لايمل ولا يكل .

يستخدم الشيخ أسلوبه الخاص في الدعوة إلى الله ، فيخاطب الكبير والصغير ، البعيد والقريب ، المخالف والموافق ، كل ذلك بمنهج الدعوة بالحسنى ، يستغل المواقف للدعوة إلى الله ، لايحتاج المسلمون – في أي مكان – إلى نجدة إلا ويكون الشيخ أول المسعفين ، لا يأتيه أحد إلا ويقوم بحقه ، إما بالمال ، أو الكتابة والشفاعة ، أو النصح والتوجيه ، والشيخ – رحمه الله – في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينصح ، ويرشد ، ويوجه الكبير والصغير ، القريب والبعيد ، الحاكم والمحكوم ، همه النصح ، والهداية والإرشاد ، مع تأن في الاستجابة والنتائج فالشيخ في هذا الباب أمة وحده ، نسأل الله أن يتقبل منه كل خير وبر ، وأن يجزيه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

الخامس : اقتضاء العلم العمل : إن للعلم حقوقاً وواجبات ، وماتقدم من جهود الشيخ هي نتيجة لهذا الأصل العظيم ، إلا أنني هنا أخصص باباً حثَّت عليه الشريعة الإسلامية ، وفاضت بذكره آيات الكتاب العظيم ، وسنة نبيه الأمين ﷺ وهو باب إطعام المساكين ، وسد حاجة المحتاجين ، وهذا باب غفل عنه الكثير من أهل العلم ، فالشيخ - رحمه الله - جاهد في ذلك بالغالي والنفيس ، وكأن الشيخ خُلِقَ لهذا ، فبفضل الله كم من أسرة عاشت على نفقة الشيخ ، وكم أرملة رأت الخير على يدي الشيخ ، وكم من يتيم شملته أبوة الشيخ وكم من عائل أوسع الله عليه على يد الشيخ ، وكم من فقير أغناه الله على يد الشيخ ، لايدخر مالديه من مال ، بل إن الشيخ ينفق على هؤلاء وغيرهم بالدين أحياناً ، وهذا يعلمه المقربون من الشيخ ، فالشيخ - رحمه الله - في هذا يرجو حديث رسول الله ﷺ الساعي على الأرملة والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله ، أو كالذي يصوم النهار ، ويقوم الليل ، وهنا سؤال يطرح نفسه : ما الذي أوصل الشيخ لهذه الدرجة العظيمة من محبة الناس له ؟

جواب ذلك من جهتين :

الأولى : ماتقدم ذكره كأبوة الشيخ ، وغير ذلك .

الثانية : وهي عزيزة نادرة الوجود ، قل أن توجد إلا في أحب خلق الله إليه ، وهي : سلامة الصدر ، فالشيخ - رحمة الله - من عرفة

ظهرت له هذه الميزة من أول وهلة فهو يحب الجميع ، يعتبرهم أبناءه ، لايحسد أحداً ، ولا يكره الخير لأحد ، بل يحب الخير لكل المسلمين ، يسعى لإرشاء إخوانه ومخالفيه ، لذا أحبه الموافق له والمخالف ، نسأل الله أن يجعل ذلك شافعاً له في علو الدرجات ، في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، والجوانب العلمية والعملية في حياة الشيخ أكثر من أن تحصر ، إلا أن المقام يضيق بذكرها، وفي ماتقدم تذكرة وعبرة .

أسأل الله أن ينفعنا بعلمه ، وأن يجعله لنا قدوة في العلم والعمل.

ولعل أشبه مايوصف به الشيخ هو ماوصف الشافعي به أحمد بن حنبل بقوله : خرجت من بغداد ، وماخلفت بها أفقه ولا أزهد ، ولا أورع ، ولا أعلم من أحمد بن حنبل ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(مجلة الدعوة ، العدد : ١٦٩٣)

عبد العزيز بن باز .. العصامي الزاهد

بقلم الأستاذ: تركي عبد الله السديري
- رئيس تحرير جريدة الرياض -

انتقل فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز إلى رحمة الله بعد أن قدم نموذجاً فريداً في العصامية والمثابرة والنزاهة وصرامة التقشف .

إن الجميع يعرف مكانته كعالم دين جليل والجميع أيضاً يعرف شموخ المنصب الذي شغله معظم سنوات حياته العلمية لكن هناك جوانب في حياته الشخصية هي معروفة دون شك عند خاصته وعند المعنيين بتاريخ من هم أمثاله لكن هناك في العامة من قد يجهل كيف بدأ هذا الرجل الفذ حياته كدارس وكموظف وكعالم جليل وهي جوانب مشرقة للغاية في تاريخه الشخصي ويصح أن تكون نموذجاً لأصالة العصامية الصافية التي صنع نجاحها وبروزها في كل المستويات منذ بدأ عمله قاضياً في قرية صغيرة وحتى أصبح مرجعاً للفتوى والقضاء في كل أنحاء المملكة وحتى حقق أيضاً شهرته الواسعة في الدنيا العربية وفي كل ساحات العالم الإسلامي .

ربما لم يكن أحد بمقدوره قبل ما يقارب السبعين عاماً أن يتنبأ بماذا سيكون عليه ذلك الطفل اليتيم الكفيف البصر عندما يكبر ، لأن

الإمكانيات التقليدية التي تصنع نجاح الكثيرين في معظم مرافق الحياة لم تكن تتوفر له ، لكن الشاب الذي تتلمذ على يد المرحوم الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وحصّن تحصيله الديني على يد أكثر من شيخ متخصص ، استطاع أن يوفر لذاته استقلالية مبهرة لفتت الأنظار وهو في سن الشباب وكلما واصل إبهاره الفقهي كانت تتواصل شهرته واتساع معرفة الناس بمكانته العلمية ورغم أنه قفز سريعاً وبتمكن وجدارة نحو مكانة كبيرة من التأهيل والشهرة ومكانة العمل إلا أن ذلك لم يعرضه في أي يوم لأي عداوة تنافس مع أي شخص بل ظل محترماً ومرموقاً بين الجميع .

لو كتبت عن الشيخ عبد العزيز بن باز الفقيه كمن يعيد على الناس قراءة كتاب سبق أن حفظوه عن ظهر قلب لكنني – وقد أشرت إلى عصاميته في بناء ذاته ومكانته – أريد التعرض لجانب فريد ولافت للانتباه في حياته – رحمه الله – وأعني بذلك تقشفه وبساطته ، وهما ميزتان نادرتان في حياة الناجحين من الرجال . .

لقد حدث قبل عشرين عاماً تقريباً إن كتبت موضوعاً وجدانياً مطولاً على شكل سرد ذاتي لم يرض – رحمه الله – على بعض ما به من سياق وقد نصحني سمو الأمير سلمان أن أتصل به شخصياً وأشرح له ما أريده من الموضوع وفعلاً ذهبت إلى بيته وكانت حيرتي بالغة في التعرف عليه بين الجالسين لفرط بساطته في ملبسه وموقعه بينهم حتى إذا سلمت عليه أجلسني بجواره وقضى وقتاً ليس بالقصير يرد على سيل

من المكالمات تستفتيه في بعض أمور الدين والحياة ثم شرحت لفضيلته أن الموضوع عمل فني في الكتابة لا يعني صلتي الشخصية بالأحداث فقال لي ما معناه .. لا بأس لكن مستقبلاً لا تنسب المواقف إلى نفسك لأن هناك من سيتوهم أنك تكتب عن تجربة ذاتية ثم تمنى لي التوفيق ..

إنه – رحمه الله – لم يكن يتخذ موقفاً لا يقبل المناقشة حيال أي شخص أو موضوع وهذه فضيلة أفق واسع تمتع به – رحمه الله – .

أما البساطة فأمر يكاد يقترب من الخيال لأن الرجل الذي تبوأ أعلى المناصب وأكثرها جلالاً ومهابة ، وتمر بين يديه ملايين الهبات والصدقات والمعونات لا يصنف إطلاقاً من بين الأغنياء فهو قد عاش حياة كفاف بالغة الزهد والعفاف والنزاهة .

رحم الله الشيخ عبد العزيز بن باز عالماً قد ملأ مكانه بجدارة لا تنكر وعصامياً نزيهاً احتل أعلى قمم النجاح .

(جريدة الرياض ، العدد ١١٢٨٢)

إلى الجنـة .. يا أبا عبد اللـه

بقلم الدكتور: فهد العرابي الحارثي
عضو مجلس الشورى - رئيس تحرير جريدة الوطن -

تربط بناتي علاقة ممتازة ببعض بنات المرحوم سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، وهذه العلاقة المباركة تمتد أغصانها الوارفة لتشمل أهل بيتي وأهل بيته ، ولهذا فإنني أعتبر نفسي - كالمقربين من سماحته - على علم ببعض تفاصيل حياته الخاصة . .

وهي في مجملها تفاصيل ينتظمها ما عرفه كل الناس عن الشيخ الجليل : التواضع ، الزهد ، البساطة ، المودة المخلصة التي يمحضها كل من حوله بلا تردد .

لا شك أنني كنت دائم السؤال عن الشيخ ، وعن طريقة حياته في بيته وداخل أسرته ، فهو أحد الرموز الكبيرة في تاريخ الحضارة الإسلامية فإذا وفقك الله الى نافذة تستطيع أن ترضي من خلالها شوقك الى المعرفة فإن من العقل ومن المنطق أن تستغل تلك النافذة حتى آخر قطرة ، للعظة ، وللقدوة ، وللتفكير وللتأمل .

كان إكباري لهذا الرجل العلامة لا يزداد في كل يوم إلاّ توهجاً وسطوعاً . ولقد كنت انقل إلى أصدقائي وأقاربي بعض دروس الشيخ ابن باز في تعامله مع أهله وأولاده . ولقد كانت دروساً تحفل بالبساطة

والمودة ، فهو قريب من الجميع على الرغم من انشغاله الطويل بقضايا المسلمين الذين يقبلون على مجلسه ومسجده بالعشرات ، كل يوم وكل ساعة ، في حشد دائم لا ينقطع قط . هذا فضلاً عما يتلقاه – رحمه الله – من رسائل ومكاتبات ومكالمات هاتفية طوال النهار وبعض ساعات الليل : وكل هؤلاء يفدون اليه : طلباً لعلمه أو رغبة في نجواه ، أو التماساً لمواساته وما يمكن أن يقدم لهم من مساعدة ، فقد عُرف – رحمه الله – بسخائه وكرمه ، فهو لا يتردد قط في كل أمر من أمور الخير والبر ، بل لعله (وسع الله له في فسيح جناته) كان ممن يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة . ولقد قضى حياته الحافلة بأعمال الخير : مغيثاً للملهوف ، منجداً للمظلوم ، نصيراً للحق حرباً ضروساً على الباطل ، ولقد أسهم دائماً في إقامة المشروعات الإسلامية ومدارس تعليم القرآن الكريم واللغة العربية في داخل المملكة وخارجها .

والذين اختلفوا الى مجلس الشيخ أو زاروه يجدون أن المجلس الموقر بالعلم وبالتقوى ؛ يحفل بالناس من كل مكان في بقاع الأرض وجميع أصقاعها . فهؤلاء يأتون من كل مكان لأنهم يجدون في حضرة أبي عبد الله ، ما ينشدون من العلم والعقل ، أو من الوقوف الصلب الى جانب مطالبهم وحاجاتهم .

لقد أفنى المرحوم حياته في خدمة الإسلام والمسلمين ، وقد ظل دائماً محط أنظار كل محب لهذا الدين ، والجميع يحملون للشيخ في

قلوبهم التقدير الجم والإكبار الذي يليق به وبعلمه .

عمل الشيخ ابن باز في القضاء حوالي أربعة عشر عاماً فكان مبرزاً في مجاله : علماً ونزاهة وصدقاً .

وعمل في مجال التعليم الشرعي حوالي خمسة وعشرين عاماً : مدرساً في الفقه والتوحيد والحديث . ثم صار قيادياً في الإدارة الجامعية أي نائباً لرئيس الجامعة الإسلامية (الشيخ محمد بن ابراهيم – رحمه الله –) ثم رئيساً للجامعة نفسها لمدة خمسة أعوام .

ولعلم الشيخ عبد العزيز بن باز وعقله وحكمته وفضله فقد جعلته الدولة الرشيدة في المكان الذي يليق بأمثاله : فوضعت بيده الفتوى ، وبوّأته أعلى الهرم في إدارات البحوث العلمية ، بل هيئة كبار العلماء في البلاد . ولقد نال – رحمه الله – جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام اعترافاً بفضله وتقديراً لنشاطاته العظيمة في مجال الدعوة والبحث والدراسات الإسلامية .

لقد كان مشهداً مهيباً وقت أداء صلاة الميت على المرحوم في بيت الله الحرام ، كان كل شيء يعكس عمق الألم الذي كان يفترش وجوه الناس على مختلف طبقاتهم ، فهم حزينون لأن عالمهم وشيخهم غادرهم وهم لن يسمعوا له صوتاً بعد اليوم .

لقد أحب الناس ابن باز لأنهم يعرفون صدقه ، ونزاهته ، وعفافه ، وتقواه ، وورعه . ولأنهم يعرفون أيضاً أنه كان يتحلى دائماً في مواقفه

وتصرفاته وقراراته بالعقل ، وترجيح مصلحة الأمة ، وبث الفكر الذي يلم شملها ، ويوحّد كلمتها ، والتصدي لكل ما من شأنه أن ينشر بذور الكراهية أو الحقد أو الفرقة . فلقد حارب الكثير من الفتن ووقف في وجهها ، فهو الداعي دائماً الى وجوب طاعة ولي الأمر امتثالاً لما جاء في كتاب الله وسنة نبيه ، وهو ضد الإرهاب ، وإخافة المؤمنين ، وبث الرعب بينهم ، وانتهاك حرماتهم ، وسلب حرياتهم . كل ذلك في الوقت الذي كنا نرى فيه مجتمعات اسلامية أخرى ترزح – مع الأسف الشديد – تحت طائلة الخرافات المرة العصيبة حتى ضاع فيها الحق ، فانهدم في وجهها الأمن ، وتزعزعت من تحتها الأرض ، فقُتل فيها الشيوخ والنساء والأطفال ، واستبيحت فيها دماء الأبرياء وأموالهم وأعراضهم .

لقد أحبّنا الشيخ عبد العزيز بن باز فأحببناه ! ولا شك أننا بفقده نفقد رجلاً صالحاً ورعاً تقياً ، ونفقد أيضاً عالماً جليلاً جعل من علمه مشعلاً للخير ، وطريقاً للبر ، وجسراً إلى التلاحم والتعاون في الحق ومن أجله .

غفر الله له . . وأسكنه جنات الخلد . . مع النبيين والشهداء والصالحين إنه سميع مجيب .

﴿ وما كان لنفس أن تموت إلاّ بإذن الله كتاباً مؤجلاً ﴾ .

(جريدة الجزيرة ، العدد : ٩٧٢٩)

غابت الدنيا عن عينيه وحضرت الآخرة في قلبه

بقلم الأستاذ الناقد : سعيد السريحي

جيداً .
كان يحدق
النظر
بعينيه المنكفئتين
إلى الداخل
فيرى السريرة . .
تصبح الدنيا
في عينيه
سدى
في الطريق
إلى الآخرة
كأنما
جاءَ ليرحل

جاء ليذهب بعيداً
وقلبه معلق حيث
لاعين رأت ولا أذن سمعت
ولاخطر على قلب بشر
وحين اكتشفت المقام
استدنى غايته
عاش منتهاه
فكان ذكر الجنة
وارفاً
تحت ظلال مسجده
ربانياً
عاش
فإن تحدث
كان لصوته
هسهسة ريح
تهب من جهات
موغلة في السر
وإن صمت

تضمخ الجو

بعبير يتسرب

من كوة

تفتح على بستان

عليه قنطرة

تمتد

من أقصى الدنيا

حتى أقصى الآخرة

كان اسمه

عاصفة القرون

يأتيك

من أزمان

سحيقة

مضمخاً

بالجلال

وبالتاريخ

لحروفه

انحناءات

ريش حمام

يحلق

قبيل أذان

الفجر

حول الكعبة

الشيخ الذي

غادرت مشاهد

الدنيا

ناظريه

يافعاً

غادر

قلبه

الدنيا

حينما تفتح وعيه

على العالم / العالم

فاختار

طريقاً

يصله بالآخرة

حتى أصبحت
الآخرة
دنياه
فإن تحدث
كانت حديثه
يلين فيرغب فيها
ويشتد
فيحذر من طريق
لايفضي
بطارقه إليها
كانت الآخرة دنياه
فكان في الدنيا
وليس من أهلها
لم يغره جاه فيها
ولامال . .
ولم يأنس فيها
لشيء من متاعها
أوقف عمره

على الفتوى
وقلبه
على الحديث
ولسانه
على الذكر ،
فأقبل عليه
من يرصدون
لآخرتهم
طريقاً
ويبحثون
في دنياهم
عن سبيل
النجاة
وتكاثر حوله طلبة العلم ، حتى غدا مرجاً
يختلفون ثم يتفقون عليه ويختصمون
ثم يصلحون لديه
كان
عصمة

من الاختلاف
إن هبت
رياح فتنة
وكان
رحمة بالاختلاف
حين تتشعب
المذاهب
كان سمحاً
إن تحدث سمحاً
إن أفتى
أحب
من يسأله
رغبة
في التعليم
وأحبه
من يستفتيه
رغبة في التعليم
فكان له

مع الوجاهة
الحب
وكان قريباً
بعيداً :
قريباً
بكرمه وخلقه
لايتكبر على
سائل
ولايتأفف
من سؤال
وكان
بعيداً
بزهده ،
وورعه
وعلمه ،
وتاريخه
كان مدهشاً
في قربه

إذا اقترب ،
مدهشاً
في بعده
إذا ابتعد ، وبينهما
كان ذِكْرُه
يسيح في الأرض
كظل زاهد
يضرب في الفجاج ،
وكان مجلسه
يرسخ في الأرض
كسارية
في مسجد
أو ميقات
من مواقيت الهدى
الشيخ ابن باز
كتاب
قرأناه طويلاً . .
وهاهو

اليوم

يطوى

تاركاً

للتاريخ

سيرة رجل

زاهد

غابت الدنيا

عن عينيه

وحضرت

الآخرة

في قلبه ..

من الفاجعة إلى التصرف

بقلم الدكتور : حسن بن فهد الهويمل

* رئيس نادي القصيم الأدبي *

عندما أرى سماحة الشيخ الفقيد عبد العزيز بن عبد الله بن باز – رحمه الله – في موقف أو في مؤتمر أو في لقاء مع قادة البلاد أو رجالات العالم أحس أنني أمام مخلوق ضاوي الجسم متواضع يشع بجلال العلم وجمال الورع ، وحين يتكلم لا يقول شيئاً غريباً ولا قولاً جديداً ، ولكن ينفذ إلى أعماق قلبك ، ويجري منك في كل شرايينك ، ويحملك على الإصغاء ، ويترك أثره في أعماق مشاعرك ، إنه الصدق والإخلاص وقول الحق ، وصدق من قال : الآية هي الآية ، ولكن الشخص غير الشخص ، هذا الإنسان يذكرني بعمرو بن عبيد الذي لا يطلب إلا صيد الآخرة كما يقول أحد الخلفاء .

لقد فقد بصره فلم ير الدنيا ولم يحفل بمباهجها وأبصر قلبه فعبد الله كأنه يراه ، وأخلص لدينه وأحب أمته ونصح لولاة الأمر فكان ملء سمع الدنيا وبصرها تتعقد المشاكل فيحلها بحلمه وعلمه ، وتتأزم الأمور فينفس كربتها بأناته وتبصره تحتدم المشاعر وتَدْلَهِمُّ الأمور

فيأخذها باللين واليسر ونبل المقاصد وصدق العزائم ، فيرضي كل الأطراف المتنازعة ويعود الناس إلى بيوتهم آمنين مطمئنين ، بذل جهده ووقته للعلم ، تعلماً وتعليماً ، وقضى على راحته نصحاً وتوفيقاً واصلاحاً بين الناس ، صنع المجد والجاه والعز والتمكين من قلوب الناس ولم يرثه عن ابيه ولاعن جده وتلك مواقع كالأرض لايرثها إلا عباد الله الصالحون ، يسارع في الخيرات فكان أن كتب الله له الحب في نفوس الناس والذكر الجميل والله الغفور الرحيم مرجو أن يكتب له أجره مرتين أجر الدنيا بهذا الجاه والمكانة والتقدير والحب والذكر الجميل . ونعيم الآخرة ليكون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، ولماذا لا نطمع أن يدخله ربه مع القوم الصالحين وقد أجمع الناس على حبه وإجلاله والناس شهود الله في أرضه . والله عند حسن ظن عبده به .

لقد آمن بربه ، وخاف من لقائه وعمل صالحاً نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً ، والله المنعم المتفضل وعد الصالحين بقوله : ﴿ **فلهم أجرهم عند ربهم** ﴾ ، ﴿ **فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ ﴿ **فلنحيينه حياةً طيبة** ﴾ ، ﴿ **فله جزاء الحسنى** ﴾ و ﴿ **إني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى** ﴾ ، ﴿ **إن رحمة الله قريب من المحسنين** ﴾ ، وسماحته كان كذلك .

لقد بذل جهده ولم يخلد إلى الأرض ولم يتبع هواه فكان أن رفعه الله مكاناً علياً وصدق الله : ﴿ **نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم**

عليم ﴾ لقد كان – رحمه الله – ساعياً في حاجات الناس سعيداً بهذا السعي متمتعاً به ولم يكن متصنعاً ولا متعملاً .

لقد فجع الناس بموته ، وانتابهم شئ من الذعر والله غالب على أمره ، ودين الله باق والعلماء الورثة الناصحون باقون والخيرية باقية : « لا تزال طائفة من أمتي على الحق » .

وما علينا وقد نزعه الله من شغاف قلوبنا إلا أن نستلهم سيرته ونقتفي أثره ونتفحص أخلاقه فنأخذ منها ما نقدر عليه لنسدَّ خُلتهَ ونحيي سيرته ﴿ **ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله** ﴾ فهل نحن من أولئك الشراة أم سنظل بكائين ، إن علينا أن نحمد الله ونشكره ولا نقول إلا ما يرضيه ، فله ما أخذ وله ما ابقى ، لقد وهب لهذه البلاد في ظروف عصيبة رجالاً رعوا أمانتهم وعهدهم حق الرعاية وهذا العالم الجليل الذي كان مرجعاً لولاة الأمر في كثير من الأمور جزء من رعاية الأمانة والعهد ، فهو من أهل الذكر الذين ندب الرجوع إليهم وسؤالهم وكان منذ عهد الملك عبد العزيز رحمه الله معلماً وقاضياً وواعظاً ومسؤولاً لا على المستوى المحلي بل على المستوى الإسلامي لقد أجهش علماء الافاق بالثناء عليه والدعاء له وذكر محاسنه وأفضاله ولينه ومراعاته لأحوال المسلمين وما اعتراهم من ضعف ووهن ومحن .

لقد كان فقيهاً واقعياً يعرف ما آل اليه أمر العالم الإسلامي فلا يشط ولا يعنف ولا يثور تراه ليناً هيناً لطيفاً يدعو بالهداية ولايعد بالعقوبة ويسأل الله أن يهدي ضال المؤمنين ، قال عنه مفتي لبنان : إنه

العالم المجاهد الذي قضى حياته في خدمة كتاب الله عز وجل وسنة رسوله محمد ﷺ وفي خدمة قضايا الأمة العربية الإسلامية والحفاظ على حقوقها والتمسك بتعاليم الإسلام وقيمه السامية . ووصفه زعيم حركة حماس بأنه عالم المرحلة ، ووصفه شيخ الأزهر : بأداء الرسالة في خدمة دينه وأمته على الوجه الأكمل . وقال عنه مفتي سوريا : إنه كان ركناً صادقاً في النصح وأداء المشورة لأهلها لا يرغب ولا يرهب هادفاً الذود عن حياض الإسلام .

وهكذا تتدفق شهادات العلماء والقادة والمفكرين وفي النعي الرسمي للمملكة تجلت فاجعة البلاد بتعبير قادتها عن فداحة المصاب .

إنه بحق درع البلاد أمام سهام الشبهات ، رجل لا يهتم بأضواء المسؤولية ولا ببوارق الحياة ولا برنين المال ، يقول كلمة الحق لا يخشى بذلك لومة لائم ، اعتمدت الدولة عليه في كل المحافل الإسلامية وندبته لمواجهة الأعاصير واحتمت به أمام موجاة التغريب وسهام التبدلات السريعة وفقدت بفقده ركناً قوياً من اركان الدولة ، وصفّت ومن ورائها الأمة للصلاة عليه والدعاء له وصلّت عليه جموع المسلمين في كل أنحاء المعمورة داعية مترحمة باكية شاكية إلى الله خلو موقعه القيادي في ظروف عصيبة .

إن أملنا كبير في الصفوة الطيبة من علمائنا الأجلاء أن يكونوا خير خلف لخير سلف ، وبلادنا والحمد لله مليئة بالكفاءات العلمية ، وبالرجال الصادقين الناصحين ولن ترتبك البلاد ولن يخور عزمها ولن

يقل عطاؤها الدعوي بفقد علم من أعلام البلاد ، إذا مات منا سيد قام سيد ، ومحمد ﷺ حين لحق بالرفيق الأعلى ارتبك الناس وهدد عمر ولما عاد أبو بكر أخذ الأمور بالعزم والأناة والثقة وبلغ الناس بوفاة رسول الله ﷺ ، وسارت الأمور على يد خلفائه كما لو كان حياً ، والله الذي تعهد بحفظ دينه وحمله إلى الأجيال الآتية قادر على أن يعوض البلاد من يسد الثغرة ويرث المسؤولية وما علينا إلا أن ننهض بالمهمات الجسام التي نهض بها الفقيد وتحملها بحزم وعزم وعلم وورع وكرم ولين وطيبة قلب .

اللهم أؤجرنا في مصابنا مصابنا به واجعل في علمائنا وقادتنا الخلف الصالح والوريث المحسن ، والدين باق والخطر على المتخاذلين والقانطين ، رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جناته وجبر مصاب آله به وألهمنا الصبر والسلوان .. إنا لله وإنا إليه راجعون .

(مجلد الدعوة ، العدد : ١٦٩٣)

إمام العصر ورؤيتــه للإعـــلام

بقلم الدكتور : عبد القادر طاش

فقدت الأمة برحيل إمام العصر سماحة الشيخ عبد العزيز بن بـاز – رحمه الله – نجماً مضيئاً من نجوم العلم والفقه والدعوة والإصلاح الاجتماعي . ولم يكن ذلك الاجماع الاسلامي على حبه وتقديره إلا تجسيداً للمكانة العالية التي كان يتبوؤها سماحة الشيخ في قلوب الناس وقد تجلت هذه المكانة في الحزن العميق الذي عم العالم كله شرقاً وغرباً فور إعلان نبأ وفاته . فهنيئاً لإمام العصر هذا الاعتراف العالمي بتقديره وحبه ، ولينم قرير العين جزاء ما قدم لأمته .

وكان لشخصية سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز جوانب متعددة كان في كل واحد منها إماماً يُقتدى ، وكان له في كل واحد منها توجيهات سديدة تنير طريق السالكين وتسهل عليهم أداء الواجب والقيام بأعباء الرسالة .

ولعل من أهم المجالات التي اهتم بها سماحة الشيخ وأولاها كثيراً من عنايته مجال الإعلام . ويتجلى ذلك في علاقته الوثيقة بوسائل الإعلام من إذاعة وصحافة فقد كان لصيقاً بها يمدها بعلمه ورسائله

وتوجيهاته ..

وكان سريع التجاوب مع الإعلاميين يلتقي بهم ، ويواليهم بالنصح والتوجيه ، ويستجيب لإلحاحهم عليه بإجراء المقابلات أو الرد على الاستفسارات ، وفضلاً عن ذلك كان يهتم بالمحاضرات والندوات التي تتناول قضايا الإعلام ويعلق عليها ويحث دائماً على الاستفادة من وسائل الإعلام وحسن تسخيرها لخدمة الإسلام .

لقد كان سماحة الشيخ يتمتع بحس مرهف تجاه الإعلام ، يدرك أهميته ودوره الفاعل والمؤثر وكان كلما التقى بالإعلاميين شديد التنبيه على خطورة الانحراف في وسائل الإعلام ودائم المطالبة بتنقيتها من المنكرات والمفاسد ، ومشجعاً على حسن توجيهها إلى ما ينفع الناس ويفيدهم في دينهم ودنياهم .

وأتذكر لقاءاتي الخاصة بسماحة الوالد – رحمه الله – عدة مرات ، كان آخرها قبل ثلاثة أشهر تقريباً عندما زرته في مكتبه بالرياض . تحدثت اليه عن قناة إقرأ الفضائية وما نرجوه فيها من تأسيس نواة لإعلام هادف بنّاء في خضم هذه الأمواج الهادرة من القنوات الفضائية المتعددة التي يجنح كثير منها إلى الهدم والتدمير والإسفاف وفساد الأخلاق .

واستمع سماحته الى حديثي باهتمام واستوضح عن بعض الأمور في القناة ثم دعا لي ولزملائي بالتسديد والتوفيق وذكرني باستحضار النية الصادقة والإخلاص لله تعالى في كل خطوة نخطوها وطلبت منه

أن يزودني بنصائحه وتوجيهاته فلم يبخل – رحمه الله – عليَّ وعلى زملائي فوجهنا بالحرص على تقديم ما يوافق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما ينفع الناس ويصلحهم . ونصحني بالسعي الحثيث من أجل تنقية القناة من المخالفات وتصفيتها مما يسيء إليها وعدم الانزلاق وراء منكرات القنوات الأخرى التي لا يرضى الله عنها .

ولم يكتف سماحته بذلك على قيمته البالغة ، بل أكرمني بقوله أنه سيحث العلماء والدعاة وطلبة العلم على التعاون مع القناة . وطلبت إليه أن أجري معه لقاء مصوراً فاعتذر بلطف وقال لي أنه لا يحبذ الظهور في التليفزيون ولكن لم يمانع من إجراء لقاء صوتي معه وكان هذا تمهيداً للكلمة الصوتية الغالية التي ظفر بها أخي وزميلي الدكتور أحمد بن سيف الدين وتشرفت القناة ببثها في برنامج « ملتقى الدعوة » وإعادة بثها عدة مرات .

وقد سبق لقائي الأخير مع سماحة الشيخ لقاءان آخران كان محورهما الرئيسي عن الإعلام أيضاً . أولهما كان في عام ١٤٠٤هـ تقريباً ، كنت حديث العودة من أمريكا بعد الدراسة فيها وأعمل أستاذاً بقسم الإعلام بجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية ودعيت للمشاركة مع زميل كريم في ندوة هامة عن « الإعلام والدعوة » ضمن نشاطات التوعية الإسلامية . وعقدت هذه الندوة في المسجد الجامع الكبير ، وحضرها جمهور غفير من طلبة العلم ، وكان من عادة هذه الندوات أن يشرفها بالحضور سماحة الشيخ ويعلق عليها .

وقد أعجب سماحته بما طرح في الندوة من أفكار وآراء ، وبخاصة ما يتعلق منها بضرورة استثمار الجوانب الإيجابية في وسائل الإعلام وتسخيرها لخدمة أغراض الدعوة والإصلاح الاجتماعي . وركز سماحته في تعليقه على هذا البعد وطالب الدعاة وطلبة العلم بالاهتمام بالإعلام والانخراط فيه والاستفادة منه .

وبعد انتهاء تعليقه سأله سائل عن التليفزيون وهل يجوز اقتناؤه فكان جواب الشيخ حكيماً فلم يقل بالحل أو الحرمة وربط الحكم بكيفية الاستخدام . وقال إن التليفزيون جهاز يمكن أن يستعمل في الشر كما يمكن أن يستعمل في الخير ، ودعا إلى تعاون الدعاة مع التليفزيون لنشر العلم وتبيين الحق وتثبيت القيم والفضائل بين الناس .

ولكن السائل ، وكان شاباً ممتلئاً حماسة واندفاعاً ، أخذ يجادل سماحة الشيخ مبدياً الجوانب السلبية الكثيرة للتليفزيون وكان يلح على الشيخ أن يفتي بحرمة اقتناء هذا الجهاز ولكن الشيخ أبى وأصر على أن الحكم يتعلق بالاستخدام . وهذه نظرة منهجية واقعية تتيح لدعاة الاسلام توظيف هذه الوسائل لخدمة الدين وربط الناس بمبادئ الحق والخير والجمال .

وكان لقائي الآخر مع سماحة الوالد رحمه الله في عام ١٤١١هـ حيث أجريت معه مقابلة صحفية مطولة لصحيفة «المسلمون» عندما كنت رئيساً لتحريرها .. كان الوقت بعد معركة تحرير الكويت وإعادة

الحق الى أصحابه .. ذهبت إليه في مكتبه بمكة المكرمة وطرحت عليه أسئلتي فأجاب عنها جميعاً ونشرت المقابلة على صفحة كاملة .

وكان للإعلام حضور بارز في تلك المقابلة تجسد في أمرين ، أولهما استجابته الكريمة بإجراء المقابلة لإدراكه أن هناك حاجة ماسة لتوضيح كثير من الأمور التي التبست على عامة الناس ، بل وعلى بعض طلبة العلم أيضاً ، في خضم تلك الفتنة التي أحدثها صدام حسين في عقول الكثيرين ، ومَنْ غَيْرُ الإعلام يمكن أن يقوم بهذا الدور البالغ الحساسية لتوضيح الرؤية وإنارة البصيرة لترتاح الضمائر وتهدأ الخواطر ؟

أما الأمر الآخر فهو سؤالي له عن دور الإعلام في المجتمع . سألت سماحته قائلاً : لقد ظهر في الأزمة الحالية « غزو العراق للكويت » أن لوسائل الإعلام دوراً خطيراً إذ يتابع الناس عن طريقها الأحداث ، ويستقون منها الأخبار ، ويكوِّنون الآراء ، فهل من كلمة حول ذلك ؟ وما دور العلماء وطلبة العلم في التعاون مع وسائل الإعلام ؟

فأجابني سماحته بقوله : « بلا شك أن وسائل الإعلام لها دور عظيم ، ولا شك أنها سلاح ذو حدين ، فالواجب على القائمين عليها أن يتقوا الله ويتحروا الحق فيما ينشرون ، سواء عن طريق الوسيلة المرئية أو المسموعة أو المقروءة .

والواجب أن ينشروا ويذيعوا عن أهل العلم والإيمان والبصيرة أما المقالات الضارة والمقالات الملحدة فينبغي الحذر منها وعدم نشرها .

وعليهم أن يؤدوا الأمانة في ذلك فلا ينشروا إلاّ ما يقود الناس الى الحق ويبعدهم عن الباطل .

وأضاف سماحته في إجابته قائلاً : « والواجب على المسؤولين في وسائل الإعلام ألا يولوا في الإعلام إلا الثقات الذين عندهم علم وبصيرة وأمانة . إن وسائل الإعلام تحتاج إلى رجال يخافون الله ويتقونه ويعظمونه ويتحرون نفع المسلمين والمجتمع كله فيما ينشرون حتى لا يضل الناس بسببهم .

ومعلوم أن من نشر قولاً يضر الناس تكون عليه العاقبة السيئة ، كما أن من نشر ما ينفع الناس يكون له أجر من انتفع به ، ونسأل الله تعالى أن يهديهم ويوفقهم ويصلح أحوالهم .

أما بالنسبة لتعاون العلماء وطلبة العلم مع وسائل الإعلام فقد أجاب سماحته قائلاً ، « هذا واجب ، فيجب على العلماء وطلبة العلم أن يتعاونوا مع هذه الوسائل حتى يرشدوا الناس ويفقهوهم ويعلموهم ، لأن هذه الوسائل يستفيد منها الملايين بدل أن يستفيد من خطبة المسجد المئات والألوف .. لذلك ينبغي على العلماء والأخيار أن يتعاونوا مع وسائل الإعلام فيما ينفع الناس في دينهم ودنياهم » .

إن النظرة الفاحصة لمنهج سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – في التعامل مع وسائل الإعلام تدلنا على أن الشيخ كانت له رؤية بعيدة وثاقبة بعيداً عن الجمود والهروب من الواقع .

ويمكننا في هذه العجالة تلخيص مرتكزات تلك الرؤية البصيرة في أربعة أمور :

أولهـا : إحساسه الواعي بأهمية الإعلام في عصرنا الحاضر .. وقد أدى هذا الإحساس إلى تقديره لخطورة الإعلام وإدراكه أنه أصبح أداة فعالة في التوجيه والتأثير .

وثانيها : نظرته الواقعية لوجهي الإعلام السلبي والإيجابي فهو لم يتبن الرأي الذي يغلب الوجه السلبي للإعلام ويدعو إلى رفضه ومقاطعته .. بل كان واضحاً في التفريق بين الوجهين وبناء الحكم على وسائل الإعلام وفقاً لكيفية استخدامه وتوظيفه .

وثالثها : أنه لم يكتف بتبيين وجْهَيْ الإعلام السلبي والإيجابي ، بل خطا خطوة أخرى إلى الأمام بدعوته إلى حسن استثمار الوجه الإيجابي للإعلام ، فضلاً عن تنبيهه الحازم على ضرورة تخليص الإعلام من الانحرافات وسوء استخدامها لإضلال الناس والاضرار بهم .

ورابعها : الحث على انخراط الأخيار في وسائل الإعلام وعدم تركها لمن يريدون استغلالها في إفساد المجتمعات .. بل إنه كان يدعو العلماء وطلبة العلم للتعاون مع وسائل الإعلام ويعد هذا التعاون واجباً عليهم .. وهذا موقف متميز يدل على عمق التفكير وبعد النظر وسداد البصيرة .

إن منهج إمام العصر في التعامل مع الإعلام يحتاج إلى وقفة متأنية تستند إلى تحليل عميق لمحاضراته وكلماته عن الإعلام ، وإلى رصد دقيق لمواقفه وإرشاداته وتوجيهاته وانتقاداته للإعلاميين .

وهذه دعوة للباحثين والمهتمين بتراث سماحة الشيخ ليولوا هذا الجانب من شخصيته ما يستحقه من اهتمام علمي .

(جريدة المدينة ، العدد : ١٣١٧٥)

قبيل الفقـد مفقـود المثـال

بقلم الدكتور : مازن عبد الرزاق بليله

* رئيس تحرير جريدة المدينة *

فقدان النفيس فاجعة ، لأنه صعب التعويض ، ولكن الفاجعة تكون مضاعفة عندما يكون النفيس نفيساً وفريداً حتى قبل فقدانه ، وهذه هي الصورة الرائعة التي استطاع المتنبي أن يبدعها بريشة الفنان ليرسم لوحةً حزينة ، بالغة الأسى للفقيد الذي فقد المثيل له حتى في أثناء حياته ، فكيف بعد مماته ، لذلك يقول :

وأفـجع من فـقـدنا من وجـدنا

قـبـيل الفـقـد مـفـقـود المثـال .

وقد رزئت الأمة الإسلامية في السنوات الثلاث الأخيرة ، بثلاثة فقداء من هذا النوع النادر الذي صوره المتنبي في هذا البيت ، فقبل عامين فقدت الأمة المفكر الإسلامي الكبير الشيخ محمد الغزالي خلال مشاركته في ندوة الإسلام والغرب بالرياض ، والعام الماضي رزئت الأمة بوفاة الداعية الإسلامي الكبير فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي ، وهذا العام رزئت الأمة بوفاة إمام العلماء الداعية الزاهد سماحة الشيخ

عبد العزيز بن باز ، وكل هؤلاء الثلاثة أعلام للفكر والدعوة ، والعلم الشرعي يندر أن يجود الزمان بمثلهم وهم أحياء فكيف بعد مماتهم ؟

والعلماء هم ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً وإنما ورثوا هذا العلم الذي ينتفع به الناس وجهود هؤلاء الدعاة في نشره وتوعية الناس به مشكورة ، وقد تركوا إرثاً من العلوم والمعارف التي لا تنقطع خيراتها وبركاتها إلى يوم الدين .

إن إحياء ذكرى هؤلاء الدعاة يكون بتدريس مناهجهم ومؤلفاتهم وتحليل آرائهم في الفكر والدعوة ، وتجميع كل ما تركوا من رسائل وكتب و أشرطة وبحوث لتصبح في متناول الفرد والباحث ويصل إليهم الأجر والمثوبة لكل من ينتفع بها ويستفيد منها . علينا توجيه طاقة الحزن والأسى نحو جوانبها الإيجابية التي تجعلنا نوقر علماءنا ، وننمي شبابنا على العمل الصالح وحب العلوم الشرعية وإيجاد البدائل لأن الأمة التي أنجبت هؤلاء الكبار ستكون بالتأكيد قادرة على مواصلة هذا العطاء .

(جريدة المدينة ، العدد ١٣١٧٤)

الشيخ ابن باز .. تواضع العلماء دون التفريط في هيبة الدين

بقلم الأستاذ: محمد خضر
- جريدة المدينة -

هاجت في نفسي الأيام الأخيرة ذكرى الموت ، وأحسسته قريباً مني وتخوفت كثيراً لأنني كيف ألقى الله وما قدمت لي علماً ولا عملاً واستشعر حتى أهلي في البيت أن نغمة الحزن التي اتضحت في كلماتي المكتوبة والمنطوقة معهم أيضاً تدل على أن شيئاً ما سيحدث ، وأنه ربما اقترب الأجل المحتوم . هاجني هذا الشعور الداخلي سيما يوم الخميس الماضي فلم أذهب الى موعد الطبيب المعقود معه ، ولم أستشعر في نفسي إلاّ الانطلاق الى مقر العمل وبسرعة ضارباً بكل شيء عرض الحائط ، حتى من عرض عليَّ رحلة سريعة لطيبة الطيبة نسلم فيها على خير خلق الله ﷺ وننعم في روضته ساعات طيبة ، وجدتني مصروفاً عن هذا العرض ، والذي ما رفضته قط في حياتي ، وما أفرح فرحاً أكثر من فرحي به ، ووجدتني مهرولاً إلى العمل لا ألوي على شيء لأسمع أول ما أسمع خبر وفاة والدنا ووالد الجميع وشيخنا وإمامنا وإمام أهل السنة والجماعة في عصره الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ولو كان في الموت فداء لفديته بعمري وولدي وما أملك ، لكن أمر الله ليس له

رد ولا دافع ، ولا نملك إلاّ أن نقول : ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ . .

والشيخ ابن باز استطاع أن يضبط هذه المعادلة الصعبة والمتمثلة في التوفيق بين الالتزام الحقيقي بالدين مع التسهيل في أمره للمسلمين ، أما التزامه بالدين فقد كان لا يخاف فيه لومة لائم ، ولم يهب فيه كبيراً ولا جليلاً مادام الأمر لله وانتصاراً لدين الله .

أما إن كان الأمر فيما يخص الفتوى فكان يميل – يرحمه الله – الى الأسهل على الناس ، وقد مررت بموقف لا يمكن أن ينسى لا مانع من سرده هاهنا ، فقد جاءني أحد الزملاء يستفسر في أمر طلاق : رجل هدد زوجته إن ذهبت إلى بيت أخيها ، واتصلنا على فضيلة الشيخ عبد الله المنيع عضو هيئة كبار العلماء والقاضي بمحكمة التمييز بمكة فقال لي : يقع الطلاق ، ولا رأي عندي غير ذلك ، وعبس صاحبي وهو يسمع وتقطب جبينه ، ثم عقب الشيخ المنيع بقوله ، اسمع اتصل على الشيخ عبد العزيز بن باز ، فله رأي أسهل من رأيي في هذه المسألة وسوف يفيدك فيها ، وعجبت ضاحكاً من تصرف الشيخ المنيع ومعجباً بسعة أفق العلماء الذين يحترمون رأيهم وآراء الآخرين من العلماء أمثالهم ، وشكرت الشيخ المنيع واتصلت بسماحة الشيخ عبد العزيز فأجاب بأن هذا يعتبر تهديداً وليس طلاقاً ويلزمه كفارة اليمين فقط ، بالطبع انفرجت أسارير الرجل الذي يجالسني وتبسم ضاحكاً من سماع فتوى الشيخ عبد العزيز بن باز ، وهو يدعو الله له بالتوفيق وطول العمر ! !

هذا موقف من مواقفه الجليلة في تسهيل أمر الفتوى ، ولا شك أن هناك آلاف الفتاوى التي كان فيها مريحاً لبال الناس الحائرين في شؤون وشجون كثيرة تقلقهم وتحيرهم ، وقد كان - يرحمه الله - في برنامجه اليومي يجيب عن أسئلة القراء فتصل الإجابات في أحايين كثيرة الى ألف وخمسمائة فتوى في اليوم الواحد ، وكان هاتفه لا يهدأ من الرنين والناس كل الناس من أبناء المملكة ومن غير أبناء المملكة يسألون والشيخ يجيب لهم فترتاح قلوب حيرى وأنفس مضطربة .

وإلى الذين لا يعرفون فالشيخ عبد العزيز - يرحمه الله - كان في مجلسه يفتح هاتفه للجميع وأكثر من خط تليفوني وأكثر من سماعة يرد فيها على كل سائل أو مستفسر . وهو لا يكل ولا يمل ويسجل للإذاعة في برنامجها الشهير نور على الدرب الذي كان هو أيضاً حلقة وصل مهمة بين سماحته وبين الناس ، وكان متابعاً جيداً لكل ما ينشر في الصحف والمجلات وكثيراً ما كانت تأتينا توجيهاته - يرحمه الله - موجهاً وناصحاً ومبيناً للأمور التي يجب فيها التوضيح والتبيين .

أما كرم الشيخ فحدث عن البحر ولا حرج ، فقد كان مجلسه عامراً بالخير ودائم التحايا لضيوفه ومريديه القهوة والشاهي والبخور يطلبها من القائمين على الخدمة لتمر على المجلس ، فإذا جاء الغداء فالجميع على المائدة ، والجميع يطعم من طعامه الطيب المبارك .

وأما تواضعه فقد كان - يرحمه الله - في بيته يلبس القميص

قميص الأجداد بقصره وكميه القصيرتين الواسعتين ويجلس كما يجلس الناس ويأكل مما يأكل الناس ويشرب مما يشرب الناس فلا يتكبر ولا يتعالى بمنصبه ولا بعلمه ولا بكبر سنه أو مقامه عليهم ، فتحدثه وتستفسر منه وكأنه واحد منهم أو أقلهم ، وهو خيرهم وأكبرهم سناً ومقاماً ومنزلة واحتراماً بين كل الناس من أمراء وعلماء ووجهاء وعامة .

لقد كان - يرحمه الله - كما قلت من قبل سداً منيعاً حمى الله به الدين وثبت به أركانه وجعله سببا في حفظ شريعة الله ودعوة الله ما يقرب من ثلاثة أرباع القرن ، يعلم ويدرس ويفتي ويوجه وينصح ويزرع الخير في بلد الخير وبين أهل الخير ليس في المملكة فحسب بل في الدنيا كلها .

أذكر أنه جاءنا الداعية الشيخ أحمد ديدات في زيارة الى مقر الجريدة بجده ، فلما رحب به الناس قائلين مرحباً يا شيخ أهلاً يا شيخ ، قال مستنكراً بتواضع : لست شيخاً ، أنا أحمد ديدات ، إنما الشيخ هو الشيخ ابن باز .. وعجبنا يومها له إذ يخرج نفسه عن دائرة المشيخة ويعتبرها ثوباً كبيراً عليه لا يليق بمثله إنما يليق بمن هو أهله وليس أحق بذلك من الشيخ عبد العزيز بن باز .

وكثيراً ما جاءنا في السنوات الماضية الكثير من العلماء والمفكرين والدعاة من أنحاء الأرض من أمريكا من فرنسا من بريطانيا من ألمانيا من بلدان شتى فتراهم إذا جاءت سيرة الشيخ ابن باز ، يمدحونه ويثنون عليه

الخير كله ، وينزلونه منزلته التي تليق به .

لقد كان - يرحمه الله - رجل علم ودعوة وإعلام أيضاً فهو يتعامل مع وسائله بما يخدم دين الله وهو يدعو الى التعامل مع هذه الوسائل بكل التجرد لله تعالى خدمة لدين الله ونصرة لدعوة الإسلام بكل صورة وشكل .

ألا رحم الله الشيخ عبد العزيز بن باز رحمة واسعة بما قدم لأمته ولدينه ولشعبه ولمسلمي الأرض من نصح وإرشاد وحب لله ولرسوله وعوض الأمة فيه خيراً وألحقنا به على خير وجمعنا به مع الحبيب المصطفى ﷺ ﴿**في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر**﴾ .

(جريدة المدينة ، العدد : ١٣١٧٥)

لمثل هــذا فليعمل العاملون

محمد بن ابراهيم العبد السلام

* الملحق الثقافي (سابقاً) بالمغرب *

مـاذا عسـاني أن أكتب ، والفقيد في حجـم ومكانـة الشيخ عبـد العزيز بن عبـد الله بن باز الذي رحل إلى مثواه الأخير مودعاً باللوعـة وبالتكبير والتهليل من مئـات الآلاف من بني وطنه ، ومن المؤمنين برسالة العلم وبموقع الدعوة والعمل الصالح في حياة الأمة .

تتعثر الكلمات وتتشتت ، ويقف البيان عصياً وكَالاً ، وصور مشهد الصلاة على سماحته في المسجد الحرام ، وتدافع المشيِّعين له في مكة المكرمة في تأثر بالغ على فقيد العلم ، فقيد الدعوة ، المحدث المحقق فقيد الإنسانية في أسمى صورها ، نصير الضعفاء والأتقياء ، محضن من شعر بالضياع في متاهات الخطيئة فجاء ملتمساً كريم الهداية والنصح كل هذه المشاهد المتدافعة تجعل الأفكار مضطربة ، والجمل غير مترابطة ، لكن مع ذلك لا نقول بداية إلاّ ما أوصى به قرآننا العظيم في مثل هذه النازلة ﴿ **إنا لله وإنا إليه راجعون** ﴾ وأن ندعوا الله وهو أرحم الراحمين فنقول : اللهم آجرنا في فقده ، واجبر مصابنا في رحيله ، واجعل الخير في عقبه ، وفيمن يخلفه .

لقد تسلق الرجل العظيم بوطنه وبرسالته العالمية ، فلم يقبل مغادرة تربته الطاهرة حتى وهو في أمس الحاجة – مؤخراً – إلى تلمس مزيد من العلاج الناجع ، ولم يترك الرحيل إلى مكة المكرمة في قيادة الدعوة والإفتاء طيلة أزيد من ستين عاماً إلاّ في الحج المنصرم حيث بلغ به الجهد مبلغه ، وحين استراح قليلاً غادر الرياض ليلقى بقية من حجاج ينتظرون قدومه وتوجيهه ونصحه وتكريمه بفارغ الصبر وكأنه في رحلته الأخيرة على موعد مع قدر رحيله بجوار مقدسات المسلمين حتى يصلى عليه في يوم جمعة في المسجد الحرام من طرف خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده ، وطائفة كريمة من إخوته ، ومن علماء وفضلاء من العالم الإسلامي ومن حشود هائلة من أبناء الوطن العزيز والمقيمين فيه ، قلَّ أن تجتمع من أجل الصلاة على راحل مثلما اجتمعت له ، وفي ذلك مصداق لمضمون الحديث النبوي أن الله إذا أحب عبداً ، أحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض .

لقد أبكى خطيب المسجد الحرام ، وخطباء آخرون في مساجد المملكة حينما نعوا – في أصوات متهدجة – فقيد الأمة الإسلامية وحبرها الرباني ، ثم سردوا قدراً كريماً من خصاله ، وجانباً من سيرته العطرة حتى أخذ المصلون يعزي بعضهم بعضاً ، وكأن الفقيد العزيز أخ أو والد لكل منهم .

لقد زاد تأثر ساكنة الرياض – على وجه الخصوص – حين شاهدوا عبر أجهزة الإعلام المرئية تأثر خادم الحرمين الشريفين ، ومن حضر معه

لأداء الصلاة على الغائب ، وتأثر المصلين في المسجد الحرام ، ثم تدافعهم بل تراكضهم حول نعش سماحة الفقيد ليسهموا ولو للحظات بنقل الجثمان .

لم يخطر في بال أحد مهما كانت دقة ملاحظته أن يرى في الحرم المكي أقواماً ركبوا متن سياراتهم على عجل من الرياض ومن تبوك ومن القصيم ، ومن محافظات أخرى ، رغم طول المسافة وحرارة الطقس ، قدموا لغرض واحد المشاركة في توديع سماحة الشيخ عبد العزيز إلى مرقده الأخير في بقعة من أكرم بقاع الأرض .

لقد تعطل العدد الأكبر من الوصول إلى مكة المكرمة حيث لا توجد مقاعد في الرحلات الجوية ، ذهاباً أو عودة ، مع أن المؤسسة العامة للخطوط السعودية أسهمت برحلات إضافية تقديراً للحدث ، ولكن طالبي السفر أكبر بكثير من حجم المقاعد المتاحة .

عجيب أمر هذا الراحل العزيز وأمر محبة الناس التلقائية له ، فهو أبعد ما يكون استغلالاً لمهمته الكبيرة في استقطاب الآخرين عدا أن يحق حقاً ، أو يذود باطلاً بل إن أكره ما يكره أن يتزلف له وينافق بمديح أو يلبس له كاذب لباس التقوى ، ومهما قيل في طهارة قلبه ، وفي حمل الناس على ظواهرهم ، فإن لسماحته - يرحمه الله - من حدس الإيمان ومن صفاء السريرة ما يمكنه من كشف المخادعين ، وذوي النيات السيئة قبل أن يحققوا منتهى طلبهم .

لقد تولى القضاء – رحمه الله – في سن مبكرة (٢٧) عاماً ، وفي أول مهمة عدلية يقوم بها ، وكانت تسبقه الى منطقة الخرج .. وقاعدتها (الدلم) حرسها الله سمعة علمية وإيمانية كبيرة ، حيث يعدُّ يومها ثالث ثلاثة يشكلون قمة علماء المملكة ، سماحة المفتي السابق الشيخ محمد بن إبراهيم ثم يليه التلميذان المجيدان الشيخ عبد الله بن حميد الفقيه المعروف ، والشيخ عبد العزيز بن باز رحمهم الله .

لقد تدعمت هذه السمعة الكريمة لدى سكان الخرج بأمرين على جانب من الأهمية :

١ – أن مجموعة كريمة ممن كانت تدرس في حلقات المفتي آنف الذكر بالرياض ، وتعرف من خلال مزاملة تلميذه الشيخ عبد العزيز ما يتميز به من نبوغ مبكر فضلت الرحيل معه الى الدلم ، وفي ذلك استمرار لصلتها بالشيخ ، وطلب للمزيد من علمه واجتهاداته ، فكان منهم من ينتمي الى الدرعية ، وإلى الرياض ، وإلى ملهم وحوطة بني تميم ويمامة الخرج ، وحريملاء وبلجرشي ، وزملاء لهم من اليمن والحبشة والعراق ، وكان لهم من جميل المساكن وموصول الاحترام لدى أهالي الدلم ما جعل غربتهم يسيرة سمحاء .

لقد أثارت هذه المجموعة روح المنافسة العلمية في مدينة الدلم التي عرفت علماء فضلاء فكان الشيبان يتسابقون إلى حلقات الشيخ

عبد العزيز فجراً وعشاءً وتنامت هذه الجذوة المباركة حتى وصل البعض منهم في مراحل لاحقة إلى درجات مشرقة في التدريس وفي القضاء .

٢ - الأمر الثاني الذي رسَّخ من مكانة الشيخ - رحمه الله - في الشهور الأولى من وجوده بينهم وأعني ساكنة الدلم وما حولها ، همته السريعة في إشادة جامع كبير بدلاً من الجامع الذي تقادم بناؤه ، دون أن يكون مع سماحته أو مع المواطنين في المدينة ميزانية لهذا الغرض . لكنه عوّض هذا العجز الواضح بتعاون جماعي ، فاستنهض همة الحرفيين والبناة ليتطوع كل منهم بالأيام التي يقدر عليها ، منتظمة أو متقطعة دون مقابل ، ثم كان هذا الوضع مع الذين يعملون في قطع الحجارة الذين تطوعوا بتهيئة ما يلزم للأعمدة والمثلثات ، ثم تطوع أصحاب الجمال بنقل الكمية المطلوبة الى موقع المسجد .

ولما جاء دور السقف تطوع أصحاب النخيل بالتبرع كلٌ وطاقته بعدد من خشب الأثل وجريد النخل ، وحتى أصحاب الجص تطوعوا بإحضاره وإحراقه وغربلته ليكون تحت تصرف الذين يتقنون تبييض الأعمدة والمحاريب .

لم يبق إلاّ فرش المسجد بالرمل طبقاً لما هو معهود في تلك الفترة من عمر المملكة أعزها الله أواخر الستينات فقد تطوع كل النقلة من

أصحاب الجمال والحمر الأهلية بإحضار ما يحتاجه المسجد .

أما عن إطعام الحرفيين والبناة بشيء من جيد الأكل ، فلم يكن متوفراً باستمرار لكن يحدث بين وقت وآخر تطوع بعض الميسورين إعداد وجبة جماعية دسمة أو يتغافل أحد العمال - المعروف بقوته الخارقة - وينتهز زيارة ميسور لتفقد ما تم في بناء المسجد فيخطفه حملاً على الكاهل ، ولا ينزله حتى يعد العمال بأكلة جماعية جيدة التكوين .

وهكذا تم بناء جامع الدلم وتحول إلى خلية علم وعبادة ومدارسة للقرآن الكريم ، ولأحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام ، ولعدد من المتون فقهاً وأصولاً ونحواً ومطولات في التاريخ والسيرة .

تلك نقطتان أعطت للشيخ الراحل في نفوس سكان الدلم على الخصوص ، موقعاً مميزاً إضافة إلى ما سبق وصوله من كريم ذكر وجميل خصال وغزارة علم وعظيم تقوى .

سوف تهدأ شيئاً فشيئاً حرقة الوداع ، ومرارة الحزن على الفقيد انسجاماً مع سنن الله الكونية ، لكن من المؤكد أن أيَّ مارّ بأحد بيوته الكريمة في مكة المكرمة ، أو في الطائف ، أو في الرياض ، إلاَّ سوف تستيقظ في نفسه مشاعر الحزن من جديد على فقد راحل ترك بصمته على كل من زاره ، أو دارسه أو هاتفه ، سوف تبكي مشاعره على فقيد كل فضيلة ، ونصير كل خير ، على الرجل الذي لم يتوقف عطاؤه إلاَّ

بالموت معلماً مستمعاً للذكر ، تالياً داعياً ، مكرماً ضيفه ، متعاطفاً مع زائريه ، مفتياً عن يمينه وعن شماله وبين يديه .

تبكي المسؤول الكبير الذي لم يتمتع يوماً بإجازة ، ولم يخرج يوماً لنزهة ، بل إن الساعة التي يقضيها ضيفاً لدى أحد أحبابه الكثر يعطي لها مفهوماً خاصاً حين يأمر أحد مرافقيه بتلاوة آي من الذكر الحكيم ، أو بقراءة طرف من أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام ليفسر منهما ما يحتاج الى إيضاح ، وفي أحيان أخرى يبدأ – رحمه الله – مباشرة بنصح عام وبموعظة حسنة .

إن الذي يعرف الشيخ عبد العزيز عن قرب ، أو تراسل معه بحثاً عن الحق ، أو طلباً لنجدة ، سوف يبقى إلى أمد غير قريب مترحماً على روح الفقيد ، آسفاً لفراقه .

إن آخر شيء أعتز به ، بساطته الكريمة مع أحد النبلاء في وطننا العزيز ، حيث تحمل مشكوراً تكاليف طبعة ثانية لكتاب (منهاج السنة النبوية) – تسعة مجلدات – للإمام ابن تيمية – رحمه الله – ، والذي كنت أهم بالسفر إلى الطائف لأعرض على سماحته نسخة من هذه الطبعة ، ولأستأنس بتوجيهه الكريم في عملية التوزيع ، ولكن يقضي الله أمراً كان مفعولاً .

رحمك الله أيها الشيخ الجليل رحمة الأبرار وأسكنك مساكن الأخيار ، وجعل الخير في عقبك أنجالاً وحفدة ، وفيمن يخلفك ، وجبر

مصاب الأمة في رحيلك .

﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ ، وداعاً لمن فقدت الأرض سجوده ، والسماء دعاه .

وإذا كانت النفوس كباراً
تعبت في مرادها الأجسام

كأنما هذا الشاعر يصور جهاد الشيخ الطويل ، وما أتعب نفسه من أجله ، فأعطى هذا المعنى الحي لراحل كان يفتي الناس في الحج وهو مضطجع على يمينه بعد أن يبلغ به الجهد مبلغه .

(جريدة الرياض ، العدد : ١١٢٨٩)

وداعاً أيها الوالد .. وداعاً أيها الإمـام

بقلم الدكتور : سعود بن حسن مختار

الله أكبر .. كل الدنيا ضاقت في وجهي على سعتها .. تمنيت لو أن محدثي كان كاذباً او مخطئاً .

مات .. نعم مات !! مات الوالد الحنون والشيخ العالم الإمام عبد العزيز بن باز .

لقد أمسكت القلم والدموع تخط خدي ، هذا الرجل الذي يحلو للأجيال التي جاءت بعده أن تناديه بلقب الوالد .. نعم كان والداً بحنانه بسعة صدره ، بتواضعه .

عرفته قبل حوالى عشرين سنة يوم كنت أشم عبق علمه وشذى أخلاقه يوم كان يجلس في الجهة الغربية من الصحن أمام الكعبة المشرفة وكنت شاباً في الثانوية ، وكان – رحمه الله – في حماس الشباب ، وجلدهم مع أنه كان صائماً وفي رمضان وهو في السبعين من عمره فهو من مواليد ١٣٣٠هـ كان يأتينا كل يوم الساعة الخامسة بعد العصر فيسأله هذا ويرد على هذا ، وقد يأتيه المحرم يستفتيه على عجل عن مناسك العمرة فيقطع درسه ويجيب عليه ، ولربما أتاه بعض الأعراب من

البادية فكان خلقه معهم يذكرنا بخلق النبي عليه الصلاة والسلام .

جاء مرة رجل من هؤلاء يصيح بأعلى صوته أين ابن باز ، أين ابن باز ؟

فسمعه الشيخ وهو يتدثر عباءته القديمة وبكل تواضع رد عليه قائلاً : أنا ابن باز ، نعم .. ماذا تريد ؟ فيدنو منه الأعرابي ويعطيه مبلغاً من المال ويخبره أنها كفارة يمين ويؤكد عليه بشدة أن يصرفها في وجهها والشيخ مرخياً رأسه وهو يبتسم ويأخذ منه المال ويضعه في جيبه .

كان – رحمه الله – نموذجاً للبساطة والتواضع وكنا لربما أتيناه في مسجده في الطائف حيث كُنَّا نصطاف هناك في الإجازة فنفاجأ أن الإمام الذي يصلي به شخص عامي بل وقد يقرأ من المصحف مع أن الشيخ يحفظ القرآن بسنده إلى النبي ﷺ ، ما هذا التواضع ؟ ما هذه البساطة ؟ إنها من رجل كان – رحمه الله – البقية الباقية لعلماء الجيل الأول من السلف الصالح .

أتيت مرة للفتوى فأخذني بعد أن تعرف عليّ إلى طعام الغداء وجعلني بجواره فالله يشهد أن لسانه ما فتر وهو على الطعام يقول الحمد لله وكلما وضع لقمة في فيه فبلعها حمد الله دون تكلف بل يكاد يجرى ذلك مع نفسه وبعد أن تناول لقيمات من السقط – الأكلة التي كان يحبها – تكلم بعض الجالسين عن انحرافات بعض العلماء في

بعض الدول وهو يسمع ويتألم لذلك ، فلما فرغ المتكلم أخذ يدعو لهذا العالم ويطلب من الجالسين الدعاء له أن يهدي الله قلبه .

لم يكن – رحمه الله – من النوع الذي ينعزل عن الناس أو يبتعد عنهم بل كان مجلسه وبيته مفتوحين للقاصي والداني والبعيد والقريب فيعرفه كل فئات المجتمع وكل أجناس البشر .

ولقد ذهبت إلى بعض المناطق النائية في أفريقيا وآسيا وبمجرد أن يعرف أهلها أني من هذه البلاد يكون سؤالهم الأول عن ابن باز .!! وكم فوجئت في بعض المخيمات الطبية بطلبات من بعض الفقراء أو طلاب العلم أن أحمل منهم رسائلهم وطلباتهم إلى الوالد – رحمه الله – .

حججت مرة أنا وبعض الزملاء وفي أثناء النفرة من عرفات كان الباص الذي يقل الشيخ بجوارنا لمدة ساعات طويلة ، وكانت يداه مرتفعتين طوال وقت النفرة وهو يدعو بخشوع وخضوع يؤثر فينا أكثر من ألف موعظة والناس في الباص يتحادثون ويشربون وهو لا يحرك ساكنا يداه مرفوعتان إلى السماء .

وفي موقف آخر صادفته في الصفا يدعو ومعي زوجي وأولادي ولا يعلم إلا الله كم كان تأثير ذلك على نفوسهم جميعاً .. إنه – رحمه الله – بدون مبالغة ولا تقديس ولا إطراء كان من الذين إذا رآهم الرجل ذكر الله .

مـاذا أكـتـب ؟ ومـاذا أتذكـر ؟ ومن أنعي ؟ أكـتـب عن رجل نـشـأ وتربى في أحـضـان القـرآن . . أنعي أكـثـر من ثمـانين عـامـاً من الدعـوة والجـهـاد باللسـان والحـجـة والبـيـان ، أبكي تـاريخـاً حـافـلاً في الرد على المضلين ، أبكي فيها عمق مشاكل الأمة وآلامها ونوازلها .

مـاذا يخط قلمي وقد خذلني في لحظة احتـاج فـيـهـا إليـه . كل ما أقـوله : إنا لله وإنا إليـه راجعـون ، وعـسى الله أن يعـوض أمـتنا خـيـراً في مصابها ونقول كما قال الحبيب : إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع وإنا على فراقك أيها الوالد الحنون لمحزونون ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(جريدة المدينة ، العدد : ١٣١٧٤)

الرحيل الأخير

بقلم : عبد العزيز بن ناصر البراك

* وزارة المعارف *

عندما يرحل رجل مثل والدنا وشيخنا سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله - فذلك فاجعة كبرى على النفوس التي أحبته لجهاده وعلمه وبذله في سبيل الله ، غير عابىء بحطام الدنيا لقد بكته القلوب والعيون من الرجال والنساء ، وكان قبل ذلك قد فجع محبيه عندما رحل مجبراً عنهم إلى موقع آخر من مواقع المسؤولية حيث كان قبل نصف قرن قاضياً في الدلم ونواحي الخرج ، فأحبه الناس جميعهم لما لمسوه فيه من فوائد علمية ، وهو بعد في مقتبل العمر ، حيث نظم وقته ، ورتب درسه ، فأكب حوله محبو العلم ، وتقاطروا من كل ناحية مكونين بذلك حلقة علمية زاخرة بفنون العلم والأدب ، وقد صور ذلك الشاعر محمد العون حيث قال :

وجامع من حصون الدين مدرسة
لكل من أمَّ فيه الناس أو خطبا
مثل ابن باز سما بالعلم فارتفعت
راياته في بلاد طالت الشهبا
هاهم إليها شداة العلم قد وفدوا
من كل ناء من البلدان أو قربا

كما رضي الناس أقضيته كونه قد أخذ على نفسه بالتحري والاجتهاد ومشورة ذوي الخبرة ، يقول الشاعر النبطي :

الشـــيخ بـن بـازٍ فـــراقـــه يـروعـي
وســيع حِلْمٍ للقــضــا يـذكـــرونه

فعندما غادر الدلم آنذاك عام ١٣٧١ هـ إلى الرياض لتوسيع دائرة الاستفادة منه ، انزعج الناس من مغادرته لهم ، وقد عبر عن ذلك شعراً معالي الشيخ راشد بن صالح بن خنين المستشار بالديوان الملكي حالياً ، حيث يقول :

هـو الـبـــاز الـذي يـحـنـو عـلـيـنـا
ويتـــحـــفنا علومـــاً نافـــعـــات
ليـــال قـــد مـــضت والشـــيخ فـــينا
يـبـث الـعـلـم ينـهـض بـالحـــيـــاة
فـلـمـــــا أن زهـت دلـمٌ وتـاهـت
بثـــوب العـــز ترفـل في ثبـــات
تفـــرق شـــملهـــا من بعـــد جـــمع
ونَـقْلُ الشـــيخ عنوان الشـــتـــات

أما الشاعر النبطي راشد بن شعيل - رحمه الله - فقد صور تلك الحالة فقال :

ضـــاق الصـــدر مني وهلت دمـــوعي
من يوم شـــفت البـــاب بِيـــغَلِّقـــونه
الشـــيخ بن باز فـــراقـــه يروعـي
وســـيع حلم للقـــضـــا يـذكـــرونه

اهتــز دليم ثم ركبـوا ربوعي
من يم أبو تركي بعـد يطلبـونه
إن كـان مـا جـاله علينا رجـوعي
عـز الله إن الخـرج عـميت عـيـونه

هذا هو سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – في بداية حياته العلمية قاضياً ومعلماً ، اتَّسم – رحمه الله – بالتواضع وسعة الصدر والحلم ، وهدوء النفس مع الناس بصورة عامة ، ومع الجهال بصورة خاصة ، فلا يغضب لنفس ، ويسامح من يسيء إليه .

كما اشتهر – رحمه الله – بسعة العلم والجرأة في الحق عبر علم ودراية وحسن الإفادة والكرم ، فلذلك لا يكاد يخلو منزله يوماً من ضيف قادم إما للسلام عليه ، أو الاستفادة من علمه ، أو للاستفتاء ، ولكرمه فقد كان يفرح بوفود الأضياف عليه فيستقبلهم أحسن الاستقبال ، ويكرم وفادتهم على اختلاف أحوالهم ، ولقد أبرز شاعر آخر هو الشيخ صالح العلي – رحمه الله – القيمة العلمية لسماحته في بداية حياته العلمية والعملية وذلك في عام ١٣٧٠ هـ ، حيث وصفه بعلامة الشرق ، ونحن نقول بل علامة العالم الإسلامي قاطبة وليس للشرق ، فقال هذين البيتين :

أمـا ابن باز فـلا تلقى له مـثـلاً
في الشـرق مـركـز أهل العلم والكرم

ثم قال في شطر البيت الآخر :

عـلامـة الشـرق لا عـلامـة الدلم

ومن الصفات التي حرص عليها سماحته – رحمه الله – حبه لجمع الكلمة وكرهه للفرقة واختلاف الرأي المؤدي إلى القطيعة والعواقب الوخيمة ، فهو يحض اجتماع كلمة المسلمين وطلبة العلم لما في ذلك من قوة وعزة وانتشار للخير . ولقد كان مثالاً للأب الحاني والمعلم المربي الحريص على نشر العلم عندما كان في المدينة المنورة في رئاسة الجامعة الإسلامية حيث كان الرحيل الثاني من الجامعة الإسلامية إلى الرياض عندما عين رئيساً عاماً للرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، فقد بكاه طلابه ومحبوه في حفل التوديع الذي أقيم تكريماً له ، ولكن في كلتا الحالتين كان عزاؤهم أن يمكن الوصل إليه في أي وقت والاستفادة منه .

أما وقد حلت الفاجعة الثالثة التي فجعت أنحاء المملكة بل وأنحاء العالم الإسلامي ، فهي رحيل سماحته – رحمه الله – الأخير من هذه الدنيا الفانية حيث لم يبق سوى علمه الغزير ، وسيرته العطرة التي يجب على طلاب العلم النهل من ذلك المعين والاقتداء بتلك السيرة التي كان – رحمه الله – يتحرى فيها السنة تطبيقاً وامتثالاً مما يعطي النفس قناعة بإمكان تطبيق أمور الشريعة في هذا العصر المتلاطم الأمواج بالأفكار والآراء المخالفة لشرع الله ، وبذلك يبقى شيخنا – رحمه الله – بيننا بعلمه وحلمه وكرمه مثالاً يحتذى ليعم الخير والمحبة بين الناس وينتشر العلم الشرعي بكثرة طلابه .

فرحم الله شيخنا رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جناته لقاء ما قدم لأمته ولدينه ووطنه .

العالم الإسلامي وفاجعة الخبر

مما كتبت الصحف بعد وفاة الشيخ ما يلي :

أدى المسلمون في مختلف المساجد في عدد من دول العالم صلاة الغائب على الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز المفتي العام للمملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء ورئيس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي ، عقب صلاة الجمعة .

وكان لرحيل الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – أثر كبير في نفوس كثير من المسلمين لفضله وعلمه وزهده . وكانت مآثره وسجاياه وورعه موضوع خطبة الجمعة في العديد من مساجد العالم ، حيث تناول معظم الخطباء حياة الشيخ ابن باز العلمية في خدمة الدعوة الإسلامية والقضاء على البدع والخرافات . وأشاروا إلى اجتهاداته العلمية التي برزت في كثير من فتاويه التي عالجت الكثير من قضايا أمته الإسلامية .

لا تزال الكويت كأي بلد إسلامي ، تعيش فاجعة وفاة العالم الجليل الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – حيث تصدر الحديث عن مآثره للمساجد والصحف والديوانيات . وبينما نعى خطباء

المساجد الشيخ الجليل ، متحدثين عن مناقبه ، أفردت الصحف المحلية ، وعلى صدر صفحاتها الأولى ، نبأ الوفاة ، ورأي المشايخ في العالم الجليل .

واعتبرت صحيفة « الرأي العام » أن العالم الجليل – رحمه الله – كان مرجعاً للمسلمين عامة في شتى أنحاء المعمورة .

وقال رئيس مجلس إدارة جمعية الإصلاح الاجتماعي عبد الله المطوع أن الشيخ ابن باز – رحمه الله – ، يعد من أبرز العلماء ، علماً وجهاداً وتضحية ، مشيراً إلى أن العالم الاسلامي فقد رجلاً أوقف نفسه للعلم والإفتاء ، والنصح .

وقال الشيخ حامد العلي الأمين العام للحركة السلفية : إن فقد الناس كلهم في كفة ، وفقد هذا الإمام في كفة .

وسارعت الجمعيات الدينية ووزارات الدولة وبعض الشخصيات البارزة في الكويت منذ تلقيها نبأ وفاة العالم الجليل إلى الإعلان عن تعازيها إلى العالم الإسلامي بفقده علماً من أعلام العصر ، وفقيهاً من فقهاء الأمة .

وقالت وزارة الأوقاف في اعلان التعازي أن الفقيد العظيم واحد من أبرز علماء الأمة الذي نذر حياته الخصبة لإثراء الفقه الإسلامي ، والمحافظة على أصوله ، والذود بالعلم الغزير والنظرة الثاقبة ، والتدبر الواعي ، عن صفاء العقيدة وتنقيتها من أي شوائب .

ويعد لفقيد والشيخ الجليل - رحمه الله - مكانة خاصة عند الشعب الكويتي بسبب موقفه المشهود ابان الغزو العراقي على الكويت وذلك بعد أن أصدر فتواه الشهيرة بإجازة الاستعانة بالقوات الأجنبية للدفاع عن السعودية وتحرير الكويت من براثن القوات العراقية .

وبعث ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الكويتي الشيخ سعد العبد الله الصباح ببرقية تعزية ومواساة الى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ، بوفاة المغفور له سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز .

وأعرب ولي العهد الكويتي في برقيته عن خالص التعازي لخادم الحرمين الشريفين ولحكومته الموقرة ، والشعب السعودي الشقيق بفقد هذا العالم الجليل .

كما بعث الشيخ سعد العبد الله الصباح ببرقية تعزية مماثلة الى الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ، ورئيس الحرس الوطني وإلى الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام .

وبعث الشيخ سعد العبد الله الصباح أيضاً برقية تعزية ومواساة الى أسرة الفقيد سائلاً الله أن يلهمهم الصبر وحسن العزاء .

وأعرب عبد الحميد المطوع عضو مجلس المنطقة الشرقية عن بالغ حزنه بوفاة الشيخ عبد العزيز بن باز وقال إن رحيله خسارة كبيرة على

الأمة العربية والإسلامية وأضاف بقوله : مهما قلت وتحدثت عن ذلك الرجل فلن أعطيه حقه فهو إنسان عالم جليل قدم الكثير للأمة الإسلامية وله الكثير من الشواهد ... وباع طويل في خدمة الدين . واعتبر رحيل بن باز خسارة كبيرة مشيراً بأنه يعد مرجعاً مهماً للكثير من القضايا الإسلامية وله دور فاعل في إثراء حركة الدعوة العلمية والعملية خادماً للشريعة الاسلامية داعياً للعمل والالتزام بها . كما أنه رحمه الله كان حريصاً على إبلاغ الدعوة الإسلامية ونشرها في مختلف أنحاء العالم العربي والإسلامي داعياً لقضايا المسلمين ونصرتهم .

كما أن سماحة الشيخ قضى حياته طالباً للعلم باذلاً في سبيل نشر الدعوة الإسلامية حريصاً على متابعة أحوال المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها .

ويعد بن باز كذلك مرجعاً في العديد من أمور الشريعة التي تتطلب الكثير من الجهد للافتاء فيها .

وفي مصر ألقى الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر خطبة الجمعة في الجامع الأزهر ، حيث وصف فيها الشيخ بن باز بأنه كان سداً منيعاً أمام دعاوى الإلحاد وأنه نذر حياته وعلمه وفقهه للدفاع عن الإسلام . وقال شيخ الأزهر أن رحيل بن باز يمثل خسارة كبيرة للأمة الإسلامية واعتبره من العلماء المجددين ، مشيراً الى قول النبي ﷺ « أنه يأتي على رأس كل مائة سنة من يجدد لأمتي أمور دينها » .

بعد الانتهاء من صلاة الجمعة أم شيخ الأزهر المصلين لأداء صلاة

الغائب على روح الشيخ ابن باز بينما تناول الشيخ أحمد فرحات امام وخطيب مسجد الإمام الحسين في القاهرة حياة الإمام وسيرته الذاتية وجهوده في خدمة الدعوة الإسلامية .

وقال الشيخ فرحات أن الشيخ ابن باز ترك للمسلمين تراثاً زاخراً من الفقه الإسلامي في جميع القضايا التي تهم المسلمين في حياتهم . وأكد الشيخ فرحات أن ابن باز كان رجل دعوة من الطراز الأول وكان لا يخشى في الحق لومة لائم وكان شجاعاً في الحق لا يخشى بأس أحد . وبعد انتهاء صلاة الجمعة دعا امام مسجد الحسين المصلين لأداء صلاة الغائب على روح ابن باز .

وفي مسجد عمرو بن العاص بالقاهرة أدى جموع المصلين صلاة الغائب على روح الشيخ ابن باز . وألقى الشيخ منصور الرفاعي عبيد وكيل وزارة الأوقاف الأسبق ورئيس مجلس إدارة مسجد الفتح بعد صلاة الجمعة بمسجد الفتح درساً حول دور الشيخ ابن باز في خدمة الدعوة الإسلامية . واعتبره إماماً للدعاة وأنه عاش حياة حافلة بالعلم والدعوة لله وكان سخياً كريماً متواضعاً مدافعاً عن الحق نصيراً للضعفاء .

وقال الشيخ منصور ان لرحيل العالم الجليل والداعية العظيم الشيخ عبد العزيز بن باز أثره البالغ في نفوس المسلمين جميعاً لأن موت العلماء خطب جلل وفقدهم خسارة كبيرة لا تعوض .

وفي مسجد السيدة عائشة تناول الشيخ محمد أحمد مصطفى خطيب المسجد المواقف العظيمة للشيخ ابن باز في خدمة الإسلام

والمسلمين في كل بقاع الأرض . وحث المصلين على الاستفادة من العلم الذي تركه هذا الرجل وقال إن العلماء ورثة الأنبياء وأن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً ولكن ورثوا العلم فمن أخذ منه فقد أخذ بحظ وافر . ودعا الشيخ مصطفى المصلين لأداء صلاة الغائب على روح الشيخ ابن باز ونقلت وسائل الإعلام المحلية في مصر أن نبأ وفاة الشيخ ابن باز سيطر على خطبة الجمعة بمساجد مصر في المدن والقرى .

ومن ناحية أخرى بعث الداعية مصطفى مشهور المرشد العام للإخوان المسلمين برقية عزاء لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز قال فيها : لقد كان لوفاة العالم الجليل والداعية العظيم الشيخ عبد العزيز بن باز أثره البالغ في نفوسنا ، فإن موت العلماء خطب جلل وفقدهم خسارة كبيرة ، لا على أمة بعينها لكن على جميع المسلمين في العالم .

لقد عاش الفقيد طوال حياته سداً منيعاً أمام دعاوى الإلحاد ، ووقف حياته وعلمه وفقهه للدفاع عن قضايا المسلمين . تقبل الله الفقيد العزيز وعوضكم والأمة الإسلامية في فقده وأسكنه فسيح جناته .

وفي الأردن أدى المسلمون في مختلف المساجد الأردنية يوم أمس الأول صلاة الغائب على روح العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز المفتي العام للمملكة العربية السعودية الذي انتقل الى جوار ربه الخميس الماضي بعد حياة حافلة بالعطاء والعمل لخدمة الإسلام والمسلمين .

وقال الدكتورعربيات لـ « الشرق الأوسط » إن نعي العلماء ليس

بالأمر السهل فالعلماء هم منارات الأمة وقادة فكرها ومثلها الأعلى في البذل والعطاء .

وأضاف يقول إن العلامة الشيخ بن باز كان عالماً كبيراً وكان حجة للإسلام والمسلمين . قضى زمناً طويلاً وهو يقود الإفتاء والدعوة والعمل الإسلامي في الجزيرة العربية وله جهود كبيرة في تثبيت دعائم الإسلام والدفاع عنه .

وقال الدكتور عربيات : إن رحيل الشيخ بن باز وأمثاله من قادة الإفتاء والدعوة والعمل الإسلامي لا شك خسارة للأمة بأسرها ولا نملك إلاّ أن ندعو له بالرحمة والثواب والمغفرة .

وقد أقيمت صلاة الغائب على سماحة الشيخ – رحمه الله – في جميع مساجد المملكة العربية السعودية ، وفي عدد هائل من مساجد العالم الإسلامي ، وكان الحديث عن سماحته موضوعاً لكل الخطباء في المملكة ودول الخليج ، والعالمين العربي والإسلامي .

ولم يبق زعيم في بلد إسلامي ، أو وزير أو أمير أو عالم أو مؤسسة دعوية إلا وأعلنوا حزنهم وأسفهم على وفاة الشيخ – رحمه الله – وقد بعث جميع الزعماء في العالم الإسلامي برقيات للتعزية إلى مقام خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي العهد وسمو النائب الثاني ، وجميع الأمراء والوزراء – رحم الله الشيخ – رحمه واسعة ، وأسكنه فسيح جناته .

غداً نلقى الأحبة

بقلم فضيلة الشيخ : سليمان بن محمد المهنا
* قاضي المحكمة المستعجلة بالرياض *

لقد قيَّض الله عزَّ وجل لهذه الأمة المحمدية في جُلِّ أعصارها رجالاً أفذاذاً وعلماء ربّانيين ، يُجددون لها ما خَلُق في قلوب العباد من أمور الدين ، ويُعيدون فيها ما اندرس من معالم الشريعة ، يحملون راية التوحيد والسنة ، ويكشفون عوار الشرك والضلالة والبدعة . يُحيُون فيها رسالة المرسلين وميراث النبيين من الدعوة إلى الله والنصح للمسلمين والقيام علي حدود الله والذبِّ عن حرمات الدين .

تخلقوا بأخلاق النبوة وتأدبوا بآداب الشريعة ، فدعوا العباد إلى الله تعالى بأقوالهم وأفعالهم ، فهم العدول حيث ورد في الحديث « يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين » .

والحديث عن سماحة الوالد الشيخ الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز – رحمه الله رحمة واسعة – ، حديث عن هذا الصنف من تلك الصفوة المذكورة التي أرادها الله أن تكون مناراً للمسترشدين ، ومثلاً حيّاً للمتخلِّقين بأخلاق القرآن .

ومهما سطَّر اليراع من القوافي والمنثور في وصف حاله وذكر فضائله فهو في ذلك مقصرٌ . فلقد طوفت الآفاق وسارت بها الركبان ،

وشهد بها القاصي والداني .

ولقد سعدتُ منذ أيام الصبا بالتتلمذ عليه ، والنهل من علمه ، وملازمته مُدّة من الزمن ، فاستنارت نفسي بعلمه الغزير ، وأدبه الجم ، وغُرِس حبّه في قلبي ، وجرت مودّته بدمي ، ولا يسمح المجال هنا بالحديث عن جهده المبارك ، وسعة علمه ، وقوة حافظته ، وتوقّد ذهنه ، وبُعد نظره إلى غيرها من صفات العظمة التي يتطلب الحديث عن كل واحدة منها مجلدات عدَّة ، ولا يسمح المجال بتفصيل القول عن زهده في الدنيا ومباهجها ، الدنيا التي ارتمت عند قدميه فركلها بعيداً ، وأعرض عنها ، لأن حُبّه الأول هناك ، حيث الحوض المورود ، وحيث الأنهار من العسل المصفى ، ومن اللبن الذي لم يتغير طعمه ، ومن خمرٍ لذة للشاربين ، فقلبه وروحه ووجدانه كانت هناك ، ولم يكن للدنيا منه إلا مقامه فيها بجسمه .

نقّل فؤادك حيث شئت من الهوى
ما الحب إلا للحبيب الأول

فالدار الآخرة هي حبيبه الأول ، والظفر بالجلوس مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء ، هو هاجسه الدائم ، وكان لسان حاله يقول : غداً نلقى الأحبّة ، محمداً وصحبه .

نسأل الله تعالى أن يبلّغه مُناه ، وأن يجعل الجنة مأواه ، وأن يجمعنا به في دار كرامته ، وأن يلهمنا الصبر والسلوان على فراقه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أجمل ما قيل

في شيخ الجيـــل

«ثانياً : الشعر»

لقد رُتِّبت القصائد على الحروف الأبجدية لأسماء الشعراء ، ولا شك أن بينها تفاوتاً كبيراً من حيث الجوده ، ولكن الجامع بينها جميعاً هو صدق العاطفة ، ولعل بعضها يحمل بعضاً ، ولا يعني أن القصائد الموجودة قد حوت أجمل ما قيل في سماحة الشيخ ، فربّما فاتنا من الشعر الجميل الشيء الكثير ، وأغلب هذه القصائد نشر في الصحف المحلية والعربية ، من بعد وفاة الشيخ في ٢٧ / ١ / ١٤٢٠ هـ إلى ١٧ / ٢ / ١٤٢٠ هـ .

أما بعض القصائد فقد تكرم أصحابها بإرسالها لنا مباشرة ، ونأمل من كل أخ لديه مشاركة يرى أنها جديرة بالنشر أن يبعثها إلينا لاعتماد طبعها في الطبعات القادمة - إن شاء الله - ، ولا فُضَّت أفواههم ،،،

المـــؤلـــف

تقرحت الجفون على ابن باز

شعر: إبراهيم بن حسن الشعبي

دها أرجاءها خطب جسيم
وغادر هذه الدنيا الزعيم

زعيم العلم والفتوى بعصر
خوت فيه العزائم والفهوم

وروع عالم الإسلام خطب
وقاصفه له ريح عقيم

أصاب العين في الإسلام منا
فما قلب لنا إلا كليم

ونؤمن بالقضاء رضىً وصبراً
وإن صرعٍ القوى وقع أليم

لفقدك قد طعمنا الحلو مراً
وخيمت المآسي والهموم

فمن للمعضلات إذا اشمخرت
وحار أمام سورتها الحليم

ومن يمتص غضبة كل غر
بصبر زانه قلب سليم
وإن العلم موفور ولكن
بلا رفق شظايا أو سموم
وإن مبرّزاً من دون عزم
كرعديد له سيف صميم
وعضب في يمين النَّطْل نَصْلٌ
خليق بالصدا وهو الثليم
وإن العلم في قلب خراب
لَكَنْز قد تملَّكه لئيم
وإن العلم يكمن في إهاب
خوى من كل مكرمة سقيم
فإن لم تمتلك خلقاً أصيلاً
تخلَّق أو تصنّع يا وسيم
فيا عبد العزيز وأنت حي
تسنمت المكارم يا كريم
حييت موطأ الأكناف سمحاً
إذا صَلْفٌ تقمصه ذميم
وما خلناك منتقماً لنفس
إذا جَلْف تطاول أو زنيم

زهدت بهذه الدنيا احتساباً
وكم أثرى بها قزم دميم
دلفت لداره فرأيت فيه
أثاثاً لا يروق لمن يسوم
فلا (المرباع فيها والثنايا)
ويشهد بيت مكة يا نديم
أعزي كل من صلى ولبّى
ووحد ربه وله يقوم
أعزي كل أرملة وطفل
تيتم في مرابعها يهيم
أعزي الجاليات بكل صقع
فما من واحد إلا يتيم
ويا أفراد أسرته اصطباراً
فما حي على الغبرا يدوم
ويا آل السعود عزاء صدق
وصبراً للنوازل يا تميم
تقرحت الجفون على ابن باز
وماذا يصنع الدمع السحيم
وفي يوم الجنازة قد شهدنا
جماهيراً وشاهدها ضميم

ألا يا صاحب القِدْح المعلى
أمنْت وفي أعاليها تقيم
فما رجل له جاه ومال
يضاهي من بشرعتنا عليم
لكل مهمة ضبط وربط
بدون شروطها لا تستقيم
نصحت سريرة الوالي بلطف
وأنت لمن يعالنه خصيم
وأنت بهذه أحييت نهجاً
رشيداً سنه السلف القديم
لتدرأ فتنة وتكفّ شراً
تمرغ في مآسنه العديم
فقدنا فيك آداباً وعلماً
وبحراً دون لجته تعوم
وحقاً في العرين أسود صدق
ولكن دون شأوك تستقيم
إلى الكبراء من علماء نجد
أوجه ما أقول ولا ألوم
فقد حُمِّلتمُ عبئاً ثقيلاً
تضاعف بعد أن رحل العظيم

فسدوا الثغرة الكبرى بحزم
وعزم لا يلين ويستديم
وأنتم أهل رأي واقتدار
وليس بساحكم من يستنيم
وإن جزيرة الإسلام سادت
ووحد شعبها الدين القويم
وإن عقيدة التوحيد روح
يلقن لبها الطفل الفطيم
ويا (ذاتية النجدي) رفقاً
بنا إن شط فينا مستهيم
لنلمس في تعاملكم عزاء
ويرفأ جرحنا كف رحيم
فبين يديه قد كنا عيالاً
يقيل عثارنا عقل حكيم

تصارع لغتين

شعر : إبراهيم بن عبد العزيز الفوزان

وقع المصائب يلهم التعبيرا
أم أن شاعره يظل أسيرا؟

لغتان في شعري تصارعتا وقد
صار الكلام مرفرفا مأسورا

صعقتنيَ الأنباء لما أرسلت
نبأ يزلزل أمة وعصورا

مات ابن باز يا لها من صعقة
نزعت بأمشاط الحديد شعورا

مِزَعٌ من الآهات ظل نشيجها
ألماً بأعماقي يزيد خريرا

للشيخ حبّ في القلوب غراسه
ودماؤنا تسقي الغراس نميرا

قد كفن الآفاق حزن بعدما
أعلى الإله حبيبنا المشهورا

فعلى البلاد مواجع من فقده
ويذوق منها المشرقان سعيرا

يبكي الزمان على الذي من علمه
جعل الزمان متوجاً مسرورا
والأرض حرّى للذي بشمائل
نثر الخصال غمائماً وعطورا
وفضائل الشيخ الجزيلة في الدنى
درّ يظل على الزمان نثيرا
لو تسكب الأيام طيب فعاله
لَتضوّع الكون الرحيب عبيرا
في البحر في الصحراء في قمم الذرا
آثاره مجد يشع نورا
واسِ الرياض فإن فيها لوعة
هل يطفىء الشعر النديُّ حرورا
تترقرق القطرات في أنظارها
لولا الوقار لتغدون غديرا
وامسح على رأس البشاشة والندى
قد كان حظهما لديه وفيرا
ومجالس تزهو بذكرى شيخنا
والعلم زاد جمالها تقديرا
كم مسلم للشيخ يهدي دعوة
شفتاه أمطرتا الدعاء غزيرا

نطق الوفاء بحب شيخي إنني
ألتاع حين أُفجّر التعبيرا
أستل من غصص الشجون قصيدة
أضع القوافي للفؤاد سريرا
يا لائم الشعراء إن شعورهم
موج العواطف يستقل بحورا
إن الذي مزج البكاء بطبعنا
منح النفوس لدى الهناء حبورا
أإذا تغنى شاعر بمفاتن
أفلا أصوغ لشيخنا تحبيرا؟
فردوس للشيخ الجليل تزيني
مدي له بعد السقام سرورا
فلكم سعى للمسلمين مقدماً
جسماً وقلباً بالصفاء منيرا
وأمضّه هم يخالط وقته
للدين يتعب لا تراه فتورا
لك أيها الحب المسجى بالثرى
دعوات قلب يعرف المقدورا
إيمانه غسل الحروف فما ارتمت
يأساً ولا صبغ السواد سطورا

في كل بيت نازف بقصيدتي
بوح يسلي بالعزاء ضميرا
يتأبط الصبر الجميل مشاعري
والله يأجر صابراً وشكورا

يا شيخ .. عزّبنا أهل القبور

شعر: إبراهيم بن فهد المشيقح

لا الشعـر يجـدي .. ولن تجـديك أوزان
مـات الفـقـيـه .. فللأحـزان مـيـدان

من أين لي أن أصـوغ الشـعـر يا أبتي
وفي فـؤادي من الأحـزان نيـران

مـات الذي كـان يمشي في بصـيـرته
بين الجـمـوع . وجلُّ الناس عـمـيـان

مـات الذي كـانت التـقـوى بضـاعـتـه
مـات الفـريد الذي في الناس إنسـان

مـات الفـقـيـه أبو الفـتـوى وحـارسـهـا
يا بؤسـهـا بعـده .. يتم وحـرمـان

يا شـيخ بعـدك أحـلامي مـفـزعـة
أخـاف أن يُغْـرق البـاقين طوفـان

قـد كنت يا شـيخ سـداً في عـقـيـدتنا
وأنت في لُجَّـة الأحـداث ربان

شـيـدت بالسنة الغـراء منهـجنا
وكم تهـدَّم بالتـزييف بنيـان

رحلت كالطير في الآفاق مبتغياً
صلاح أمتنا .. والزاد قرآن
تهفو إليك قلوب المسلمين كما
يهفو إلى الكعبة الغراء وجدان
أبا اليتامى أرى الأطفال قد فطموا
أما الأرامل فالأحزان ألوان
أنت النصير لطفل هده سغب
وفي بحار الأسى للكهل شُطآن
من للدعاة وقد شدت رحالهم
من بعد شيخ له في العزم عنوان
من بعد شيخ لأهل الدين طيبته
ودون أهل الهوى سجن وسجان
يبكون من ألم .. والخوف يملأني
يبكون من جزع والقلب حيران
تثلم الدين والأحداث محدقة
تكوّر النور والتاريخ سهران
صهيل محنتنا دوى فأفزعنا
وللأسى في عيون الناس أغصان
مآثرُ الشيخ فينا بلسم عطر
وقلبه لاتحاد الصف برهان

أنا الذي جـئت أنعـاكم لروضـتـه
فكلكم لرياض العلم ظمـآن
يا من حـملتم على الأعناق مـهـجـتنا
بالله لا تبطؤوا فـالشـيخ ولهـان
هناك في القـبـر آمـال يؤملهـا
من النعـيم .. فـرب الشيخ رحـمان
النور ، والحـور .. والتـقـوى تؤانسـه
واللحـد في الغـيب جنات وبسـتان
يا شـيخ .. عـز بنا أهل القبـور فكم
يميل بالحي بعـد الميْت مـيـزان

دمعة في عين الأمة

شعر: أحمد حسبو

ساءلت ماذا الدمع والأحزان؟
قالوا «ابن باز» اختاره الرحمن
نبأ تلقته النفوس كصعقة
فتحشرجت وتزلزلت أبدان
ما كان أحوجنا إليك إمامنا
قلباً كبيراً صاغة الإيمان
ما كان أحوجنا لعلمك زاخراً
بحر الديانة ما له شطآن
لكنه أمر الإله وما لنا
إلا الرضى بالأمر والإذعان
يا أيها الشيخ الجليل تحية
نهديكها بدموعنا تزدان
فلكم سكبت الشهد في أفواهنا
ولك المرارة طعمها ألوان
ولكم لنا الأزهار قد أهديتها
والجرح فيك يسيل منه جَنان

ولكم رددت الهم عن أضلاعنا
والهم فيك مبرح يقظان
الأرض تبكي والسماء حزينة
والزهر ذاوٍ والفضاء دخان
تبكي عليك بحرقة أم القرى
والبيت ذو الأستار والأركان
ومقام إبراهيم وشحه الأسى
والحجر بات وطرفه سهران
تبكي المدينة والبقيع وأهلها
والروضة الفيحاء والأفنان
تبكي عليك ذرا الحجاز وسهله
وهضاب نجد دمعها حيران
تبكيك مصر وتونس وبنوهما
ودمشق والصومال والسودان
تبكيك صنعاء وتعلن حزنها
وبكتك كشمير وباكستان
وهناك في حضن الخليج رأيتها
تبكي الكويت وتستجيش عُمان
والمسجد الأقصى بكاك مودعاً
وبكت عليك الهند والبلقان

يبكي عليك الحق كم ناصرته
والخير والإخبات والإحسان
يبكي عليك المسلمون جميعهم
يبكيك إنس المؤمنين وجان
نم يا سماحة شيخنا مستبشراً
فالقبر نور والحساب أمان
يا رب نسألك الثبات لفقده
أنت الكريم الملهم المنان
واقبله عبداً صالحاً واغفر له
وارزقه روحاً بعده ريحان

رحم الله العابد الزاهد

للشاعر الدكتور: أحمد بن عبد الله السالم

مُـودَّعنا قـد ودعـتـه المسـاجـدُ
ووَدعـه جـمع من الناس حـاشـدُ
وودعـه القـرآن أكـرمُ مُنْزل
وودعـه طلابه والمعـاهد
كـثـيـرون من مـاتوا ، ولكن بموته
فـقـدنا أباً كلٌّ له اليـوم فـاقـد
سـيـفـقـده مـسـترشـد بات حـائرا
ويـفـقـده من حـاصـرته الشـدائد
ويفـقـده مـسـترفـد عـاش مـعـدمـا
يـصـارع أقـسى ظرفـه ويكابد
أنا من أنا؟ إن لم أكن غـيـر شـاعـر
إذا نال وجـد قـومـه فـهـو واجـد
فـلا خـيـر في شـعـر يضن بنفـسـه
فـلا يتـجلى حين مـات المجـاهد
ولا خـيـر في نثـر توقف نثـره
عن النثـر ، لم يُنثـر إذا مـات مـاجـد

إلى جنة الفـــردوس يا خـــيـــر قـــدوة
فـــأنت لأهل العلم حـــبـــر وقـــائد
رحلت ومـــا في كـــوننا غـــيـــر راحل
وحـــينئـــذ كل لما فـــات حـــاصـــد
مـــددت إلى الأخـــرى خطاك وثيـــقـــة
وإنك بـالـدنـيـــا الـدنـيـــة زاهد
وكنت لأهل العلم أعـــذب مـــورد
فـــمتّ فـــجـــفت للعلوم مـــوارد
وقـــفت على ثغـــر من الدين واسع
تدافع أصـــحـــاب الهـــوى وتجـــاهد
وقـــدمت منهـــاجـــاً به الناس أولعـــوا
فكل لموفـــور السـمـــاحـــة شـــاهد
فـــقـــدت ولم تفـــقـــد صـــفـــاتك بيننا
تـوارثـهـــا شـــيـخ وطفل وواعـــد
بلا بصـــر لكن لديك بصـــيـــرة
من الله مـــا عـــزت عليـــهـــا الشـــوارد
إذا المعـضـلات اســتـحـكمت وتمكنت
وضـــاقت بأصـــحـــاب الحلول المقـــاصـــد
أدرت لهـــا رأياً حكيـــمـــاً مـــوفـــقـــاً
فـــبـــددها والحلم عندك رائد

يعـــز علينا أن تفـــارق دارنا
ولكن من الأقـــدار نالك واحـــد
وخيـــر عـــزاء أن هذا طريقنا
وليس على ظهـر البسـيطة خالد

رسالة شوق إلى سماحة الشيخ ابن باز

د : أحمد بن عثمان التويجري

والدي أبا عبد الله .. كيف يمكن أن يُعبر الزهر عن فقده لنداه؟ والطير عن حزنه لغياب شداه؟

كيف يمكن لأي لغة أن تظهر لوعات القلوب التي عمرها التعلق بك ، والتقرب إلى الله بحبك وتقديرك؟ وأي شعر يمكن أن يقوى على حمل رثائك والتعبير عن مصاب الأمة كلها فيك؟

لقد رحلت كما يرحل الربيع عن رياضه ، وكما يأفل القمر بعد الليلة القمراء ، وكما ينضب الماء في الواحة الخضراء .

لقد رحلت عنا وقلوبنا معك ، فأي عيش لنا بعدك بلا قلوب ، وأي أنس لنا وقد كنت أنت الأنس والبهجة والضياء .

إن عزاءنا الكبير في فقدك هو أن كل ما أحببناه فيك من الصفات والخصال هو من الإسلام الذي نذرت نفسك وحياتك له ، والإسلام باق ولن يحرمنا الله عز وجل من أن يخرج لأمتنا من يواصل حمل تلك الصفات والخصال .

لفقدك يُلهى عن بديهته الفكر
وتسكب من أعماقنا الدمعة البكر
ولو أن ميتا يفتدى من مماته
فدتك الدُّنى يا بهجة العمر والعمر
ولكن أمر الله في الناس بالغ
فلله منا الحمد والصبر والشكر
ترجلت يا شيخ الفوارس بعدما
تسامت بك الأمجاد واستشرف الفخر
وكنت أباً للمكرمات فمن لها
وقد بت عنا اليوم يحجبك الستر
سيذكرك العلم الذي كنت نوره
ويذكرك القول المسدد والفكر
سيذكرك الخير العميم نشرته
ويذكرك الدرس المبارك والذكر
سيذكرك العباد في صلواتهم
ويذكرك النساك والزهد والطهر
سيذكرك المستعصمون بدينهم
وكل إمام ملء راحته جمر
سيذكرك الأيتام كفكفت دمعهم
وواسيتهم براً فطاب بك البر

سيذكرك المستضعفون جميعهم
ويذكرك المضطر ما مسه ضر
سيذكرك الإحسان والعدل والهدى
وتذكرك الجلى إذا حزب الأمر
رحلت وفي أعماقنا ألف لوعة
وألف حنين لا يكفكفه صبر
رحلت وفي ساحاتنا ألف نكبة
وألف مصاب إذ مصائبنا كثر
على قمم الأفْغان يُخْزى جهادنا
ويسوَدُّ طهر عاث في ساحه غدر
وتجري دمانا في الجزائر أنهراً
ومنا وفينا - ويحنا - القتل والنحر
وفي كوسوفا نمحى وتسبى نساؤنا
ويرهبنا صرب هم الغل والكفر
وفي القدس ويح القدس أين صلاحها
أما آن أن يجلو دياجيرها البدر
أضعنا الهدى يا سيدي فتقطعت
عرانا وأردانا بأرزائه الدهر
وسلط فينا الظالمون فعيشنا
وإن غردت أطيارنا الخوف والقهر

نعـــيش بســـفح للوجـــود ودارنا
ذراه فـــفـــيـــهـــا كل راياتنا الخــضــر
ونمــشــي وراء الــعـــــــالمين أذلـة
ونحن الأُلى فـينا انتـشى العـز والفـخـر
فـيـا سـيـدي عـذراً إذا فـاض بالجـوى
فـــؤاد شــجي فـــالهـــوى كله عـــذر
ويا ســيـــدي يا دوحـــة العلم والهــدى
لمـن ســــينـدّي بعـــــدك الروض والزهر
لمن ســيـــبـــوح الأقـــحـــوان بعطره
لمن ســيـــرق الغـــيم والطَّلُّ والقطر
لمن ســيـــهب النَّسْم عـذباً مـتـيـمـاً
لمن ســيـــضـــوع الطيب والنَّدُّ والعطر
لمن ســيـــغني الطيـــر في غـــدواته
ويشـــرق في أحلى منازله الفـــجـــر
عليك ســـلام الله مـــا التـــاع خـــافق
ومـــا ضـــاق بالأشـــجـــان مِنْ وَلَهٍ صـــدر
ومـــــا سكبت من أعين الناس أدمع
عليك ومـــا دوّى بتـــأبينك الشـــعـــر

الحقيقة والمجاز في رثاء الشيخ ابن باز

شعر : أحمد بن علي القرني

فُــجــعنا به ، والله خــيــر له منّا
فــلا مــسلم إلا بكى قلبــه حُــزنا
ومـا صـبـرُ مـجـروحِ الفـؤاد وقـد مـضى
إمــام الهــدى ، والموت صــار له خِــدْنا؟
تولى ابن باز بعــدمــا كــان في الورى
هـو اللفـظ والمعنى ، هـو اللفـظ والمعنى
جــهــاد ، وعلم واحــتــســاب ، ودعــوة
ونهي عن الفــحــشـا ، مع الأمـر بالحـسنى
كـريم ، كـثـيـر البـذل ، قـد عم جـوده
أخـــو صـــدقـــات ، كـــان لا يعــرف المنّا
هشـوش ، بشـوش ، طيب القلب صـادق
حـمـيـد السـجـايا ، فـهـو كـالروضـة الغنّا
أمـــــال لـه الـلـه الكريم بـلـطـفـــــه
قلوب البــرايا ، فــهـي من حــبــه وسنى
ومــا فــيــه من عــيـب ســوى أن حلمــه
يعــيــد شــمــوس الطبع في يده قِنّا

ضرير ، ولكن يبصر الأمر واضحاً
ويحدس أشياءً قد احتجبت عنّا
يراعي أمور المسلمين ، وإن نأت
ديارهمو شرقاً وغرباً ، بهم يُعنى
يدافع عنهم في المحافل دونما
مواربة ، قد كسر السيف والجفنا
هو الباز في وجه العدو ، تخاله
إذا انقض من هَنّا يصول ومن هَنّا
شكيمته في الحق كالسيف وقعها
ولكنها لا جرح فيها ولا طعنا
وفي العلم أستاذ لكل معلم
فبين يديه المفصحون غدوا لُكْنا
مجدد هذا القرن دون منازع
محدث هذا العصر ، أكبرهم سنا
إذا قام يروي أذهل الناس حفظه
ترى السحر منه قاب قوسين أو أدنى
فقيه جرى في حلبة الفقه رائداً
فتاواه من يسر الشريعة تُستجنى
إمام الدعاة المخلصين لربهم
تلطفه بالناس ، قد زاده حُسنا

هو الفـــرد في زهد فـــأين ابن أدهم؟
ألم تره قـــد زحـــزح العـــرض الأدنى
وفي الخـــيـــر ســبـــاق إلى كل غـــاية
فكم بائس أغنى ، وكم عـــائل أقنى
جنازته فــــوق الرؤوس كـــأنهـــا
ســحـــابةُ مـــزن تُمطر الشـــهـــد والمنّا
جـــمـــوع أتت من كل صِـــقْع فـــلا ترى
ســـوى من يعض الكف أو يقـــرع السِنّا
تذكـــرت قـــولاً لابن حنبل : «بيننا
وبينهم يوم الجنائز» مـــا اســـتـــثنى
ســـلام عليـــه يوم أن كـــان بيننا
وقـــد كـــانت الدنيـــا لمهـــجـــتـــه سـجنا
ســـلام عليـــه قـــبل أن يودع الثـــرى
ســلام عليـــه بعـــدمـــا وضـــعـــوا اللبْنا
ســـلام عليـــه يوم يلقـــاه ربه
فلله مـــا أحلى اللقـــاء ومـــا أهنا
فـــلا نافع مـــال هناك ولا جـــد
ولا قـــيس في ذاك المقـــام ولا لبنى
ترى الناس سكرى من تهـــاويل مـــا رأوا
ومـــا شـــربوا كـــأســـاً هناك ولا دنا

إلهي ألا فـــارحم بلطفك شـــيـــخنا
وأدخله جنات - قـد ازَّخْـرفت - عـدنا
وأسـبغ على الشـيخ الملوّع رحـمـة
فـقـد كـان أوّاهاً ، بحـبكمُ مـضنى
وقـد ناهز التـسـعين ، وأصـفـر عـوده
ونابتـه أسـقـام فـمـا اهتـاج أو أنَّا
بلى كـان صـبـاراً على الجـهـد والعنا
شكوراً برضـوان الإله قـد استـغنى
بذكـرك يا شـيخُ ابنَ باز تضـوَّعت
قـصـائد من أطراك بالشـعـر أو أثنى
شُـروح أفـاضت في بيـان خـلالكم
فـقـد أصـبحت أخلاقكم للورى مـغنا
(مجاز) قصيدي من (حقيقة) حبكم
فلو كـان يوفي الشـعـر بالفـضل طوَّلْنا
شَـرُفْنا بأنّا قـد رثينا وأبَّنّا
وأنا كـتـبنا الشـعـر فـيكم ودوزنّا

نجم هوى

شعر: أحمد محمد الصديق

أي نجم خبا سناه وغابا
فدموع الإسلام تهمي انسكابا
ثلمة في منارة الدين أدمت
مهجة للهدى .. وجلت مصابا
كان ملء الآفاق يسطع نوراً
كان لله قانتاً أوابا
كان روض الإيمان .. ينفح طيباً
ويُشيع الأخلاق والآدابا
قد حباه الإله قلباً بصيراً
يكشف الحق .. يرشد الألبابا
يحمل الهم للحنيفة ديناً
حيث يلقى الأذى ويشكو العذابا
لا تراه إلا كما شئت صدقاً
وثباتاً .. ونخوة واحتسابا
يتسامى تواضعاً وخشوعاً
واحتفاء يؤلف الأصحابا

والفتاوى كأنها البلسم الشا
في تنير الدجى وتهدي الصوابا
بضياء الفرقان يمحو عن الأرْ
ضِ الضلالات .. لا يبالي الصعابا
من ترى في الأنام يخلف هذا الطَّ
ـود يحمي التوحيد والمحرابا؟
يجمع الله حوله كل أشتا
ت البرايا شيباً هدوا وشبابا
وإلى منهل العقيدة يهوي
كل من رام نجوة أو متابا
يا إماماً قاد السفينة حيناً
في خضم الهدى يشق العبابا
كنت غوث الضعيف لا تتوانى
تسعف الأقربين والأغرابا
باذلاً للعطاء غير ضنين
عز من سار في خطاك جنابا
أرّق الخطب كل شهم غيور
فقدوا للأمان بعدك بابا
كنت سداً يحول دون الأعاصيـ
ـر .. كما كنت في الظلام شهابا

يا رعى الله مهبط الوحي رمزاً
يحفظ الدين سنة وكتابا
ها هو المنزل الذي كنت في شو
قٍ إليه .. هيَّا فحط الركابا
جنة عرضها السموات والأرْ
ضُ .. أعدت للمتقين مآبا
فهنيئاً جوار ربك .. فاسعد
طبت عيشاً في قربه .. وثوابا

ولكن طيب ذكراك لا يزول

شعر الدكتور: أحمد بن محمد الضبيب

* عضو مجلس الشورى *

لجسمك أن يغيبه الرحيل
ولكن طيب ذكرك لا يزول
لقد دمعت لفقدك كل عين
أصاب سوادها الخطب الجليل
فلم تك في حياتك غير حر
أمين، لا يطيش ولا يميل
ولم تكن الحياة لديك إلا
مراح مسافر سفراً يطول
فلم تذخر لنفسك غير ذخر
جميل صاغه فعل جميل
وجدنا فيك رأيا لا يضاهي
وعلماً زانه خلق نبيل
بنيت على الشريعة كل فتوى
وكنت عن الشريعة لا تحول
وبعض القوم فتواهم عجول
وبعض القوم فتواهم فضول

فكنت تردهم رداً جميلاً
إذا ما زاغ غر أو جهول
تبين ما ترى بأعف قول
وتتبع بالأدلة ما تقول
وتنهج نهج داعية حفي
بميزان العدالة لا يشيل
فسبحان الذي أعطاك فهماً
وإدراكاً تحار له العقول
وكنت مع الجميع أباً رحيماً
يحب الخير ليس له بديل
لقد فقدوا بفقدك كنز علم
وفقه ليس يُعْوِزه الدليل
فكم جالت بأنفسنا هموم
فكنت شفاءها مما يجول
وكم ضاقت على قوم سبيل
فكنت لها وتنفرج السبيل
وحررت العلوم لطالبيها
وأنشأت المآثر تستطيل
وقد أعطيت من كف كريم
نبيل لا أشل ولا بخيل

فأنت نسيج وحدك في البرايا
وهل لفرائد الدنيا مثيل؟
جزاك الله عنا كل خير
وغشى قبرك الغيث الهطول
مآل الحي يوماً أن يوارى
وغاية شمسنا يوماً أفول
ولو كان الخلود لمن أردنا
لكان أحق بالخلد الرسول

روع !!!

شعر : حبيب بن معلا المطيري

أحـــقـــاً .. طوى ذاك الإمـــام المبـــجلُ
وأطفىء في ليل الخليـــقـــة مـــشـــعلُ؟
أحـقـاً .. طوى شـيخ العلوم وحـبـرها
ومن كـان ذا فـضل من الفـضل أفـضل؟
أحـــقـــاً .. طوى نور الزمـــان وفـــرده
وغـــاب عن الســـفـــر المهـــاجـــر منهل؟
أحـــقـــاً طوى أم ذاك خـــاطر لوعـــة؟
مـــخـــافـــة يأتينا الفـــراق المعـــجَّل؟
لك الله يا بدر الشـــريعـــة والهـــدى
لك الله من شـــيخ له القلب يقـــبل
لك الله من طهـــر زكـــا بمحـــامـــد
يتـــرجـــمـــهـــا علم وقـــول وأفـــعل
ثمـــانون عـــامـــاً يا إمـــام تتـــابعت
وأنت على علم الشـــريعـــة مـــقـــبل
ثمـــانون عـــامـــاً قـــد طويت مـــعلمـــاً
تنيـــر ســـبـــيل العلم للناس تبـــذل

ثمانون عاماً في ذرى العلم قمة
تنيف كطود شاهق ليس يجهل
ورثت علوم الشرع عن كل صادق
فورثتها جمعاً من الخلق حملوا
أعزي بك الأرض التي منك أقفرت
فباتت يباساً وجهها متحول
أعزي بك الأفلاك أخمد ضوؤها
أعزي بك القلب الذي بات يجفل
أعزي بك العلم الشريف وأهله
أعزي بك الإفتاء .. والناس تسأل
أعزي بك الحلقات أطفيء بدرها
فغادرها الطلاب والدمع مسبل
أعزي بك الفقراء غاب معيلهم
أعزي بك العلماء صموا وأذهلوا
أعزي بك الدرس العظيم بمسجد
غدا حزنه يهفو إليك ويأمل
أعزي بك «الفتح» الذي كنت دائباً
على شرحه تجلو العلوم وتصقل
أعزي بك المعروف غاب دليله
أعزي بك الأفعال تسمو وتنبل

أعزي بك الدمعات كنت تفيضها
أعزي بك الركعات والليل مسدل
بنا لابن باز منة قد تقدمت
فقد كان يفتينا وقد كان يبذل
وكان كوجه الفجر نورا ورحمة
وكان كبدر التم يحنو ويجمل
وكان تمام الدين قبل انثلامه
فوارحمتا للخلق إذ قيل يرحل
تحملت مما راعني فيه روعة
وفي رحمة الله الكريم المؤمل

حروف ودموع

شعر: حسين صديق حكمي

وافى النعي فأشجانا وأبكانا
حزناً وأوقد في الأحشاء نيرانا
ومد سلطانه باعاً ليقهرنا
واختار أثقلنا في الخير ميزانا
في كل يوم رأيت الموت يسلبنا
ليثاً ويترك للأحداث غزلانا
أحببته قبل أن أحظى برؤيته
«والأذن تعشق قبل العين أحيانا»
عبد العزيز بن باز طال نائله
بنانه لم يزل بالجود ملآنا
أتى عليه الذي يأتي على بشر
وليس يترك شخصا عز أو هانا
أتى عليه الردى إذ ليس يحجبه
مُكرَّم كان من دنياه ما كانا
لم يلفه وهو هياب لروعته
فقد أعد له زاداً وإيمانا

وهل يهاب الردى من عاش محتقرا
لزخرف ظل فيه الناس طغيانا
من كان للمال موتاً كيف يفجؤه
موت وقد عاش جل الدهر جوعانا
ما الروع إلا لمشغوف بـ «قِلَّتِه»
وقصره والذي يدعوه بستانا
أما الذي عاش سلطاناً بعفته
هيهات يملك منه الروع سلطانا
هذا المسجى بثوب الموت وأسفا
هو الذي بثياب الطهر سجانا
هذا الأسير بكف الموت وأسفا
هو الذي فك يوم الروع أسرانا
هذا الصموت فلا حرف ولا لغة
هو الذي كان يتلو الأمس قرآنا
سلوا أبا فيصل عن صدق لهجته
لو كان يملك فهد العرب سلوانا
سلو أبا فيصل عن حسن سيرته
فإنه الخير إسراراً وإعلانا
كان النجي له دهراً فإن عصفت
قاد السفينة وسْط الموج رُبّانا

فــلا تـلومــوا جـــريحـــاً إثره فلقـــد
جل المصـــاب وبعـــد الصـــبـــر أعـــيـــانا
مـــا خـــصنا الخطب بل عم البـــلاد ضـــحى
وبـلـل الـدمع أو طـانـاً وأجـــــفـــــانـا
مـن المحـــــيط إلى ســــفـح الخـليج إلى
درب النجـــاة إلى أقـــصى خـــراســـانا
راحـت تشـــيـــعـــه الأرواح باكـــيـــة
لـكـن رضـــوان قـــد لاقـــاه جـــذلانا
كـــذاك نحـــســـبـــه في جنة وســـعت
عـــرض الســـمـــاوات يلقى الأنس ألوانا
لا داء يـقـــــربه لا هـم لا نـــصـــبُ
طابت نعـــيـــمـــاً وكـــافـــوراً وريحـــانا
يـا رب أسكـنـه داراً فـي جـــوارك لا
يزال يـلـقـى بـهـــا حـــوراً وولـدانـا

فقـــدنـاك

بقلم : حفيظ بن عجب آل حفيظ

فقدناك

فقدناك يا بهجة الأتقياء

فقدناك علمتنا كيف نحيا

حياة بها لا يكل العطاء

فقدناك والشمس في

الليل تفقد

حتى يعود إليها النهار

وأنت فقدناك لكننا

علمنا علومك فينا منار

فقدناك هذي الحقيقةُ مُتَّ

ولكنها كوقوع الدمار

بكيناك .. حزناً .. وذبنا بكاء

ولكنه لا يفيد الرثاء

فقدناك إنا فقدنا إماماً
يحدث دوماً بقول
الرسول
فقدناك إنا فقدنا عليماً
يقول ، ويفعل قبل المقول
فقدنا دروسك هذي
« البديعة »
تبكي ، وتبكي عليك
الطلول
فقدناك أين « البخاري »
و« مسلم »
« وابن كثير » ، وأين
الفحولْ
فقدناك تروي عن السابقين
وتدعو لهم عند كل سؤال
فقدناك تستحضر الآي
فوراً

بدون ارتباك ، ودون
مطال
فقدناك تستنبط الحكم
فوراً
ترجح فيما روى السابقون
تسير على الهدي في كل
شيء
كأنك في زمن الصالحين
فقدناك براً .. رحيماً
كريماً
تخفف من محنة البائسين
فقدناك تسأل عن أمة
طواها العذاب بطي
السنين
فقدناك تبكي إذا ما
سمعت
عن الحرب تجري على

المسلمين
فقدناك دوماً تنادي تنادي
بتطبيق شرع الإله المبين
فقدناك بالعلم تزخر
كالبحر
تروي لنا سِيَرَ النابهين
نعم أنت أعمى ولكننا
بصرنا بعلمك درب اليقين
وماذا أقول إذا كان
شعري
سيعجز عما حواه الدفين
وماذا عسى الشعر أن
يتكلم
ولكنْ يعجز عن أن يبين
فيا رب واجبر عزاء
الجميع
به وتقبله في الخالدين

لك في الجنان الخالدات منازل

شعر : خالد الخنين

باق تسطر هديك الأقلام
وتظل تزهو باسمك الأعلام
باق على مر الزمان مشاعلاً
تتلى وتقبس ضوءها الأفهام
باق تردك الشفاه ويرتوي
من فيض علمك باحث علام
فكر أضاء بنوره شمس الورى
وأهلَّ نوراً ، والحياة ظلام
هو ذلك الرجل الجليل بقدره
وملاذه القرآن والإسلام
لك في القلوب مكانة مرموقة
ولك الصدور الخافقات مقام
ولك العيون الواكفات بدمعها
ولك القلوب اللائعات هيام
شهدت له الدنيا بطيب صفاته
فهو التقي بأمة وإمام

سمح ، نبيل ، شامخ في علمه
ولدينه متوثب مقدام
شيخ كريم رائع في صحبه
وبساحة الإسلام فهو همام
تسعون عاماً ما فتئت تنيرها
بالفضل تذكر هديك الأعوام
علم الحديث فكم جلوت متونه
حتى استبان لذي العقول مرام
سيظل قدوة أمة في أسرها
فكأنما هو في الخطوب حسام
يا طاهر النفس الأبية كم روى
عنك الزمان ، وخطت الأقلام
خلفت مجداً لا يزول وغاية
فوق الذي تنبي به الأحلام
سنظل مثلك أوفياء لأمة
ويظل ينهض في البلاد كرام
شرفاء فوق ترابنا أبداً وما
يوماً تدنس فكرنا آثام
فجعت بلاد المسلمين براحل
لكنه قدر أتى وحِمام

إن غاب عنا غاب في جسد وما
غابت حقيقة ما رواه كلام
فاهنأ بما خلفت فينا من رؤى
دوماً سيذكرها غد وأنام
إنا على النهج القويم نسير لا
ضلت خطى أبداً ولا أقدام
لك في الجنان الخالدات منازل
وعليك من رب العباد سلام

أبكي على من بكته الناس قاطبة

شعر: رافع علي أحمد الشهري

يا عين جودي بدمع الحزن والألم
جودي بدمع سرى من فيضه بدمي
جودي على عالم الدنيا ومرشدها
على ابن باز فقيد العلم والشيم
على مسار سرت من هديه أمم
ثم استضاءت به في داجي الظلم
من هدي خير الورى قد كان منهجه
فوارث العلم يهدي الناس في الدهم
شيخ الشيوخ ومفتي الأرض قاطبة
وواعظ الناس في حسن من الكلم
بحر العلوم الذي فاضت شواطئه
فأسقت الناس من عرب ومن عجم
مسالك العلم لم تنضب مناهلها
منها استقى كل ملتاع وكل ظمي
عبد العزيز بن باز كان منبعها
حتى ارتوت كلها بالخير والنعم

قاضي الأنام الذي تجري عدالته
لم يخش في الله أهل العذل واللوم
قد كان كالطود للإسلام إن وفدت
معاول الهدم والتشكيك والتهم
وكان حصناً منيعاً راسخاً أبداً
وثابتاً في المآسي غير منهدم
ولّى عظيماً .. كأن الأرض تندبه
كأن أشجارها تبكي مع الأكم
الله أكبر كم أعطى لأمته
بالقول والفعل والتصنيف بالقلم
الله أكبر كم أفتى من البشر
لم يأل جهداً ولم يشكو من السأم
منابر العلم فينا غاب سيدها
تحولت في عويل الواجم البكم
مجالس الفقه والتفسير كان لها
وكان في مجمع العلماء كالهرم
كم من علوم لأهل النحو علمها
فيها الكسائي والزجاج في بهم
يا من رآه وثوب الزهد يلبسه
وليس تالله من شح ومن عدم

بل سنة المصطفى المختــار ينهــجـهــا
ومــن يــحــبَّ الــنــبــي الحــق يــأتمــم
وحــســبــه أنه قــد كــان ناصــرها
مـنـاقـب الـشـيـخ بـين الـنـاس لـم تـرم
يـا لائـمـي كـف عـن لـومـي إذا ذرفـت
عــيناي أو شــفــهــا حــزني فلم تـنم
أبـكي على من بكتــه النـاس قــاطبــة
على ابـن باز الـتـقـي الـعـالـم الـعلـم

شيخاه

رسميه بنت فهد

عليك بالحـــــزن .. وَدِّعْ ســـــابق الجلد
وهل على مـــــثله يا قلب من جلد ؟
جل المصــــاب ، فكل الناس في جـــزع
والنفس في وجل ، والروح في كـــبـــد
جاء الصـبـاح .. ولكن أين بهجـتـه ؟
ما للعصافير قد راحت ولم تعد ؟
كأنها فقدت في العيش رغبتها
أو أنهـا رزئت في صــوتهـا الغــرد !
ما للنهار كئيباً لا حياة به ..
ما للمآذن .. ما للناس في كمد ؟
ما للسماء حزيناً عاد مظهرها ؟
كـــأنهـــا الأم إذ تبكي على الولد !
قالوا لنا : الشيخ قد ولت ركائبه
قد مات عالمنا .. قد مات ؟! واكبدي !
ياعين اِبكي بلا حـــد ولا ســـأم
اِبكي على الشـــيخ إذ ولى إلى الأبد !

ابكيـه .. لا تجـمـدي عـيني من أسف
وبعـد ذا النعي .. لا تبكي على أحـد !
ابكيـه فـالأمـة العـصـمـاء يتـمـهـا
فـقـدان حـامل نور العلم والرشـد
ابكيـه يا أمـتي .. قـد غـار كـوكـبـه
كـأنه الروح إذ تنـأى عن الجـسـد
مما نحـاذر – يا شـيـخـاه – إذ فـتكت
بـك المـنـايـا فـلـم تـبـق عـلـى جـلـد ؟!
مما نخـاف وقـد أصـبـحت في جـدث
وغبت في الترب يا .. يا خير مفتقد ؟!
شـيـخـاه ! مـاذا عـسـاني اليـوم قـائلة ؟
شيـخـاه .. شيـخـاه .. شيـخـاه بلا عـدد !
هل غـاب صـوتك ؟ لا .. لالست واهمـة
فـالنعي جلجل في الأعـمـاق والبلد !
هل غـبت حـقـاً ؟! وجـفـت كل سـاقيـة ؟
هـل غـاب نـورك عن دربي إلى الابـد ؟!
هل غـبت حـقـاً ؟ أجب يا شيـخ ، أسئلتي
تترى .. وصـمـتك لم يخطر على خلدي !
عـهـدت أنك لا تصـغي لسـائلة
إلا وعـادت بـلا هـم ولا نـكـد ؟!

فمالك اليوم ؟ ما للصمت يجمعنا ؟!
بلا حديث ولا متن ولا سند !؟
أستغفر الله ! قد جل المصاب وقد
شططت يا قلبيَ المجروحَ .. فاتئد !
الموت حق ، وكل الناس ذاهبة
ثم العزاء لنا في سالف الأمد
قد غاب أحمد حب الله سيدنا
وهْو المفدَّى بروح الروح والولد
إلى النعيم .. وداعاً .. يا مودعنا
في جنة الخلد عند المالك الصمد
إلى اللقاء .. على الفردوس تجمعنا
محبة في جلال الواحد الأحد ..

الحاضر الغائب

شعر الدكتور : زاهر بن عواض الألمعي

* عضو مجلس الشورى سابقاً ، وأستاذ الدراسات العليا حالياً *

رحلت وباب الحزن للناس مشرع
وجرح الأسى يفري القلوب ويصدع
وكم للرزايا من جراح أليمة
وجرحك في الأعماق أدهى وأوجع
ففي كل بيت مأتم ورزية
وفي كل قطر حل خطب مروع
وعمت بلاد المسلمين انتحابة
تغص بشجواها النفوس وتجزع
دها الخطب مافي النفس من عزماتها
فجاشت وما للصبر في النفس موضع
وخارت قوى بالأمس كانت عنيدة
ولو أنها تبني القرار وتصنع
ولكن هول الخطب أقوى رزية
وأبلغ في صدع القلوب وأسرع

مقامك أغلى في النفوس مكانة
وحسبك بين الناس أسمى وأرفع
لأنك كالبدر الذي في سمائنا
تضيء علوماً بالحقيقة تسطع
وأنت الندى والحلم والعلم والتقى
وأنت لدور العلم ركن ومرجع
وأنت لداعي الخير أذن مجيبة
وأنت لداعي الشر تنهى وتردع
وأنت لأرباب الحوائج مقصد
بما يسبغ المولى عليك ويوسع
فكل يتيم في رحابك مؤنس
وكل فقير في جوارك يطمع
وكل جهول يجتذي منك جذوة
تضيء له درب الرشاد وترفع
وإن حل بين الناس شؤم وفتنة
فأنت الطبيب الماهر المتضلع
يرونك فيهم والداً ثاقب الرؤى
حريصاً لما يهدي العباد وينفع
صبوراً على اللأواء في كل موقف
وتعرف ميزان الأمور وتبدع

رحلت وطلاب السماحة والنهى
لهم منك نبراس يضيء ويلمع
رحلت فدار العز بعدك موحش
ومكتبك الميمون ينعى ويفزع
ومجلسك المضياف قفر مكتّمٌ
وهاتفك الآلي حزين مروع
وقد كان لا يهدا وصالاً ونجدة
ويقرب من كفيك يدنو ويهرع
تواسي به المضطر علماً وحكمة
وتهدي به الحيرى وبالحق تصدع
وحولك كتّاب كرام أفاضل
وكل لما تمليه يصغي ويسمع
جبلت على حب المكارم والنهى
وأنت بفعل الخير للناس مولع
فيا راحلاً والناس حولك هرّع
لقد فقدوا الصبر الجميل وودعوا
يسيح غزير الدمع في وجناتهم
وأكبادهم من لوعة تتمزع
ولو كانت الآجال تُشرى تواثبت
إليك جموع تفتديك وتسرع

ولكنها الآجال وعد محدد
وكل لمثواه الأخير سيودع
جزاك الإله الحق عن كل مسلم
ثواباً وأبقى علمك الثر ينفع
هنيئاً بما قدمته في حياتكم
سيخلد في الأجيال كالغيث يمرع
فأنت الإمام الفذ والعالم الذي
به ترعوي مرضى القلوب وترجع
وإنْ عزاء المسلمين تراثكم
وسيرتكم بالعلم تزهو وتنصع
وبعدك من يهدي الطريق بحكمة
ويأسو جراح المسلمين ويجمع
يقوم على الفتيا فقيه مكرم
جليل وبالمعروف يسعى ويبدع
ألا إنه عبد العزيز وإنما
له من تفانيكم حظوظ ومرجع
فيا غائباً عنا وإن كنت حاضراً
مآثرك الجلى تلوح وتطلع
سلام عليك الدهر ما ذر شارق
وما سحّ من فقد الأحبة مدمع

نم أيها الباز

شعر : زكي بن صالح الحريول

* المعيد بكلية الشريعة بالأحساء *

لـكـل قـلـب إذا مـــا حب أســـرار
وكـل حـب لـغـيـــر الـلـه يـنـهـــار

هـم الرجـــال إذا مـــا جـــئت تمدحـــهـم
ســـمت على الحــرف تيـــجـــان وأزهار

وإن تـواروا بـتـــرب الأرض وا أســـفي
ســـالت مـن الجـــفن شطآن وأنـهـــار

بالله يا قـــوم أخـــفـــوا اليـــوم خطبكـم
ألـيـس لـلـوامـق المفـــجـــوع إنـظـار؟

حــقـــاً أيا قــوم غـــاب اليـــوم ســيـــدكـم
وأصـــبـــح الـعـلـم لا أهـل ولا دار

يا أيهـــا الشـــيـخ جـــمـــر البين يحـــرقني
وفي دمي من هجـــيـــر البـــعـــد إعـــصـــار

والـكـون كـــهـف يـكـاد اليــــوم يـخـنـقـني
والأرض في مـــقـلـة المحـــزون أشـــبـــار

للحب سرٌّ أجل ما زلت أجهله
وكم سواي بسر الحب قد حاروا
أين العلوم التي كم كنت تمنحها
والناس من حولكم سمع وأبصار
أين الوفود التي حطت ركائبها
ببحر جودك يهوي الخل والجار
حتى الطيور التي ضاق الفضاء بها
لها بمسكنكم عش وأوكار
وهبتنا عمرك الميمون في جلدٍ
وصحت : تلك سنين العمر فاختاروا
وإن أتاك يتيم يوم مسغبة
فالقلب والعين والكفان إيثار
وإن شكت أمتي في يوم مظلمة
يكون ذا الحلم حزماً كله ثار
إذا رأته بنور العلم متشحاً
جحافل الجهل كالبنيان تنهار
لولا العقيدة ما احمرت صفائحه
فقلبه لذيول العفو جرار
يا أيها الليل قل لي عن مناقبه
أليس في الليل للعباد أسرار؟

خمر محاجره بيض مدامعه
وفي الشفاه تراتيل وأذكار
ما أحزن القوم والأكتاف تحمله
تبكي عليه وحكم الله أقدار
يا مهبط الوحي صوني قبره فله
بين الضلوع مصابيح وآثار
نم .. أيها الشيخ لن تنساك مهجتنا
ما غردت في ربوع البيت أطيار
نم .. أيها الشيخ لن تنساك مهجتنا
ما دام في الأرض للإيمان أنصار
نم .. أيها الشيخ لن تنساك مهجتنا
ما دام في القلب دقات وأعمار
فإن قُبرنا فعل الله يجمعنا
فإنما الدهر إقبال وإدبار

موت عالم

شعر الدكتور: سعد عطية الغامدي

فقيدُ العلم في الناس الفقيدُ
وحاضره المغيّب والشهيد
يموت المرء بينهم فيُنسى
ويعقبه التنكُّر والجحود
ويقبض عالم فترى تراثا
تقلبه القرون وتستعيد
تراث نبوة وتراث علم
وصاحبه هو الرجل الرشيد
هو الجبل الأشم يكون فيهم
فتتزن الحياة ولاتميد
هو القبس الأتم يضيء فيهم
فتنتظم المسيرة لاتحيد
هو البرهان أن الدين باق
وأن الله يرفع من يريد
يرد عن الضلالة في أناة
ويجمع للكتاب، ولايزيد

ويضـرب في الحـيـاة مـثـال حق
يقـوم عليـه مـيـزان فـريد
ويـرفـع فـي الأنـام مـنـار صـدق
به تُـهـدى القـوافل والحـشـود
وينشـر كلمـا التـبـسـوا ضـيـاء
هو الآيات والذكـر الحـمـيـد
ويرسل كلمـا اضطربوا بيـانـا
يُبـصّـر ، أو يُذكّـر ، أو يـذود
ينـبـه غـافـلاً ، ويرد غـرا
ويرشـد سـائلا إذ يسـتـزيد
فـيُـعـرف للصـلاح صـراط حقٍّ
وتُعـرف للخنا سـبلٌ تقـود
ولا يبـغي من المخلوق أجـرا
ومـا يغني - وإن كـثـروا - العـبـيـد
فـتلك خـسـارة إن غـاب عنهم
وذلك إذ يغـيب هو الفـقـيـد
سَـمَـوت بخـصلتين وقـد تسـامت
خـصـالك فـهي شـامـخـة شـرود
تـواضـع عـالـم للخـيـر يدعـو
فـيـألفـه القـريب أو البـعـيـد

وعـــزة عـــابد لـلـه يـســـمـــو
علـى الدنيـــا ، ويـرفـــعـــه الســـجـــود
يـعـــيـش الـنـاس في الـدنـيـــا لـدنـيـــا
فـــتـــخـــفـض هامـــة ، وتـدل جـــيـــد
تـطـاولـهـم – وإن رفـــعـــوه – خـــاو
وغـــايـة ســـعـــيـــهـم جـــيـف ودود
ويـســـعـى آخـــرون لـنـيـل أخـــرى
هـي الـوعـــد المحـــقـق والـوعـــيـــد
تجـــــــود بمـا لـديـك ، وذو كـنـوز
تـقـلَّـب فـي الـكـنـوز ولايـجـــــود
فـوقـتُك – كـلمـا احـتـجـبـت وجـوه
على العـــافين مـــبـــســـوط مـــديد
ومـا لك – لـيس مـالك – فـهـو فـيـهـم
مـــشـــاع ، لـو تـكـلـمـت الـنـقـــود
وجـــاهـك ، كـــان ممدودا عليـــهـم
تـشـق لـه المـفـــاوز والـنـجـــود
وعـلـمك كـــان مـــتـــصـــلا عـــمـــيـــمـــا
تـلـذ لـه الـقـلـوب وتـســـتـــفـــيـــد
تـتـــابـعـت المواكـب في اشـــتـــيـــاق
لمـنـهـلـه ، وطـاب لـهـــــا الـورود

وأينعت الأطايب في عبير
له الريحان أورق والورود
وأيسرت النفوس على ثراء
هو الورقان .. والدر النضيد
ورفرفت السعادة في ابتهاج
فمن عرف الإله هو السعيد
كذاك العلم إن خلصت قلوب
لغايته ، وجانبها كنود
ووليت القضاء فما استرابت
خصوم فيك ، أو ريبت شهود
ولم يعدم أخو حق نصيرا
ولم يظفر بباطله مريد
تقيم العدل والقسطاس فيهم
وتردع من يجور ومن يكيد
وتفتح للمودة كل باب
فيعدل عن خصومته اللدود
وما كان القضاء سوى سياج
تصان به المحارم والحدود
وما كان القضاة سوى عدول
تقام بها المواثق والعهود

كذلك في القضاء وقفت حدا
إذا التبسوا يقال هنا العميد
وكنت بساحة التعليم شيخا
إلى أفيائه تفد الوفود
تقيم أواصر الإحسان حتى
تحققت العوائد والوعود
وعم الخير أهل العلم حبا
وإكراما وفائدة تعود
فقرت مقلة ، وانسر قلب
يضمهم إليه ويستزيد
ويمضي السائرون على طريق
وراءك والطريق هو السديد
طويت البيد بالسارين تعلو
ويشحذ سعيهم هذا الصعود
فما التبست على سفر سبيل
ولا سئمت من السارين بيد
كذا التعليم إن يرزق أمينا
يقم لجلاله صرح مشيد
وبالفتيا أنرت بكل درب
سراجا ، فهو من حكم وقيد

فكم من حائر أرشدت حتى
أرحت وكان جانبه الرقود
وكم من جاهل علمت حتى
تعلم مايضر ومايفيد
وكم من سائل أبصرت حتى
تبينت الضوابط والقيود
كذلك كنت في الفتيا بيانا
دليلك - كلما سألوا - عتيد
وأحببناك إذ تدعو وتحنو
وسعي حفاتنا فينا وتيد
عفيفا في المقالة ذا جنان
رؤوف ليس يرهقه الحسود
عفيفا في الحوائج ذا معاش
خفيف ليس يشقله الرغيد
بصيرا والبصيرة قد تهدي
ويعمي في الضحى البصر الحديد
أشبت يافعا، ورعت مسنا
ويرفل في شمائلها وليد
كذلك دعوة الرحمن تغدو
بها تغذي النفوس وتستفيد

حزنا إذ فقدنا فيك ركنا
وركن العلم في الناس الشديد
هو الذكرى المضيئة في انتشار
هو الأمل القديم هو الجديد
لك الجنات والغرف العوالي
وعند الله من فضل مزيد
كذلك نحن نحسب - لانزكي -
على رب العباد، هو الشهيد

زهد وحلم في كريم تواضع

شعر: سعد عبد الرحمن البراهيم

حار الفؤاد وتاهت الأبصار
مما يقال وفي الرياض يثار
قرىء البلاغ وفي البلاغ مرارة
تعلو اللسان وفي القرار دوار
هذا الأثير وقد تعثر بثه
وكأنما جذت به الأوتار
أدلت فضائيات تلفاز به
لتبثه في العالم الأقمار
حزن يعذب كل من أدلى به
وأسى به كل الدنى تحتار
خبر كأن الصُّحْف تنثر دمعها
فوق السطور ويفجع الخبار
عبد العزيز الباز راح لربه
معه المثاني الطهر والأذكار
والهدي يسبقه إلى مثوى له
إن شاء ربي والتقى أنوار

رزئت به الدنيا وكل موحد
ذاك التقي اختاره القهار
يا شيخ أنت رحلت عنا والرؤى
شرق وغرب والمدى تسعار
من للحيارى حين ينأى مرشد
من ذا يجيب ليفقه المحتار
كل له من فيض بحرك قطرة
تشفي الغليل وقطركم مدرار
ولديك للداء العضال بلاسم
في حين حار الحاذق البيطار
إن كان في الكتب الصحاح مناهج
فلديك جد المنهج المعطار
فصحيح ما قال البخاري ماثل
فيما تقول ولا سواه قرار
هدي الرسول هو المحكم بيننا
أكدت هذا فاهتدى النظار
بالسنة السمحاء رحت مخاطباً
من أبصروا الدرب السوي فساروا
وضحت في الكتب التي ألفتها
يا شيخ ما تصبو له الأفكار

وسميرك القرآن في غسق الدجى
تتلوه حيث تناءت السمار
إلا ملائكة الإله تحف بالـ
آيات أو ما تشتهي الأسحار
من كانت الآيات منهج سعيه
بشره بالتمكين حيث يصار
يا مفتياً بالدين تنشر فقهه
شمساً تشع فتسفر الأقطار
في كل لفظ حجة يقضى بها
وعلى الصراط يؤمها الأخيار
علّمت أذكار الرسول مصلياً
فدعا بها الحجاج والعمار
قالوا رحلت – أجل – تعتمت الرؤى
من قال هذا خانه الإبصار
يا شيخنا ما غبت والكتب التي
ألفتها تهنا بها الأبصار
ما غبت عنا والكنوز مليئة
بالعلم ، والنصح القويم منار
ما غبت يا شيخ القضاة وأنت في
حكم يصاغ ملامح وشعار

ما غبت والبيت الذي شيدته
للعلم والإطعام صار يزار
جلساتك التقوى ووقفتك الندى
والبيت في زينٍ هدى ويسار
كرم ونبل حاتمي رمته
فاشتاقه الرواد والخطار
ما غبت والعلم الذي بلغته
للناس في كل الشئون يثار
الجامعات استأثرت ببلاغه
أنت العميد متى الصروح تدار
زهد وحلم في كريم تواضع
ولك المدى والفعل والإسفار
نعم الخصال أجل تعذر مثلها
ولكم تتوق لمثلها الأعمار
في كل روض في المساجد وقفة
لكمُ وكف الضارع استغفار
نلقاك في البيت الحرام محدثاً
وعلى الوجوه من الحشود وقار
ولأنت في كل البيوت مؤلفٌ
يُتلى ونصحٌ زاجر أمار

الله أكبر يا سماحة شيخنا
ضاق البيان وتاهت الأفكار
البحر أنتم والعلوم خضمه
حقاً فأين يكون لي إبحار
عفواً فإني عاجز في أن أفي
لخصالكم . ما تفعل الأشعار؟
من أين لي شعر ورجع حروفه
حرق ودمعي إن تحدر نار
لكنه قلبي يصرّح حبه
لكموبهذا لن يعوق عثار
وقف الزمان ليوم موتك ذاهلاً
والشعر أيضاً يعتريه دوار
قد قدر المولى تعالى خالقاً
لا بد تلقى الكائن الأقدار
رزء وليس كمثله رزئت به
كل الأنام فلا النهار نهار
نرجو لنا خلفاً نعز بعلمه
وإليه بالدين القويم يشار
ندعو الإله بأن يجازي شيخنا
رحماته وتحفه الأنوار

وبل الحجاز على ضريح الفقيد ابن باز

شعر فضيلة الشيخ : سعود بن إبراهيم الشريم

* إمام وخطيب المسجد الحرام *

جل المصـــاب وأذكى همي الخـــبـــرُ
حـل المشـــيب بنـا والغـم والســـهـــرُ
شـل الـقـلـوب أسى والـبـين مـــشـلـمـــة
والأرض مظـلمــة يجـتـــاحــهـــا قـــتـــر
يمضي الـزمـــــان عـلى هـم أقـلبـــــه
لـو صب في جـــبـل لاصـــدع الحـــجـــر
تجـــري السنون ولا شـــهـــر نســـائله
مـضى مـحـرمـهـــا وقـــد بدا صـــفـــر
أيامـــــهـــــا دهـر ولـيلهـــــا سنة
لـم يحـــيني طرب فـــيـــهـــا ولا ســـمـــر
عـــفـــا الإمـــام ولـم تـخـــبـــو مـــآثره
عـبـد العـزيز وهل يخـفى لنا القـمـر؟!
شـــيخ العلوم أبو الأشـــيـــاخ مـجـتـهـد
فـــذ أريـب نجـــيـب وصـــفـــه درر
قـطب الحـــديـث وطـود يا أخـــا ثـقـــة
طب القـلـوب لـه قـــدر ومـــعـــتـــبـــر

نّد الزمـــان ولا مَـــيْنٌ يكذبني
في الحـاضـريـن ولا مـا أدّعي هذر
لـم يَـثْـنـه مـلـل عـن كـل مـكـرمـة
يدعـو بهـا وكـذا لم يَثْنه كـبـر
من كـان فـيـه هوى يَشْنا به علماً
فـهـو الصـفـيق وفي إيمانه نظر
إني لـفـي كـمـد ، إني لـفـي وجـل
الشـوق مـضطرم والحـزن يسـتـعـر
هـل من دلـيـل إلى شـيـخ يـشـاكـلـه
أو من قـريـب له يبـدو لنا الخـبـر؟
رباه يا أملي قـد هدني حَـزَنٌ
وضـمـنـي قلقٌ واشـتـد بي ضـجـر
جـسـمـي لمرتعش والنفس مكلمة
والقلب منه دمي يرغـو ويعـتـصـر
البـال منكسف والحـال منهكة
والدمع منحـدر والنفس تنفطر
إني لـفـي عـجب من حـبـه ثـمـل
لو بحت عنه هنا لاستنكر البـشـر
واهاً لطلعـتـه واهاً لبـسـمـتـه
فـبـحـره غـدق ووجـهـه قـمـر

أوقــــاتـه سـنـد يـدلـيـــــه فـي ثـقـــــة
يروي الحـــديث ولا يعلو ويفـــتـــخــر
إن جـئـت مــشـتـكيـاً أرضـاك فـي عـجل
أو جـئـت ملتـمـســاً عـونا فـمـقـتـدر
شـــجــــاع أمــــتنا وصـــدقـــه علـم
والنـصـح مــــذهـبــــه لا الجبن والخـــور
أمـــا الـنحـــيـب إذا خـــاف الإله فـــذا
لـزيم هـيـــئـــتـــه وهـكـذا سـبـــروا
كـم قـــالهــا حكمــاً كم قــالهــا عـبـراً
كـم قـــالهــــا ووعى ذا الفــــرد والأســـر
مــا عــاب ملتـزمـاً مـا اغـتـاب منحـرفـاً
تبـــرا ســــريرته ومــــا بـه وحـــر
كـم كـــان مطلعــــه والقلب في فـــرح
قـــد غـــاب مـــشـــرقــــه في الجنة النظر
من للبـــخـــاري إذا طل الصـــبــاح ومن
يفـري الصحـيح إذا شـيخَ الورى قـبـروا
مـن لـلـبـلـوغ ولـلأوطـار مـنـفـــــرد
لله مـــــا ذهبت أيامـــــهـــــا هدر
من للفـتــاوى إذا مــا غـــاب عــالمهــا
من للقُـــران إذا مـــا أشكل الســور

من للثغور إذا تمضي متارسه
من للدعاة كذا للحق ينتصر
يا طائراً فرحاً في الجو مفترشاً
بلغ مقالة من بالخطب يحتضر
بلغ مقالة من بالفأل مكتنف
جفت مدامعه أو كاد ينفجر
لا بد من أمل في الله مرتقب
فعهده بلج ووعده سحر
إني على ثقة أن ينجلي خلف
إني لمرتقب للصبح ينتشر
لله كم ترح يمضي وكم فرح
يأتي وكم سعد يتلوهما كدر
إن العزاء لنا إيمان من علموا
أن الإله قضى والنافذ القدر
إن الحياة لنا ممر معترك
فساقط بشر وسالم نفر
كم عالم سلبت نفساً له غيَرٌ
كم هالكٍ كمداً بالحزن قد غبروا
رب العباد ألا فاجعل منازله
علو الجنان له قصر به نهر

واجـــعل مـــقـــاعـــده تروي مـــراقـــده
ومـــد ملحـــده فـــيـــمـــا حـــوى البـــصـــر
إن العـــــزاء لبـــيت البـــاز في علـم
عـــوضـــتـــمـــو خلفـــاً والله فـــاصطبـــروا
وفي الختـــام خـــذوا من حـــرقـتي مـــثـــلاً
يمضي الكتـــاب فـــلا يبـــقي ولا يذر
لو كـــان من أحـــد ينجـــو على حـــذر
من مـــوتهـــا لنجـــا عـــدنان أو مـــضـــر
لـكـنـه أجـل لا بـد مـكـتـــــمـــل
يصـــلاه مـــخـــتـــرمـــاً خـــبـــاب أو عـــمـــر
لا تركنن إلى الأســـبـــاب مـــعـــتـــمـــداً
فـالاعـتـمـاد على الأسبـاب مـحـتـقـر
تـأتـي المنون عـلى أرواحـنا غـــيَـــراً
والنفس ذائقـــة للمـــوت يا بشـــر
ثيـــابهـــا كـــفن وطيـــبـــهـــا حنط
وضـــوؤها غـــسق وبيـــتـــهـــا حـــفـــر
إمـــا إلى ســـعـــة في القـــبـــر بادية
أو في ثرى حـــفـــر مـــيـــعـــادها ســـقـــر
لـله كـم ملـك بـالســـول مـــؤتمر
لله كـم ملك أعـــمـــالنا خَـــبِـــروا

من منكر ونكير ما لنا هرب
عما يراد لنا كلا ولا وزر
للنار مؤتمن فمالك حرس
وللجنان يرى رضوان يأتمر
رباه إن لنا في عفوكم أملاً
ما خاب ملتمس والذنب يغتفر
أنت الملاذ لنا من كل حادثة
أنت العياذ لنا من كل من حقروا
ثم الصلاة على المختار سيدنا
ما طاف معتمر أو حج مفتقر

وكسفت شمس العلوم

شعر سعيد بن عبد الله القرني

رحلت وأرواح الملايين تعصر
وأجفاننا من حزن فقدك تمطر
كأنا يتامى بعد موتك كلنا
وكنت لنا نعم الإمام المدبر
وكنا نرى فيك العزاء لحزننا
فكيف نعزى بعدكم ونصبَّرُ
عسى مقلة لم تذر دمعا عليكم
بها رمد من لامح الخطب أغبر
وعلَّ فؤادا لم يصبه مصابكم
يؤرقه هم من البين أحمر
أرى منزلا حللته صار روضه
من الأنس والرضوان بالفوز يعمر
أنيسا بلقياكم عليه سكينة
مهاد به من سندس الفوز أخضر
فقد صرت للأموات أنساً وراحة
وطاف على الأحياء هم مكدر
بكتك العلا والدين والمجد والتقى
وضج لفرقاكم كتاب ومنبر

ويكفيك يا رمز السماحة والنهى
فذكرك بين الناس مسك وعنبر
فيا غاسليه كفكفوا الماء علنا
نغسّله بالدمع فالدمع أجدر
ورفقاً به يا حامليه فإنه
رفيق بدين اليسر دوما يبشر
فإن تقبروا جثمانه في تنوفة
فها هو في أعماقنا بات يقبر
وإن يرتحل عنا فقد صار بيننا
بسيرته الغراء يطوي وينشر
إلى أين يا رمز السماحة والنهى
إلى أين يا ذاك الثناء المعطر
إلى أين يا هادي السفينة في السرى
وكنت بنا في لجة الخطب تبحر
دعيت فلبيت النداء مسافرا
فكم أضحت الأيام بعدك تقصر
فلو أن هذا الموت يقبل فدية
فديناك بالأرواح والأمر أيسر
عليك سلام الله ما اهتز شوقنا
إليك ورضوان من الله اكبر

له من كل منقبة رداء

شعر الدكتور : سليمان بن عبد الرحمن العبيد

بلى والله قد نزل القضاء
وهال الخطب واشتد البلاء
وباتت أمة الإسلام ثكلى
وليس لما ألم بها دواء
وعم الفجع ساحة كل بيت
وكاد لما به يهوي البناء
ودب الحزن يعصر كل قلب
تلازم والأسى فهما سواء
وجلل مهبط الوحيين صمت
يقطعه مع الحزن البكاء
غداة أصاب روع الناس سهم
من الناعي وقد برح الخفاء
نعوه ضحى وقد أضحى ابن باز
مع الأموات إذ كتب الفناء
فليس مخلدا حي كريم
وفي موت النبيين العزاء

وليس يدوم للأحياء عيش
وليس للذة الدنيا بقاء
تكدره وإن طال الليالي
وتخطفه من الأرض السماء
إذا وقع المصاب فليس يجدي
لدى وقع المنيات البكاء
ثوى شيخ المشايخ لا يجارى
له من كل منقبة رداء
له بين البرية سيب جود
به شهد الألى غرفوا وجاؤوا
رحيب الصدر زينته عطاء
وألفي عند منزله السخاء
هموم المسلمين له هموم
إذا سيئوا لحادثة يساء
وإن نالوا من الرحمن فضلاً
تغشته السعادة والهناء
إذا ما المسلمون غدوا حيارى
ودب الخلف يعصف والمراء
تصدى يجمع الشمل ابن باز
وأصلح خلف بينهم ففاؤوا

إذا جن الظلام جثا سجودا
وتعليماً إذا بزغ الضياء

فنون العلم سهلها لفهم
يحل المشكلات له ذكاء

دعوت لدين ربك مستديماً
تساوى السقم عندك والشفاء

وحزت محامداً وخلاك ذم
وشيمتك السماحة والوفاء

وناصرت الولاة محضت نصحاً
لهم منك المحبة والولاء

وكنت لهم لدى الجلى معيناً
على الأيام ديدنك الصفاء

بنور الشرع تبصر، ذو سداد
برأيك في الملمة يستضاء

وقلبك واسع وتفيض رفقاً
فلا ملل هناك ولا جفاء

فغادرت البلاد وكل قلب
به صدع به كلم وداء

ليهنك ما رأينا من شهود
بأرض الله كلهم ثناء

إله العرش فاجعل منتهاه
لعليين يكرم لا يساء
وهون عرضه وأفض عليه
من الرحمات غاية ما يشاء

ما لعينيك تسكبان الدموعا ..؟

شعر : سليمان بن عبد العزيز الشريف

ما لعينيك تسكبان الدموعا؟
لست صبرا على الأسى مستطيعا
أمر العقل أن أكون جليداً
ونهتني مشاعري أن أطيعا
بين عقلي وبين فيض شعوري
لم أحقق تقدما أو رجوعا
ذا ينادي بالصبر وهو جميل
وشعوري يقول لي : كن هلوعا
عظم الخطب لم يتح لي اختيارا
كدت من هول ما جرى أن أضيعا
فاستهلت مدامعي واستدرت
رأفة العقل فاستجاب سريعا
وإذا القلب بعدما صدمته
شدة الرزء قد تهاوى صريعا
وتداعت للأمر أعضاء جسمي
كل عضو من المصيبة ريعا

حولتني ، من بعد أن عيل صبري
وطأة الحزن شهقة ودموعا
يضعف المرء إن دهته الرزايا
ومن الدهر ذاق ضربا وجيعا
هل أنا الراشد الذي قارب السبـ
ـعين عاماً ، أم لا أزال رضيعا؟
أتراني وحدي رزئت أم الرزء
محيط بالمسلمين جميعا؟
أي خطب أشد من فقد شيخ
كان في الفقه والحديث ضليعا
وبعلم الرجال ليس يبارى
صار في حلبة السباق ذريعا
والمواريث وهو علم دقيق
زاد فيه تفوقاً وبروعا
هو في عالم الدعاة إمام
فإذا ما دعا يلاقي سميعا
شاع ذكراً وعم في الناس نفعاً
فهو كالشمس مغرباً وطلوعا
لا يباهي بفعله أو يرائي
طاب لله نية وصنيعا

همــه في الحــيــاة أن ينشــر التــو
حــيــد والعلم نافــعــاً أن يشــيــعــا
بطل في الدفـــاع عن حــوزة الديـ
ـن بعلم فكان ســداً منيــعــاً
لا يحــابي في مــجلس العلم والعــد
ل رفــيــعــاً ، ولا يجــافي وضــيــعــا
إنما الفــضل للذي يكسب الإســ
ـلام والمسلمين شــأناً رفــيــعــا
واسع الصــدر لا يضــيق بمن يســ
ـأل في الدين يطلب التــشــريعــا
يسع الناس رحــمــة وحنانا
ويواســيــهم لطيــفــاً وديعــا
طاهر القلب ليس يحــمل حــقــدا
أو خــصــامــا يطوي عليــه الضلوعــا
ورع زاهــد تــقــي نــقــي
كل أعــمــاله تزيد سطوعــا
كم رعى للأيتــام شــأناً وواسى
ثاكــلات ، ومن تضــور جــوعــا
كــان عــوناً له على كــسب رزق
والأيامى به وجــدن الشــفــيــعــا

كم بيوت حامت عليها المآسي
كل فرد قاسى العذاب ملوعا
يفتاويه مد جسر نجاة
بعد أن قارب البناء الوقوعا
فأعادوا حياتهم من جديد
وارتدوا خشية الشقاق دروعا
واستقروا وكان ذلك درسا
رأبوا بعدما دعوه الصدوعا
قد وجدنا في فعله سلف الأ
مة علماً مع التقي وركوعا
ذكرتنا خصاله الغر سعداً
وسعيداً ومالكاً ووكيعا
وقته حافل بكل مفيد
ومن الليل لا يطيل هجوعا
يبتدي يومه من الفجر حتى
موعد النوم حين يمضي هزيعا
ينقضي بين دعوة وفتاوى
ودروس نهاية وشروعا
وشروح على المتون وتألي
ـف ورد على ابتداع أشيعا

ولقاءات من يقومون بالدعـ
ـوة سراً وما جهارا أذيعا
عمل دائب فما ارتاح يوماً
من عناء أو زار روضا مريعا
نشط في الأمور لم يأل جهدا
أو يكن للخمول يوماً ضجيعا
كل أوقاته سواء فلا يكـ
ـره صيفاً ولا يحب ربيعا
إنما يمقت التهاون في الديـ
ـن ومن كان للحقوق مضيعا
لم يذق زاده وحيدا مدى الدهـ
ـر ولكن يأتي الضيوف جموعا
كرم فاق فيه حاتم طيء
لم يكن للقرى شحيحا منوعا
وجبات ، في كل يوم ، ثلاث
كل وقت تلقى الضيوف رتوعا
لم يكن مسرفا وليس بخيلا
حامدا ربه شكور قنوعا
هذه بعض ماله من خلال
ما أتاها تصنّعاً أو خضوعا

فهي فضل من الإله عليه
لم يحاول إلى سواها نزوعا
ربنا اجبر مصابنا بابن باز
واجعل قبره منيرا وسيعا
وأثبه يا رب جنة عدن
واعف عنه والمسلمين جميعا

كيف السبيل؟

شعر الشيخ: عبد الرحمن المنير المساعد

الله أكبر كم تموج من الورى
زمر إليك قد اعتراها ما اعترى
نزل القضاء بساحها وتقلدت
لحن النشيج ببطن مكة أحمرا
والأخشبان ومن على بطحائها
مهج تذوب حشاشة وتحسرا
عظم المصاب ولا مصاب سوى الذي
خطف القلوب برمحه وتخيرا
تلك الجموع بقضها وقضيضها
من كل صوب بالمصاب تأثرا
من رائح جعل الهجير وقوده
أو مدلج ما رده طول السرى
لم يدر ما خطر الطريق وقدره
فالخطب أعظم أن يرى ويقدرا
رمز الوفاء لشيخهم ولبازهم
إرث تبلغه السنون الأعصرا

حملوه من فوق الرقاب مبجلاً
شح الزمان بأن يعاد مكررا
والتفهم صمت بصرة نعشه
وأتى النشيج بعيد ذاك معبرا
وإذا المصائب بالضعيف تفردت
صدقت عيني أن تكذب ما ترى
كل يكفكف دمعه بردائه
وأنا الذي كفكفت دمعي أنهرا
قولوا لمن رزق التجلد ساعة
كيف السبيل لأن تصاب وتصبرا
لو أن ما بي من مصيبة والد
فوق المشقر لاستحال تكسرا
سبحان من جعل القلوب بحبه
والعروة الوثقى على كل العرى
ما كان بالفظ الغليظ يهابه
راج ولا الغصن الرطيب فيعصرا
عُليا الخلائق بالعباد تفرقت
وأتين من يمناه مسكاً أذفرا
بالعلم بالبذل السخي بحلمه
أضفى على التاريخ وجهاً نيرا

مـــا ضل من نبـــراســـه في قلبـــه
نفـــذ القـــفـــار شـــعـــابهـــا والأبحـــرا
ســـاق اليـــراعـــة والكتـــاب ورأيه
وأتى الثـــغـــور على الحـــدود وحـــررا
لـولاه والقـــــوم الكرام لما اهتـــــدى
قلم على الدرب الغـــوي تعـــثـــرا
في عـــالم أكل القـــوي ضـــعـــيـــفـــه
والثـــعلبـــان يريد أن يتنمـــرا
يا غـــــاديات المزن من تلك الرؤى
مـــا ضـــر قـــبـــرا من غـــمـــامك إن جرى
فـــاســـتنبـــتي في قـــبـــره زهر الربا
فـــهـــو الجـــدير بأن يعـــز ويذكـــرا
نجم تألق في الســـمـــاء ضـــيـــاؤه
وطوى المســـيـــر وصـــار من حظ الثـــرى
كل البـــقـــاع تريده ذكـــراً لـهـــا
واســـتـــأثرت بأريجـــه أم القـــرى

زان المجالس محفوفاً برفقته

شعر الدكتور : شكري محمد سمارة

* أستاذ الأدب والنقد بكلية البنات بالمدينة المنورة *

خطب ألم وأحزان نعانيها
في موطن العرب والإسلام ناعيها
قد أرقتنا صروف الدهر في رجل
هو السماحة في أسمي معانيها
منارة العلم والإيمان فيه بدت
فأثمرت عالماً شيخاً مغانيها
ألقت إليه عيون الدين منطقها
فارتادها وتسامى في مراميها
أمسى وأصبح في علم ومعرفة
حتى أتى بعجيب من مبانيها
يروي أحبته والعارفون به
من الغرائب ما قد عز راويها
ذكاؤه في اتقاد جل واهبه
نعماء ربك حتماً لست تحصيها
تسعون عاماً قضى للعمر مقتطفاً
وناثراً علمه لله تنزيها

قد كان نجماً من الآيات مغترفاً
فزاد أمته علماً وتفقيها
وكاتباً في صنوف العلم يرسلها
يثري المعارف تحليلاً وتنويها
زان المجالس محفوفاً برفقته
يسدي النصائح عن علم ويلقيها
كذا الفتاوى تواتيه مدعمة
دليله الله في آي يؤديها
سهل أمين دقيق في إجابته
عن المسائل يستفتى فيفتيها
ما كان من عقدة إلا أتى فطناً
بحلها فهو قاضيها ومفتيها
وكان هدي كتاب الله قائده
كذاك قول رسول الله معليها
لم يجتذبه الهوى أو مال عن عمد
إلا إلى الحق تحذيراً وتنبيها
وفي الحديث له باع وتجربة
يؤيد الآي قاصيها ودانيها
أما القضاء فحدث دونما حرج
فللقضاء حقوق كان يعليها

قد أعمل العقل في أحكامه فأتت
مثل النجوم سطوعاً في لياليها
إن القضاء دهاليز معقدة
يضل فيها بصير من دياجيها
لكنه برجيح الرأي ذللها
وبالذكاء وروح العدل يقضيها
الحزم والعزم والتقويم ديدنه
كذا العدالة أعطته مراسيها
لم تعيه حيلة المحتال يحكمها
وإنما بحصيف الرأي يعييها
دعا إلى الخير في سر وفي علن
لأمة كاد طول اليأس يبليها
وراح يدفع عنها كل مظلمة
يرد بالحق ما بالحق يحميها
نادى بتوحيدها حتى تكون لها
بين البرية أمجاد تغنيها
قد كان يأمل أن يحيا إلى أجل
يرى السعادة تسعى في روابيها
قد كان يأمل أن يحيا إلى أجل
يوحد الدين دانيها وقاصيها

قــــاد الدعــــاة إلى الإســـــلام رائده
نور الحــقــيــقــة يعليــهــا ويثــريهــا
يدعـــو بحكمـــة تنزيل ومـــوعظة
تهـــفـــو النفـــوس لدين الله باريهـــا
كم ضـائع مـجـرم وافـاه مـقـتـرفـاً
فـــأعلن التـــوبة المثلى لداعــيــهـــا
وكم فـقـيـر يقض النوم مـضـجـعـه
بالمال وافـــاه لا فـــخـــراً ولا تيـــهـــا
وكـم بيـــــوت أنـاس هـدهـا حـلـف
وطلقـــة رحت تبنيـــهـــا وتحـــمـيـهـــا
حـــتى الملوك إذا اســتــفــتــوه في جلل
في الدين وافـــاهم نـصـحـــاً وتوجـيـهـــا
عـــبـــد العـــزيز .. إذا فـارقـتنا جـســـداً
فـــإن روحـك مـــا عـــشنا نناجـــيـــهـــا
خلفت فـــينا تآليـــفـــاً تهش لهـــا
نفس الكئـيب ونور العلم يشـفـيـهـا
برامج مـــالهـــا حـــصـــر وأجـــوبة
نور على الدرب ملء الســمع تزجـيـهـا
مــفــتي الديار ونور الحق قـد فـجـعت
بك الرعـــيـــة وارتجت نـواحـــيـــهـــا

جـزيت بالخـيـر فـيـمـا قلت من كلم
مـا قـد نطقت ومـا الأسـفـار ترويهـا
قـصـداً إلى الخـيـر يمضي دونما ملل
أمـواله في سـبـيل الله حـابيـهـا
قـد بارك الدعـوة الكبـرى وآزرها
بالمال والقـول والأفـعـال يبـديهـا
فـبـارك الله في مـال وفي ولد
وعم أسـرته عـزاً وترفـيـهـا
عـزاؤهم أن ذكـرى الشـيخ باقـيـة
من بعـده وثمـار العلم نجنيـهـا
صلت عليك جـمـوع المسلمين وقـد
بلت دمـوعـهم حـزناً مـآقـيـهـا
صلى عليك كـرام الناس حـاكـمـهم
في ثلة من رجـال العلم راعـيـهـا
مـصـيـبـة الموت أمـر لا نضـيق به
هي الطريق إلى الأخـرى نماشـيـهـا
مـحطة هذه الدنيـا سنعـبـرها
إلى الخلود فـجل الله باديـهـا
مـشـيـئـة الله في الأكـوان نافـذة
الله بادؤها والله منهـيـهـا

مضى ابن باز لأمر كان يعلمه
فقبله المصطفى وافى وكم فيها
عزاؤنا أن للإسلام من وقفوا
عليه أرواحهم لا شيء يثنيها
ففي تلاميذه خير وتأسية
لعالم مسلم حر نرجيها
إن مات عبد العزيز الباز والده
فالخير في أمة التوحيد حاديها
صقر مضى وصقور إثره حملت
عبء المسيرة والقرآن هاديها
يا أمة صانها الرحمن مذ خلقت
وخصها برسول الله آسيها
عودي إلى الدين فهو الخير مجتمع
واستعصمي بحبال الله واشريها
هذا رثائي لشيخ عالم بطل
في ساحة الحق دعوى الكفر يرديها
رثيت فيه جميع الناس في وطني
في الشرق والغرب آلام يعانيها
إني رثيتك تقديرا وتكرمة
وجرح أمتنا قد أزَّ عانيها

مضيت يا شيخنا والحزن يطحننا
وأمة كادت الأحزان ترثيها
يا رب ثبت على الإيمان أمتنا
ولا تزغها فأنت الله هاديها
وأدخل الشيخ جنات وعدت بها
واجعل له مستقراً في أعاليها

فقيد الأمة الإسلامية

شعر: صالح بن حمد المالك

آن للدمع أن يسيل انسكابا
حينما ودع الإمام وغابا
آن أن تبصر الأحبة طراً
يتباكون حسرة واكتئابا
آن أن تلفي التقي حزينا
تائه الفكر والفقيه مصابا
آن للعلم والتقى أن ينوحا
آن للفضل أن يئن انتحابا
ولقد ودع الحياة إمام
غرسه جاد بالثمار وطابا
عالم صادق كريم أمين
قد أحب محمداً والكتابا
وسعى للإسلام سعي صدوق
وإلى الله قد دعا وأنابا
إنه شيخنا الجليل ابن باز
من له الناس أصبحوا أحبابا

إن فـقـد الإمـام خطب جـسـيم
روع الأهـل كلـهـم والـصـحـابا
روع المسـلـمين فـي كـل صـقـع
ورمـاهم بسـهـمـه وأصـابا
فـجـعـت أمـتي بأكـرم شـيخ
عـاش يدعـو إلى الصـلاح احـتـسـابا
عـاش لـلمـسلمين يحـمـل عنهم
كل عـبء ويـسـتطيب العـذابا
عـاش للحق داعـيـاً ونصـيـرا
مـسـتـحـبـاً في قـومـه مـسـتـجـابا
ورعـاً زاهداً تقـيـاً نقـيـاً
طاهر الثـوب قـد سـمـا أن يُعـابا
مـيـزته سـمـاحـة لا تجـارى
وسـخـاء مـا أغلق العـمـر بابا
بيـتـه ملتـقـى أكـارم قـومي
يلتـقـيـهم شـيـوخـهم والشـبـابا
يلتـقـيـهم بكل حب وعطف
فـينالون مطعـمـاً وشـرابا
ومن العلم ينهلون جـمـيـعـاً
مـا ألـذ الـعـلـوم والآدابـا

هكذا عاش شيخنا عبر عمر
يستضيف ويرشد الأحبابا
كم أنار طيرقنا بالدياجي
وأزال بعلمه الإرتيابا
وأبان بثاقب الرأي أمراً
حير العارفين والكُتابا
ودعا صاحب الضلال فلبى
من دعاه إلى الهدى واستجابا
إنه شيخنا الجليل المفدى
من رعى بحنانه الطلابا
وسقاهم من علمه وكساهم
حلل الفضل - كلهم - جلبابا
إنه الزاهد الذي قد تسامى
وأبى أن يحوزها أنشابا
راضياً بالكفاف ، بل هو أقصى
ما يُرجي ، وكم يخاف الحسابا
رحم الله شيخنا وجزاه
ما جزى الصالحين والأوابا
وسقى قبره سحائب عفو
وله أجزل الرضا والثوابا

رحيل شيخ الشيوخ

شعر الأستاذ الدكتور: محمد بن سعد آل حسين

طوتك النوى من بعد ما أجفل الصحب
وغيب أتراب ، فصحن لهم ترب

أجبت نداء الحق إذ كنت موقناً
ترى الحق تقديراً قضى أمره الرب

وأنت على ما كان في مدرج الرضا
تروح وتغدو لا تمل ولا تكبو

طويت بدرب الرشد تسعين حجة
ففزت بما من دونه يقصر الوثب

وفزت بها إن شاء ربك في الأولى
لهم من نعيم الله مورده العذب

مع الأنبياء المصطفين ومعشر
لهم شهد التنزيل فيما به ربوا

فقد كنت قوام الليالي تهجداً
وقد كنت صواماً تعاف الذي حبوا

وكنت مناراً يهتدى بضيائه
مريد سبيل الرشد ، أو تُكشف الحجب

بدرس وإفتاء وحكمة ناصح
عليم بما ينجي إذا احلولك الخطب
وكنت ملاذاً بعد ربك للذي
رماه من الأيام صارمها العضب
وكنت لأهل العلم ظلاً وروضة
ينابيعها من دونها المنهل العذب
وكنت مثالاً في التواضع والتقى
وكنت جواداً دون راحاته السحب
نهضت بأعباء ينوء بحملها
أولو العزم ، إلا الرسل والسادة الصحب
ألنت لكل الناس جانب ماجد
حفي بهم كالخل ، لا بل هو الأب
فلما قضى المولى وكل ابن حرة
على آلة حدباء موئله التُّرب
تقبلتها مستبشراً غير نادم
وخلفتنا نبكي ، وقد هدنا الرعب
فماذا عسى أن ينفع الدمع والشجى
وقد غاب عنا العالم الفذ والقطب
مضى فعقول العالمين ذواهل
بما قد دهى الإسلام فاستحكم الشعب

فغارت بشاشات وأظلم مجلس
أضاء بنور الباز حتى دهى الخطب
كذا سنّة المولى ، اجتماع وفرقة
فلله ما يؤوي ، ولله ما يحبو
رضينا بحكم الله فينا تعبداً
وآمالنا موصولة ، والمنى خصب
وما أجدبت يوماً من العلم روضة
على ساحها نور الإمامين ينصبُّ

رحيل الأقحوان

شعر د : صالح الزهراني

هاج عطراً ، وسافر الأقحوان
فبكاه الأراك والسنديان
وتداعت براهم الورد حُزناً
حين ولى ، وأجهش البيلسان
وقليل على المتيم حزنٌ
وقليل أن يقفر البستان
وقف الفجر شاخصاً يتملى
كيف يقوى على الرحيل الزمان
إنها ساعة تساوي قروناً
فالثواني ترجّها الأشجان
الثواني سنابك وصليل
عنفوان يقوده عنفوان
يا ابن باز ما للقصيدة لون
هجرتها لأجلك الألوان
أنت عطر تنث من كل أفق
ونشيدي حرائق ودخان

أنت روح البيان ياعطر أهلي
فبماذا يأتي إليك البيان
وبماذا أشدو ، وأنت المعاني
والمباني وليس عندي لسان
ذبل الحرف في فمي وتشظّت
أغنياتي واختلت الأوزان
أرِدُ النبع ماؤه لؤلؤي
وعلى ضفتيه يجثو الجمان
أنتقي ما أحب من كل معنى
دون عينيه جحفل وطعان
ثم أكسوه دهشتي وجناني
والمعاني جنانهن الجنان
فأرى ما أرى فيطرق حرفي
وحروفي ما بينهن جبان
غير أن الحروف تبقى حروفاً
والمعالي عدوها الإذعان
لست كوناً فتحتويك المآقي
أنت - يا فارس العلا - أكوان
فأجبني من أين أبدأ شعري؟
في المحيطات يغرق الربان

أنت شعر . وديمة . وصباح
ذكريات في كل قلب تصان
أيها الناصع الجبين سلام
حملتنيه المطربات الحسان
كلمات من غيمة الشعر تأتي
مترفات يزفها الوجدان
موكب المجد – يا أبي – لست أدري
أهو حزنٌ أمْ أنه مهرجان؟
كل شيءٍ يغدو لدينا جميلاً
حين يهدي سبيلنا الرحمن
جاء «نجد» قيصومه وعراراً
وتهادت بِشُمّها «نجران»
نثّ «لبنان» شاعراً عربياً
وبعطر الخليج جاءت «عمان»
وتوالت رسائل ووفود
وقلوب مدادها الإيمان
في دروب الجهاد تسعون عاماً
كل شبرٍ ينهل منه أذان
لغة الفاتحين قدح وضج
وحسام وفارس وحصان

وفتحت القلوب من غير زحف
كان في الفتح سيفك القرآن
يا بطاح الهدى سقتك الغوادي
وتولاك ساكب هتّان
وتغشاك إذخر وجليل
وترامى في صدرك الريحان
كيف يطوي كون المعالي ضريح
والمعالي لا يحتويها مكان؟
من نعزّي ..؟ سيل الفجيعة طام
كل قلب يجتاحه طوفان؟
أتُعزى بفقدكم «كوسوفا»
أم يُعزى بفقدك «الأفغان»
أم تُعزّى مساجد وعلوم
كان يروى من فيضها الظمآن
قد يشحُّ الندى، وتندى الفيافي
وعلى الجوع تنطوي الكثبان
وندى الطيبين يم عريض
ليس تدري أبعاده الشطآن
أنت حيٌّ في كل ذرة رمل
من بلادي ما مرك النسيان

فكتاب الخلود سفر مضيء
أنت فيه الختام والعنوان
وإلى رحمةٍ وطيب مقام
في جنان تُرابها زعفران

وداعٌ لشيخنا

شعر: صالح العمري

صوت أراع فسار الوهن في جسدي
نعاك يا أمة في شخصك الأحد
روح من العلم غارت في عوالمها
وفارقت بقضاء هيبة الجسد
أواه في داخلي تفري نواهشها
مذ غابت الشمس تحت الرمس عن بلدي
أواه ها قد مشى بؤسي إلي قلمي
وخر من شاهقي في نعيه جلدي
نعيته نعي أرواح وأفئدة
تحبه في الإله الواحد الصمد
نعيته نابذ الدنيا وزخرفها
وحامل النور في جنبيه في جهد
نعيته شيخنا والعلم يملأه
مهابة فارتقى فينا بلا عمد
نعيته غيمة تنصب رحمتها
وروحها رحمة للناس للأبد

من للجذور التي في أرض مسغبة
يمدها بهدى من طاهر البرد
من للفراشات والظلماء موحشة
يدلها بضياء صادق المدد
من ألبس الأرض جزءاً من عباءته
أرجاؤها عبقت من مسكها الأبدي
جاز الحديد إلى الدنيا يعلمها
حديثه خفقة في واسع الأمد
مجالس الذكر تبكي بعد وحشتها
وفقدها من أحاط الذكر بالسند
منابع الضوء غارت في حوالكها
وموحش الدمع نهّاش من الكبد
يا شيخنا شابت الأنباء واحترقت
جرائد ودهتنا لوعة الكمد
إنا فقدناك فقد الطفل والده
والحب قد فاق حب الأم للولد
يا أبصر الناس هدياً دونما بصر
والناس في بصر عمي عن الرشد
الدمع مقتحم والصوت مختنق
والقلب معتصر والوهن في العضد

تنأى بك الدار والأحباب في حزن
والناس في ذهل والروح في كبد
دار تفرقنا والله يملكنا
إن شاء يجمعنا في جنة الرغد

معلم متسامح .. وإمام

شعر الدكتور : صالح عون هاشم الغامدي

خفت الضياء وتاهت الأقلام
فمدادها تهمي به الآلام
علم لدين الله كان منافحا
ومجاهداً تسمو به الأحكام
ومربياً عرف الأنام طريقه
نهج صحيح واضح وسلام
عبد العزيز الباز فينا شامخ
ومعلم متسامح وإمام
يا مفتي الاسلام كم فتوى بكم
أضحى بها بعد الخصام وئام
تلك الفتاوى أصبحت في وقعها
كالضوء ذاب على رباه حطام
يا شيخنا كم من دروس أصبحت
كتباً ستدرس خيرها الأقوام
يا شيخنا كم من نصائح صغتها
يسمو بها التحكيم والأحكام

الموت حق كلنا سنذوقه
فالكأس دائرة بها الأيام
نتجرع العبرات عند مصابنا
ما فاز إلاّ عاقل فهام
من يستفيد من المواقف دربه
تبر وكل علومه إقدام
كنا قبيل الحق نعبد تمرة
وإلاهنا الأشجار والأصنام
كنا قبيل الحق في فوضى بها
دنيا الكبار وغيرهم أزلام
كنا قبيل الحق أشتاتاً وقد
دب التفرق بيننا وخصام
والآن عز الله دين نبيه
فغدا به كل الأنام كرام
متمسكون بمنهج في روحه
حب وترسم رمزه الأفهام
دين سما في الكون يبني وحدة
تعلو بها الأرواح والأجسام
دين تخرج في مرابع عدله
عدل وجامعة هي الإسلام

فعزاؤنا علماؤنا في نهجهم
أمر بمعروف .. تموت سهام

وعزاؤنا يا شيخنا في عالم
يدعو إلى دين الهدى قوام

عبد العزيز الشيخ نعم خليفة
فإذا هوى علم بدت أعلام

اختاره الفهد الإمام ففهدنا
فهد لدين الله بل وحسام

اختاره الفهد الإمام لأمة
فعطاؤه التكريم والإكرام

في دولة الإسلام يحيا عالم
في عزة ومناعة علام

في دولة الإسلام ليس بغيرها
تسمو النفوس وترتقى الأحلام

حداء الرحيل

شعر: طالب بن عبد الله آل طالب

سرك الدهر مرة ثم ساءك
ومضى عنك بؤسه ثم جاءك
أيها الشاعر الطروب تمهل
دع سرور الهوى وأعلن بكاءك
مات علامة الديار ابن باز
أحسن الله في ابن باز عزاءك
لم يا شيخنا رحلت وحيدا
وتركت الدنيا تضل وراءك
كم يتيم طوى حزينا معنى
يشتكي فقره ويرجو عطاءك
كم أسير لمحنة ضاق منها
كان يرجو لحلها إفتاءك
كم وكم من قضية وقضايا
تتحرى يا شيخنا إمضاءك
يا صباح الخميس أي خميس
قد سبا شيخنا ومكن داءك

هل رأيت العباد عنه تولوا
كي تناديه ثم تتلو حداءك
كان يهوى الرحيل فيك فلما
بلغ المنتهى أجاب نداءك
قد فقدنا يا شيخ علمك فينا
وفقدنا على الجناة قضاءك
وفقدنا الدروس في كل يوم
وفقدنا تأمينا ودعاءك
كم حضرنا إليك نزداد شوقا
وملأنا ولم تمانع فناءك
واستمعنا لفيض علمك يهمي
وطعمنا على اللذيذ إناءك
ثم قمنا ولم نزل في سرور
نتباهى ونستعيد احتفاءك
أنا يا صاحب السماحة فرد
من ألوف كانت تود بقاءك
لو دعوني إلى الفداء بنفسي
كنت والله يا ابن باز فداءك
أو على اللحد قاسموني الأماني
لتمنيت يا إمام إخاءك

لو علمنا الفراق يا شيخ صعبا
لطلبنا ولو تعبنا دواءك
سر إلى جنة الخلود بإذن الله
ـه واترك في العالمين ثناءك
لو رأيت الجموع فوجاً وفوجا
أقبلت من بلادها تلقاءك
تشهد النعش والصلاة عليه
ووفاء منها تجيب وفاءك
ليس في عصرنا من الناس شخص
قد قضى نحبه وأبلى بلاءك
فارتحل أيها الإمام عزيزا
وعليك الندى يلف رداءك
إن في أدمع الحروف وجوما
يمنع الشعر أن يقول رثاءك

يبقى العظيم عظيما

شعر الأستاذ : عادل باناعمة

* إمام مسجد محمد الفاتح *

رحم الله شيخنا وإمامنا فقد كان قدوة في علمه وعمله ودعوته وجهاده وأحسب أنه ما من أحد إلاّ قد آلمه النبأ وأحزنه ولا أملك إلاّ أن أقول :

يا أيهـا الراحلُ المحبوبُ معذرةً
إذا طغى من بحار الحزن تيارُ

ماذا ؟ أتعجب من دمع ومن حزن
وأن جرحي ثعابٌ ونغارُ

صبراً فؤاديْ فموت الحرِّ مدرسةٌ
فيها يلقّى دروس البذل أحرارُ

ما مات من ذكره باقٍ وسيرته
في كل قلب لها فيضٌ وأنوارُ

حسب الدعاة فخاراً أن عيشتهم
بذلٌ وموتهم خصب وإثمارُ

يبقى العظيمُ عظيماً لو تضمّنه
لحد وهال عليه الترب حفار

قلعة العلم

شعر: عبد الرحمن صالح العشماوي

خفقان قلب الشعر، أم خفقاني
أم أنه لهب من الأحزان
ماذا يقول محدثي؟ أحقيقة
ما قال، أم ضرب من الهذيان؟
مالي أرى ألفاظه كحجارة
ترمي بها الأفواه للآذان؟
«الشيخ مات» عبارة ما خلتها
إلا كصاعقة على الوجدان
أو أنها موج عنيف جاءني
يقتاد نحوي ثورة البركان
يا ليتني استوقفت رنة هاتفي
قبل استماع نداء من ناداني
أو أنني أغلقت كل خطوطه
متخلصاً من صوته الرنان
«الشيخ مات» أما لديك عبارة
أخرى تُعيد بها اتزان جناني

قل لي - بربك - أي شيء ، ربما
أنقذتني من هذه الأشجان
قل لي - بربك - أي شيء ، قال لي :
عجباً لأمرك يا فتى الفتيان
أنسيت أن الموت حق واقع
ونهاية كتبت على الإنسان؟
أنسيت أن الله يبقى وحده
وجميع من خلق المهيمن فان؟
أنسيت ؛ لا والله لكنني إلى
باب الرجاء هربت من أحزاني
« الشيخ مات » صدقت ، إني مؤمن
بالله ، مجبول على الإذعان
الشيخ ، لا بل قلعة العلم التي
ملئت برأي صائب وبيان
هو قلعة العلم التي بُنيت على
ثقة بعون الخالق المنان
وأمامها هزمت دعاوى ملحد
وارتد موج البغي والبُهتان
وتطايرت شبه العقول لأنها
وجدت بناء ثابت الأركان

أنست بها نجد ، ومهبط وحينا
واسترشد القاصي بها والداني
هو قلعة ظلت تُحاط بروضة
خضراء من ذكر ومن قرآن
صان الإله بها عقيدة أمة
في عصرنا المتذبذب الحيران
ماذا تقول قصائد الشعر التي
صارت بلا سعر ولا أوزان؟
ماذا تقول عن «ابن باز» إنها
ستظل عاجزة عن التبيان
مذا تقول عن التواضع شامخاً
وعن الشموخ يُحاط بالإيمان؟
ماذا تقول عن السماحة والنُّهى
عن فقه هذا العالم الرباني؟
مات «ابن باز» للقصائد أن ترى
حُزن القلوب ، وأدمع الأجفان
في عين «طيبة» أدمع فياضة
تلقى دموع الطائف الولهان
والخرج تسأل والرياض ومكة
عن قصة مشهورة العنوان

عن قصة الرجل الذي منحت له
كل القلوب مشاعر اطمئنان
ما زلت أذكر صوته يسري إلى
أعماقنا بمودة وحنان
يُفتي وينصح مرشداً وموجهاً
ومعلماً للناس دون توان
نور على الدرب ارتوى من فقهه
وسرت منابعه إلى الظمآن
يا رب قد أصغت إليك قلوبنا
وتعلقت بك يا عظيم الشان
«الشيخ مات» ، عليه أندى رحمة
وأجل مغفرة من الرحمن

مات ابن باز... !!

شعر: عبد الرحمن صالح العشماوي

للشعر بعدك أن يظل حزينا
ولنبض قلبي أن يذوب حنينا
ولكل قافية خبأت حروفها
أن تفتح الباب الذي يشجينا
ولصوت حادي الشعر بعدك أن يرى
منا الوفاء لأنه يحدونا
يا وارثاً للأنبياء وإنما
ورث الهدى والعلم والتمكينا
ورث العقيدة وهي أعظم ثروة
وأعز مال مورث يغنينا
يا راحلاً عنا كأنك لم تكن
فينا تحدثنا بما ينجينا
لما نعاك إليّ صوت محدثي
أحسست أن الشك صار يقينا
ورأيت أثبت ما أمامي دائراً
وسمعت أصوات الشداة طنينا

وشعرت أن الحزن صار يحيط بي
من كل ناحية ، وصرت رهينا
هل يدرك الناعي حقيقة من نعى
وبأي سهم في الفؤاد رمينا؟
وبأي فاجعة أصيبت أمتي
وبأي أصناف البلاء بلينا؟
يا أيها الناعي جرحت قلوبنا
وأثرت فيها لوعة وأنينا
مات ابن باز ، يا لها من أحرف
وهاجة بلهيبهن صُلينا
مات ابن باز ، هل علمت بما حوت
هذي الحروف وما تحرك فينا؟
يا أيها الناعي رويدك ، إن من
تنعى ، أب بحنانه يسقينا
أو لم يكن نوراً يضيء عقولنا
وإلى الهداية والتقى يدعونا؟
أتراك لم تعلم بأن وفاته
رزء وأن وداعه يشقينا؟
أنسيت أن وفاة عالم أمة
حدث بأسهم بؤسه يرمينا؟

يا خادم الحرمين شكراً صادقاً
فلقد رأينا كل ما يرضينا
أسرجت خيلاً للوفاء كريمة
ما زال لحن صهيلها يغرينا
شيعت عالمنا الجليل وإنما
شيعت عقلاً راجحاً ورزينا
شيعت في يوم الفضيلة والتقى
شيخاً بنى للمكرمات حصونا
لما تقدمت الجموع مودعاً
رفع التلاحم والوفاء جبينا
ورسمت للأجيال أجمل صورة
ستظل من أمجادنا تدنينا
كرمت فيها العلم ، علم شريعة
تمحو الضلال وترشد الغاوينا
فلتشهد الدنيا حقيقة ما جرى
إن الحقائق تهزم التخمينا
لكأنني بوفاة شيخ شيوخنا
صارت مثالاً للوفاء مبينا
خرجت جموع المسلمين فلا تسل
عن مشهد جعل الشمال يمينا

في مسجد الله الحرام ، وهل رأت
عين مكاناً مثله مأمونا
لما تلاقى المسلمون هناك في
أزكى وأطهر بقعة باكينا
وتزاحمت أفواجهم ، وكأنهم
يردون حوضاً منه يستسقونا
شهدت بقاع الأرض صورة أمة
لا ترتضي غير الشريعة دينا
هو ديننا نبع الفضائل ترتوي
منه القلوب وماؤه يشفينا
وبه يغرد طائر الأمن الذي
من كل بغي مكابر يحمينا
وبه نخوض محيط كل رزية
فهو السفين لمن يريد سفينا
يا شيخنا ودعتنا ، وقلوبنا
تُهدي إليك من الوفاء فنونا
ودعت دنيانا بجسمك بعدما
ودعتها بالقلب منك سنينا
وزهدت فيها وهي ذات تبرج
جعلت محب دلالها مفتونا

عزيت فيك ولاة أمر بلادنا
ورجالها وبناتها وبنينا
عزيت فيك العلم والعلماء قد
منحوك حباً في القلوب ثمينا
عزيت فيك المسلمين جميعهم
فقدوا بفقدك مرشداً ومعينا
يا رب لطفك صار فيض جراحنا
نهراً من الدمع الغزير سخينا
إنا برغم الحزن نحزم أمرنا
بك يا عظيم الشان يا هادينا
إنا إليك لراجعون ، وإننا
بقضاء عدلك في العباد رضينا
إن مات عالمنا فإنا لم نزل
فيما تعوضنا به راجينا
سلمت بلاد الخير من آلامها
ورعى المهيمن خطها الميمونا

مزاياه

شعر: عبد الرحمن بن عبد الله أبو دجين

سالت دموع على شيخ فقدناه
وأشرقت في سماء المجد ذكراه
وبات كل الورى يرثي معلمه
يكفكف الدمع يبكي وهو ينعاه
في هجعة الليل والأصوات خافتة
تنزلت رحمة تغشى محياه
أين الذي أبهر الدنيا بروعته
وألبس الفقر ثوباً من عطاياه
هو ابن باز نزيل القبر عدته
خوف من الله يسري في حناياه
هو الإمام الذي قد كان يؤنسنا
جنان خلد من الرحمن بشراه
ترومه أمة الإسلام قاطبة
فتنهل العلم إيماناً بتقواه
آه وآه على شيخ نودعه
ونسكب الدمع مدرارا لفرقاه

«نور على الدرب» يشكو حال غربته
ويرتدي ثوب حزنٍ قد لبسناه
عبد العزيز أعاد الله سيرته
وألبس الناس شيئاً من مزاياه
وقيض الله للإسلام ألوية
تعتز بالدين دوماً وهي ترعاه
عبد العزيز بنى مجداً وأودعه
جوف الأنام أصيلاً ثم خلاه

فقيد لم يغب

شعر الدكتور : عبد الرزاق الحمد

علو في الحياة وفي المعاد
وذكر في الحواضر والبوادي
لعمرك ما توارى منك شيء
كأنك ماثل في كل نادي
لئن قد غاب منك الجسم عنا
لقد بقيت مصابيح الرشاد
لقد أحييت للإسلام نهجاً
لأهل السنة الغراء حادي
وقمت عن الدليل تذود فقهاً
تمحصه بحق واجتهاد
وما حقرت من سلفوك كلا
ولكن كنت متبع السداد
وفخرك أن أهل الأرض قاموا
على فتواك إذ نادى المنادي
ملكت الناس بالفتوى إماما
وبالأخلاق نلت هوى العباد

إذا قيل : ابن باز قال .. أصغت
قلوب الناس في كل البلاد

فصرت المفتي الأعلى بحق
لدولة خادم الحرمين هادي

وكنت أبا الدعاة بكل صقع
إلى التوحيد يعمر كل وادي

فما وبر ولا مدر وإلا
وللإفتاء داعية ينادي

إذا ما اهتز غيرك عند رأي
فأنت الطود في الفتن العوادي

وإن يجبن سواك بقول حق
فأنت بقوله قدح الزناد

إذا علماء عصرك في علوم
تباهوا كنت أرفع في العماد

وعيت السنة الغراء حفظاً
فجاءت طوع نفسك في انقياد

إذا حدثت كالحاسوب وعيا
تخير كل نص مستفاد

وإن أفتيت لم تأبه بحشو
وجئت بنصه كالشمس بادي

كريم الطبع ما استعصى لراج
بنول أو شفيع في مداد
كريم البذل ما قصدته يوماً
جموع كان أحسن في الرفاد
محب الخير ما وافى مصاباً
ولم يهرع صدوقاً في النجاد
كفيف العين وهو كفيف شر
حصيف الرأي يبصر بالفؤاد
وفيّ زاهد ورع تقي
على الطاعات مجبول القياد
فظاهرك التواضع في سماح
ومخبرك التجرد للجهاد
وما ألهاك مال أو نصيب
من الدنيا ولا حلو الرقاد
إذا العلماء عُدّوا كنت فرداً
كمسك الطيب يزهو بالسواد
وإن يشنأك أقوام فقدما
نبي الله سيم بالانتقاد
وفخرك أن يذمك كل وغد
عدو الدين معلوم الفساد

أتاك الداء يطمع منك شيئا
فكنت الطود يشمخ في العناد
تطاوله كأن الموت ضيف
قراه لديك في حسن الوفاد
كأن الداء زادك كل تقوى
فأورى في عزائمك الشداد
وبادرت المنايا شوق صب
إلى الأخرى تأجج في ازدياد
وطفت من الثبات بكل معنى
فذل إليك في حسن اقتياد
أيا عبد العزيز إليك عذري
إذا قصر الكلام عن المراد
فدتك النفس إن يقبل فدائي
ومثلي ليس أحصى بالعداد
لقد أصفوك يا شيخي ودادا
لذات الله أصرح في الوداد
طبعت بكل نفس منك ذكراً
فهجت بكل حي والجماد
كأن البيت ما فاضت زحاماً
جوانبه بأمواج العباد

كأن الناس من فزع تنادوا
على أمل فقاموا للحداد
أتوك محبة في الله صدقاً
يشل قلوبهم حر افتقاد
فمن حر الفجيعة في ذهول
ومن حر الفجيعة في ارتعاد
فما يغني بكائي أو رثائي
وما يجدي نحيبي واجتهادي
أسلي النفس إذ ترجو لقاء
لدى الرحمن في يوم المعاد
عليك سلام بر من رحيم
عفو غافر بر جواد

ابن باز يعز عنه العزاء

شعر الدكتور: عبد الشكور محمد أمان العروسي

عظم الخطب حين حُمَّ القضاءُ
وأصمّت آذاننا الأنباءُ

آذنتْنا بفقد شيخ جليلٍ
طيِّبٍ لا يُملُّ منه الثواءُ

شيخ هذا الزمان شرقاً وغربا
هذبته الشريعة الغراء

وإمام أكرم به من إمام
قد أقرت بفضله العلماء

ابن باز فكم به شِيْد للتو
حيد صرح وللدعاة بناء

كم له في البلدان طولاً وعرضا
من دعاة بهم يُنال اهتداء

كم يتيم أتى وكم من غريم
وفقير أتاه منه اكتفاء

وضرير يبغي العلاج لعينيه
ـه وقد عز للفقير دواء

فأتى يبتغي المعونة فامتـ
ـدت يد من نواله معطاء
فمضى والضياء منه ظلام
وأتى والظلام منه ضياء
لهف نفسي عليه من لليتامى
بعده أين يذهب البؤساء؟
من يوفِّي عن الغريم ديوناً
كان من دأبه الوفا والقضاء
من يواسي الفقير أو طالب العلـ
ـم فكلٌّ أثراه منه عطاء
ثم من للدعاة في كل قطر
غمرتهم يمينه السحّاء
شيخنا قد بكاه شرق وغرب
وبكته الأنحاء والأرجاء
لو أعاد البكاء ميْتاً لسالت
أنهر من دموعنا ودماء
لا يعيد الرثاء والحزن ميتاً
هل أعادت فقيدها الخنساء؟
شيعته يوم الوداع جموع
بدموع مزيجهن دعاء

علماءٌ في صفهم وزراء
زعماءٌ أئمة أمراء

وولاة الأمور خصوه بالحـ
ـب كما خصصت به العلماء

شارك الناس في الوداع بحزن
أمراء حفت بهم وزراء

ومليك البلاد أظهر للنا
س مقاماً يحتله الصلحاء

أحسن الله للجميع جزاهم
واجب للولاة منا الدعاء

وكهول وقد علاهم ذهول
وشيوخ مع الشباب سواء

حاز من ربنا من الفضل مالم
يحظ من قبله به العلماء

فضل علم وفضل حلم ورفق
حسنات وما بهن خفاء

حسن دين وحسن قول وفعل
حسن خُلْق يزينهن اقتداء

فإذا أحسن المحب اتباعاً
ذاك منه على المعالي اعتلاء

جـــمع الله مـــا تفـــرق في النا
س لـه ذاك فـــضلـه والعـطاء
خُلْقُـــه اللين والتـــواضع والرحـ
ـمـــة تعلوه هيـــبـــة وإباء
هيـبـة الدين قـد علت هيـبـة المـلـ
ـك وللصـالحين منهـا ضـيـاء
لـم يفـرق بين العـبـاد بلون
أو بجنس كـل لـديه سـواء
أو بجـــاه أو منصب أو بمال
ضم أشـــتـاتهم لـديه إخـاء
قـد تسـاوى لـديه كل قـريب
وبعـيـد هذا لهـذا إزاء
كم دعـا للتـوحـيـد في كل جـمع
فـاسـتطابت دروسـه العلمـاء
فـسل الجـامـعـات عنه ودور الـ
ـعلم أو حـيث يلتـقي الفـقـهـاء
يـأتـك العـلـم أنـه نـصف قـرن
كـان إنسـان عـينهم والجـلاء
هكذا كـان فليكن مـثله من
أحسن الإقـتداء يا علمـاء

صاح قل لي وكن صدوقاً فهل يو
جد في عصرنا له نظراء
ليس في عصرنا له من نظير
فابن باز يعز عنه العزاء
هل ترى في البلدان شرقاً وغرباً
من صفا مثله له الاقتداء
رب فارحم وجد عليه بعفو
منك يا من له العطا والثناء
وتقبل منه وأنت كريم
واجزه يوم يستطاب الجزاء

الرجل القمة الرجل الأمة

شعر: عبد العزيز بن عبد الرحمن الحريشي

قم إلى العلياء واكتب قلمي
في سجل المجد سطر من دمي
إن تعثرت فلا غرو فما
يستطيع الطفل شم القمم
همة فيك تهادت نحوها
غير أن الخطب فوق الهمم
كيف لي أن أصف الخطب الذي
جعل الأضلاع مثل الرمم
كيف لي أن أصف الرزء الذي
هوله شد لساني بفمي
ركضت رجلاي للمذياع من
ألم الصدمة ركض الأيهم
وتناهت رعشة في إصبعي
للمحطات فطارت تحتمي
وتنامى أملي أن الذي
سمعت أذناي وهم الكلم

أملٌ عشت به في سكرة
بين آلامي وحاني حلمي
فإذا الهاتف يذكي جمرة
مات منها أملي من ألمي
هزم الهاتف آمالي ضحى
ذقتُ منه حسرة المنهزم
سقط الصرح الذي شيدته
من أماني بهذا المأتم
فتهاديت كأني موجع
هده السقم ووهن الهرم
سرت لا ألوي على شيء هنا
نحو لا شيء مشت بي قدمي
ترقص الآهات في صوت بدا
خافتاً بالألم المضطرم
ثمت استرجعت إيماناً بما
قدر الله بخط القلم
وإلى مكة يممت الخطا
ودموعي في الدجا كالديم
أرقبُ الجثمان في هيبته
مثل بدر في سحاب معتم

ووجـــــوه الـنـاس تـكـسى بـالأسى
والـدعـــا يـجـــهش في كـل فم
شـــيـــخنا مــا أنـت بين الأمم
غــيــر نـور شع بـين الـظـلـم
من بقــايا الـسلف الغـــر الأولى
شــيــدوا بالـنور صــرح الـقــيم
مــا نرى أعــيــاك عن خطر عــمى
فـلـقــد ســرت بـنـور المنعم
قــدت بالعلم جــمــوعــاً أقــبلت
تـطـلـب الـورد فــــأرويت الـظـمي
أمـــة أنـت حـــوت كـل الـعــلا
زاحــــمت بـالخـلـق هـام الأنجم
كـم حــــوى قـلـبـك آلام الـورى
مـن ثـكـالى أو صـــبــايا يـتم
لـم تـشح عن سـائل مــهــمـا قـسـا
أو تـرد الـبــاب عن ذي مـــغــرم
قـــمـــة في الحـلم والـعلم فــمــا
تـنـكـر العين شــمــوخ الـقــمم
قل بفــضل الله كم طبــقــتــهــا
حـــينمــا يفــرح عـــبــد الدرهم

فـي جـنـان الخـلـد يـا بـدراً هـوى
في ذرا الفـردوس فـز بالمغنم
ذا بـإذن الـلـه فـالـلـه لـه
نـعـم كـم أنـطـقـت مـن أبـكـم
يا فـقـيـد المجـد نم في مـأمن
طاهراً من مـغـرم أو مـأثم
فـعـزاء العلم مـا خلفـتـه
من شـبـاب حـافظ للذمم
سـار نحـو الخـيـر مـشـبـوب الخطا
لابـن باز في المعـالي ينتـمي

هكذا يرحل العظام!!

شعر: عبد العزيز بن عبد الرحمن المقحم

هكذا الحزن والدموع تسيل
هكذا الفقد والفقيد الجليل
هكذا يرحل العظام وتبقى
بعدهم حسرة وحزن ثقيل
هكذا تكسف الشموس وتهوي
شهب الليل والظلام البديل
يا جميل الفعال انت الجميل
وحديث الجمال عنك طويل
لست أدري ماذا أقول فمالا
يدرك القول فوق ما قد أقول
لست أدري من أين أبدأ فالشعـ
ـر لهول المصاب فيك قتيل
يتراءى من الجلال أمامي
موكب لا يحيطه التبجيل
كيف للشعر ان يصور فقد الـ
ـبدر فينا إذا اعتراه الأفول

قد أضاءت بنوره الأرض حتى
كل شبر له عليه دليل
أتحيط الأشعار مجدا تليدا
أم يحيط العلا لسان قؤول
أعذر الشعر حين عاد مقلا
عنك يا أيها الإمام الجليل
وهوى دون وصف عالمك العلـ
ـوي عجزا فعاد وهو كليل
خجلا أن يقال هذا فضول
فدنو الأشعار منك فضول
وحماك المهيب ناء عن الشعـ
ـر فأنت السماء وهو السهول
ربما كان سادة من عبيد الـ
ـشعر ترجو نواله فينيل
تتمنى وصاله وهي تخشى
منه فهو المحذور والمأمول
وله عندها مقام عظيم
ولها عنده مقام هزيل
غير أن الأئمة الأنجم الزهـ
ـر بعيد منالها مستحيل

قـــد تـســـامى عـن المطامـع والأهـ
ـواء لا تـرتـقـي إلـيـــه ســـبـــيـل
يـا أبـا عـــبـــد الـلـه عـــذراً إذا كـنـ
ـت تجـاوزت فـالمقـام مـهـول
أنـا مـا كـنـت كـاذب الـدمـع إذ شـ
ـدت ركـاب الـهـوى وجـد الـرحـيـل
أيـلـومـونـنـي إذا مـا صـدقـت الـ
ـقـول فـالـقـوم نـاقـد وعـذول
أأنـا قـلـت لـلـبـغـيـض حـبـيـب
أم أنـا قـلـت لـلـشـجـاع ذلـيـل
أم أنـا قـلـت لـلـعـدو صـديـق
أم انـا قـلـت لـلـكـريـم بـخـيـل
إن يـكـن غـالـب الـثـنـاء نـفـاقـا
فـثـنـائـي عـلـيـك حـق أصـيـل
أيـجـاز الـثـنـاء فـي كـل حـي
لـدخـيـل يـثـنـي عـلـيـه دخـيـل
ويـعـد الـثـنـاء جـرمـا إذا مـا
ذكـر الـقـوم الـطـيـبـون الـعـدول
كـنـت لـلـمـسـلـمـيـن قـبـلـة عـلـم
أمـهـا فـيـه عـالـم وجـهـول

كنت للمسلمين إشعاع نور
كل أنظارهم إليه تميل
كنت للمسلمين طرا حبيباً
قد أحبتك صبية وكهول
كنت للمسلمين فيض حنان
ترتوي منه أنفس وعقول
كنت للمسلمين رائد خير
إذ مراد الرواد شر وبيل
كنت للمسلمين رمز أمان
حظه الحب والرضا والقبول
أو ما كان منك قلب كبير
همهم كلهم به محمول
أو ما كان منك للدين درع
في التنادي وصارم مسلول
إن للخير في ذويه سمات
صاغها الله فيهم لا تحول
يا أبا عبد الله ليس رثائي
مشغلي والدماء منا تسيل
وجراحات أمتي موجعات
والطبيب الذي يداوي عليل

فـحـروب طـواحـن ومـجـاعـا
ت وظـلـم وحـسـرة وعـويـل
مـشـكـلات أبـت عـلـى الحـل حـتـى
فـشـلـت في الخـروج منهـا الحـلـول
فـعـسـى الـلـه أن يـحـق لـنـا وعـ
ـدا أكـيـدا أتـى بـه الـتـنـزيـل
وعـسـى أن نـغـاض في (الـبـاز) بـازا
مـثـلـه .. والمـؤمـل المـسـؤول

تلميذ أعلام شرع الله

شعر: عبد العزيز بن عبد الرحمن اليحيى
* مدير عام فرع هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمنطقة الشرقية *

بكيت والدمع من عيني ينسكب
أحسست أن جميع الخلق قد نكبوا
ما هالني نقص دنياً أو زيادتها
لم تُبْكِ عيني بها الأموال والقشب
بل هالني موت حبر عالم علم
مفتي البلاد ومن تسمو به الرتب
رزء عظيم أصاب الناس كلهم
وقد نعته لنا الآثار والكتب
تلميذ أعلام شرع الله مع سنن
أئمة الحق لا شك ولا ريب
من للعقيدة بعد الشيخ ينشرها
إذا تكلم من يدعى له التبب
من للدقائق من فقد يحققها
إذا اعترت بعض طلاب له النوب
من للحديث وتمحيص الرجال إذا
ما أشكلت طرق الإسناد والسبب

كريم جاه إذا وافاه طالبه
لبى لمطلبه لو ناله وصب
وبيته منتدى للعلم هيأه
لكل قاصد خير حقه يجب
فموت صفوة خلق الله موعظة
لنا العزاء إذا ما استعظم العطب
فالموت مسلكنا كالسابقين لنا
أمر على الخلق محتوم ومكتتب
يا رب فاجبر مصاب المسلمين به
لقد تأثر فيه العجم والعرب
وجازه جنة الفردوس يسكنها
في جنة ليس فيها اللغو والنصب

كنت يا ابن الباز طوداً شامخاً

شعر : محمد حسن العمري

أكفهر الجو في فجر الخميس
وبكى وجداً على شمس الشموس
قالوا : المفتي توفاه الأجل
ونعاه الفهد بالصوت الحبيس
ورأيت الناس شيباً وشبابا
يذرفون الدمع في حزن وبؤس
قلت من قلبي وقد تهت بدربي
يا لهذا اليوم من يوم عبوس
انقضت تسعون عاماً بين وعظ
وصلاة وصيام ودروس
عاشها الشيخ جهاداً واجتهادا
وانصرافا عن ملذات النفوس
كان بيت الشيخ مزحوماً بمن
في مجلس الوعظ وأكرم بالجلوس
رحمة الرحمن تغشى كل فرد
جالس في مجلس الشيخ الأنيس

أيهـا الشـيخ الذي مـا مـات فكراً
ناصـعـاً رغم الثـوى بين الرمـوس
أين مـني مـجلس الأنس الموشى
بالهـدى والرشـد في حي الشـميسي
كنت يا ابن البـاز طوداً شـامخـاً
كنت مـثل الغـيث للأرض اليـبوس
كنت كـالنبـراس في ليل الدجى
فطواك الموت في فـجـر الخـميس
كنت بعـد الله درعـاً واقـيـاً
لحـمى الإسـلام من حـرب ضـروس
رحم الله الإمـام المتـحلي
بالتـقى والزهد في المال الكبـيس
وجـزاك الله عنا كل خـيـر
وعن الإسـلام يا تاج الرؤوس

بفقد ابن باز أعلن الحزن كاتمه

شعر: عبد العزيز بن عبد الله الرويس

تجهم .. وجه الشرع إذ غاب عالمه
ومات الذي تعيي الأنام مكارمه
وغاب الذي أفنى الحياة بلا هوى
ونادى ابن باز كالزهور نسائمه
فتى جعل التعليم غاية همه
وكم مسجد تبكي عليه دعائمه
وركن القضا قد هُد منه أساسه
وها هي تبكي في البلاد محاكمه
أأذكر أيام البدايات عندنا
وفي الدلم الفيحا تجلت مفاهمه
وبعد القضا في الخرج جاء مدرسا
فأسقت لنا بالمعهدين غمائمه
وراح إلى مثوى الرسول بطيبة
فأسس للإسلام صرحاً يوائمه
وخدمات شيخ الكل بحر علومنا
أتانا ابن باز غرسه ومنا دمه

فـقـام على الإفـتـاء وأرشـد للورى
ومن سـار بالتـقـوى تقل مـآثمـه
ويزرع حـبـاً في الورى إذ سـبـيله
على سنة الهـادي فـغـاب مـخـاصـمـه
لقـد رُزىء الشـعب السـعـودي كله
بفـقـد ابن باز أعلن الحـزن كـاتمه
وواكـبـه حـزن المحـبين للتـقى
وحـزن بني الإسـلام هبت سـمـائمـه
سـيـبكيك مـحـتـاج ويبكيك ذو الغنى
كـلا اليـسـر والضـراء قـامت مـآتمه
فـذا يفـتـدي .. من مـال ذا بأمـانة
ومن مـثله في الناس مـاتت غنائمـه
فـقل للذي من بعـده اتبـعـوا الهـدى
فـمنهج أهل الخـيـر تزهو مـعـالمه
ومنهج أهل الخـيـر يعطي حـيـاتنا
نقـاء يزكـيـهـا تطيب نسـائمـه
ومنهج أهل الخـيـر نشـر نحـبـه
يضـوع له بين الخـلائق عـالمه
لقـد غـاب راعي الحق والدين والهـدى
وقـوام ليل لا تـكل قـوائمـه

وتالي كتاب الله في كل لحظة
وبالذكر والتهليل أحيا نعائمه
ومن حب من ذات الإله بلا هوى
ومن نهجه فرد فمنذا يوائمه
جزاه إله الخلق أثواب فضله
وأسقاه من دار النعيم نواعمه
وصلوا على خير الأنام محمد
هو القدوة المثلى وللوحي خاتمه

نجم العصور

شعر : عبد الله بن إدريس

أسرجت خيلك بالعزائم صاعدا
تبني وتزرع في الوجود محامدا
أسرجت خيلك داعياً ومعلما
وغرست أرض المشرقين فوائدا
أسرجت خيلك ما أردتَّ مناصباً
أبداً .. ولست إلى المطامع قاصدا
أسرجت خيلك بالكتاب وسنة
تدعو وترشد غاوياً أو جاحدا
ماكنت إلا للعقيدة خادماً
ما كنت إلا للشريعة ساعدا
أدلجت في طلب العلوم وحزتها
غيثا يريع مفاوزاً وفدافدا
في أمة الإسلام كنت إمامها
وحبيبها وضميرها ، والشاهدا
بالعلم والفتيا أنرت سبيلها
وكسرت بالحجج المضيئة ماردا

قد كنت رمز سماحة ومحبة
والكل يفخر أن دعوك (الوالدا)
وارحمتا للمسلمين تيتموا
من بعد فقدك عالما بل رائدا
سكبوا عليك من العيون مدادها
وبكوك عطر حياتهم والماجدا
فبقوة الإيمان نجمك ساطع
وبدعوة الحسنى سموت فراقدا
كانت حياتك يا إمام زمانه
نهراً يفيض لآلئا وفرائدا
ساعات عمرك في الوجود سحائب
بالخير تهطل راكعاً أو ساجدا
ولسوف يكتبك الزمان صحائفاً
ولسوف ينشرك الخلود قلائدا
تسعون عاماً ما استكنت لهولها
بل خضتها متجلدا ومجالدا
تسعون عاما في الصلاح وفي التقى
قضيتها .. ما كنت يوماً هاجدا
تسعون عاما يا إمام زمانه
في خدمة الإسلام عمرا خالدا

تسعون عاماً يا وريث محمد
تسعون عاماً ما ونيت مجاهدا
يا قلب حسبك ما رقأت مدامعاً
إلا لتشعل نازفا لا جامدا
ها أنت يا نجم العصور ترحلت
عنا ركابك .. إذ قصدت الواحدا
فعسى على حوض النبي محمد
أن نلتقيك ونحتويك سواعدا

كوكب العلم

شعر الدكتور : عبد الله محمد باشراحيل

لا لم تمت فيك ذكرانا إلى الأبد
يا كوكب العلم بين المتن والسند
لبيت حقاً نداء الحق في عجل
بفرحة من شغاف القلب للأحد
وقد تخيرت في أم القرى نزلاً
فانعم بها جيرة للبيت والبلد
يا أيها الشيخ أقيال وأفئدة
جاءت تزفك أنفاس بلا عدد
هم في رياضك أنسام معطرة
وهم صداك الذي يدعو إلى الصمد
هذي غراسك أحباب مشيعة
وأنت بالطهر والأوراد والبرد
ولّيت عنا ودنيانا معربدة
قد كنت فيها حكيم القوم بالرشد
وكنت تصطحب الأخيار في كرم
وكم تحث رجال الخير بالمدد

لكم صحبناك عمراً في ضمائرنا
وقد حفظناك حتى آخر الأمد
وكم بعثت مراسيلاً على أمل
يحيي الضعاف ويكفيهم من الأود
يا من بذلت من المعروف أثمنه
وكنت تخفيه عن أهل وعن ولد
يا أيها الشيخ والأحباب ساهرة
تبكي الرحيل ويبكي للفراق غدي
فقد يهون وللأيام تعزية
لكن فقدك قد أعيا على الجلد
أمطرت بالعطف تسقي جدب أنفسنا
وكنت بالعلم ترياقاً لكل صد
طبع القرى فيك إحسان وتأسية
للمعدمين تداوي قلة المدد
وكنت للحق صوتاً غير محتجب
تذود بالشرع ذا جهل وذا فند
بحكمة الدين تدعو غير محتذر
ما خفت يوماً ولا من هيبة الأسد
يا عالماً كان ملء القلب ينظرنا
ووالداً في حنان غير مقتصد

مـجـاهد في سـبـيل الحق يرفـقـه
حـب الإله عـن الأوهـام والـنـكـد
وعـازف عـن بـريـق الأرض يـطـلـبـه
وجـاهـد لـنـداء الحـق فـي جـلـد
يا أيـهـا الشـيـخ أيام الربيع مـضت
والأرض صـارت مـثـار النقع والميـد
أعـداؤنا من بـغـاث الطـيـر تمطرنا
بـوابل من رمـاح الحـقـد والحـسـد
تـذيقنا الموت مـا ضـجـت جـوانحنا
وكم شكا الصبـر فـينا حـرقـة الجـسـد
يا ألف مليـون والإسـلام يجـمـعنا
كـيف الشـتـات ونار الثـأر في الكبـد
لـكم دعـا خـادم البـيـتين من زمن
لنصـرة الحق في صـدق ومـعـتـقـد
كـيف الخـلاص ودرب الحق تـخـذله
عـصـابة من شـرار الخلق بالرصـد
يا أيـهـا الشـيـخ والآمـال تحـملنا
على جـناحين من هـم ومـن كـبـد
يا أيـهـا الشـيـخ فـينا منك تـذكـرة
تـزودنا كـلمـا ضـقـنا من الكـسـد

سـر للجنان رحـاب الخلد وارفـة
وانعم برحـمـة رب الخلق للأبد
تطوف عندك أطيـار محلقـة
يشجيك تسبيحها في صوتها الغرد
يرضيك ربك بالحسنى على فنن
هذا مناك وحسن في الختام ندي
واخلف لنا يا إلهي صادقـاً فطناً
يزدان بالحق والأخلاق والرشد
وصل ربي على خيـر الورى أبداً
من جاء بالحق مرسولاً من الصمد

أمير التقى

شعر: عبد الله بن حمد الصيخان

اطو سـجـادة الصـلاة فـفـيـهـا
من بقـايـاه ركـعـة وسـجـود

ودمـوع بـهـا من الخـوف كـانت
عطر أيامـه ... وهُن الشـهـود

وأضـيـئـوا مـصـبـاحـه إن دجى الليـ
ـل على جـانـبـيـه يسـر وجـود

أيـهـا المبـصـر الذي مـا عـرفنا
مـذ عـرفناه غـيـر بئـر تجـود

يـا أبـانـا .. وجـدنـا .. وأخـانـا
ورعـاياك والـد وحـفـيـد

أي دار تـركـت فـهـي حـيـاة
في رحـيل عنـهـا .. يكـون الخلود

أي درس تـركـت فـهـو سنانـا
مـا توالى على القـديم جـديد

أنت فـرع من دوحـة ظللتـهـا
بين أم القـرى ونجـد السـعـود

ورعتها إرادة الله فينا
قد تلاقت عقيدة ووريد
فاتت أكلها وطاب جناها
والسعيد السعيد من يستزيد
أرأيت الورى تنادوا ففاضت
عند معلاتهم إليك الحشود
أدمع تحمل الرجال وحتى
يستوي فيه سيد ومسود
أيها السمح كم حملت ثقيلاً
وألنت الحديد وهو الشديد
كم أنرت الدجى وأنت كليل
وسلكت الطريق وهو البعيد
أيها السمح يا رعى الله وجهاً
عطرته الآيات فهو الحميد
يا أمير التقى أنخت المطايا
واصطفى ركبك العزيز الودود

رثاء العالم الأوّاه

شعر الدكتور : عبد الله بن سعاف اللحياني

* الأستاذ بجامعة أم القرى - كلية الدعوة - قسم الكتاب والسنة *

لمن جدث بالعدل ضاح مسنما
عليه دموع العين أهرقن سجما
سقاه من الوسمي غاد ورائح
ومن رحمات الله جماً وأنجما
فيالك من قبر تضوع نشره
بطيب عظام كن لله قوما
لقد كان فقد الباز نقصاً وثلمة
وهماً أصاب المؤمنين فأبكما
وما كان فقد الشيخ رزءاً لأهله
ولكن فقد الشيخ قد كان أعظماً
به رزىء الإسلام في كل بقعة
ألا إنه بنيان قوم تهدما
وقد كان في دنياه لو شاء ذا غنى
ولو شاء ذي النعمى قديماً تنعما

ولكن أراد الله والجنة التي
بها يدرك الأواه فضلاً ومغنما
وما كنت ترجو في حياتك غاية
ولكن عطاء الله أبقى وأكرما
ونار ببيت الجود لم يخب ضوؤها
تزيد إذا زاد الظلام تضرما
تضيء ظلام الليل في كل وجهة
أقام عليها الناس حولك جثما
نهجت لأهل العلم درباً ومنهجاً
وآتيت أقواماً إلى الفقه سلما
رويت بكأس العلم من كان صادياً
ومن كان ذا ري ومن كان أهيما
وعضباً لقمع الشر صلتا سللته
تنوش به من بالضلالة هينما
وكنت لأهل الفضل عدّاً وعدة
وردءاً إذا ريب الزمان تخيما
وكنت لهم شهداً وظلاً وغاية
وكنت لأهل الزيغ مراً وعلقما
رفعت لأهل الأمر والنهي راية
وكنت لهم هدياً وسمتاً ومعلما

دعوت قبيل الموت ميتا إلى الهدى
ومت فكان الموت منك معلما
وعلمت أهل العلم بالفعل قوله
لشيخ حكيم إذ بنصح ترنما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم
ولو عظموه في النفوس لعظما
عليك سلام الله ما ذر شارق
ورحمته ما شاء أن يترحما

سليل بن بازٍ بكرة اليوم قد نُعي

شعر الشيخ: عبد الله بن صالح القصير

مصاب دهى قلبي فسيّل أدمعي
وأجج ناراً للأسى بين أضلعي
لدن قيل إن الحبر شيخ شيوخنا
سليل بن باز بكرة اليوم قد نعي
إمام التقى راعي الهدى مروي الظما
شفاء عليل يبتغي الحق مولع
قفا سنة المختار قولاً وسيرة
فنعم الإمام الحق ليس بمدعى
صبور حليم عالم متعفف
كريم تقي عابد ذو تورع
نصوح لرب الخلق والناس جملة
بقول سديد بالدليل مرصع
غضوب إذا نيلت محارم ربه
شكور لذي النعما كثير التبرع
تمثل نهج السابقين بزينا
فلولاه لم يعرف ولولاه لم نعي

وأظهــــر ديـن الله في كـل مـــحـــفـل
وثـبـت أهـل الحـق فـي كـل مـــــوقـع
وحــــارب إشـــراكـــاً وزيـفـــاً وباطلاً
وفنّد أقـــوالاً لأهـل الـتـــبــــدع
وكم من صـعـاب قـد شـفـى القلب نحـوها
وكـم مـعـضـلات قـاصـمـات لهـا دُعي
فـــفـــرجـــهـــا ربي به وأزالهـــا
وأبدلهـــا يـســـراً وخـــيـــراً لمن يعي
فـــأفـــضـــاله جلى وأخـــلاقـــه عـــلا
وإحـــســـانه عم الورى كـل مــوقع
وأكـــرمني ربي ببـــعض دروســـه
سـررت به مـرأى وشنف مـسـمـعي
وأوســعني فـــضـــلاً وأعلمني هدى
وكـــان على الخـيـرات خـيـر مـشـجع
ورغـــبني تعـليـم علـم لـطـالب
وأرشـــدني للوعظ في كل مـجـمـع
فـيــا آل باز صـبـروا النفس حـسـبـة
ويا أمـــة الإســـلام لله فـــافـــزعي
فـــإن مـــصـــاب الشـيـخ قـــد آلم الورى
فـــجل مـــصـــاباً ليس ينســـاه من يعي

ورحمـاك رب الخلق بالشـيخ إنه
رحـيم عـفـوٌ فـاعف عنه وأوسع
فـيـا رب حـرّمـه على النار رحـمـة
وأورثه للفـردوس غـيـر مـفـزع
وصل إله الخلق ربي مـسـلمـاً
على المصطفى الهادي كـثـير التضـرع
مـحـمـد المبـعـوث للناس رحـمـة
شـفـيع الورى طرّاً وخـيـر مـشـفع

وداعاً جبل الإسلام

شعر: عبد الله بن غالب الحميري

* مدير معهد الإمام البيحاني للعلوم الشرعية - اليمن *

أيا عين سحي بالدموع السواجم
وبكّي على ركن العلا والمكارم
وجودي بوبل كالغمامة هاطل
على صرح علم قد هوى في التهائم
لعل انهمال العين بعد جمودها
يخفف من حزن على القلب جاثم
وعزي بني الإسلام شرقاً ومغربا
بموت (ابن عبد الله) مفتي العوالم
إمام الهدى .. بحر الندى .. قامع العدا
وحامي حمى الإسلام من كل ناقم
سماحة مفتي المسلمين وشيخهم
وعلامة الدنيا بدون مزاحم
ورائد هذا الجيل تسعين حجة
يسدده من كل عاد وظالم

لقد رزئ الإسلام يوم وفاته
بفاجعة أنست جسيم العظائم
وكان مصابا فادحاً دون وقعة
على أمة الإسلام قطع الصوارم
فلم تبكه هذي (الجريرة) إنما
بكته الدُّنى في بدوها والعواصم
بكته إدارات البحوث ومن بها
وهيئة أرباب الشيوخ الأكارم
بكته منارات الهدى في ربوعها
وناهيك عن دور القضا والمحاكم
وطيبة في شغل من الحزن شاغل
تروح وتغدو بين حزن ملازم
وأم القرى تبكي ومجمع فقهها
ورابطة الإسلام إحدى المعالم
بكاه الدعاة المخلصون جميعهم
بكاء الثكالى بين مبد وكاتم
بكوا رجلاً قد كان في الفضل أمة
وخير مثال يحتذى في المكارم
بكوا جبل الإسلام والعلم والتقى
وأوحد هذا العصر من كل قائم

وحبراً إذا استعصت على الحل كربة
أبان الذي يجلو وجوه المزاعم
وخير أب للمصلحين وعصمة
يلوذ به الأبناء عند التخاصم
وكان محل الإتفاق وموضع الـ
ـجلالة عند العرب بله الأعاجم
وكان مثال الصدق والعدل والإخا
وداعية الإنصاف عند التظالم
وكان حليماً واسع الصدر لم يرِ
جهولاً ولا يبني على زعم زاعم
ترى حوله الأفواج من كل بلدة
يبثونه الشكوى وجور المظالم
فيوسهم عطفاً ولطفاً ونائلاً
ويرفع منهم ما وهي من عزائم
وجل قضايا المسلمين بباله
يشارك في أفراحها والمآتم
وكان له في كل خطب تواجد
فليس يرى إلا بحزن ملازم
إذا قال نصحاً لم يثر أي فتنة
ولم يشعل الدنيا لحرق المخاصم

وما كان مشغولاً بحرب جماعة
ولا جاهلاً ما حوله من قواصم
ولكنه في يقظة مستديمة
وطول اصطبار في رضى الله دائم
ولم ينشغل عن واجد عند سنة
ولن يعشق الأدنى كأهل التعالم
ولكنه أهدى وأبعد نظرة
وكم مبصر أعمى عن الحق واهم
لقد جاء موت الشيخ خطباً مروعاً
فهوَّن من أحزاننا والعظائم
ورققها حتى يخال بأنها
لهول مصاب لم نفجع بعالم
وإن عزاء المسلمين بمثله
بأن يذكروا موت النبي (ابن هاشم)
وموت كرام الأصفياء ومن مضى
من السادة الأمجاد أهل التراجم
وما جزعي خوفاً من الموت إنما
جزعت على موت الإخا والتراحم
وداعية أحيا به الله أمة
يموت ويبقى في الدُّنى كل هادم

وهل يقبض العلم الشريف وينزوي
عن الأرض إلا بعد طمس المعالم
ولو كان يرضى الموت منا بفدية
فديناه بالأبنا وطيب الكرائم
ولكن وعد الله حق وأمره
على الخلق ماض وهو أحكم حاكم
قضى في (ابن باز) أن يموت كما قضى
له بخلود الذكر بين العوالم
وما مات من يحيا مدى الدهر ذكره
ولا عاش من يحيا حياة البهائم
ألا في سبيل الله شيخ تعددت
مناقبه حتى عيا كل ناظم
وأضحت أياديه العظام شواهداً
تقاصر عنها في السخا جود حاتم
سقى الله قبراً في فنا البيت ضمه
بمترعة الأمزان صوب الغمائم
وأرضاً حوت تلك السماحة والندى
وقدسها الرحمن من كل آثم
هناك ثوى الأعلام من سادة الهدى
وأضجع فيها كل حِبْر وعالم

ومنها بدا الإسلام حتماً وإنه
ليأرز فيها عند وقع الملاحم
جزاه عن الإسلام خيراً وأهله
وأسكنه الفردوس دار المكارم
وأحسن رب العرش فيكم عزاءنا
وبلّغنا حسن الرجاء والخواتم

وداعاً يا مفتي الأمة ويا عالم الملة

شعر الدكتور: عبد الله بن محمد الحميد

* خطيب جامع الملك فهد بأبها *

جبل هوى فتكدر الأخيار
وبكت عليه مساجد وديار
وخبت نجوم من تحقق موته
والحزن عمّ وغابت الأقمار
ذاكم هو البازيُّ عالم أمة
عبد العزيز وشيخنا المغوار
حم القضاء وكل حي هالك
إلا الإله الواحد القهار
لا بد يوماً أن نوسد في الثرى
فالموت كأس للأنام تدار
كم قد طوى من ذي الخلائق قبلنا
فهل اتعظنا أو أفاد فرار؟
فازدد أخي بصالح تلقى به
رب البرية إن ألم بوار

ولقـد بكينا الشيخ مـاء شـؤوننا
لو كـان يفـدى أُسـديت أعـمـار
وأصـابنا الحـزن العـميق لفـقـده
وعـلا النشـيج ودمـعنا مـدرار
لكنمـا الصبـر الجـميل على القضـا
نـعم العـزاء فـإنهـا الأقـدار
لـلـه درك كـم ألـنـت قـلـوبـنـا
وعـلا بفـضلك للعلوم منار
حـتى أحـبـتك القلوب لفـضلكم
ولشـخـصك الإعـجـاب والإكـبـار
وأقـمـت بـالـنور المبين دربـه
درسـاً لفـقـه نفـعـه سـيـار
ووعظت بالذكـر القـويم بحكمـة
ومع التـواضع تشـرق الأسـرار
وسـخـوت بالمال الكثـيـر لمدقع
ولأرمل قـد هدها الإعـسـار
وبذلت جـاهك في شـفـاعـة مـخلص
لتـفك كـرباً شـأنه الإضـرار
وإذا أصـخت لسـائل أشـبـعـتـه
سـيـمـاك زهد نادر ووقـار

وإذا ادلهم الخطب في لجج الدجى
وطغت بنا الأزمان والأخطار
كنت المرجى بعد قدرة ربنا
في كشفها إذ زاغت الأبصار
فأشرت بالرأي السديد بحكمة
تشفي القلوب ودابك استغفار
لم تثقل التسعون عاماً عشتها
عزماً تزول بصفوه الأكدار
بل قد نصرت عرى الشريعة كلما
لجّ الخصوم فأُبهت الأعرار
وطفقت تدعو للصلاح وللتقى
والله تخشى واليقين دثار
لم تأل جهداً في إفادة أمة
ما لاح فجر واستهل نهار
فليجزك الله الكريم ثوابه
جنات عدن تحتها الأنهار
من كان مثلك في الفضائل والتقى
إن شاء رب الكون ليس يضار
أسلمت روحك زاهداً متبتلاً
وكذاك يفرح باللقا الأبرار

ثم في رحاب الله أكرم واهب
قد طاب في البيت الحرام جوار
يغشاك في ذاك الضريح نعيمه
وسقى ثراك الواكف المغزار
ثم الصلاة على النبي وآله
ما غردت في أيكها الأطيار

الدمعة الحزينة

شعر: عبد الله بن محمد المعتاز

ما للطيور الصادحات تنوح
ما لليتامى بالعويل تصيح
ما للحدائق أقفرت وتجردت
من كل زهر بالعبير يفوح
ما للحمام الغاديات بكورها
تشكو حواصلها الجياع تبوح
ما للمنابر أخرست أفواهها
ما للمعاهد صوتها مبحوح
ما للمساجد أوصدت حلقاتها
الكل يشكو حزنه وينوح
ما للدموع على الخدود تناثرت
من للأرامل قلبها مجروح
ابن السبيل أتى ليطلب حاجة
أين المغيث له وأين يروح
من للفقير وقد تلاشى ماله
وغذاؤه وكساؤه وصبوح

المسلمون وقد تعالى صياحهم
يبكون من ألم المصاب جروح
عبد العزيز الباز مات إمامنا
حقاً علينا بالدعاء نبوح
قلت المشايخ والدعاة كثيرة
عزم قوي باهر وصريح
أبناؤه .. كتابه .. ورجاله
الكل يغدو جاهداً ويروح
والمحسنون سيبذلون رخيصهم
المال إن لم يبذلوه قبيح
الله أكبر فضل من وارى الثرى
الدين والأخلاق والتسبيح
الله أكبر كم جمعت فضائلاً
كرماً وزهداً لا يفيه مديح
الله أكبر حكمة وروية
وعقيدة التوحيد وهو نصوح
هو في العلوم مبرز ولعقله
ولرأيه كل الأنام طموح
روح تسامت عن قبيح فعالها
جبلت على الخيرات فهي سموح

يا ربنا ارحم ضعفنا في غربة
واجبر مصاب الدين يالممدوح
أعداء دين الله أبدوا حقدهم
في كل فج نكبة وجروح
يا حاملي علم الكتاب دعوتكم
أن تعملوا بالعلم لهو طموح
أنتم عدول الله فاحموا دينه
فلقد تداعى سقفه وصروح
ولقد تكاثرت الذئاب عليكم
معها المعاول للشباب تطيح
ليست أمور الدين بعض مسائل
محفوظة بين السطور تلوح
عصر الجهاد لكل باغ فاسق
بوسائل العصر الحديث لحوح
كونوا كمثل الباز في إخلاصه
داوى المريض كأنه المجروح
ويساعد الملهوف عند مصابه
الله أكبر إن ذاك فتوح
وبمنهج السلف الكرام تمسكوا
لا يرعويكم جاهل وقبيح

هذا الذي جعل ابن باز أمة
فذا ينال العز والترجيح
وإذا أراد المرء ديناً أو رنا
لمناصب فبلمحة سيطيح
يا ربنا اجمع شملنا في جنة
الكل فيها هانىء ونجيح
يا ربنا هب أمتي خلفاً له
أنت العزاء لمن فداه الروح

يا نفحة الطهر

شعر الدكتور: عبد الله المسعود

* وكيل قسم البلاغة والنقد، ومنهج الأدب الإسلامي، بكلية اللغة العربية بالرياض *

إليك من أي صوب تهتدي السبل؟
ماذا نقول؟ وصوت الشعر ينخزل
آن انطلاق الأسى المكبوت من مهج
حرى تنوء بحمل ليس يحتمل
هذا ابن باز يدوي بين أضلعه
الآي والذكر والتسبيح والوجل
يا زينة الأرض ما ذابت ولا ذبلت
يا نفحة الطهر مما أعقب الرسل
مصابنا فيك يا مصباحنا جلل
وجرحنا بك لا نلفيه يندمل
يوم الخمس ولون الشمس مكتئب
على فراقك يبكي السهل والجبل
نبكيك يا أيها الشيخ الجليل وما
نلام إن أحرقت أجفاننا المقل-

إن لم نشيعك بالدمع الغزيز فمن
عليه بعدك دمع العين ينهمل!
نبكيك في لحظة التوديع يا رجلاً
كل المواقف تحكي أنك الرجل
تبكي المساجد كم أحييت من حلق
للعلم أثمر فيها العلم والعمل
يبكيك من يحمل الأسفار جاء بها
إليك يرقص في أحداقه الأمل
جاءوا إليك يغذون المسير وفي
قلوبهم مثل ما من نبعك انتهلوا
إليك يا من نذرت النفس تبذلها
لله لم تنتقص من جهدك الغلل
تغار لله كم أخمدت من فتن
أهل الضلال على وقفاتك انخذلوا
يبكيك مجلسك المحفوف ما نطقت
عوراء تنبس إلا صدها الخجل
أشربت حبك كل الخلق من خلق
سمح ومن سيرة قد خطها الأول
لم تلتفت نحو دنيا الناس منشغلاً
واللاهثون على دنياهم شغلوا

يا من وصلت إلى العلياء في شرف
واللاهثون وراء الوهم لم يصلوا
يكفيك أنك حزت الفضل ما اجتمعت
مثل اجتماع على تفضيلك الدولُ
تبكي عليك جموع الناس قد ذرفت
دموعها وإلى الرحمن تبتهلُ

في موكب الوداع

بقلم : عبدالمحسن بن عبدالعزيز العسكر

* المحاضر بكلية اللغة العربية بالرياض *

لمن تركت صروح العلم والخطبِ
ومن يسير بنا في مهمة الكرب ؟
أفنيت عمرك في إسعادهم زمناً
بكل صدق ومانفك في دأب
قلوبهم ألفت بالحب طلعتكم
لما رحلت غدوا في ثوب منتحب
لم تبكهم قط في دنياك مجتهداً
لكنه الموت لو حاولت ام تجب
فرشت دربك بالتقوى نزينه
أهار حلم وعلم راسخ السبب
أمضيت عمرك في روض الهدى فنمت
ذرات جسمك في طهر وفي أدب
شتان مابين من في الخير أنفقه
وبين من عاش للدنيا وللرتب

الله أكبر كم عانيت من ألم
صارت تباريحه سوداء تعصف بي
باغرة في جبين الدهر مشرقة
مصابنا بكم من افدح النوب
في (العدل) قد دفنت آمالنا ، ولنا
حنين والهة تنعاك من كثب
لما دفنت تواري المجد وارتعشت
أفاقنا وغدونا نهب منتهب
تناهيتنا هموم العلم سائلة
من بعده سوف يغنينا من الكتب ؟
من للحديث الذي أفنيت عمرك في
شروحه مبدعاً فيه بلا نصب ؟
من للتقى وفضول الناس سانقهم
من للعلا حين صار القوم في صبب ؟
أين الحباب الألي قد كان يجمعهم
درس الإمام وهم من خيرة الصحب ؟
ويلي على حلقة التدريس أن صدعت
أركانها وغدت في سوء منقلب
أحييتها حقبة في الناس نادرة
مثل البلاد ربت في واكف السحب

أذكــــرتنا بعظيم العلم مــن سلفـــوا
من الأئمــــة كــــالثـــوري والذهبي
لاتعــــجـــبــوا أن حب الناس طوقـــه
فـــحب أمـــثـــاله من أعظم القـــرب
شـــيخ له في ســـبـــيل الله مـــاثرة
مــاحــاد عن نهــجـه السـامي ولم يهب
يا ايهـــا الوالد المفـــضـــال إن لكم
بكـل قلـب وداداً غـــيــــر ذي كـــذب
صلت عليك جـــمــوع لاعـــداد لهـــا
كـــانت بعين الدنا من أعــجب العــجب
لـم يشهـد الدهر شبهاً في تحاشدها
في كل صـــقع من الأعـــجـــام والعـــرب
لئن رحلت عن الدنيـــا فـــمـــا رحلت
علومك الغــــــر ذات المنطق الــذرب
وذكـــركم خـــالد في الناس مـــالبـــثـوا
فـــوق البــســيطة لايبلي مع الحـــقب
ونـشــــــــركم في ربوع الكون عطَّره
وصـــوتكم ناطق في الســـمع لم يغب
يا أيـهـــا القـــرن فـــاخـــفـــر بالإمـــام وقل
هذا البـــقـــيـــة من أســـلافنا النجب

عزاؤنا أن فينا من بقيته
أولي هدىً كم لهم في الفضل بن سبب
وسوف يخلفنا من بعده خلف
يسوقهم شرع رحمان وهدى نبي

فاضت العينان

شعر: علي بن حسن بن علي الرديني

قلمي يئن وجرحه ما زالا
والحبر فجرها هنا شلالا
فاضت قرائحه وحار بأمره
ورمى بأوراقي وسل سؤالا
ماذا عساي اليوم أسكب من دمي؟
والخطب أعظم أن يضم مقالا
خطب أراه وأمة مكلومة
ماذا تراه؟ عساه كان خيالا
جاءت مع الغسق البهيم مقولة
دارت وسارت فندت أقوالا
رحل الهزبر وكلنا برحيله
قد فاضت العينان دمعاً سالا
حزناً بلوعة من سرى في ليلة
يرنو الضياء وليله قد طالا
سيف توارى برقه في غمده
بعد العراك وبعدما قد صالا

حمل المشاعل في السواري وابتغى
رفع الظلام فأفحم الضلالا
من لي بجامعة تسير بهمة
في ذي الديار جنوبها وشمالا
كالبحر ينضح هادرا متشوقا
لعناق شطآن تريد وصالا
زهد وعلم كيف لا وتواضع
وسماحة ومناقب تتوالى
والليل شاهده على أعماله
وقيامه يتسيد الأعمالا
عقد فريد قد تقلد منصبا
في كل قلب فاشتراه وغالى
هم في الدنى وضعوك في مقلٍ لهم
وهبوك حباً فائضاً منهالا
أين الجبال الشم قد ضاقت بها
قمم وقمته تتيه دلالا
ليل الشتاء تراه أفرط طوله
وترى سحائبه تتيه جمالا
حجبت نجوما في السما لكنها
زالت ببدر الباز لما جالا

من لي بمثلك في الدنى متألقاً
لم يعرف التسويف والإهمالا
سرت الفتاوى من لسانك بلسماً
لما أتاك السؤل ينشد حالا
فغدوت بالفقه المفرد فيهم
حاكيت بدراً بالنجوم اختالا
يشكو إليه المعدمون مصابهم
فيجيش دمعاً ثم يغدق مالا
وخصومه لا يرعوي عن نصحهم
يدعو لهم بالخير لا يتعالى
فغدا بذاك الود عند خصومه
ثقة وحاز الفضل والأفضالا
وكسبت بالخلق الرفيع محبة
اسقيتناها بالصفاء زلالا
هذي الرياض بدت ترى في حلة
بيضاء لما أوقف الترحالا
لكنها بكت الحبيب لأنه
قصد الحجاز لكي يرى الأحوالا
كل المشارق والمغارب قد بدت
خرساء عند سماعها الزلزالا

قد جاء في يوم الخميس بأنه
قد فارق الأحباب والأخوالا
مات المؤمل والعلوم تيتمت
وشكت أفولا قد يصير زوالا
قد شاء ربي أن يكون لموته
سبب وإنا مؤمنون ثكالى
حسبي الإله ونعم من دانت له
كل الجباه تعبداً تتخالى
نشكو إلى المولى مصاباً هزنا
ودهى الدنى نشكو إليه تعالى
هذي الجبال الشم في غربيها
حوت الرفات وضمت الأوصالا
طلابه زواره أحبابه
نحو المطاف توافدوا أرتالا
شيبا وشبانا تدافع جمعهم
نحو الوداع ركائبا ورجالا
في العدل واروه التراب لبرزخ
ترجو الإله له الجنان مآلا
عذرا لأني لست في مرثيتي
أوفيته حقا ولا استرسالا

فـالبـاز كـالعلم المرفـرف في الســرى
فــيـــراه من قــد آيس التــجــوالا
يـا ربـنـا الـرحــــمـن إنـي ســـائـل
إيـاك ســؤلا أبتــغــيــه نـوالا
في جنة الخلد اجـتـمـاعـا دائمـا
بـالـشـــيـخ لا نـبــغـي لـه إبـدالا

مصاب عظيم

شعر: علي بن قاسم الفيفي

مصاب عظيم بالغ الرزء فادحه
وخطب جسيم غائر الجرح بارحه

أهاض نياط القلب وقع نزوله
وأدمى المآقي دافق الدمع سافحه

وأي بلاء وامتحان وفتنة
يقارب ما قد انفذته جرائحه

وفاة «ابن باز» شيخنا وإمامنا
وقدوتنا من قد تسامت مطامحه

تكاد لها الأطواد تنهد خيفة
وتنهال من بين السحاب نواطحه

ويكسف ضوء النيرين تحسرا
عليه ويهوي النجم مما يكافحه

إمام جليل ثاقب الرأي مرهف
حصيف رزين لا ترام سوائحه

له قدم في العلم راسخة الخطى
تقاصر عن شأو له من يناطحه

فمن يوسع الطلاب علماً وحكمة
ومن لعويص غامض هو شارحه
فيا ليت شعري هل درى القبر من حوى؟
وهل زاخر قد وسد اللحد ضارحه؟
فقيد بني الإسلام طرا وثلمة
وفاقرة في الدين عمت جوانحه
إذا عصفت هوجاء شر وفتنة
أضاءت سبيل السالكين قرائحه
وحق لمن ينكى ويصدم عنوة
بمثل «ابن باز» أن تشل كوابحه
وينهار من تكوينه كل ثابت
وتهتز من هول المصاب ملامحه
فيا حسرتا من ذا يسد مسده
ويغلق بابا ها هو اليوم فاتحه
لقد كان سيفاً مصلتاً يتقى به
يذب عن الإسلام إن صاح صائحه
مواقفه مشهودة لبلاده
وأمته كالغيث تهمي سوانحه
ففي القدس والشيشان منه شواهد
وما الصرب والأفغان إلا مسارحه

هو الغيث يهمي ليله ونهاره
نوائله دفاقة وشرائحه
فتلك يد بالعرف فاضت سخية
وأخرى لثان بالجميل تصافحه
ويحنو على المسكين في كل موطن
يواسي ويأسو والمسيء يناصحه
وكم بائس مستضعف متلهف
أناخ به فانجاب في الحال لافحه
يغيث ذوي الحاجات من فيض بره
ويكشف عن ذي الكرب غماً يراوحه
وكم حائر متشفع رام ركنه
فما خاب من يرجوه ممن يسامحه
فيا العظيم الهول حل بساحنا
ويا البلاء طبق الكون كالحه
ألم بنا حزن عميق مؤرق
وهول مهيل أذهلتنا نوائحه
فأنزله بالفردوس في منزل الرضى
تزاد مع المختار فيها مرابحه
وأعظم لنا أجراً وضاعف ثوابنا
وجبر مصاب أنت يا رب مانحه
وللفهد ذي الأمجاد نزجي عزاءنا
وأزكى الدعا بالخير يهمي وصالحه

رحماك يا ربي

شعر: فواز بن عبد العزيز اللعبون

هو الخطب .. ويل للزمان من الخطب
سينبي الزمان اليوم ما لم يكن ينبي
فما غفلة الأحداث إلا انتباهة
وما بعدها إلا دليل على القرب
تمر خطوب الدهر عجلى سريعة
وتمضي على آثارها لوعة القلب
ولكن خطباً يسلب الدين شخصه
حري بأن يبقى اللبيب بلا لب
تقول الصروف السود إذ نالت المنى
ظفرت فحسبي ما رزيتم به حسبي
فما غاية عندي أجل مصيبة
من الرزء منقضا على الخلق كالعضب
إلى الله نشكو من رزايا زماننا
مصاباً تمادى في الإساءة والشغب
تهاوت ذرا الإسلام وانهد ركنها
فرحماك بالإسلام رحماك يا ربي

غـــفلنا ولم نأخـــذ لذلك عـــدة
وخلنا المنايا لا تصـــيب ولا تصـــبي
فلمـــا دهانا الموت في خـــيـــر والد
ودوى صـدى الناعين في الشـرق والغـرب
ذهلنا .. فـمـبـهـوت وآخـر مطرق
يخط حـروف النعي في صـفـحـة التـرب
ومـسـتـجـمع يرجـو قـواه صـلابة
تهـــاوى على جنب وأوفى على جنب
وباك توالى دمـــعـــه في انسكابه
فـمـا يلتـقي جـفناه من شـدة السكب
ومـصطبـر يخـفي الأسى في فـؤاده
ليظهـر جلداً بين أهليـه والصـحب
رأى منهم مـا كـان أخـفـاه فـانثنى
يبـوح بما أخـفى ويشـتـد في الندب
ورحنا إلى السلوان نرجـو عـزاءه
فـعـدنا وفي الوجـدان كـرب على كـرب
عـزاء عـزاء قـدر آمـالنا التي
توارت وقـدر الضـعف والحـزن والرعب
فـمـاذا عـسى الأيام تخـفي وراءها
وقـافلة الماضين حـادت عن الدرب؟

وكـــيف لركب حـــائر الرأي والخطا
نجـــاة .. إذا الموت اصطفى قـــائد الركب؟
سيمضي على أعقابه الركب هائماً
فكم سبع ضار سيسطو وكم ذئب
إذا ما الأب الحاني مضى لسبيله
فمن لرقيقي العود في زمن صعب؟
ألا أيها الماضي إلى خير وجهة
مضيت إلى الرضوان والمنهل العذب
لتهنك دار الخلد دار إقامة
نزلت بها بعد المحولة والجدب
ختمت مع التسعين آمال أمة
وكانت مع الآمال في مرتع خصب
ترحلت عنها والمآسي محيطة
بها ورحى الآلام دائرة القطب
ولم ترتحل إلا وطلعك باسق
ومجدك في الآفاق موف على شهب
وحبك في كل القلوب مخيم
فويلاه كم تشكو القلوب من الحب
إذا الله ألقى في قلوب عباده
قبول امرىء فالحب أول ما يسبي

وإلا فمن أجرى الدموع ؟ ومن أتى
بتلك الجموع الدهم من واسع رحب؟
أتوا ليسيروا خلف نعشك قبل أن
يسيروا مع الأهواء حزباً على حزب
فلله هل أحسست نعشك سابحاً
يجول على سيل من الدمع منصب؟
تهدهده الأمواج حيناً وتارة
تحط به فوق الأرائك والهضب
وهل سمعت أذناك صيحات جمعهم؟
كأن نعي الموت داع إلى حرب
مضوا بك والأقوام بين مصدق
وبين كسيف يجتدي سلوة الكذب
إلى غاية ما بعدها اليوم غاية
يزيد بها همي ويدنو لها نحبي
كأنك إذ واروك في اللحد كوكب
يلوح وإن غشاه جيش من الحجب
ووالله ما أهذي بذلك عابثاً
ولكن باب الفأل يدعو إلى العجب
مصابي عظيم في الإمام فخففوا
ملامكم واستعتبوني من العتب

وقــولوا إذا أودعــتم جــســمي الثــرى :
قـــضـــيت ولـم نـعـــرف لدائـك من طـب
ويـا زمـنـي إن ألـبـــــســـــوك جـنـايـتي
فـــــــذلـك ذنـب مـن ذنـوبـك لا ذنـبـي

لك يا ابن باز في القلوب منازل

شعر الدكتور : مبروك عطية أبو زيد

* الأستاذ بجامعة الملك خالد كلية اللغة العربية بأبها *

عــوت الصـحـائف فـالعلوم بكاء
ببكائهـا تتـمـزق الأحـشـاء

والسـحب في عليـا السـمـاء دمـوعـهـا
مـن كـل هـول سَـيْـلُـهـا الأرزاء

والأرض قـد نقـصت بموت حـيـاتهـا
إن البـسـيطة روضـهـا العلمـاء

هـم زينة الدنيـا وسـر جـمـالهـا
وبموتـهـم تتـقـبح الحـسناء

واليـوم مـات إمـامـهـم وكـبـيـرهم
عـبـد العـزيز أتى عليـه قـضـاء

وقـضـاء ربك للعـبـاد مـلازم
ولو احـتـواهـم ضـيق وفـضـاء

لـكنهـا الدنيـا الدنيـة سـيـدي
مـادام فـيـهـا للحـبـيب لقـاء

والدار فـيـهـا بعـد حـسن بنائهـا
سـيـصـيـبـهـا عند الردى إقـواء

لك يا بن باز في القلوب منازل
ترقى بحبك والدماء فداء

ما كنت يا شيخ الشيوخ سوى الندى
ونداك منه تولدت أنداء

تروي العقول من العلوم وسرها
فإذا الظلام أمامها أضواء

ما قلت رأياً عن هواك وإنما
الرأي منك شريعة سمحاء

أبطلت من بدع تورث إفكها
ولمثل هذا شرع الإفتاء

وشرحت غامض مشكل في حكمة
تعبت لنيل مراده الفصحاء

ونقلت سالف عهدنا في حاضر
وحمى ركابك في الطريق إباء

للدين يا عبد العزيز يصونه
حتى وإن كثرت به الأعداء

وسقيت بالعلم الجزيرة والدنا
نطق الرياض وبلغت أصداء

حتى رأينا الناس في أقصى المدى
تدنو إليك وكلهم إصغاء

يشفى من الفتن العصيبة مسلم
فتواك في كل النفوس شفاء
ومشيت بين الناس رمز تواضع
وقد اعتلاك من الإله بهاء
فكسوت عين الناظرين بهيبة
إن التواضع للفضيلة ماء
أديت حق العلم في أرض الهدى
وولاتها يا شيخنا نبلاء
ورفعت صرح الحق في أرجائها
وجميعهم من أهله وجهاء
أبناء من جمع الصفوف جهاده
ما إن دعوت فكلهم أكفاء
صانوا الشريعة وابن باز بينهم
قد أكرمته لعلمه الأمراء
والعلم يحيا في بلاط أئمة
هم بالعلوم وأهلها رحماء
واليوم تلقى وجه ربك راضياً
وجنود ربك في السما رفقاء
سكن الفؤاد فنم هنيئاً شيخنا
فالخلد مأوى والنعيم جزاء

إن الحدائق إذ تطوف بينعها
من فضل ربك منّة وعطاء
من للعلوم وقد رحلت مودعاً
أنت الإمام وكلنا ضعفاء
إن الأئمة بعد موت إمامهم
زادت عليهم بعدك الأعباء
مات الفقيه وزرعنا كنفوسنا
ونفوسنا بعد الفقيد ظماء
إن فرق الموت الجسوم بطبعه
فالعلم بعد الموت فيه بقاء
والناس موتى في بيوت معاشهم
والعالمون بقبرهم أحياء

نور على الدرب

شعر: محمد بن حمد بن عبد الله العبودي

إلى الله في كل الأمور مآب
وليس لدى غير الكريم ثواب
وما ينفع الإنسان إن جاء حينه
طبيب يداوي أو يسر عتاب
هو القدر المحتوم لا ينفع الفتى
إذا حل بَيْنٌ مطعم وشراب
دهى عالم الإسلام أمر مروع
فضاق له صدر وحار جواب
وصُمّت به الآذان وهي سليمة
وخارت به الأقدام وهي ركاب
يئن لك الغادي وينعاك رائح
ويحزن محراب الهدى وكتاب
ويرثيك كتّاب ويبكيك شاعر
ويغمر كل العالمين تباب
ترجل منها فارس قد أحاطها
بكل علوم الشرع فهي رحاب

بكاك شيوخ في المساجد ركع
وفي كل فج قد بكاك شباب
وقام خطيب القوم قد بح صوته
فلم يتضح للسامعين خطاب
بكاك نساء في المنازل رُوّعٌ
وأبكيت من لم يعتريه حساب
عزاء لنا أن الحياة قصيرة
ومنها إلى رب الجميع مآب
وأنك قد أثريت فينا مآثرا
يتم بها للقاصدين رغاب
وداعك يا عبد العزيز مصيبة
وفقدك يا بحر العلوم عذاب
لك الله كم من فاقد لك قد بكى
وأسبل دمعاً والعيون سحاب
قد اهتز منه القلب وارتج خافق
وضاق بكل المسلمين إهاب
إلهي وأنت المستجار إذا نبا
بنا الدهر أو عم الجميع مصاب
إلى من نعزي والجميع أصابه
من الهول في يوم الخميس حراب

فإنك في كل البيوت معلم
وإنك من كل القلوب مجاب
ونورٌ على درب الحياة ومشعل
لكل سؤال منك جاء جواب
ومفت إذا ضل الرجال عن الهدى
وعلمٌ بحلم والجواب صواب
وشهم كريم يرتجيه مؤمل
وفي داره للمعوزين مطاب
أبٌ لجميع الناس تسمو إلى العلا
ويحدوك رأي ثاقب ولباب
جزى الله عنا شيخنا أفضل الجزا
وألهمنا صبراً عليه نثاب
وعَوَّضنا عن فقده بخليفة
يواصل درباً قد أضاء شهاب

بكى العالم النحرير شرق ومغرب

شعر الدكتور: محمد بن سعد الدبل

فـــزعنا إلى الرحـــمن نشكو ونندب
وندعـــو لشـــيخ والمحـــاريب تعـــرب
دمـــوع القـــوافي بادري أو تجلدي
بكى العـــالم النحـــرير شـــرق ومـــغـــرب
بكى القـــادة الأعـــلام عـــلامـــة الهـــدى
وكم عـــالم في ظلمـــة الليل ينحب
وكم للتـــعـــازي بيننا من ترحـم
بـه يتـــواصـى الإبـن والأم والأب
مـــصـــاب أبان الحـــزن في كل مـــقلة
يسابقـهـا الدمع الهـتـون فـتـسكب
فـقـيـد بني الإسـلام في كل مـوطن
يـزينـك بـين الناس خلق مـــهـــذب
فـــزهـدك عـنوان وحـلـمك واسع
لك الصـبـر عـزم والسـمـاحـة مـذهب
خـدمت صـروح العلم مـذ كنت يافـعـاً
وكـــهـــلاً لأعـــلام الشـــريعـــة مكسب

يعــــز علينا أن تغــــيب في الثـــرى
ولكن حكم الله مـــا منه مـــهـــرب
هو العــــدل في أحكامــــه وقـــضـــائه
وإن طال عـــمــــر فـــالحـــيـــاة ســـتـــذهب
وإن رحلت أيامك الغـــــر وانقـــــضت
فـــــعلمك باق لم يكدره مـــــشـــــرب
وودعـــتنا من بعـــد تســـعين حـــجـــة
عـــدا سنة عـــمـــر ربيع ومـــخـــصب
نهـــارك فـــيـــاض بتـــرشـــيـــد أمـــة
وليلك تســـبـــيـــح ويومك يدأب
ولا ســـــائل إلا أجـــــبـــت ســـــؤاله
ولا طـــــارق إلا وبـــــابـــــك يـــــأدب
إلى الملأ الأعلى جـــوار مـــحـــمـــد
وصـــحـــب كـــرام والكريم يقـــرب
هنيـــئـــاً لك الدار التي أنت أهلهـــا
ظلال نعـــيـــم الخلد أغنى وأرحب
برحـــمـــة رب للمنيـــبين عنده
ثواب جـــزيل بالكرامـــات يصـــحب
أعـــبـــد العـــزيز الفـــاضل الناصح التـــقى
بمنهـــجك العـــلامـــة المتـــوثب

أبـوه سـليـل المـاجـــــديـن وجـــــده
أمـــام دعـــا لله والأرض غـــيـــهب
ألا إنـه عـــبـــد العـــزيز الذي ارتـقـى
بـأمـــر حـكـيـم قـــائـد يـتـــوثـب
إذا الفـــهـــد بـالتـــوفـــيـق أصـدر أمـــره
فـــقـــد ســـاد في ظل العـــدالـة منصب
هنيـــئـــاً ولابن الشـــيـخ أزكى تحـيـــة
وتـهـنـئـــة بـالصـــدق تملى وتـكـتـب
ونـدعـــو لـشـــيـخ العلم والزهد والتـــقى
بفـــيض من الغـــفـــران مـــا لاح كـــوكـب

شهدت لك الآيات

شعر: محمد سعد المشعان

عبست لك الأيام حين رأيتها
واستعتبت دهراً ، فما أعتبتها
ورجتك قول ملامة في ذمها
فتركت كل هناتها وهجرتها
وسلكت درب الماجدين مجاهداً
ميل النفوس إلى الهوى ، وصددتها
وأجلت في نادي العلا أفراسه
تلك الليالي السود حيث سهرتها
تتلو كتاب الله غير مذمم
كم سورة رتلتها وحفظتها
كم حلقة للعلم كنت أنيسها
كم ليلة للبحث قد أحييتها
كم منتدى حاورت فيه جهابذاً
من خيرة الفقهاء ثم شأوتها
وصعدت في شأن «الطلاق» مراقباً
ذللت كل صعابها ، وعبرتها

ورفقت بالدهماء حار دليلهم
وتصدعت أسر فقمت وصنتها
آزرت في حقل القضاء حقوقه
وأخذت ميلة ظالم فأقمتها
ونصرت مظلوماً على ظُلامه
وعلمت أسلاباً له فرددتها
أمعلم الأجيال علم شريعة
كادت عصور الجهل تحجب صوتها
أنجبت من فقهاء عصرك أمة
قد أثمرت بالعلم حيث غرستها
وأريت – بالأخلاق – أية سيرة
للمصطفى آثرتها، فتبعتها
ورآك فيها الناس خير مقلد
لمآثر رفعتك حين رفعتها
يا من رآك الناس ثغراً باسماً
وهداية بدليلها أعقبتها
يا منصف اللغة الفصيحة جاهداً
شهدت لك الآيات إذ رتلتها
وبكيت ساعة وعدها ووعيدها
والسامعون عيونهم أبكيتها

يـا مـــــــرهـقـــــاً مـن لـيـلـه هـدآتـه

تـبـني لأخـــراك التي قـــد خـــفـــتـــهــا

ســـحـت عـلـيك ســـحـــائب من رحــــمــــة

أمللت من دنيـــا الورى وســئـــمـــتـــهـــا؟

الـربع فــــيـــــه أحــــبــــة لـك ، كـلـهـم

قــد كــان يخـشى غــيـبـة لك غــبـتــهـا

كـــأس المنيــة – يا أبي – قـــد ذقـــتـــهــا

هل تســتطيع القــول كــيف وجــدتهـا ..؟

سيد العلم وشيخ المشايخ

شعر: محمد بن سعيد الصفار

* مدير إذاعة القرآن الكريم *

صاح مهلاً لا تلمني يا أُخي
لا تلمني لا تقل لي أي شيْ
صاح رفقاً بي فإني منهك
ولساني من مصابي فيه عي
مهجتي حرّى بنار تتلظى
وجرى دمعي يكوي الخد كي
يا خليلي لا تلمني إنني
لست أبكي عزة أو فقد مي
إنما أبكي الذي تفقده
حلق العلم ويبكيه الندي
إنما أبكي الذي يهفو له
كل قلب مشرق بالعلم حي
سيد العلم وشيخ العلما
ابن باز ناصر الدين الوفي

قد أتانا نعيه وقت الضحى
يال شيخ جاءنا عنه النعي
آه يا شيخ الصحيحين ويا
حجة العصر ومن للناس فَي
أمة الإسلام تبكي أملاً
قد طوته فِي حمى علمك طي
طالما أبديته مبتهلاً
ودعوت الله جهراً ونجي
أن يحققه رجاء مفعماً
باحتكام الناس للشرع الأبي
يا ابن باز يا إمام الدين يا
زينة الدنيا ويا حاتم طي
كيف نسلوك وأنت الفرد في
علمك الجم وفي الخلق الرضي
كيف نسلوك إماماً ناصحاً
مشفق القلب على الناس نقي
يا ابن باز قد بكيناك دماً
يحرق العين ويشوى القلب شي
لا تلمنا يا ابن باز إننا
قد ألفناك أباً براً تقي

عليك سلام الله

شعر : محمد بن سليمان بن عبد الله المهنا
* المعهد العالي للقضاء *

عظيم من الأنبياء في الكون جلجلا
يصدّع قلب المرء لو كان جندلا
ويكسفه وقت التمام لينجلي
لهيب من الأحزان في الصدر أشعلا
أتانا وكان الناس في هجعة الضحى
لقد ودع الناس الإمام المبجلا
لقد ودعوه والأسى يملأ الحشا
بدمع سخين صير الخد جدولا
بكوه وأثنوا بالذي كان أهله
ومن ثم عاجوا كي يعدوا الروحلا
وصلوا صلاة العصر ثم توجهوا
يؤمون بيت الله بالجو والفلا
وأدوا صلاة الفجر بعد تمامهم
لعمرتهم والشيخ يبكي مرتلا

وجاءوا بجثمان الفقيد مدثرا
وضاق المكان الرحب من كثرة الملا
ففاضت عيون الناس لما أتوا به
مُسجى ومحمولا لقد طاب محملا
وما منهم من قال إني حملته
ولكنهم كالموج بالنعش قد علا
وصلوا صلاة ملؤها الحزن والأسى
ونجوى لرب العرش أن يتقبلا
وجاءوا إلى دار الصمات بشيخهم
ولم يجدوا من دون ذلك موئلا
أهالوا عليه الترب ثم دعوا له
ويمم كل رحله فترحلا
وآبوا بحزن ليس فيهم إمامهم
وقد كان فيهم قبل ذا اليوم أولا
فلم أر مثل اليوم أكثر باكيا
ولا مثل من يبكيه قدرا ومنزلا
ولا مثل من يُبكى عليه جلالة
وعلماً وحلماً واجتهاداً ونائلاً
ولا مثل جمع شيعوه مشيعا
وقد فاضت الأجفان بالدمع مُسبلا

ولست أظن الناس يبكون راحلا
بأصدق مما قد بكوه وأجزلا
وما كان موت الشيخ موتا لواحد
ولكنه بنيان قوم تزلزلا
عليك سلام الله يا من جلاله
على رأسه قد كان تاجاً مكللا

سلاماً أبا الإحسان

شعر: محمد بن سعد العجلان

أُريقَتْ على الأجفان منا الذوارف
لها من صروف الدهر بالعين واكف
أراق غواليها من البين فاجع
وأسبلها خطب عظيم وعاصف
مصاب كزلزال على الأرض هزها
وصدع فينا الصبر فالصبر راعف
تهادى إلى سفح الثرى كوكب سرى
وغيبه عن أفق مسراه كاسف
بكيناك يا عبد العزيز وطالما
بكى الناس في الدنيا تليد وطارف
ولكن من يبكي على الدين دمعه
طهور ومن يبكي على الناس آسف
بكيناك والباكون منا خيارنا
نعيناك والناعون منا العوارف
بكينا .. ومن يبكيك بر وفاجر
بكينا .. ومن يبكيك درب وموقف

ويبكيك مسكين ويبكيك بائس
ويبكيك معدوم ويبكيك مترف
ويبكيك إحسان وعدل وحسبة
وفضل وإيمان وتقوى ومصحف
بكاك بنو الإسلام في كل بقعة
لأنك فيهم عارف لا يعرف
لأنك فيهم شامخ علم إذا
وصفت تناهى دون وصفك واصف
وإنك أنى سار يستهدف العلى
سنا شرف أنت الذي منه أشرف
وأنك بين الحلم والعلم والتقى
قضيت سنين العمر فيهم تؤلف
فكم لم شمل فيك من بعد فرقة
وكم علّ من ينبوع علمك راشف
مضيت وللرحمن في ذا مشيئة
وخلفت فينا ما يسر المخلف
فقد كنت نبراسا وحصنا وحجة
تسير على النهج الذي أنت تألف
من الشرع تستوحيه نهجاً مفصلاً
ومن سنة الهادي إلى الحق تغرف

وجـاهدت حـتى قـيل يا غـاية التـقى
وأنصـفت حـتى شك بالنفس منصف
ونحن الألى كنا عن السـيـر ننثني
ويحـدو المطايا في رؤانا التـعـسف
نـخـب عـلـى الأرض الـتـي بـوركـت بـنـا
ونـنسى بـأنـا نـورهـا ونـسـوف
شـغلنا بدنيـانا فـلا الشـغل مـاجـد
ولا السـعي مـردود ولا القـصـد هادف
مـلأنا جـهـات الأرض شـغـلاً وغـفلة
فـمـاذا تراها قـد تقـول الصـحـائف
سـلامـاً أبا الإحـسـان يا أبيض المنى
خطفت ومن يبـقى على الطول يخطف
مـضـيت ولم تبـرح فـعلمك مـشـرع
إذا مـا سـعى في الأرض بالسـوء مـرجف
لئن عـشت في دنيـاك زهدا وظلمـة
فـفي البـعث بعـد الموت نور وزخـرف

تبكيك يا باز المآثر أمـة

شعر : محمد بن صالح المبارك

فـــارقت يا بدر الســـمـــاء الأنجـــمـــا
وأقـــمت في دار الأحـــبـــة مـــأتما
فـــالقلب يبـــدي حـــزنه مـــتـــصـــبـــرا
والعين تطفـــر بالدمـــوع تـألمـا
فـــارقت يا باز الفـــضـــيلة منزلا
وبقـــيت في دار الأحـــبـــة مـــعلمـــا
يا من بدا بالعلم طودا شـــامـــخـــا
وبدت لنا فـــتـــواه نورا بلســـمـــا
أنت الكفـــيف وكم بصـــيـــر مـــا رأت
عـــيناه نورا فـــهـــو في ليل العـــمـــا
أنت الكريم ســـحـــابة هطالة
تسقي الجميع سماحة وتكرمـا
أنت الفقيد وكم فقيد ما بكت
عين عليـــه تحـــســـراً وتألما
ذاك الذي باع الحـــيـــاة بجنة
كم طاف حـــول البـيت لبى مـــحـــرمـــا

عـمـا أحـدث والمكارم كلها
جـعلت إليك مع المعالي سلما

تبكيك يا باز المآثر أمة
أسقيتها من نبع علمك زمزما

صلت جموع بل ألوف جاورت
بيتاً به رب الخلائق أقسما

رفعت أكفا خضبت بدموعها
ترجو إلهاً راحماً متكرما

يا رب فاجعل في الجنان مقامه
واغفر له يا رب ما قد قدما

سلام عليك .. ابن باز

شعر الدكتور: محمد بن عبد الله بن إبراهيم الخرعان

سلام على الشيخ الجليل فسلموا
سلام محب قلبه متألم

فقيد بلاد المسجدين وأمة
مآثره في نصحها تتكلم

إمام الهدى عبد العزيز وإنما
محبته للخير والفضل ميسم

بها يُعرف الساري على هدي أحمد
ولا يبغض الشيخ المبجل مسلم

نعاه ثرى نجد وكثبان رمله
مرابعه فيها تئن وتألم

وضمته ضم الأم جسم وليدها
بلاد حجاز الله وهو المتيم

وبكّاه من كل البلاد تُقاتها
وناح عليه عالم ومعلم

أقول وقد غص المطاف بمن أتوا
لتشييعه من كل فج ويمموا

لعمرك هذا العز لا عز ثروة
ولا عز سلطان لمن كان يعلم

تراه حديث الناس في كل مجلس
بآثاره كل الشفاه ترنم

إذا ما التقى خل ووافى خليله
يعزيه فقد الشيخ فالأرض مأتم

فلله شيخ ما أبر خلاله
ولله شيخ ذائع الصيت مكرم

إذا رن في المذياع نغمة صوته
تنادى له طفل وكهل وأيم

لقد كان في حلق المضلين غصة
وعند ذوي التقوى رواء وبلسم

أبى الله إلا أن يجل مقامه
ويرفع من مقداره ويعظم

بكت فقدك الآيات تتلو مئينها
تقوم بها حيناً وحيناً تعلم

ويبكيك من قول الحبيب صحائف
ويبكيك منهن البخاري ومسلم

ويبكيك محراب وأعواد منبر
ويبكيك طلاب وصحب ومحرم

وتبكي خلال الجود والبذل والسنا
وطيب السجايا والندى والتكرم
بكيتك يا شيخ الهداة وإنني
بحبك والأبرار صب متيم
أنيس إذا ما جئته خلت أنما
بك الشيخ معنياً وأنت المقدم
وكل يرى منه الذي أنت خلته
ويبصر ما أبصرت منه ويعلم
كريم نقي القلب خال من الأذى
قريب من الرحمن راض مسلم
حفي بكل الناس من كل بقعة
فلا غرو أن لاقى المحبة منهم
أيا علم الإسلام فقدك فاجع
له تحزن الأكوان والدين يثلم
فقد كنت كالحصن الذي يُحتمى به
إذا هاجت الأهواء ، بالحق تهزم
وقد كنت صبحاً يستضاء بنوره
إذا لاح في الأفق البلاء المعتم
وقد كنت سيفاً يُفزع الشر حده
وفي ظله يأوي المحق ويسلم

ستفقدك الآلاف كنت لفقرها
غنى ولها في الجهل أنت المعلم
ويفقدك الحجاج في كل موطن
إذا ما أتوا تلك البطاح وخيموا
ويفقدك الشاكي ظلامة ظالم
شفاعتكم في دفعها تتقدَّم
وإن عصفت بالأرض أهواء بدعة
أو اشتط رأي رأيك السمح ملحم
ألا يا ابن بازقد فقدناك والدا
ونجواك للرحمن والليل مظلم
وترتيل آيات الكتاب تزيدها
على حسنها حسناً فتفتي وتفهم
وعرضك أقوال الرسول كأنها
على قلبك المكلوم رسم معلم
تحث على التقوى وتدعو لسنة
بها أنت من بين المصلين مُغرم
أقول لشعري : جاد نظمك عندما
رثيت ابن باز فهو للشعر مكرم
فقال : نعم ، إني أقول وما أرى
بأني أوفي حقه وأتمم

ولكن حسبي أن ما قد نظمته
هو الحق لا زور ولا ثم مغرم
فو الله ما إن قد رزيت بمثله
ولا مثله بين الخلائق يهضم
سقى قبرك الرحمن وابل غيثه
وأعطاك من نعمائه وهو أرحم
ورواك من كأس النعيم وأنسه
وفي روضة الجنات تهنى وتغنم
تروح عليك الطير في كل غدوة
ويأتيك من روح الجنان التنعم
وخلد في الباقين ذكرك صالحاً
وأجرى عليك الأجر ما فاه مبسم
وصل إلهي ما بدا الصبح أو دجى
ظلام ، على نور به القلب مغرم
نبيك خير الخلق أحمد والألى
على نهجه ساروا وشرعك عظموا

الموكب السماوي

شعر: محمد عبد الله الأنصاري

النور يهتف والأضواء في حلل
تحت السماء ترى في موكب حفل
كيما يزف إليها فارس بطل
أمضى الحياة جهاداً دونما كلل
كم كان يسهر ليلاً عابداً أرقاً
يقلب الفكر بين القول والعمل
يحاسب النفس دوماً كلما هجعت
منها الإرادة في الأحداث والعلل
والروح تهفو إلى العلياء في شغف
والقلب دوماً بحب الله في شغل
كان التواضع سيماء له أبداً
حديثه العذب جد غير مبتذل
بين الجوانح علم زانه خلق
ليبعث النور فينا بارق الأمل
والدين مذهبه جود ومكرمة
ومسلك الخير في إغضاءة الوجل

في الجـــامـــعـــات تـرى آثاره سطعت
يعلم الجـــيل يمحـــو ظلمــــة الدجل
يرسي الدعـــائم في الطلاب حكمـــتــه
صـــاغت نفـــوســـهم نورا على الســبل
يحـــارب الكفـــر والإلحـــاد في جلد
ويرفض الفـــسق في الإنســـان في الرجل
باب التـــآمـــر ضـــد الدين يزعـــجـــه
والشـــر يقـــتل دومـــاً بذرة الأمل
كم دبر الكفـــر للإســـلام مـــفـــســـدة
بالزيغ يملأ عـــقل الشـــارد العطل
وينشـــر الإثم بين الشـــيب إن قـــبلوا
وليس ســـيف العـــدا عنا بمنعـــزل
هم جندوا من دعـــاة الغي كـــوكـــبـــة
كي تنشـــر الفـــسق بين الســـهل والجـــبل
كي ينشـــروا فـــرقـــة في الصف أطمـــعـــهم
تفـــرق العـــرب جـــرح غـــيـــر مندمل
فـــينبـــري الشـــيخ بالإصـــلاح ينقـــذهـــم
بدعـــــوة الحق والإســـــلام من زلـل
يســـابق الريح والأنوار تـســـبـــقـــهـــا
عـــزائم لم تحـــد يومـــاً ولم تزل

الله أكبر هذا الليث جنده
رب العباد ليحيي ميت المثل
في الحق تخشاه أسد الغاب قاطبة
وصيحة الحق لا تلوي على بطل
واليوم هبت رياح البين تنذرنا
فقد هوى اليوم نجم العلم والعمل
فاغبرت الأرض والأجواء في كمد
والكل يذرف دمعا خافي المقل
من للمحافل يغزو الفكر في دأب
يزج عالمنا في أشرف الملل
بالاعتصام بحبل الله وحدتنا
إن التوحد يردي باغي الدول
من للمنابر يا ابن الباز يرقبها
يثري العطاء بفكر غير ذي خطل
من للفتاوى يسوق الرأي صائبه
محصنا من هوى أو ساقط العلل
من للعلوم يصوغ القول ناصعه
مدعماً بالحجا من غير ما خلل
هذي العقيدة قد صينت مكرمة
يذود عنها الخنا من فكر ذي زغل

كم بدعة قد أزاح الشيخ في جلد
حتى يصون الهدى عن فاسد النحل
من للفقير الذي قد جاء يطلبه
من بعد ان عجز المسعى عن الحيل
يا كم فطنت لحاجات له كثرت
قضيتها ملهماً كالوابل الهطل
يا من يصون حياء المؤمنين إذا
جاءوه قد نشدوا نصحاً بلا عجل
آتاهم الرأي والإيمان يدعمه
بالفقه يرشدهم من غير ما جدل
بالعقل والنقل فتياكم متوجة
في ساحة من هدى الرحمن في جذل
بالحق تصدع دوماً هادياً جلداً
ولم يكن سيفكم يوماً بذي فلل
إن السماحة تبدو بعدكم أملاً
ياكم سنبحث عنها دونما كلل
لكننا قد نرى يوماً سماحتكم
في جنة الخلد بين الصحب والرسل
الحق عندكم شمس بكم سطعت
والعلم يزري برأي الفاسد الخطل

نور الهداية فيكم قد بدا ألقاً
والشمس مذ أشرقت تخفي سنا الشعل
يارب من للحمى من بعده أملاً
ومن يحارب أهل الزيف والخبل
من ينبري بعده للشر يحصده
بمنجل الحق يهوي دونما كسل
يا ربنا قد بغى الباغون بل طمعوا
في العرض والأرض منا دونما خجل
يا رب عوض بمن يأتي على أثر
يصون دين الهدى والنور والأمل
كي يخلف الشيخ إيماناً ومكرمة
يمشي على دربه يقضي على السفل
يا رب وارحم فقيد الدين حارسه
واجعله يا رب في الفردوس في الحلل
أدخله دار الرضا والنور بارئنا
في مقعد الصدق في عال من النزل
مع النبيين في الجنات مقعده
من تحتها أنهر للماء والعسل
وألهم الأمة الغراء تعزية
في فقده يا مجيباً كل ذي سؤل
ثم الصلاة على المختار قدوتنا
ما حن طير إلى الأوكار والظلل

عزاء وبكاء

شعر: محمد فتحي السيد

في ساحة الدين الحنيف عزاء
وبأرض مكة لوعة وبكاء
والترب في أرض الحجاز مبلل
ومدامع الثقلين فيه لواء
وسحابة الأحزان تمطرنا الأسى
ونهارنا هو ليلة ظلماء
ماذا دهى الإسلام في أيامنا
جرح على جرح وذاك قضاء
في صبحنا نبأ وعند مسائنا
نبأ ويقضي ربنا ويشاء
ماذا أقول وأدمعي تروي الثرى
وفؤادي المكلوم فيه عناء
وأمامنا عبد العزيز مودعاً
فقد ابن باز في الديار بلاء

وافــتــه في أرض الحــجــاز منيــة
وبكتــه من فــوق الســمــاء ســمــاء
لرحــيله قلبي يئن مــعــانيــاً
ورثاه أهل الشــعــر والأدباء
يا أيهــا الشــيخ الموســد في الثــرى
بيني وبينك في النعــيم إخــاء
أمــا الدنا فــعلى الدنا من بعــدكم
كل الســلام وذا الزمــان هبــاء
من بعــدكم يروي القلوب مــودة
فــلأنت للمــتــخــالفين دواء
من بعــدكم يجلي المســائل بالحــجى
ونهــاره نصح كــذا إفــتــاء
رباه هل شــيخ أريب صــائب
خلفــاً لشــيخ علمــه وضــاء
كــان الإمــام ودربه لممــهــد
درب الرســول ســبــيله ولحــاء
إن قــال صــدق بالفــعــال وقــوله
يشــفي العليل وفي الحــديث حــيــاء

وكأنني بالدر دون جبينه
والثغر يبسم والحياء رداء
فعليه من رب البرايا رحمة
ولأمة الإسلام فيه عزاء
يا رب صل على الحبيب المصطفى
ما طاف حول الكعبة الأحياء

باز سما

شعر: محمد بن فهد حمين الفهد

خطب دهى فأثار الهم والألما
جون ولكنه قد بيض اللمما
خطب كسى مشرق الدنيا ومغربها
غماً وهماً فأبقى الجو مضطرما
تعلوه من كدرة الأحزان أغطية
لو تشرق الشمس لم تخرق له ظلما
فقدت فيه فؤادا كنت أذخره
لمد لهم من الأحداث إن هجما
إذ كان قلبي ليثاً لا يُفَزِّعُه
كرب ألم وأما اليوم فانهزما
أمام خطب أبيٌّ العزم بادرني
بحربة أوقدت في جسمي السقما
لولا اشتعال فؤادي في جوانحه
لظل دهراً طويلاً يقذف الحُمما
ها إنها صعقة للقلب لو نزلت
يوماً على ضفتي ثهلان لانهدما

لما تواترت الأنباء عن نفر
تروي بأن حسام الدين قد ثلما
ثج الأنام معين الدمع من مقل
ما إن همى ماؤها حتى استحال دما
كأنما الأرض من أطرافها وترت
لفقده فانبرت تستصرخ الأمما
بازٌ سما فوق هام المجد سؤدده
فما استكان إلى أن صافح القمما
ففرعُه في ذرى الجوزاء مقترن
وأصله في رياض الصالحين نما
من للمسائل يفريها بفطنته
من للمنابر يُزجي فوقها الحكما
من لليتامى كريم يدرءون به
أيدي الزمان إذا ما ألقت العدما
من للثكالى فتى يستصرخون به
في وجه كل ملم ينكأ الألما
من للمتون التي باتت مولولة
تنعى بعين الأسى حبرا بها علما
نَنْعَى التُّقى والحجا والعلم قاطبة
والبِشْر واللُّطْف والأخلاق والكرما

سل القضاء الذي آخاه عن كثب
هل كان يوما على الأحكام متهما
يُجبك أن رسول الله قدوته
هدياً وسمتا وأحكاماً إذا حكما
إذا نظرت إلى لألآء غرته
لمحت في طيها الإيمان والشمما
حبر العلوم إذا ما لج مبتدع
رد اللجوج على الأعقاب منهزما
وإن تمادى غويٌّ في غوايته
رماه صائب الأخلاق فاصطلما
قد شارك الناس طُراً في قلوبهم
فإن أردت دليلاً فاسأل الحرما
لما تقدم جمع البيت خادمُه
يقضون حق إمام ودع السأما
تسعون عاماً تولت غير واحدة
رفعت فيها لواء الدين مُدعما
فإن خبت نار عزم زدتها لهبا
وإن ونت همة أتبعتها همما
جُزت الصعاب بسعي غير متئد
حتى أتيت لركن المجد مستلما

بك النصائح بين الناس آخذة
عُرى القلوب أقامت بينها رحما
قد كنت تخرم وجه الجهل مبتدرا
بسيف علم من التضليل قد سلما
ولم تزل دائباً في الله محتسباً
حتى أتاك رسول الموت مخترما
جزاك ربك عنا خير معفرة
شؤبوب عفو يزيل الذنب إن عظما
فقد بذلت لنا نصحاً وموعظة
فإن سألنا لك الغفران لا جرما

خادم الإسلام

شعر: يوسف محارب حيمور

سجا بحر العلوم النيرات
تسجيه أكف الناشطات
فلو رد البكاء فقيد علم
لما بخلت عيون الغاديات
ولكن حكمة الديان شاءت
على قدر نساق إلى رفات
ليوم يجعل الولدان شيباً
متى أزفت، بعثنا من سبات
سيوف للمنايا قد علمنا
لئن ضربت نراها باغتات
كأن الموت يستره حجاب
رقيق لا يهاب من الكماة
يداهم في الضحى غضا وكهلاً
ويدرك في الليالي الحالكات
لنا عبد العزيز بك اقتداء
يعلم من وعى سر الأناة

مصاب، والفؤاد به سقيم
فهل يخلو فؤاد من أذاة؟
ألا يا خادم الإسلام عشتم
مثالاً يحتذى بين الدعاة
لئن جفت مدامعنا ستبقى
جراحات بأكناف السراة
جسوم في الثرى لو غيبوها
فإن الروح في فلك التقاة
يفوز المؤمنون كما أعيذوا
بتقوى من جمار السيئات
بجنات تفوق الأرض عرضاً
أعدت للفتى والمحصنات
فمن نجد إلى تطوان علم
يبوء بفضله عدل الرعاة
تزودتم من الأولى وسرتم
إلى الأخرى بنور الصالحات
فلا ظمأ يصدك عن صيام
ولا قيظ أعاقك عن صلاة
ولا ملت يمينك من عطاء
ولا كلت شفاهك من عظات

إدارات البـحـوث عـلا لواها
ويرأسـها حـفـيـد التـجـربات
وجـائزة العـلوم جـعلت منهـا
ينـابيع الـرجـا للـصـاديـات
وأعـطاك الملوك فـمـا ادخـرتم
وأسـعـفـتم ضـحـايا النائبـات
سـتـبـقى منجـد الإفـتـاء صـدقـاً
وتعـرفك الفـتـاوى بالثـبـات
سـتـذكـرك الأرامل واليـتـامى
كـواسطة بعـقـد المكرمـات
يـؤبـنـك العـتـيـق ونـور عـلـم
وبـر عـاجـل للـسـائلات
حـبـاك الله - فـاهـنأ يا ابن باز -
وقـاراً في الحـيـاة وفي الممـات

شرف لشعري

شعر الدكتور: محمد محمود محمدين

شرف لشعري عاطر الأقوال
يشدو بشيخ عالم مفضال
أولى بمدحك شيخنا من شعرنا
ما قدمته يداك للاجيال
فقهاً وشرحاً للحديث وحكمة
لك في المجالس مضرب الأمثال
ايقنت ان اليسر خير سجية
فلزمته في القول والأعمال
واخترت درباً للفتاوى نهجه
وسط بلا سرف ولا إقلال
ما كنت فظاً في النصائح لا ولا
في الحق كنت مهادنا لضلال
وشننت حربا لا تسالم بدعة
فغدت حياتك قصة لنضال
وفتحت بابك للعصاة إذا أتوا
يسعون عوداً خلصاً لحلال

ومددت ايديك السخية دائماً
تعطي ولا تخشى زوال المال
فسعت إليك جموع دين محمد
جاءت لعون او لطرح سؤال
تصغي وترعى بالعناية قولهم
وترد رداً وافياً بالحال
توصي الشعوب بطاعة لوليها
في غير معصية ولا إخلال
ارشدت بالقول السديد ولم تزل
حلقات نصحك درة الأقوال
ولئن مضيت إلى جوار إلهنا
يبقيك ذخراً صالح الأعمال
وتركت علماً نافعاً نهدى به
ويزيد فضلك في مقام عال
ماذا نقول فليس إلا دعوة
ندعو لرب واجب الإجلال
إياه نسأل أن تفوز بعفوه
وتنال بالفردوس خير منال

قبرك المحّارُ

شعر: محمد الهويل

غسلوه بحروف السور
كفنوه ببياض الكوثر
واحملوه فوق أهداب الضيا
وادفنوه في تراب القمر
غسلوه عجباً هل يغسل الـ
ـبحر أم يدفن تحت الحفر
إنما المحار قبر ضمه
فله المحار لا للدرر
مدت الأغصان من راحته
فله الأثمار لا للشجر
وكتاب الله في قبضته
راية بين ذراعي جعفر
هو باز وحراء عشه
ناعم الوثبة غض الظفر
حفر الدمع بجفني قبره
كبر الدمع وصلى بصري

يتهادى النعش في الأيدي كما
وردة بيضاء فوق الأبحر
إنْ حملتوه فإن النعش قلـ
ـبي وأيدي الناس حد الإبر
أو دفنتوه فإن الترب صد
ري ونعش الشيخ حد الخنجر
مات من أوقد ناراً للقرى
كل شيء فيها غير الشرر
هو بحر ما حوى الحيتان بل
بين شطيه أمان الجزر
إن علا قبره أحجارٌ فكم
حملت أكتافه من حجر
حمل الأحجار يبني منبراً
وفم البازيّ أعلى منبر
ليصيح الشعر في منبره
غسلوه بحروف السور

غاية الإيجاز في رثاء العلامة ابن باز

شعر الدكتور: موسى بن محمد يحيى القرني

لا الشعر يوفيك يا شيخي ولا الكلمُ
ولا الدفاتر والأوراق والقلمُ
وكل ما قيل من قول فما هو في
حقيقة الأمر إلا بعض وصفكمو
وكل حزن غدا في كل ثاكلة
ما كان من سبب إلا لفقدكمو
وكل دمع جرى من عين ذي نفَس
ما كان يسكب إلا من فراقكمو
يوم الخميس وقد هُزّت مسامعنا
يا ليتنا قبلها كنا بنا صمم
يوم الخميس قد اشتدت مواجعنا
حتى تألم من آلامنا الألم
فجيعة لا ورب البيت ما رُزئت
بمثلها عصرنا عرب ولا عجم
وزلزت كل ذي لب بوطأتها
حتى تكاد الجبال الصم تنفصم

وكيف لا والذي أعطاك منته
وأنت فينا الإمام الفرد والعلم
قل لي بربك من هذا الذي زعمَتْ
له رؤاه بأن قد صار مثلكمو
من ذا الذي ثكلته أمه فغدا
يظن قرباً لكم ، لا إنه يهم
يا أيها الكوكب الدري يا قمراً
بل يا ضياءً إليه الناس تحتكم
ويا إماماً له في الناس منزلة
تنحط دون علاها السحب والنُّجم
قد كنت حياً لأهل الدين جابرهم
واليوم من فقدك الإسلام ينثلم
وكنت حياً لركن الدين عامره
واليوم من فقدك الأركان تنهدم
وكنت في الجود سحّاً وابلاً غدقاً
حتى يقال : بك الأجواد قد ختموا
وكنت في الزهد أواهاً وذا ورع
على لسانك تجري الآي والحكم
يا تربة العدل تيهي وافرحي جذلاً
ويا حصى القبر قوموا اليوم وابتسموا

هل تعرفون لمن تُذرى حفائركم
ومن سيطويه هذا اليوم لحدكمو
هذا ابن باز أتاكم إنه رجل
بل إنه أمة بل إنه أمم
ما ظن ظني أن قد حل تربتكم
من قبله مثله حقاً وما زعموا
العلم يسكن في أعطاف بردته
وبين راحته قد خيم الكرم
والحلم طبع جِبِلِّيٌّ بلا كلف
فما تحدثه إلا ويبتسم
رفق ولين وآداب ومرحمة
جود وفضل وخير سابغ عمم
إذا تحدث في (التفسير) خلت له
علم ابنٍ عباسٍ فهْو الحاذق الفهم
يفصل الآي تفصيلاً يبين به
وجه الحقيقة حتى تنجليْ الظلم
وإن جرى في ميادين (الحديث) ترى
ثبتاً ضليعاً فلا خلط ولا وهم
تنساب من فمه الآثار محكمة
ما في روايتها ضعف ولا سقم

وإن تكلم في (فقه) ونازلة
تلق الصواب مضيئاً ما به عتم
يفتي برأي صحيح لا يعارضه
نص صريح وبالوحيين يعتصم
مجدد العصر مهما قلت فيه فلا
أزال نفسيَ بالتقصير أتهم
(نور على الدرب) غيض من معارفه
والغيض هذا كمثل البحر يلتطم
نادى لتحكيم شرع الله في زمن
أضحت شريعة ربي فيه تهتضم
وبين الحكم في التصوير مستنداً
إلى الدليل وللآثار يحتكم
ورد رداً لطيفاً كله أدب
على مخالفه والرأي يحترم
دعا إلى السنة الغرا وحذرنا
من منكريها فيا بئس الذي اجترموا
وحذر الناس من أقوال مبتدع
يروم للدين كسراً وهو ملتئم
وقد أبان لنا فضل الجهاد وما
فيه من الخير والآلاء يغتنم

وقـــام ينـقـــد أفكاراً مـــزيفـــة
حـــتى تولت على الأدبار تنهـــزم
قـــومـيـــة واشـــتـــراكـيـــون جندلهم
بـالـبـــيـنـات من الأقـــوال كـلـهـم
وقـــد تحـــدى دعـــاة الســـوء حين دعـــوا
إلى الســـفـــور وللتـــحـــرير قـــد زعـــمـــوا
رســـائل كـلـهـــا نور وفـــيض هـدى
بـهـــــا الـلآلـي مـن الآثـار تـنـتـظـم
مـا جـاء فـيـهـا بقـول غـيـر ذي سلف
وليس فـــيـــهـــا بغـــيـــر الحق يلتـــزم
ومـــا أراد ســـوى نصـــر الهـــدى غـــرضـــاً
ولـم يـكـن لـهـــــواه قـط يـنـتـــــقـم
مـــا جـــاءه أحـــد إلا أجـــاب لـه
ســـــــؤلاً وبـلـلـه مـن وبـلـه دِيَـمُ
كـــــــأن لا لـم تـرد في رده أبـداً
عـلـى ســـــــؤال نـدا بـل رده نـعـم
وإن تحـــــدث عـن آلام أمـــتـــه
ترى حـــشـــاه من الآلام تـضـطـرم
في كـل أرض لـه لـلـدين داعـــيـــة
وكـل قـطـر لـه في أهـلـه حـــشـم

وإن ألّمت بأهل الدين نائبة
في أي أرض غدا يأسو جراحهمو
يؤمه كل ملهوف وذي عوز
فلا يرد لأيّ كان سؤلهمو
فداره بذوي الحاجات عامرة
وكل بيت له بالناس مزدحم
هذا فقير وهذا غارم وكذا
ابن السبيل وهذا مسه يَتَم
يعطي ويبذل لا ينبَتُّ نائله
وكفه بالندى لم يعرها سأم
جفانه لا ترى إلا مكللة
وقدره بقرى الأضياف تحتدم
وثغره باسم مستبشر أبداً
إلا إذا انتهكت في دينه حرم
أما إدارته للناس في عمل
أو في لجان إذا ما تم جمعهمو
أو عند مؤتمر أو ندوة عقدت
أو مجلس باحث فيما يهمهمو
فانظر إليه تَرَ كل الذين أتوا
قد أشربوا حبه والتمَّ شملهمو

يعطي لكل من الأعضاء منزلة
كأنه وحده في حبه نهم
يصغي لكل حديث أو ملاحظة
وليس منفرداً بالرأي دونهمو
يشاور الجمع فيما فيه مصلحة
للمسلمين وبالشورى يسوسهمو
ويبذل النصح في الآراء مجتهداً
من دون أن يغمط الأعضاء حقهمو
ومن يخالفْه في الآراء مجتهداً
يجدْه عند خلاف الرأي يحترم
يقول هذا اجتهادي لست أمنعكم
مما ترون خلافي لا ألومكمو
إذا رأيتم بقولي حجة فخذوا
به وإلا فلا ترموا بقولكمو
على الدعاة تراه مشفقاً وجلاً
إذا تعرض للتعويق سيرهم
يدعو لجمع ولا يسعى لتفرقة
وليس للقصد والنيات يتهم
وليس في قلبه غل على أحد
منهم ولا حسد فيه ولا وغم

يلقى الدعاة بترحاب ومكرمة
مهما تنوعت الآراء بينهم
ويملأ البشر والإسعاد مجلسه
إن جاءه خبر عنهم يسرهمو
لا يقبل السوء مهما كان قائله
فيهم ولا يرتضي ما قد يضرهمو
يسعى لإصلاح ذات البين دون هوى
ولا يميل لبعض دون بعضهمو
ولا يفتش عن عيب ومنقصة
وليس منهجه في الناس فضحهمو
يعلي المحاسن والسوءات يسترها
لظاهر القول والأفعال يحتكم
شعاره الدفع بالحسنى بدون أذى
واللين والرفق في الأقوال يرتسم
ومنهج العدل والإنصاف يسلكه
مع المخالف لا باغ ولا خَصِمُ
كم فتنة أقبلت هوجاء عاصفة
فأذهبت من ذوي الألباب لبّهم
وضل فيها أناس ما يظن بهم
أن الحوادث في يوم تميلهم

لكنه ظل طوداً شامخاً علماً
لم تغره نعم أو تفره نقم
حتى أتاه اليقين الحق وهو على
درب الهدى الحق ما زلت به قدم
الله لو أبصرت عيناك كيف غدت
قوافل الناس في التشييع ترتكم
الحب يدفعهم والحزن يملؤهم
وكلهم ذاهل مما جرى وجم
هل الحقيقة أن الشيخ غادرنا
قد أصبح الحب والإيمان يختصم
الحب يمنع من تصديق ما سمعت
آذاننا حين قالوا قد هوى العلم
لكن إيماننا بالموت يجعلنا
نأسو الجراحات إذ لا ينفع الندم
غادرت يا شيخ حقاً يا معلمنا
وحل بعدك فينا الهم والسدم
قلبي حزين وعيني لا تطاوعني
إن قلت كفى فدمعي ساكب سجم
ولا أقول سوى مرضاة خالقنا
إن جاءنا الضر أو إن جاءت النعم

يا رب أدعوك في صدق وفي رغب
ومنك يا رب يأتي الخير والكرم
أن تسكن الشيخ في الفردوس مغتبطاً
وحوله الحور والولدان هم خدم

كيف الجبال الشم يوسعها قبر

شعر الأستاذ الدكتور : ناصر بن سعد الرشيد

أُنهنهها صبراً وأنى لها الصبر
ولو ذرفت دماً لكان لها عذر
عجبت لعين لم تجد بدموعها
فإن دموع العين من حرها حمر
وإن عيوناً لا تفيض دموعها
على الشيخ لهي القفر أو دونه القفر
أنهنه نفسي أن يزل بها الجوى
فإن دموع العين من فقده نهر
وأكبح عيني أن يزيد بها اللظى
فإن بكاء الصالحين لها جمر
وأزجرها لما تزايد دمعها
كأن بها ضُراً فما نفع الزجر
لعل عيوناً غالبتني بحزنها
تفيض دموعاً لا يكون به وزر
رضينا بحكم الله إنّ قضاءه
علينا لماض لا يرد له أمر

ولكننا نرثيه بالشعر أسوةً
فإن رثاء الصالحين به أجر
إمام جليل لا يقوم بحقه
من القول نثر أو يقوم به شعر
لقد جمعت فيه الفضائل كلها
ففي قلبه زهد وفي ثوبه طهر
وبالسنة البيضاء يرفع رأسها
بكل مكان كي يكون لها نشر
على البدعة السوداء يدمغ رأسها
فإن علاج البدعة الدمغ والبتر
تجافى عن الدنيا وهام بضدها
ومن يعشق العلياء فالجنة المهر
من الزاهدين الوارثين لأحمد
وما ورثوا مالاً وليس لهم تبر
وهم ورثوا علماً وذكراً ودعوة
ألا نعم إرث الصالحين لنا الذكر
لقد شهدت ساح الحرام جنازة
كأن زحام الناس من حولها الحشر
كأن وجوم الناس من حول نعشه
وجوم ثكالى لا عزاء ولا ستر

كأن وجوه القوم حفوا بقبره
حزون قفار شح من فوقها القطر
كأن رجال العلم يوم وفاته
نجوم سماء خر من بينها البدر
أتته جموع الصالحين تجله
إلى الحرم المكي والبدو والحضر
وإن شهود الصالحين شهادة
ومن يحبب الرحمن يشهد له كثر
فلله من بالعدل مِنْ عَلَمٍ ثوى
فكيف الجبال الشم يوسعها قبر
به العدل يزهو مثلما كان يزدهي
به العدل ، إن العدل يكبره الحبر
هو المبصر الخريت في سبل الهدى
وأي سبيل لا يُهدي له وعر
يؤم بنا درب النجاة كأننا
على الدرب عُميٌ والدجى حولنا بحر
يقود سفين الرشد في لجة الدجى
بنور فؤاد يستوي البحر والبر
وإن عيوناً لا ترى الدرب لاحباً
فإن بها وقراً ، وليس بها وقر

فصبراً على هول المصاب تجلداً
فبعد ظلام الليل ينبلج الفجر
ولا يأس إن جل المصاب وإنه
جليل فإن العسر يعقبه اليسر
إذا مات منا عالم قام عالم
عليم بما قال الإله ، له قدر
وإن غاب فينا كوكب شع كوكب
فغاربنا صدر ، وشارقنا صدر

ما مات من أحيا مواتا

شعر: نايف النماش الشمري

سمو عن ملذات الحياة
وذكر طيب بعد الممات
إمام في التقى في الزهد أصل
ورمز للعلى والمكرمات
قرين للندى للخير بحر
وحبر في العلوم النيرات
دليل في المتاهات الخوالي
ونور في الليالي المظلمات
طليق الوجه ذو خلق ويلقى
قبول الناس في كل الجهات
أقمت لبيضة الإسلام حصناً
بأبواب عليها موصدات
وسداً كنت عن فتن تهاوى
علينا في السنين الماضيات
قطعت العمر في طلب وجد
ونصح للرعية والرعاة

أراك شغلت في أمر عظيم
وقد شغل الورى بالملهيات
وعلقنا على الدنيا رجاء
وعلق شيخنا بالباقيات
كأن الكون ساعة قيل تنعى
تبدل بالدروب الضيقات
عليك من الأسى والحزن ما لا
يسطر بالحروف الناطقات
كأنا قبل موتك ما فجعنا
ولم نذق الكؤوس الناقعات
كأن الناس ما عرفوا مصاباً
وما خبروا تصاريف الحياة
أرى سحب الكآبة والأسى في
وجوه غاديات رائحات
أرى في كل بيت دمع ثكلى
يسابقه أنين النائحات
فيالله كيف حواك قبر
وكيف أحاط معسول الصفات
وما مات الذي أحيا مواتاً
وأخطأ ذو الهوى طعم الحياة

فها هو في الدروس وفي الفتاوى
وتفسير لآي محكمات
وهذا شرحه يضفي بياناً
لطيفاً في مسائل مشكلات
وها هو في كتاب ضم علماً
وضمن من صنوف النادرات
وهذا صوته في النور عذباً
ليفصل في عظيم المعضلات
سيبقى ذكره في كل جيل
مثالاً للمشايخ والدعاة
لقد جل المصاب فمن نعزي
فكل الناس فيك ذوو شكاة

نبأ النوى

شعر: وفاء بنت عبد الله

نبأ رمى الأحشاء بالألم
وانساق للآفاق بالظلم

واستمطر الآماق في حزن
من مسلمي العرب .. والعجم

نبأ النوى من عالم فطن
فاق الورى بالعلم والكرم

يا باز مذ ودعت ودعنا
أنس الحشا في زي منهزم

يا باز مذ ودعت عاجلنا
ندم على ندم على ندم

ورحلت - حين رحلت - متشحا
بسنا تلألأ في حمى الحرم

يا قلعة ما كان أعظمها
يا أمة غراء في الأمم

تبكيك أرض الله والهة
هي والسماء ورقة النسم

تبكيك أطيار الحمى أمست
عبرى عليك شجية النغم
غابت شموسك عن مرابعنا
وتركتنا في وحشة الغسم
لكن ذكرك بيننا أبداً
حي وعلمك راسخ القدم
يا منة الرحمن في زمني
يا محضن الأخلاق والشيم
هيهات أن أحصي فضائلكم
يا بحر بالقرطاس والقلم
نبأ يبث مواعظا يوحي
أن الحياة رهينة العدم
ولى وما ولى فصورته
في الخير في العلياء في القيم
وافجعة الإسلام ثُلمته
عظمت وأضحى أي منثلم
يا مزن مكة يا محبته
جودي عليه بعاطر الديم
وترفقي يا أرضها - بأبي -
فلقد ضممت نعمة النعم

بقية السلف الأخيار أوحدهم

شعر: وليد بن محمد العباد

مـا زال دمـعي من عـيني ينهـمـر
والحـزن في جنبـات النفس يسـتـعـر
والـلـيـل طـال فــلا خـل يـؤانـسـني
والقلب فـوق جـدار الصـمت منكسـر
والنفس ذاهلة تهـذي مـتـمـتـمـة
قـد أنكرت مـا أذاع الناس أو نشـروا
قـد كنت أحـسب أن الصبـر شـيمـتـهـا
على المصـائب حـتى جـاءني الخـبـر
مـات ابن بـاز .. أحق؟ لست أعـقلهـا
القـلـب حـار وزاغ السـمع والبـصـر
مـات ابن باز فناح الكون أجـمـعـه
والفـجـر ناح وثلث الليل والسـحـر
مـات ابن باز فـمن للعلم ينشـره
من للفـضـائل من للحق ينتـصـر؟
من للمـسـاكين والأيتـام يسـعـدهم
فـي كـل قـلـب أمـرىء مـنـهـم لـه أثـر؟

بقيــة السلف الأخـيـار أوحـدهم
كـأن طلعـتـه في ليلنا القـمـر
سـمـاحـة خلق حلم يجلله
نور الوقـار به الأكـوان تنبـهـر
سـلامـة الصـدر قـد نقى سريرته
وقـوة الحق أصل فـيـه مـسـتـتـر
ألا سـقى الله قـبـراً أنت سـاكنه
بالعـفـو والصـفح والغـفـران ينغـمـر
وأخلف الله خـيـراً بعـد أمـتنا
من غـرسـه ألف باز سـوف تزدهر

هوى الشيخ الفقيه

محمد علي بن حسين الحريري
مدرّس بمنارات مكة المكرمة

وصلت إلينا هذه القصيدة أثناء طباعة الكتاب ولذلك اعتُمِدَت إضافتها في هذا الموضع.

ظــلام لــفَّ أرجــاء الــبــلاد ... وحــزن عَـمَّ أفـئـدة الـعـبـاد
كـأن الـكـون غـابـت عـنـه شـمـس ... فـراح وقـد تـوشـح بـالـسـواد
سـرى الـخـبـر الـمـروِّع فـي قـلـوب ... فـضـجَّ لـه الـحـواضـر والـبـوادي
وألـقـى بـالـمـصـاب عـلـى الـقـوافي ... فـهـبـت يـصـطـفـقـن مـن ارتـعـاد
وجـاؤوا يـهـرعـون إلـيـه حـتـى ... رأيـت الـنـاس أمـثـال الـجـراد

* * *

مـضـى الـقـدر الـمـحـتَّـمُ بـابـن بـاز ... وأسـرع حـيـن نـاداه الـمـنـادي
هـوت شـمـس الـمـعـارف فـالـبـرايـا ... حـيـارى يـخـبـطـون بـغـيـر هـاد
تـضـيـق شـعـاب مـكـة فـي جـمـوع ... يـسـابـق دمـعُـهـا خـفـقَ الـفـؤاد
مـصـاب الـمـسـلـمـيـن بـه عـظـيـم ... وهـل يـبـقـى الـبـنـاء بـلا عـمـاد
ومـا بـعـد الـمـصـيـبـة فـي نـبـي ... سـوى فـقـد الـشـيـوخ مـن الـبـلاد

* * *

مـضـى فـغـدت ريـاض الـعـلـم قـفـرا ... وقـافـلـة الـعـلـوم بـغـيـر حـاد
هـوى الـشـيـخ الـفـقـيـه فـلا دروس ... ولا كـتـب تـحـبـر بـالـمـداد
كـأن (الـفـتـح) أغـلـق دفـتـيـه ... ويـبـكـي عـنـده (زاد الـمـعـاد)
هـوى جـبـل مـن الـفـقـه الـمـصـفـى ... بـديـن الـلـه مـوصـول الـسـنـاد
لـه دار تـطـوف بـهـا الـحـيـارى ... لـمـعـرفـة الـصـحـيـح مـن الـفـسـاد
لـه الـفـتـوى إذا مـا الـحـق غـامـت ... رؤاه وضـاع فـي لـجـج الـعـنـاد

فيدفع من ضباب الشك عنه ليمتاز البياض عن السواد
تأسى بابن حنبل حين هَبَّت شكوكٌ صاغها ابن أبي دُؤاد
وكان ملوك آل سعود ردءا له في النائبات وفي الجلاد
بصير بالعواقب لم تثره أباطيل من الجنف المعادي
وكم حلت بأمتنا البلايا بحجاج يزيِّفُ أو زياد
فقد يربو بفعل الخير شرٌّ وليس يراه غير ذوي المبادي
وما الغمرات في ميدان حرب بأعنف من ميادين اعتقاد
رأى شراً بدا بثياب نصح وناراً تختفي تحت الرماد
وذئباً قد تنكر في ثياب فراح يهز ألوية الجهاد
وكان الشيخ أذكى منه رأياً وأبصر منه بالكُرَب الشداد
فما نكسات أمتنا بسرٍّ ولا يخفى الملفف في البجاد
ولا يجدي الذي يشتمٌ غدرا وقوفُ الصامتين على الحياد
فأفتى أن يرد الظلم قهراً ولو سرنا على شوك القتاد

* * *

ودنيا ازَّخْرفت فازورَّ عنها تطارده ويمعن في البعاد
وزهد الواجدين أجلُّ قدرا من الزهد المغلف بافتقاد
أمام المال تُمتحن النوايا ويمتاز البخيل من الجواد
فبذل في سبيل الله يُعطى وقد يعطى بحمدٍ مستفاد

* * *

جلال المخبتين عليه يبدو وسيما الصالحين من العباد
عفيف زاهد طلق المحيا نقيُّ القلب موثوق السداد
عليه سحائب الرحمات تترى تجيء بها السواري والغوادي
وعوَّضَ أمة الإسلام خيراً بنصر أو بمجد مستعاد
وصلى الله خالقنا على من يكون شفيعنا يوم التنادِ

﴿والسابقون السابقون﴾

برنامج الشيخ اليومي والسنوي بإيجاز:

هذا الموضوع حقه أن يكون في أول الكتاب مع الموضوعات التي تحدثت فيها عن سماحة والدنا الأجلّ وعالمنا الأمثل ولكن قد فاتني وَضْعه هناك، فلعله من المناسب أن يكون في ختام الحديث عن هذا الإمام المبارك ليكون مثلًا يُحتذى، وأسلوباً يُقتدى ونبراساً للمحبين، وآية للسائلين.

يستيقظ من نومه قبل الفجر بساعة على الأقل ليأخذ حظه من الليل وهذه سنَّةٌ ثابتةٌ في حياته رحمه الله سفراً وحضراً.

يصلي الفجر ثم يأتي بأوراد الصلاة وأوراد اليوم كاملة وفي أكثر الأيام يكون عنده درس علمي ثابت وخصوصاً في الرياض والطائف، لأن إقامته بها طويلة وهذا الدرس الثابت يكون في بعض أيام الأسبوع ويتوافد له طلبة العلم من مسافاة بعيدة، وقد يستمر أحياناً لمدة ثلاث ساعات والأيام التي ليس فيها الدرس قد يلقي فيها موعظةً موجزة.

وبعد صلاة الفجر يعود الشيخ إلى منزله ويتناول حبات من التمر، وكان يحبه

كثيراً رحمه الله، ويشرب القهوة ثم يبدأ في قراءة المعاملات المتنوعة، وأيام الأسبوع موزعةٌ على الموظفين والقرّاء على سماحته لكلٍّ منهم يوم معلوم فتُقرأ عليه المعاملات وتقرأ عليه في كثير من الأحيان بعض الكتب إما لمراجعة مسألة، أو لتحضير درس، أو لإجازة كتاب، أو للتأليف أو غير ذلك.

وجلسة الشيخ في منزله بعد الفجر في اليوم الذي ليس فيه الدرس العلمي تستمر من الساعتين إلى الثلاث أحياناً.

وبعض العلماء وطلبة العلم الذين يريدونه في أوقات مناسبة ومسائل هامة يختارون هذا الوقت في الغالب.

وبعد هذا كله يذهب الشيخ لأخذ قسط من الراحة قد ينام فيه وقد لا ينام، ثم في الساعة التاسعة أو التاسعة والربع يتهيأ للذهاب إلى المكتب، ثم ينطلق ويمكث في المكتب إلى الساعة الثانية والنصف وقد تزيد، وفي يوم الأحد والثلاثاء في الغالب يكون اجتماع اللجنة الدائمة للإفتاء، وبعد الساعة الثانية والنصف ظهراً من كل يوم ينطلق الشيخ إلى منزله وتكون وجبة الغداء قد أعدّت وهيّئت في هذا الوقت ويكون البيت قد اكتظّ بطلبة العلم، والضيوف، والفقراء والمساكين الذين يسعدون بتناول الغداء معه.

ثم يشرب الشاي والقهوة والنعناع وينظر في الحاجات الهامة للناس إلى قبل صلاة العصر بربع ساعة على الأقل، فيقوم يتوضأ للصلاة ثم يذهب إلى المسجد وبعد الصلاة له درس ثابت ما أخلَّ به طيلة حياته لا في حضرٍ ولا في سفر.

ثم يجيب على عددٍ من الأسئلة، أما بعد صلاة العصر إلى قبل صلاة المغرب فهو وقت راحته يخلد فيه للنوم، وقد لا ينام أحياناً، ثم يتوضأ ويذهب لصلاة

المغرب ثم يأتي بالأذكار كامله بما في ذلك أذكار المساء وبعد المغرب إن لم يكن لديه درس أو محاضرة فهي جلسته المعروفة للناس، ولم يخل بموعدها طيلة عمره لا في سفر ولا في حضر، ثم إذا أذّن المؤذن لصلاة العشاء انطلق إلى المسجد للصلاة وله درس بين الأذان والإقامة ثم يجيب على عددٍ من الأسئلة وهذا أيضاً من الأشياء الثابتة في حياته في سفره وفي حضره لم يخلفها أبداً. قَصْدُنا بالسفر: إقامتُه خارج الرياض ـ مكة ـ الطائف ...

أما بعد العشاء فهو إما محاضرة، أو اجتماع، أو قراءة بعض الكتب أو المعاملات، أو يُقرأ عليه موجز الصحف، أو تلبية دعوة، ولا يمكن بحالٍ من الأحوال أن يحضر الشيخ مجلساً أو مناسبة ثم لا يلقي كلمة أو موعظة، بل طيلة مكوثه فهو إما يفسر آية أو حديثاً أو يلقي موعظة أو يجيب على الأسئلة.

ومن برامجه بعد العشاء استقبال حالات الطلاق والمطلقين وقد يستمر معهم ساعات طويلة.

ثم يتعشى مع ضيوفه وزوّاره ويتناول الشاي والنعناع والقهوة ثم البخور ـ الطِّيب ـ وتستمر جلسته بعد العشاء إلى الساعة العاشرة والنصف، وأحياناً إلى الحادية عشرة، وأحياناً تطول وجميع وقته في مكتبه أو في منزله أو في سيارته لا يفتر لسانه عن ذكر الله تعالى بل أثناء أكله وشربه كثيراً ما يردد الحمد لله، الحمد لله.

وهكذا كان برنامجه اليومي رحمه الله، ثم لا تَسَلْ عن كل يوم من أيامه رحمه الله كم يُبذل فيه من العلم، ويُسدى من النصح، ويُنفّس من الكروب، ويفرّج من الهموم، ويُقضى من الديون، ويُمنع من الشرور، ويُلمّ من شتات الأُسَر، ويُطعم من جائع، ويُكسى من عارٍ، ويُغاث من ملهوف، ويُبذل من معروف.

ذاك هو **برنامج الشيخ اليومي** تقريباً وهو ـ كما رأيت ـ برنامج حافل بالبذل والعمل والعلم والعطاء والعبادة والخير الكثير. وأعجب وأعظم ما يميز الشيخ هو وقته المنظم الذي لا يتغير ولا يتبدل، وبرنامجه معروف ومضبوط سواء اليومي أو الشهري أو السنوي.

وبرنامج الشيخ السنوي هو:

الإقامة بمدينة الرياض وهي تقريباً تبدأ من الشهر الرابع من السنة الهجرية، وفي الشهر السادس أو السابع يأتي إلى مكة لحضور مجالس الرابطة والمجمع الفقهي، ويمكث أسبوعين أو ثلاثة ثم يعود بعدها إلى الرياض، ثم يعود إلى مكة مرة أخرى في العشر الأواخر من رمضان، وقد يأتي من اليوم السادس عشر أو السابع عشر.

والشيخ رحمه الله خصوصاً في السنوات الأخيرة لم يكن يصلي التراويح بالمسجد الحرام نظراً لكثرة الزحام، ولأنه يرى أن مكة كلها حرم وأن الحديث الوارد في مضاعفة الصلاة في المسجد الحرام إلى مائة ألف صلاة، يشمل حرم مكة كلها وأدلته رحمه الله قويةٌ جداً ومقنعة ولذلك فهو يريد أن يَسُنّ ذلك للناس لكي يبين لهم أن الأمر فيه سعة فلا ضرورة للتزاحم والتحاشد الذي قد يذهب بخشوع الصلاة.

وهو يصلي صلاة التراويح على السُّنَّة إما ثمان ركعات ويوتر بثلاث وهذا في الغالب، وإما عشر ركعات ويوتر بثلاث وهو يفتي بأن هذه هي السنّة، وأن الأخذ بها أفضل وأكمل، ومن سأله عن الصلاة إحدى وعشرين ركعة أو أكثر أو أقل فإنه لا يرى بذلك بأساً.

وهو يلتزم الهيئة ـ المذكورة آنفاً ـ في صلاته حتى في العشر الأواخر في صلاة التهجد، فهو يقسّم الصلاة قسمين فيصلي تسليمتين أو ثلاث بعد العشاء، ثم يكمل الصلاة والوتر بعد منتصف الليل. وكان يأمرنا في الدعاء أن نقتصر على الدعاء المأثور فقط.

وأذكر أنني أوّل ما عُيِّنت في مسجد سماحته بمكة المكرمة حينما جاءنا الشيخ في العشر الأواخر، وصَلَّيت به التراويح كنت قد استذكرت أدعيةً كثيرة للوتر، فحينما وصلت إلى دعاء القنوت تفننت في الدعاء، وتأنَّقت في اختيار الكلمات المؤثرة، والعبارات المسجوعة.

وشرَّقت بهم وغرَّبت فلم أترك مسافراً، ولا غائباً، ولا مديناً ولا، ولا، ولا... إلخ إلا رددته، إلا أغنيته، إلا.... إلخ، ولم أترك بلداً من بلاد المسلمين إلا وأعطيته نصيبه من الدعاء، ثم طوَّفت على الشعوب بجميع طبقاتها ومستوياتها، ثم مررت بالأحياء ثم الأموات، مع ذكر صفة الموت، وعذاب القبر، والجنة والنار!!!

ثم توقفت طويلًا مع بعض الأدعية المؤثِّرة فأعدت وزدتُّ وبكيت، فلما قضيت الصلاة بعد رحلة طويلة من الدعاء الذي خارت له القوائم، وسقطت منه العمائم، ونثرت به الدموع السواجم قلت: هذا الذي سيفرح به الشيخ ويدعو لي لأجله، فإذا به يدعوني ثم يهمس في أذني كعادته في النصيحة ـــ رحمه الله فيقول: لقد أطلت الدعاء كثيراً اقتصر على المأثور.

وفي اليوم الثاني اكتفيت بنصف ما ذُكر مما مضى من الأدعية فدعاني أيضاً وقال لي: اقتصر على المأثور ولا تطل، فعرفت قصده ـــ رحمه الله ـــ فالتزمت به فرأيت لهذا الالتزام بالمأثور من الدعاء من انشراح الصدر، والأثر في النفس والارتياح من الناس ما لم أجد له مثيلًا في ذلك الدعاء الطويل.

وحينما عدت لأتأمل قول النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها حينما سألته إذا هي أدركت ليلة القدر بما تدعو الله فيها فقال لها: (قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني) عرفت عظمة النبي ﷺ وبلاغته، وعرفت فقه الشيخ رحمه الله

وحسن اتباعه، فإن هذا الدعاء قد حوى الخير كله، فالإنسان يقف ذلك الوقت الطويل ويدعو بكل تلك الأدعية ومحصلتها جميعاً، أنه يريد الفوز بالجنة والنجاة من النار، وهو يثني على الله تعالى ثم يدعوه، وذلك كله قد أوجزه هذا الحديث المبارك فهو حوى الثناء على الله بأحب الصفات إليه ــ صفة العفو ــ وحوى أجمل دعوة، وأفضل مأمول، وأكمل مطلوب وهو نيل عفو الله تعالى ومن عفا الله عنه فقد فاز.

ونعود بعد هذا الاستطراد إلى برنامج الشيخ السنوي:

في ليلة التاسع والعشرين ينطلق عائداً إلى الرياض، ثم يمكث هناك إلى آخر شهر ذي القعدة فيتجه إلى مكة لأداء فريضة الحج وللقيام بواجب النصح والتوجيه والإفتاء لحجاج بيت الله الحرام، وفي هذه الأيام يأتي إليه المسلمون من أنحاء الدنيا ومن عادته أن يقيم مخيماً كبيراً بمنىً ويستضيف فيه مئات المسلمين خصوصاً من طلبة العلم والفقراء والمساكين.

ويمكث في مكة إلى آخر شهر ذي الحجة، ثم ينطلق إلى الطائف ويقيم فيه إلى شهر ربيع الثاني، وبعد ذلك يعود إلى الرياض ويكون سفره ذهاباً وإياباً في طائرة خاصة من الدولة ــ وفقها الله ــ عن طريق مطار الطائف دائماً. وهكذا يستمر برنامجه رحمه الله رحمة واسعة.

ومن أهم ما يذكر في برامجه اليومية والشهرية والسنوية زيارته للأقارب واتصاله المستمر بهم دائماً وأبداً وهو يحفظ أرقام هواتفهم جميعاً. ولقد رأيت منه في ملاطفتهم والسؤال عنهم والأنس بالحديث إليهم صغيراً وكبيراً رجالاً ونساءً ما يثير العجب، ويوّرث الحب والإجلال، عليه رحمة المتعال.

﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾.

وختاما

ومن عجبٍ أَنّي أَحِنُّ إليهمُ
وأسأل عنهم من لقيتُ وهمْ معيْ
وتطلُبُهمْ عيني وهم في سوادها
ويشتاقُهم قلبي وهم بين أضلعي

هذا بعض ما جادت به القرائح ، وما بلغته المدائح ، وإنني على يقين أن هذا العمل قطرة أولى من غيث متدفق من الكتابات والبحوث والرسائل والقصائد ، التي ستخطها أقلام بني الإسلام في سيرة هذا الإمام – عليه رحمة العلاّم ، إلا أنني أحببت أن يكون في هذا الإسهام المتواضع ما يروي شيئاً من غُلَّة المتعطِّشين لشيءٍ من خبر سماحته – رحمه الله – إلى أن يحظى محبوه ببقية أخباره وعبير آثاره .

ولا يخلو العمل في بدايته من الخلل ، ولا يسلم غالباً من الزلل ، فكيف بعملٍ في مثل هذا الوقت القياسي من الزمن .

ولو قبل مبكاها بكيت صبابة
بسعدى شفيت النفس قبل التَنَدُّمِ
ولكن بكت قبلي فهيجني البكا
بكاها فقلت الفضل للمُتَقَدِّمِ

وإنني آمل من المولى جلّت قدرتُه أن أُوفّق في الطبعات القادمة إلى أجمل الإضافات ، وتدارك ما فات ، وإصلاح الهفوات ، وآمل من إخواني القرّاء أن يمدوني بملاحظاتهم ، ويجودوا عليّ بتوجيهاتهم ، ويتكرموا لي بإسهاماتهم ، وسوف تجد في نفسي مكاناً عليّا ، وشكراً وفيّا ، ولن أنسى جميلهم ما دمت حيّا .

اللهم نواصينا بيدك ، ماضٍ فينا حكمك ، عدل فينا قضاؤك نسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك : أن تجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا ، ونور أبصارنا ، وجلاء أحزاننا ، وذهاب همومنا .

اللهم ربنا لك الحمد ، ملء السماوات ، وملء الأرض ، وملء ما بينهما ، وملء ما شئت من شيء بعد ، أهل الثناء والمجد ، أحق ما قال العبد ، وكلنا لك عبد ، لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما

منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد .

اللهم لك أسلمنا ، وبك آمنا ، وعليك توكلنا ، وإليك أنبنا وبك خاصمنا ، وإليك حاكمنا ، فاغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا ، وما أسررنا وما أعلنا ، أنت المقدم ، وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

اللهم وفق ولاة أمورنا لكل خير وصلاح ، وهدى وفلاح ، اللهم ارزقهم بطانةً صالحة ، ورفقةً ناصحة ، واجعلهم من أنصار القرآن وحملته ، والنبي ﷺ وسنته ، والعلم النافع وطلبته ، اللهم احفظ علمائنا ، وزدهم توفيقاً وعلماً ، وصلاحاً وفهما ، اللهم اجعلهم أئمة مهديين ، وعلماء عاملين ، وارفع بهم راية العلم والحق والدين ، ووفق للخير والهدى والصلاح جميع المسلمين .

اللهم اغفر لشيخنا مغفرة من عندك ، وارحمه برحمتك ، اللهم أكرم نزله ، ووسع مُدخله ، وارفع درجته ، واجزه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ، وارفع مرتبتهُ مع النبيين والصديقين والشهداء .

اللهم اجعله مع المتقين في جنات ونهر ، في مقعد صدق عند

مليك مقتدر ، اللهم اجمعنا به في جنات النعيم ، وامنن عليه وعلينا بعفوك العظيم ، فإنك عفوٌ كريم ، رحمن رحيم .

اللهم لا تحرمنا أجره ، ولا تفتنا بعده ، واغفر لنا وله ،،،

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين ، وإمام العلماء العاملين ، وقدوة الأولياء والمتقين ، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين ،،،

د / ناصر بن مسفر الزهراني

عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى
وإمام وخطيب جامع سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز بمكة المكرمة
هاتف (٥٥٧٤٣٣١) . فاكس (٥٥٦٤٤٨٩)
العزيزية - ص . ب (٥٤٠٧)

الفهرس

تصويبات

نعتذر للقارئ الكريم عما يبدر من هفوات وملاحظات، وقد حاولنا تداركها جميعاً في الطبعة القادمة قريباً بإذن الله تعالى وهذا بيان ببعض التصويبات:

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
الذي	الذين	٦٠	٨
هي السمعة الغالية	هي السمة الغالبة	١٣٥	٤
والتصوير	والتصوّر	١٣٦	٨
غذاءه سائر طيلة يومه	غذاءه طيلة يومه		
	ـ في أيام مرضه ـ	١٤٠	٨
ليس لي مقدر دخل	ليس لي مصدر دخل	١٤١	٢
وكونوا عبد الله	وكونوا عباد الله	١٤٩	٤
اللعماء	للعلماء	١٥٨	١٣
دعاةً	دعاة	١٥٩	الأخير
من كره من أمره	من كره من أميره		
شيئاً فلصبر	شيئاً فليصبر	١٦٤	٩
ملجس	مجلس	١٦٧	١٦
ودعوته منهجه	ودعوته ومنهجه	١٧٩	قبل الأخير
ينطق بفضله	تنطق بفضله	٢١٢	٨
ينبوع الدموع	ينابيع الدموع	٢٥٦	٩
الصديق عمر	الصديق وعمر	٢٥٧	٢
إن مواجه	إن مواجهة	٢٩٣	١٠